

الأمثال

مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْحَكِيمِ التِّرْمِذِيِّ

مِنْ عُلَمَاءِ الْقُرْآنِ الثَّالِثِ الْهَجْرِيِّ

تَحْقِيقٌ

عَلَى مُحَمَّدِ الْبِجَاوِيِّ

دار النهضة المصرية للطبع والنشر
القاهرة - المتاحرة

الأمثال

مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

لأبي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي

من علماء القرن الثالث الهجري

تحقيق

على محمد البجاوي

دار النهضة مصر للطبع والنشر
النجدة - القاهرة

5/100000

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين .
وبعد فهذا كتاب « الأمثال من الكتاب والسنة » لإمام من أئمة
المسلمين هو أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي .
أقدمه محققاً للقراء بعد أن ظلَّ - علي ما أعلم - منسياً إلى
الآن ، لم تمتد إليه يد فتخرجه للناس .

بل لم يكن يعرفه إلا القليل الذين أشاروا إليه حين كتبوا في
موضوعه « الأمثال » ؛ ومن هؤلاء الأستاذ محمود بن الشريف في
كتابه « الأمثال في القرآن » ، وإن كان قد ذكره باسم « رسائل
الحكيم الترمذي » (١) .

بل إن القرطبي في تفسيره رجع إلى هذا الكتاب ، ونقل
عنه ، ولكن يذكره باسم « نوادر الأصول » (٢) ، وهو غير كتابنا
هذا كما ستري بعد .

والكتاب كما ستراه في ثلاثة أقسام : الأمثال من القرآن .
الأمثال من الأحاديث والأخبار . أمثال الحكماء .

(١) الأمثال من القرآن : ١٢٠

(٢) الجزء السابع من تفسير القرطبي : ٣٢٢ مثلاً . وانظر هامش صفحة ١٦ من

هذا الكتاب .

ويدخل في هذا القسم الأخير أمثالاً من عند الحكيم الترمذى

نفسه .

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن المؤلف لم يقصد الاستقصاء في واحد من هذه الأقسام ، بدليل أنه ترك كثيراً من أمثال القرآن الكريم ، وأمثال الأخبار .

وفي رأبي أنه قصد إلى نماذج من هذه الأمثال فيها عظة وعبرة ، وتعليم وفقه ، وحكمة ودين ، وحاول دائماً أن يكون أثره عظيماً ، وعظاته أشمل .

على أنه في كل ما جاء به كان يدور في محيط القرآن الكريم ، والسنة المحمدية ، حتى تلك الأمثال التي رواها عن الحكماء والعلماء ، والتي ساقها من عنده - أيدها بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، ليعزز آراءه ، مما يدل على إيمان صحيح ورغبة أكيدة في محاولة الوصول إلى عقل القارئ والأخذ بيده إلى الطريق المستقيم .

وهو حين يشرح بعض الآيات في سياق موضوعه كان يتجه أحياناً إلى تفسير صوفي فيه بعض الغموض ، فحاولت جهدي أن أقرب هذا التفسير إلى القارئ ، وذلك بشرح بعض ما يحتاج إلى شرح فيه ، أو بإثبات تفسير هذه الآيات من كتب التفسير

المعروفة ، و أثبت ذلك في هامش الكتاب ؛ لأعين القارئ على الفهم ،
و أضع بين يديه ما يساعده على الموازنة .

هذا الكتاب

هذا الكتاب في مجموعة مخطوطة من مؤلفات الحكيم الترمذی ،
وفي الصفحة الأولى منها ما يأتي :

مجموع فيه اثنا عشر كتاباً للحكيم الترمذی :

الأول - كتاب الصلاة ومقاصدها .

الثاني - الحج وأسراؤه .

الثالث - الاحتياطات^(١) .

الرابع - الجمل اللازم معرفتها .

الخامس - الفروق ومنع الترادف - من أجل مصنفه^(٢) .

السادس - حقيقة الآدمية ، واسمه الكتاب « الرياضة في

تعلق الأمر بالخالق » .

السابع - غرس الموحدين^(٣) .

(١) وهو في خلوص العبادة والاحتياط من النفس .

(٢) وهو في ذكر الأفعال والأخلاق الفاضلة وأضدادها وبيان الفرق بينها . قال

السبكي (٢ - ٢٠) : ليس في بابه مثله ، يفرق فيه بين المداراة والمداهنة ، والحاجة
والمجادلة ، والمناظرة والمغالبة ، والانتصار والانتقام ، وهلم جرا . . من أمور متقاربة
المعنى .

(٣) وهو في بيان الصلاة والطهارة وأدائها على وجهها .

الثامن - الأعضاء والنفس^(١) ، وفيه تفسير آيات عظيمة .

التاسع - منازل العباد من العبادة^(٢) .

العاشر - العقل والهوى^(٣) - وهو جليل الفوائد .

الحادى عشر - الأمثال من الكتاب من السنة ، ومن كلامه -

مفيد جداً . وهو هذا الكتاب الذى عرفناك به .

الثانى عشر - كتاب « المنهيات » أو « المناهى » وهو غريب

فى بابهِ^(٤) .

جميع هذه الكتب المذكورة من مصنفات الأستاذ العلامة العالم الأوحد الإمام الحكيم أبو عبد الله محمد بن على الترمذى قدس الله رُوحَه .

وفى أعلى الجانب الأيسر من هذه الصفحة تمليك غير مقروء ،

(١) أوله : الحمد لله ولى الحمد وأهله . . . أما ما سألت عن صفة القلب وأسمائه وصفة الصدر وأحواله وصفة النفس . . .

(٢) أوله بعد الديباجة : أما بعد فإنكم سألتمنى وصف منازل العباد من هذا الدين وأن أذكر لكم فى كل منزلة منها من طريق الكتاب المنزل والحديث المأثور - ما يكون شاهداً على وصفي . . .

(٣) وأوله : باب العقل والهوى ، وللعقل خمسون - أعوان ، وللهوى خمسون - أعوان . عد فيه أقسام العقل والهوى مفسراً كل قسم على حدة ، الموجود منه عشرون قسماً من أقسام العقل فقط ، وينتهى ما فيه إلى تعريف الشكر . . .

(٤) جمع الأحاديث النبوية الواردة فى النهى .

وتحتة : تشرف بتملكه أفقر الورى صالح بن مصطفى رضى الله
تعالى عنه .

وبعد المكتوب فى النسخة المغربية ما يأتى :

الشيخ الإمام الأجل أبو المكارم الحسين بن محمد بن عثمان ...
والعلامة بذر الدين شمس المعرفة ، تاج السنة ، سراج الأمة ،
ناصر الحق ، ناصح

مؤلف الكتاب (١)

هو أبو عبد الله محمد بن على بن الحسن بن شير الترمذى
المؤذّن ، المعروف بالحكيم . متكلم سُنّيّ ، ومحدث متصوّف ، وفقّيه
حنفى ، من أجلّ كتّاب مشايخ خراسان ، عالم بالحديث وأصول
الدين من أهل ترمذ ، سمع الكثير من الحديث بخراسان والعراق ،
وحدّث عن أبيه ، وعن قُتَيْبَةَ بن سعيد . وروى عنه يحيى بن
منصور القاضى وغيره من علماء نيسابور .

وكان إماماً من أئمة المسلمين ، له المصنفات فى أصول الدين ،

(١) رجعتا فى هذه الترجمة إلى المصادر الآتية :

لسان الميزان لابن حجر : ٥ - ٣٠٨ ، الأعلام للزركلى : ٧ - ١٥٦ ، طبقات
السبكي : ٢ - ٢٠ ، دائرة المعارف الإسلامية : ٥ - ٢٢٧ ، كشف الظنون :
١ - ٩٣٨ ، معجم سر كيس : ٦٣٣ ، حلية الأولياء : ١٠ - ٢٢٣

ومعالى الحديث . وله كتاب « نواد الأُصول » مشهور ، رواه عنه جماعة بخراسان .

وهو عالم متواضع : قد نقل عنه أنه كان يقول ^(١) : ما وضعتُ حرفاً على حرف لينقل عني ، ولا لينسب إليّ شيءٌ منه ، ولكن كنتُ إذا اشتدَّ على وقتي أتسلى بمصنفاًتي .

وقيل إنه هجر ترمذ في آخر عُمره بسبب تصنيفه كتاب « ختم الولاية وعلل الشريعة » ؛ وحُمل إلى بلخ ، فأكرموه لموافقته لهم في المذهب - يعنى الرأى .

قال في لسان الميزان :

وبلغنى أن أبا عثمان سُئل عنه فقال : تنبَّؤوا عنه شراً من غير سبب . وذكره القشيري في الرسالة ، وقال : كان من كبار الشيوخ ، وله تصانيف في علوم القوم .

وقال في دائرة المعارف الإسلامية : وهو يدعو إلى الأخلاق الشريفة ، ويلعن في كتابه « الأقباس » النِّفاق بأنواعه ، ويرفض الحيل التي كان يلجأ إليها المفتون في عصره . قال : ويعدُّ الترمذى بحقُّ رائد ابن عربي الذي جاء بعده بثلاثة قرون ، فدرسه عن كتب وأعجب به .

وقدره ابن حجر على ابن العديم حين وصفه بأنه لم يكن من

(١) الخلية : ١٠ - ٢٣٣

أهل الحديث وقال : لعمرى ، لقد بالغ ابن العديم في ذلك ؛
ولولا أن كلامه يتضمن النقل عن الأئمة لما ذكرته ، ولم أقف لهذا
الرجل مع جلالته على ترجمة شافية .

وذكره أبو نعيم في الحلية ^(١) ، فقال :

صنّف التصانيف الكثيرة في الحديث ، وهو مستقيم الطريق ،
تابع للأثر ، يردُّ على المرجئة وغيرهم من المخالفين ، وذكر شيئاً
من كلامه ؛ منها قوله :

كفى بالمرء عيباً أن يسره ما يضره . ومنها قوله - وقد سئل عن
الخلق ، فقال : ضعف ظاهر ، ودعوى عريضة .

واضطرب مؤرخوه في تاريخ وفاته ؛ فمنهم من قال : إنه
توفي سنة ٢٥٥ هـ ^(٢) ومنهم من أرّخ وفاته سنة ٢٨٥ ^(٣) ، ومنهم

(١) الحلية : ١٠ - ٢٣٣

(٢) ممن قال ذلك مفهرس المخطوطات في القسم الأول من فهرس المخطوطات
المطبوع سنة ١٩٦١ صفحة ٤٣٤ ، ومنهم المعلق على لسان الميزان (٥ - ٣١٠) ،
إذ قال : الحكيم الترمذى المتوفى شهيداً سنة خمس وخمسين ومائتين . والله أعلم ، وأشار
صاحب الأعلام (٧ - ١٥٦) إلى هذا أيضاً فقال : فمنهم من قال : إنه توفي
سنة ٢٥٥ هـ . كذلك صاحب كشف الظنون صفحة ٩٣٨ ، إذ يقول : الحكيم الترمذى
المتوفى سنة ٢٥٥ هـ (خمس وخمسين ومائتين) .

(٣) ومنهم دائرة المعارف الإسلامية ٥ - ٢٢٧

مَنْ جَعَلَ وَفَاتِهِ سَنَةٌ ٣٢٠ هـ (١) .

وقال في الأعلام (٧ - ١٥٦) : وينقض الأول أن السبكي

يذكر أنه حدث عنه بنيسابور سنة ٢٨٥ هـ ، كما ينقض الثاني

قول ابن حجر (٢) أن الأنباري سمع منه سنة ٣١٨ هـ .

مؤلفاته

سبق أن ذكرنا من مؤلفاته اثني عشر كتاباً حين أثبتنا

صورة ما جاء في الصفحة الأولى من مجموع كتبه :

ونضيف إلى ذلك من كتبه ما يأتي :

١٣ - تحصيل نظائر القرآن ، وفي أوله - بعد الديباجة :

أما بعد ، فإنما نظرنا في هذا الكتاب المؤلف في نظائر القرآن

فوجدنا الكلمة الواحدة مفسرة على وجوه ، فتدبرنا ذلك ، فإذا

التفسير الذي فسرناه إنما اختلفت الألفاظ في تفسيره ، ومرجع

ذلك إلى حكمة واحدة .

١٤ - الرد على المعطلة ...

١٥ - المسائل المكنونة ، وأولها بعد الديباجة : جهد النفس

حجاب المنّة ، وجهد القلب هتك حجاب المنّة .

(١) من هؤلاء لسان الميزان لابن حجر : ٥ - ٣١٠ ، إذ قال : عاش إلى حدود

العشرين وثلاثمائة ، فإن الأنباري ذكر أنه سمع منه سنة ثمانى عشرة وثلاثمائة . وعاش

نحو من تسعين سنة . والله أعلم ، وكذلك قال في الأعلام (٧ - ١٥٦) : وفاته

نحو سنة ٣٢٠ هـ .

(٢) : اظر الهامش السابق .

وهي كلها مخطوطة في دار الكتب^(١) .

١٦ - ختم الولاية وعلل الشريعة^(٢) .

١٧ - نواذر الأصول^(٣) .

١٨ - الأقباس^(٤) .

١٩ - رسائل الترمذى ؛ وهي مجموعة الكتب التي أشرنا

إليها سابقا ، وقد سماها هذا الاسم مفهرس مخطوطات دار الكتب ،

مع أنها نسخة مكتوبة عن إحدى النسختين المخطوطتين في الدار

لهذه المجموعة .

* * *

زاد كتاب الأعلام في كتبه أيضاً :

٢٠ - الأقباس والمفترون - تصوف .

وزاد السبكي في كتبه :

٢١ - عود الأمر .

(١) فهرس المخطوطات .

(٢) لسان الميزان (٥ - ٣٠٨) ، ودائرة المعارف الإسلامية : ٥ - ٢٢٧

(٣) نواذر الأصول في معرفة أخبار الرسول ؛ قال صاحب كشف الظنون (٩٣٨) :

وعليه زوائد لجلال الدين السيوطي ، وهو الملقب سلوة العارفين وبستان الموحدين ،
وله مختصر قدر ثلثه طبع في الآستانة ١٢٤٩ هـ .

(٤) دائرة المعارف الإسلامية .

وقال في دائرة المعارف :

« وقد بقي من تآليفه ما يَقْرُبُ من ثلاثين مصنفاً ، أسلوبها مُطَنَّبٌ بعض الشيء ولكنها مع هذا حافلة بالأسانيد .

وكان أول من صنَّف في طبقات الصوفية ، ولكننا لم نعرف هذا الكتاب إلا من النقول التي أَخَذَتْ منه .

* * *

ونظرة إلى هذه الآثار التي تركها المؤلف تُوحى بما كان عليه من ثقافة دينية واسعة ، وتدلُّ على اتجاه واضح فيه إلى بثِّ روح الدعوة ، وإيمان وثيق بها .

قال في دائرة المعارف الإسلامية :

« وقد أراد الترمذى أن يُخْرِجَ تخريجاً عقلياً الفرائض الشرعية في كتبه «علل العبودية» ، «شرح الصلاة» ، «والحج وأسراره» .

نسخ الكتاب

في دار الكتب المصرية من الكتاب نسختان (1) :

الأولى بخط مغربي دقيق جداً ، به بعض الضبط ، وهي مصورة بالفوتوستات عن نسخة خطية محفوظة - بالمكتبة الأهلية -

(1) كل منهما ضمن مجموعة الكتب التي أشرنا إليها .

باريسن^(١) رقم ٥٠١٨ ، ويظن أنها من مخطوطات القرن الخامس الهجرى ، ضمن مجموعة من لوحة ١٤١ - ١٨٤ ، فى كل لوحة صفحتان ، ورقمها ٢١٨١٧ ب ، وقد رمزنا إليها بالحرف (ا) .
والنسخة الأخرى مصورة بالفوتستات أيضاً^(١) ، عن النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة عاشر أفندى بالآستانة رقم ١٤٧٩ ضمن مجموعة من لوحة ٤٢ - ٩٧ ، و كل لوحة بها صفحتان ، وهى بخط فارسى جميل ، لولا أن بها بعض كلمات غير واضحة فى التصوير ، وهى قليلة على كل حال ، وبها أيضاً بعض الضبط الدقيق ، ورقمها ٢١٨١٦ ب ، وقد رمزنا إليها بالحرف (ب) .

ومما ينبغى التنبيه عليه هنا أن هذه النسخة قد امتازت عن سابقتها بأن بها عناوين جانبية ، انتفعتُ بها فى العناوين التى وضعتها لموضوعات الكتاب فى ثنايا السطور ، مميزة بحروف غير حروف الكتاب ، وهى عناوين دقيقة ، فصلت موضوع الكتاب ، وبينت أجزاءه ، وحددت للقارئ أهدافه^(٢) .
وأرى أن هذه العناوين من وضع كاتب النسخة ، فهى غير موجودة فى النسخة المغربية السابقة .

(١) فهرس المخطوطات - القسم الأول ، القاهرة ١٩٦١
(٢) بدار الكتب نسخة ثالثة منقولة بقلم أحد النساخ ، ولكنها - لكثرة ما فيها من تحريف : لا تستحق أن تكون مرجعاً للتحقيق ؛ بل لا يضح .

عملى فى الكتاب

قابلت النص على النسختين ، وأسرت فى الهوامش إلى الاختلاف بينهما إن وجد ، وضبطت ما يحتاج إلى الضبط ، لأعين القارئ على الفهم . وخرّجت الآيات القرآنية ، وأثبتت فى الهوامش سورها ، وأرقام آياتها . وكنت أحياناً أكمل الآية إذا كان المعنى يحتاج إلى هذه التكملة .

وخرّجت الأحاديث النبوية ، بالرجوع إلى كتب السنة ، وأسرت إلى ذلك فى هوامش الكتاب .

وشرحت بعض الألفاظ التى تحتاج إلى شرح ، وأثبتت فى بعض الأحيان تفسير الآيات ^(١) من كتب التفسير المعروفة .

وأسرت دائماً إلى مراجع التفسير ، والبحث ، والشرح ، والضبط ، من كتب التفسير والحديث ، واللغة ، والتراجم ، وغيرها ، مما تراه فى هوامش الكتاب .

ووضعت أكثر العناوين التى وجدتها مثبتة فى النسخة الفارسية ، وميزتها بحروف غير حروف الكتاب .

وختمت الكتاب بفهارس متنوعة تعين على البحث فيه والإفادة منه .

(١) سبقت الإشارة إلى سبب ذلك .

بقي أن أقول : إن في نسختي الكتاب بعض عبارات - وهي
والحمد لله قليلة - لم أهد إلى الصواب فيها ، فتركتها كما هي ،
وقلت - في الهامش : هذا بالأصول .

ولعل غيري يكون أهدى مني إلى الصواب فيها .
والله أسأل أن ينفع به قدر ما بذلت من جهد وما قصدت من
خير ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

مصر الجديدة : ربيع الأول ١٣٩٥ هـ

أبريل سنة ١٩٧٥ م

على محمد البجاوى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[٤٣] عونك اللهم وحدك ، الحمد لله ولي الحمد وأهله ،
والصلاة على رسوله محمد وآله أجمعين .

قال الإمام محمد بن علي الترمذي الحكيم رحمه الله :

أما بعد فإنك سألتني عن شأن الأمثال وضربها للناس ؛ فاعلم
أن الله تعالى ضرب الأمثال للعباد في تنزيله ؛ لقوله تعالى (١) :
(وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) . وقال جلَّ
ذِكْرُهُ (٢) : (وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ) . وقال جلَّ ذِكْرُهُ (٣) :
(ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ) .

ثم اعلم بأن ضرب الأمثال لمن غاب عن الأشياء ، وخفيت
عليه الأشياء ؛ فالعباد يحتاجون إلى ضرب الأمثال لما خفيت
عليهم الأشياء ؛ فضرب الله لهم مثلاً من عند أنفسهم ، لا من
عند نفسه ؛ ليُدْرِكُوا ما غاب عنهم ؛ فأما من لا يخفى عليه شيء
في الأرض ولا في السماء فلا يحتاج إلى الأمثال ، تعالى الله عن
ذلك علواً كبيراً .

فلا جرم (٤) ما ضرب الأمثال من نفسه لنفسه ؛ وكيف ولا مثل

(٢) سورة إبراهيم ؛ آية ٤٥

(١) سورة النور ، آية ٣٥

(٤) لاجرم : لا بد ، حقا ، لاجمالة (القاموس) :

(٣) سورة الروم ، آية ٢٨

له ، ولا شبيه له ؛ فلذلك قال جلّ ذكره ^(١) : (فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ) .

فالأمثالُ نموذجات الحكمة لِمَا غَابَ عن الأسماع والأبصار ؛
لتهدى النفوس بما أدركت عياناً ^(٢) .

فمن تدبیر الله لعباده أَنْ ضربَ لهم الأمثال من أنفسهم ،
لحاجتهم إليها ؛ ليعقلوا بها ، فيدركوا ما غابَ عن أبصارهم
وأسماعهم الظاهرة ؛ فَمَنْ عَقَلَ الأمثالَ سَمَّاهُ اللهُ تعالى في كتابه
عالماً ؛ لقوله تعالى ^(٣) : (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا
إِلَّا الْعَالِمُونَ) .

الأمثال مرآة النفس

فالأمثالُ مرآةُ النفسِ ، والأنوارُ - أنوار الصفات - مرآةُ
القلبِ ؛ وإن الله تعالى جعل على الأفئدة أَسْمَاعاً وَأَبْصَاراً ، وجعل في
الرؤوسِ أَسْمَاعاً وَأَبْصَاراً ، فما أدركت أَسْمَاعُ الرُّعُوسِ وَأَبْصَارُهَا
أَيَقِنَ به القلبُ ، واستقرت النفسُ ، واتسعت في علم [ذلك] ^(٤)
وانشرح صدره بذلك ؛ وما غابَ عن أَسْمَاعِ الرُّعُوسِ وَأَبْصَارُهَا ،

(١) سورة النحل ، آية ٧٤ (٢) عياناً : معاينة .

(٣) سورة العنكبوت ، آية ٤٣ . نضربها : نبينها . وما يعقلها : ما يفهمها . العالمون :
العالمون بالله . كما روى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : العالم من عقل
عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه . (تفسير القرطبي : (١٣ - ٣٤٦) .

(٤) من ب : ح .

وجاءت أخبارها عن الله - وتلك الأشياء مكنونة - أيقن القلب بذلك : ولكن تحيرت النفس وتذبذبت .

وإن النفس مستقرها في الجوف ، والقلب مستقره في الصدر فوق النفس ؛ فالقلب كدلو معلق في الصدر بعروقه وبما فيه من المكنون ؛ وتحتته النفس ؛ وفيها الشهوات ، والهوى ريح من تنفس النار خرجت إلى محل الشهوات بباب النار ، واحتملت نسيماها وأفراحها حتى أوردتها على النفس ، فإذا هبت ريح الهوى (١) بأمر ، وجاءت بذلك النسيم والفرح إلى النفس ، تحركت النفس وفارت ، ودب (٢) في العروق طيبها ولذتها في أسرع من اللحظة ، فإذا أخذت النفس في التذبذب والتمايل والاهتداس (٣) إلى ما تصور وتمثل (٤) لها في الصدر تحرك القلب وتمايل هكذا وهكذا من وصول تلك اللذة إليه ، فإذا لم يكن في القلب شيء يثقله ويسكنه مال إلى النفس ، فاتفقا واتسقا (٥) على تلك الشهوات ؛ فإن كانت تلك منهيًا عنها ، فبرز إلى الأركان فعلها ؛ فصارت معصية وذنباً .

وإنما يثقل القلب بالعلم بالله ؛ لأن العلم بالله يورث الخشية ،

(١) في ج : الهواء . (٢) هذا في ا ، ج .

(٣) المشاسة والهشاش : الارتياح والخفة والنشاط ، واهتسه : استخفه .

(٤) في ا : ويمثل . (٥) اتسقا : اجتماعا واستويا .

فَإِذَا تَأَدَّتْ تِلْكَ الْخَشْيَةُ إِلَى النَّفْسِ ذَبِلَتْ وَتَرَكَتِ التَّرَدُّدَ ؛ فَاسْتَقَرَّ
الْقَلْبُ .

العلم بالله يورث الحياء

وَالْعِلْمُ بِاللَّهِ يُورِثُ الْحَيَاءَ ، فَإِذَا تَأَدَّى ذَلِكَ الْحَيَاءُ إِلَى النَّفْسِ
انكسرت وخرجت ؛ فإذا جهل القلب ربه صار صفة القلب مع
النفس على ما وصفنا بدياً^(١) .

وَالْقَلْبُ مُوقِنٌ بِاللَّهِ تَعَالَى بِبِقِيْنِ التَّوْحِيدِ ، فَإِذَا جَاءَتْ نَوَائِبُ
الْأُمُورِ اسْتَقَرَّ الْقَلْبُ بِذَلِكَ الْبِقِيْنِ ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْقَلْبِ شَهْوَةٌ ،
وَتَذْبذِبَتِ النَّفْسُ ، وَتَرَدَّدَتِ بِالشَّهْوَةِ الَّتِي فِيهَا .

فَإِذَا ضُرِبَتْ لَهَا الْأَمْثَالُ صَارَ ذَلِكَ الْأَمْرُ لَهَا بِذَلِكَ الْمَثَلِ كَالْمَعَايِنَةِ ؛
كَالَّذِي يَنْظُرُ فِي الْمِرَاةِ فَيُبْصِرُ فِيهَا وَجْهَهُ ، وَيُبْصِرُ بِهَا مَنْ خَلْفَهُ ؛
لِأَنَّ ذَلِكَ الْمَثَلَ قَدْ عَايَنَهُ بِبَصَرِ الرَّأْسِ ، فَإِذَا عَايَنَ هَذَا أَدْرَكَ ذَلِكَ
الَّذِي غَابَ عَنْهُ بِهَذَا ؛ فَسَكَنَتِ النَّفْسُ ، وَانْقَادَتْ لِلْقَلْبِ ، وَاسْتَقَرَّتْ
تَحْتَ الْقَلْبِ فِي مَعْدِنِهَا ؛ فَهِيَ كَالْعِمَادِ لِسَطْحِ الْبَيْتِ ؛ فَإِذَا تَحَرَّكَ
الْعِمَادُ تَحَرَّكَ السَّطْحُ وَانْهَارَ وَتَبَدَّدَ الْعِمَادُ .

الأمثال من القرآن

فَضْرَبَ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِنَفُوسِ الْعِبَادِ ، حَتَّى يُدْرِكُوا مَا غَابَ عَنْ
أَسْمَاعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمِ الظَّاهِرَةِ ، بِمَا عَايَنُوا ؛ فَابْتَدَأَ فِي تَنْزِيلِهِ ،

(١) بدياً : ابتداء .

فَضْرَبَ مَثَلَ الْمُنَافِقِينَ ؛ فَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ ^(١) : (وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ . اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدَّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ . أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ . مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ . صُمُّ بِكُمْ عَمَىٰ فِهِمْ لَا يَرْجِعُونَ) ^(٢) .

مثل المنافقين

قال : مثل المنافق الذي تكلم بكلمة الإيمان مرآثيا للناس ، كان له نور ، بمنزلة المستوقد نارا يمشى في ضوءها مادامت تتقد ناره ، فإذا ترك الإيمان صار في ظلمة كمن أطفئت ناره ، فقام لا يهتدى ولا يبصر ذلك .

ثم قال : ذهب الله بنورهم ؛ أي بإيمانهم الذي تكلموا به ؛

(١) سورة البقرة ، آية ١٤ - ١٨

(٢) خلوا : ذهبوا وانصرفوا . الشياطين : جمع شيطان ؛ قال ابن عباس : الشياطين رؤساء الكفر .

وقال الكلبي : الشياطين : شياطين الجن . وقال جمع من المفسرين : هم الكهان مستهزون : مكذبون ، أو ساخرون . الله يستهزئ بهم : ينتقم منهم ويعاقبهم ويسخر بهم ويجازيهم على استهزائهم . ويمدهم : يطيل لهم المدة ، ويمهلهم . طغيانهم : كفرهم وضلالهم . يعمهم : يعمون ، أو يترددون متحيرين في الكفر . استوقد : أوقد . فهم لا يرجعون ؛ أي إلى الحق لسابق علم الله فيهم (القرطبي : (١ - ٢٠٦))

وتركهم في ظلمات لا يبصرون . في ضلالة لا يبصرون الهدى . هذا قول مقاتل (١) .

وقال قتادة : هذا مثل ضرب به الله تعالى للمنافق الذي تكلم بكلمة الإيمان ظاهراً ؛ فناكح ووارث بها ، وحقن بها دمه وماله ؛ فلما كان عند الموت ولم يك مصدقاً بها سلبت عنه ، فترك في كرب وظلمة ، فتحير فيها كما كانت معاملته في الدنيا في حق الله سبحانه وتعالى .

وقال مجاهد رحمه الله : أضاءت ماحوله (٢) إلى إقبالهم إلى المؤمنين . وذهب بنورهم ، يعني ذهب نورهم عند إقبالهم إلى المشركين : فالمنافق قلبه متحدر (٣) لا يستقر فيه شيء كلما برق فيه نور الحق خرج من الجانب الآخر ، فقلبه كنفق اليربوع (٤) ؛ يدخل من باب [٤٤] ويخرج من باب .

مثل اليهود مع النبي

وهذه الآية مثل اليهود مع نبينا صلى الله عليه وسلم ؛ مثلهم كمثل رجل يكون في ضيق وتعب وشدّة وظلمة ، ينتظر الفرج

(١) هو مقاتل بن سليمان ، من أعلام المفسرين ، توفي سنة ١٥٠هـ .

(٢) في ابن كثير (١ - ٥٣) : أما إضاءة ماحولهم فإقبالهم إلى المؤمنين والهدى .

(٣) في ج : منحدر .

(٤) النفق : سرب في الأرض له مخلص إلى مكان . وناقض اليربوع : إحدى

جخرة اليربوع يكتمها ويظهر غيرها ، فإذا أتى من جهة القاصعاء ضرب الناقعاء برأسه

فانتفق (القاموس - نفق) .

والمَخْرَج والضياء والنور؛ كانوا ينتظرون خروج محمد صلى الله عليه وسلم ، وعرفوا أنه الحق فكذبوه وحسدوه مخافة أن يذهب عنهم عزهم ومآكلتهم (١) .

ذهب الله بنورهم ؛ أى بالحلاوة التى كانت فى قلوبهم عقوبة لهم بجحودهم ، وتركهم فى ظلمات لا يبصرون الهدى .
وأىضا مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فى مفازة (٢) مهلكة ليأمن بها ، فلما أضاعت ماحوله أطفئت ناره ، وبقي فى ظلمة ، فكذلك اليهود استنصروا به قبل خروجه ، وطلبوا خروجه ليأمنوا من سيف الفرقة ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين - يعنى اليهود .

وبئس ما اشتروا به أنفسهم : بئس ما ربحوا بعوض قليل من الدنيا ، وهو ما كانوا يصيبون من سفلة (٣) اليهود من المأكلة فى كل عام .

مثل المنافقين بتكذيب القرآن

وقيل (٤) : (أو كصيب من السماء) (٥) ؛ أى مثل المنافقين

-
- (١) المأكلة : المرة ، وما أكل .
(٢) المفازة : الصحراء لاماء بها .
(٣) سفلة اليهود : أسافلهم وغوغاؤهم .
(٤) سورة البقرة ، آية ١٩ .
(٥) الصيب : المطر .

في القرآن مع القرآن كقومٍ نزلوا في فلاة^(١) ليلاً ، فجاءهم مطرٌ شديد ؛ وإنما شبه القرآن بالمطر ؛ لأنَّ حياةَ الناس في المطر ، كما أن في القرآن حياةً ومنفعةً لمن آمنَ به .

فمثلُ المنافقين بتكذيب القرآن كمثل مطر نزل من السماء ليلاً قرأ^(٢) وفيه البرق وشدة الرعد .

يقول : (فيه ظلماتٌ) : يقول في هذا المطر ظلماتٌ ورعدٌ وبرقٌ ، يقول : يمطر في ليلَةٍ مظلمة ؛ وفي ذلك المطر رعدٌ وبرقٌ ، فمثلُ المطر مثل القرآن ، كما أنَّ في المطر حياةً ، كذلك في القرآن حياةً لمن آمنَ به ، وحياة الآخرة بالإيمان .

ومثل الظلمات مثل الكفر . ومثل الرعد ماخوفوا به من الوعيد ، ومثل البرق الذي في المطر مثل الإيمان . وهو النور الذي في القرآن يهتدى الناسُ ببيان القرآن كما يهتدى الناسُ في مثل تلك الليلة بالبرق . شبه القرآن بالمطر ، وشبه تخويف القرآن بالرعد .

مثل آخر قوله^(٣) : (يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ) . أى من خوف الصوت من شدة الرعد ، هكذا مثلُ المنافق إذا سمع قراءة القرآن من محمد صلى الله عليه وسلم ختم على

(١) الفلاة : القفر أو المفازة لاماء فيها .

(٢) في ح : قرى . والمثبت في أ ، ب : والقر : البرد .

(٣) سورة البقرة : آية ١٩ .

أُذُنِيهِ كِرَادَةً لَهُ ، بِمَنْزِلَةِ الَّذِي يُجْعَلُ إِصْبَعِيهِ فِي أُذُنِيهِ مِنْ شِدَّةِ الصَّاعِقَةِ حَذَرِ الْمَوْتِ ؛ فَالْمَنْافِقُ يُجْعَلُ إِصْبَعِيهِ فِي أُذُنِيهِ ، وَلَا يَسْمَعُ إِلَى صَوْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَخَافَةَ أَنْ يَتَّعِظَ بِهِ وَتَدْخُلَ حَلَاوَةُ قِرَاعَتِهِ فِي قَلْبِهِ .

مثل الذين كفروا

مِثْلُ^(١) الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةٌ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ، ثُمَّ وَصَفَ أَنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ مَا قَدْ يُخْرَجُ مِنْهَا الرُّطُوبَةُ ، وَيَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ؛ أَيْ يُخْرَسُ جِدًّا ؛ [وَالْقُلُوبُ الْقَاسِيَةُ لَا تَلِينُ ، وَلَا تَرْطُبُ ، وَلَا تَخْشَعُ ، وَلَا تَخْرُسُ جِدًّا] ^(٢) .

وَمِثْلُ^(٣) الَّذِينَ كَفَرُوا كَمِثْلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً . صَمٌّ بِكُمْ عَمَى فَهَمْ لَا يَعْقِلُونَ ؛ أَيْ لَا يَفْهَمُ مَعَانِيَ الْكَلَامِ الَّذِي يَتَّعِظُ بِهِ ، لَيْسَ لَهُ مِنْ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ وَكَلَامِ الْخَيْرِ إِلَّا دَوْرَةٌ^(٤) الْكَلَامِ .

مثل محمد صلى الله عليه وسلم مع الكافر

يَعْنَى مِثْلُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ الْكَافِرِ كَمِثْلِ الرَّاعِي

(١) البقرة - ٧٤ : (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبَكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ؛ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ، وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ، وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيُخْرَجُ مِنْهُ الْمَاءُ ، وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) .

(٢) لَيْسَ فِي ب ، ج (٣) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، آيَةُ ١٧١

(٤) هَذَا فِي ج . وَفِي ب : دَرُورَةٌ . وَفِي أ : وَرْدَةٌ . وَفِي الْقُرْطُبِيِّ (٢ - ٢١٥) :

قَالَ الطَّبْرِيُّ : لَيْسَ لِلنَّاعِقِ إِلَّا النِّدَاءُ الَّذِي يَتَّبِعُهُ وَيُنْصَبُ .

مع البهيمة يَنْعِقُ الراعى بالبهيمة ؛ ولا تسمع إلا دعاءً ونداءً ، أى تسمع الصوت ولا تعقل ما يقال لها ، كذا الكافر يسمع مواعظ القرآن ولا يعقل كالبهيمة ، لا يسمعون (١) إلا صوتاً .

ثم قال (٢) : صم عن الحق فلا يسمعون الهدى ؛ وبكم ، أى خرس عن الكلام بالحق يتباكمون (٣) فلا يتكلمون بالهدى ، عنى عن الحق لا يبصرون الهدى ، فهم لا يعقلون ؛ يعنى لا يعقلون ما يقول محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا يرغبون فى الحق ؛ وذلك لأن النبى صلى الله عليه وسلم دعاهم إلى التوحيد ومواعظ القرآن حيث قال جل ذكره (٤) : (وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا : بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا (٥) عَلَيْهِ آبَاءَنَا) ؛ فقال جل ذكره : قل أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً من الدين ، ولا يقرّون بوحداية الله ، ولا يهتدون إلى سنة النبى صلى الله عليه وسلم أفقتبعونهم ؟

ثم ضرب لهم مثل البهيمة فى قوله عز وجل (٦) : (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ : أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ

(١) هذا فى الأصول كلها .

(٢) الآية نفسها (١٧١) .

(٣) يتباكون : يريد أنهم يظهرون أنهم غير قادرين على الكلام .

(٤) سورة البقرة : آية ١٧٠

(٥) فى الأصول : ما وجدنا - تحريف . وألفينا : وجدنا .

(٦) سورة البقرة ، آية ٢٥٩

مَوْتِهَا ، فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ، قَالَ : كَمْ لَبِثْتَ ؟ قَالَ :
لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ . قَالَ : بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى
طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ ،
وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ
قَالَ : أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) .

فتَحِيرَتْ نَفْسُهُ كَيْفَ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ
عَامٍ ، ثُمَّ بَعَثَهُ ، ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُنظَرَ إِلَى حِمَارِهِ كَيْفَ أَحْيَاهُ ، فَأَرَاهُ
بِمَا حَضَرَهُ مَا غَابَ عَنْهُ .

في شأن الخليل :

وقال في شأن الخليل صلوات الله عليه (٢) : (رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ
تُحْيِي الْمَوْتَى) . فَتَحَنَّنَ عَلَيْهِ إِلَى رُؤْيَا صُنْعِ اللَّهِ ، فَأَكْرَمَهُ بِالْمُعَايَنَةِ
لِأَحْيَاءِ تِلْكَ الطَّيُورِ ، وَقَدْ كَانَ مُوقِنًا بِأَنَّهُ فَاعِلٌ ، وَلَكِنَّهُ حَنَّ قَلْبُهُ
إِلَى رُؤْيَا صُنْعِ رَبِّهِ بِرُؤْيَا اللَّهِ بِهَا (٣) . . . حَتَّى أَطْمَأَنَّ قَلْبُهُ
وَسَكَنَ الْحَنِينُ .

مثل المنفق ماله في طاعة الله

مثل المنفق ماله في طاعة الله تعالى [٤٥] قوله تعالى (٤) : (مَثَلُ
الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ

(١) الذي مر على القرية هو عزير ، أو إرمياء ، وكان نبيا . (القرطبي : ٣-٢٨٩) .

(٢) سورة البقرة ، آية ٢٦٠ (٣) بياض في ا ، مكانه في ج : وطوى له .

(٤) سورة البقرة ، آية ٢٦١

سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ ، وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
وَاسِعٌ عَلِيمٌ) . كَذَاكَ الَّذِي يَتَصَدَّقُ بِمَالِهِ لَوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى . وَاللَّهُ
يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ؛ أَيْ يُضَاعِفُ لَهُ ثَوَابَهُ فِي الْآخِرَةِ بِالتَّرْبِيَةِ (١) مِنْ
وَاحِدٍ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ، وَإِلَى سَبْعِمِائَةِ أَلْفٍ ، وَإِلَى أَلْفِي أَلْفٍ إِلَى مَا شَاءَ
اللَّهُ مِنَ الْإِضْعَافِ مَا لَا غَايَةَ لَهُ . وَاللَّهُ وَاسِعٌ : يَعْنِي جَوَادٌ بِتِلْكَ الْأَضْعَافِ ؛
وَأَضْعَافِ الصَّدَقَةِ عَلَيْهِمْ بِمَا نَوَّوْا فِيهَا .

ثُمَّ قَالَ (٢) : (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ
مَا أَنْفَقُوا مَنًّا) عَلَى اللَّهِ (وَلَا أَدَّى) لِصَاحِبِهَا ، أَيْ الْفَقِيرِ . وَالْمَنْ عَلَى
اللَّهِ الْأَلَّا يَرَى التَّوْفِيقَ مِنْهُ ، فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ .

ثُمَّ ذَكَرَ مَثَلَ مَنْ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَتَصَدَّقُ عَلَيْهِ بِالْأَلَّا يَرَى التَّوْفِيقَ
مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَيُوَدِّي الْفَقِيرَ ؛ فَتَقَالُ (٣) : مَثَلُهُ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْفِقُ
مَالَهُ رِئَاءَ (٤) النَّاسِ ، وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، يَعْنِي لَا يُصَدِّقُ
بِالْبَيْعِ الَّذِي فِيهِ جَزَاءُ الْأَعْمَالِ ؛ فَهَذَا مُنْفِقٌ أَنْفَقَ مَالَهُ فَابْطَل
شِرْكَهُ إِنْفَاقَهُ وَصَدَقَتَهُ : كَمَا أَبْطَلَ الْمَنْ وَالْأَدَى صَدَقَةَ الْمُؤْمِنِ .

(١) التَّربِيَةُ : التَّغْذِيَةُ ، وَهُوَ يَرِيدُ الزِّيَادَةَ وَالتَّنْمِيَةَ .

(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، آيَةٌ ٢٦٢

(٣) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، آيَةٌ ٢٦٤ . وَالْآيَةُ : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنْ

وَالْأَدَى كَالَّذِي يَنْفِقُ مَالَهُ . . .

(٤) رِئَاءَ النَّاسِ : يَنْفِقُ لِيُقَالَ جَوَادٌ ، وَلِيُفْنَى عَلَيْهِ بِأَنْوَاعِ الشَّنَاءِ .

ثم ذكر مثلَ نفقةِ المصدقِ بالبعثِ المحتسبِ بالإيتاءِ ، يريدُ بها وَجَهَ اللهُ تعالى مِنْ غيرِ مَنْ ولا أَدَى ، فقال (١) [٤٥] : ومثلُ الذين يُنْفِقُونَ أموالَهُمْ ابتِغَاءَ (٢) مَرْضَاةِ اللهِ وتَثْبِيْتًا (٣) مِنْ أَنْفُسِهِمْ ؛ أَى تحقِيقًا وتصديقًا مِنْ قلوبِهِمْ ، كمثلِ جَنَّةِ رَبْوَةٍ (٤) ، أَى بستانِ فِي بُقْعَةٍ مُرتفعةٍ طَيِّبَةٍ ، فأَصَابَهَا وَأَبِلَ ؛ أَى المَطَرُ الشَّدِيدُ ، فَآتَتْ أَكْلَهَا (٥) ضِعْفَيْنِ ، أَى أَخْرَجَتْ ثَمَرَهَا ضِعْفَيْنِ .

مثل المرائى والمشرك

ثم ذكر مثل (٦) المرائى والمشرك كمثل صفوان (٧) عليه ترابٌ فأصابه وأبل : المَطَرُ الشَّدِيدُ ، فلا يَبْقَى مِنْ ذَلِكَ التُّرَابِ عَلَى ذَلِكَ الصِّفَا (٨) شَيْءٌ ، كَذَلِكَ صَدَقَةُ الْمُشْرِكِ وَالْمَرَّائِ الَّذِي يَمْنُ وَيُؤْذِي الْفَقِيرَ لَا يَحْصُلُ لَهُ شَيْءٌ مِنَ الثَّوَابِ يَوْمَ الْجَزَاءِ .

(١) سورة البقرة : آية ٢٦٥

(٢) ابتغاء : طلب .

(٣) تثبيتا : أَى يَثْبُتُونَ أَيْنَ يَضْعُونَ صَدَقَاتِهِمْ . أَوْ تصديقًا ، وبقينا ، واحتسابًا

من أنفسهم .

(٤) الجنة : البستان . الربوة : المكان المرتفع ؛

(٥) أكلها : الثمر الذى يؤكل .

(٦) سورة البقرة ، آية ٢٦٤ ، وهذه الآية قبل سابقها ، والآية : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يَنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانَ . . .

(٧) صفوان : الحجر الكبير الأملس .

(٨) الصفاة : الحجر الصلد الضخم لا ينبت . وجمعه صفوات وصفاء .

مثل ما ينفقون في هذه الدنيا

مثل سَفَلَةَ الْيَهُودِ قَوْلُهُ تَعَالَى (١) : مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا - يَعْنِي سَفَلَةَ الْيَهُودِ مِنَ الطَّعَامِ وَالثَّمَارِ عَلَى رُؤْسِهِمْ وَأَحْبَارِهِمْ ؛ وَهُمْ كَعَبْ بَنِ الْأَشْرَفِ وَأَصْحَابُهُ ، يَرِيدُونَ بِهَا الْآخِرَةَ : مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ (٢) - يَعْنِي بَرْدٌ شَدِيدٌ ، أَصَابَتْ الرِّيحُ البَارِدَةَ حَرْتًا قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ، فَأَهْلَكَتَهُ ، وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ شَيْئًا ، كَذَلِكَ أَهْلَكَ اللَّهُ نَفَقَةَ الْيَهُودِ فَلَمْ تَنْفَعَهُمْ نَفَقَاتِهِمْ .

ويقال : مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى - يَعْنِي الْيَهُودَ - وَيُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي عَدَاوَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ عَلَى أَحْبَارِهِمْ لِيَذُبُوا (٣) عَنْ دِينِهِمْ ، وَيُعَادُونَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ، بَرْدٌ ، وَهُوَ السَّمُومُ ، أَصَابَتْ زَرْعَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ لَمَنْعِ حَقِّ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، فَأَحْرَقَتْهُ الرِّيحُ ، وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ بِهَلَاكِ حَرْتِهِمْ ، وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ بِمَنْعِ حَقِّ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهُ .

ويقال : هَذَا مَثَلٌ فِي شَأْنِ الْكُفْرَانِ ، قَالَ : مَثَلُ نَفَقَتِهِمْ فِي أَعْمَالِ

(١) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ، آيَةٌ ١١٧ ، وَالآيَةُ : مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْتًا قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتَهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ .

(٢) صِرٌّ : بَرْدٌ شَدِيدٌ ، أَوْ صَوْتُ الرِّيحِ الشَّدِيدَةِ . (٣) يَذُبُّوا : يَدَافِعُوا .

الخير كمثل رِيح فيها صِرٌّ ، أى برد ؛ لِأَنَّ قُلُوبَهُمْ خَلَّتْ عَنْ حَرَارَةِ نُورِ الْإِيمَانِ ، فماتت عن الله تعالى وبردت ، فذلك البردُ أَهْلَكَ أَعْمَالَهُمُ الْحَسَنَةَ ، فلم يُقْبَلْ مِنْهَا شَيْءٌ ؛ لِأَنَّهَا صَارَتْ إِلَى اللَّهِ بِالْحَرَارَةِ مِنْ نُورِ التَّوْحِيدِ وَنُورِ الْحَيَاةِ بِالْإِيمَانِ .

أَلَا تَرَى أَنَّ الْمَيِّتَ إِذَا خَرَجَ مِنْهُ الرُّوحُ وَالنَّفْسُ كَيْفَ يَبْرُدُ وَيَجْمَدُ الَّذِي فِيهِ مِنَ الدَّمِ .

وَضَرَبَ فِيهِمْ مَثَلًا آخَرَ فِي سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ (١) :
(مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ) ، فلم يزوا منه شيئاً من ذلك التراب .

كذا الكفار لا يقدرُونَ على ثواب شَيْءٍ مما عملوا في الدنيا ، ولا ينفعهم ؛ لِأَنَّهُمْ اتَّخَذُوا أَهْوَاءَهُمْ آلِهَةً مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَعَمِلُوا بِأَهْوَاءِهِمْ لِابْنُورِ الْإِيمَانِ ، فَجَاءَتْ رِيحُ الْهُوَى فَذَرَّتْهُ فِي النَّارِ .

مثل الذى آتينا آياتنا فانسلخ منها

مثل (٢) الذى آتينا آياتنا فانسلخ منها فمثله كمثل الكلب

(١) سورة إبراهيم ، آية ١٨ ، والآية : مثل الذين كفروا بزبهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرُونَ مما كسبوا على شَيْءٍ ذلك هو الضلال البعيد .

(٢) سورة الأعراف ، آية ١٧٥ ، ١٧٦ . والآيتان : وائل عليهم نبأ الذى آتينا آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون .

إِنْ تَحْمَلْ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ^(١) ؛ وَذَلِكَ^(٢) لِأَنَّ الْكَلْبَ
مَيِّتَ الْفُؤَادِ مِنْ بَيْنِ السَّبَاعِ ؛ وَذَلِكَ فِيمَا رَوَى لَنَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : لَمَّا أَهْبَطَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْأَرْضِ
وَسَوَّسَ الْعَدُوَّ إِلَى السَّبَاعِ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكُمْ فَاقْتُلُوهُ ، جَاءَتِ الْوَحُوشُ
فَاحْتَوَشَتْهُ^(٣) وَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ ، وَجَاءَ الْعَدُوُّ فَأَشْلَى^(٤) الْكَلْبَ حَتَّى
يَنْبِجُ ، فَأَوَّلُ مَنْ حَمَلَ عَلَيْهِ الْكَلْبُ ؛ فَتَخَوَّفَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَنُودِيَ
أَنْ يَا آدَمُ لَا تَخَفْ . فَأَعْطَى الْعَصَا الَّتِي^(٥) لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَضْرَبَهُ
بِذَلِكَ ، فَذَلَّلَهُ وَهَزَمَهُ^(٦) ، ثُمَّ أَمْرٌ بَأَنَّ يَمْسَحُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ فَالْفَهْ
بِهِ وَبَوْلُهُ بَعْدَ التَّذَلُّلِ ؛ ثُمَّ أَشْلَاهُ عَلَى السَّبَاعِ ، فَحَمَلَ عَلَيْهَا مَعَادِيًا
لَهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَصَارَ يَحْرُسُهُمْ وَيَصْطَادُهُمْ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ
سُلْطَانُ الْعَصَا [الَّذِي]^(٧) جُعِلَ فِيهَا صَارَ الْكَلْبُ مَيِّتَ الْفُؤَادِ بَقِيَ فِيهِ

(١) انسلخ منها : نزع منه العلم الذى كان يعلده . فاتبعه الشيطان : لحق به .

ولث الكلب : إذا أخرج لسانه من التعب أو العطش .

(٢) والقرطبي (٧ - ٣٢٣) ، وقد نسب هذا الكلام إلى الحكيم الترمذى

في نوادر الأصول .

(٣) احتوش القوم الصيد : أنفره بعضهم على بعض ، وعلى فلان : جعلوه

وسطهم .

(٤) الإشلاء : الإغراء .

(٥) في الأصول كلها : الذى ، وفى القرطبي : فنزل جبريل بالعصا التى صرفت

إلى موسى بمدين .

(٧) من ج .

(٦) فى ب : وهزبه .

اللَّهِثِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، حَمَلَتْ عَلَيْهِ أَوْ لَمْ تَحْمِلْ ، فَلَمْ تَزَلْ تَلِكِ الْعَصَا فِي حَفْظِ اللَّهِ تَتَدَاوِلُهَا الْأَيْدِي إِلَى وَقْتِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ .

ويقال : كانت تلك العصا من آسِ الْجَنَّةِ ^(١) ، فذلك الذي آتاهُ اللَّهُ مِنَ الْكِرَامَةِ مَا لَوْ أَرَادَ أَنْ يَصْرِفَهَا إِلَى الْآخِرَةِ لَحَصَلَ لَهُ ذَلِكَ ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ^(٢) : وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ ^(٣) بِهَا ؛ أَيْ لَوْ صَرَفْنَا إِلَى الْآخِرَةِ آتِينَاهُ ذَلِكَ ، وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ ^(٤) إِلَى الْأَرْضِ ، صَرَفَهَا فِي وُجُوهِ الدُّنْيَا الَّتِي هِيَ لِلْفَنَاءِ ، وَرَكِبَ الْهَوَى ، وَقَصَدَ إِلَى كَلِيمِنَا ، كَمَا قَصَدَ الْكَلْبُ إِلَى صَفِينَا ؛ فَصَارَ مَثَلُهُ مِثْلَ الْكَلْبِ ؛ فَمَعْنَى قَوْلِهِ : مَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ ؛ أَيْ إِنْ هَذَا الَّذِي صَارَ كَلْبًا وَهُوَ بِلَعْمِ ^(٥) إِنْ رَأَى آيَاتِنَا وَعَبَرْنَا لَمْ يَتَعَطَّ ، وَإِنْ لَمْ يَرِ لَمْ يَتَعَطَّ ؛ لِأَنَّهُ انْسَلَخَ مِمَّا آتَيْنَاهُ .

مثل الحياة الدنيا

وقال ^(٦) : (إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ^(٧) مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ

(١) والقرطبي : ٧ - ٣٢٣

(٢) سورة الأعراف ، آية ١٧٦

(٣) لرفعناه : يريد بلعام بن باعوراء .

(٤) أخلد إلى الأرض : ركن إليها وسكن إلى لذاتها .

(٥) هو بلعام .

(٦) سورة يونس ، آية ٢٤

(٧) اختلط به نبات الأرض : اختلط النبات بالمطر ؛ أي شرب منه ففتلدى

الْأَرْضِ زُخْرَفَهَا (١) وَأَزَيَّنْتَ وَظْنَ أَهْلِهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ (٢) عَلَيْهَا
أَتَاهَا أَمْرُنَا (٣) لَيْلًا أَوْ نَهَارًا ، فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا (٤) كَأَنَّ لَمْ (٥)
تَعْنَ بِالْأَمْسِ ، كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ .

فَأَرَاهِمُ اللَّهُ عَاقِبَةَ أَمْرِ الدُّنْيَا وَفَنَائِهَا بِمَا عَايَنُوا مِنْ انْقِضَاءِ أَيَّامِ
الرَّبِيعِ كَيْفَ تَلَاشَتْ زَيْنَتَهَا وَبَهَجَتَهَا ، كَذَا حَالِ زِينَةِ الدُّنْيَا .

وَقَالَ فِي شَأْنِ الرُّؤْيَا مِنْ أَمْرِ الْكَوَاكِبِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ، فَهِيَ
شُعْبَةٌ مِنْ هَذَا ، وَأُرِيهَا فِي مَنَامِهِ ، وَضُرِبَ لَهُ شَأْنُ الْآخِرَةِ بِالْكَوَاكِبِ
وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ مِثْلًا : (وَكَلَّا (٦) نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ
مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ) .

فَإِذَا كَانَتْ الْأَخْبَارُ الْمُتَقَادِمَةُ فِيهَا تَشْبِيهًُ لِلْفُؤَادِ كَانَ فِيهَا أَرَاكَ
اللَّهُ بِبَصَرٍ رَأْسِكَ وَسَمِعَ أذُنِكَ مَا لَهُ تَشْبِيهًُ لِلْفُؤَادِ .
وَقَالَ فِي شَأْنِ دَاوُدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَوْلِ الْمَلَائِكِينَ (٧) :

(١) زخرفها : زينتها وحسبها .

(٢) قادرون عليها : على حصادها والانتفاع بها .

(٣) أمرنا : عذابنا ، أو أمرنا بهلاكها .

(٤) حصيدا : محصودة مقطوعة لاشئ فيها .

(٥) كأن لم تكن عامرة .

(٦) سورة هود ، آية ١٢٠

(٧) سورة ص ، آية ٢٣

(إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعِجَةً وَلِيَ نَعِجَةٌ وَاحِدَةٌ ، فَقَالَ : أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ^(١)) . يَعْرِفُهُ قُبْحَ مَا آتَاهُ .

مثل الماء الذى جرى فى الأودية

وضرب الله مثلا لبيبين الحق من الباطل فقال ^(٢) : (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ^(٣) فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا ^(٤)) وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ ، كَذَلِكَ يُضْرَبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ^(٥) وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ) .

فالحقُّ مثلُ الماءِ الذى جرى فى الأودية . فسالت أوديةٌ بقدرها ؛ أى اختلط الحقُّ بالباطل ، لأنَّ النَّفْسَ جَاءَتْ بِأَبَاطِيلِهَا وَمُنَاهَا وَشَهْوَاتِهَا الَّتِي هِيَ إِلَى فَنَاءٍ ، فَمَنْتَهَا فَاغْتَرَبَتْهَا الْقَلْبُ ، وَالْحَقُّ لَا يَفْنَى وَلَا يَبْلَى . فقوله : أنزل من السماء ماءً ؛ أى القرآن ؛ شبه القرآن بالماء ، لأنَّ فيه منفعةَ الدين من الأحكام والشرائع . كما أنَّ فى المطر منفعةَ الدنيا ، ثم شبه القلوب بالأودية

(١) أكفلتنيها : أنزل لى عنها حتى أكفلها . وقال ابن عباس : أعطيتها وتحول لى

عنها . عزنى فى الخطاب : غلبنى .

(٢) سورة الرعد ، آية ١٧

(٣) بقدرها : بقدر منبها .

(٤) زيدا رابيا : طالعا عاليا مرتفعا .

(٥) الجفاء : ما أجفاه الوادى ؛ أى روى به .

لأنه وجد النور في القلب منقذاً ومجازاً ، كما وجد الماء في هذه الأودية منقذاً ومجازاً . ثم شبه القلوب بالسييل ، وشبهه الباطل بالزبد الذي يعلو فوق الماء ؛ فكل قلب لم يتفكر ولم يعتبر ، ولم يرغب في الحق خذله الله تعالى ، ووجدت الظلمة والهوى في قلبه منقداً ومجازاً ، كما أن السيل وجد في الأودية منقداً ومجازاً ، فلما خذل هذا القلب احتمل الباطل كما احتمل السيل الزبد الرابي . وإذا وجد القلب التوفيق فتفكر واعتبر احتمل الحق كما انتفع الناس من الماء الصافي ؛ ثم وصف الحق والباطل لصاحبهما فقال : فأما الزبد فيذهب [٤٦] جفاءً . يعني تذهب منفعة ، كذا الباطل تذهب منفعته على صاحبه في الدنيا والآخرة . وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ؛ وهو الماء الصافي . كذلك الحق : شبه الحق بالماء الصافي ؛ لأنه تبقى منفعته لصاحبه في الدنيا والآخرة كما يبقى الماء لمن أخذه .

مثل الكافر إذا دعا

ومثل ^(١) الكافر إذا دعا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه ؛ أي لا يستجاب دعاء الكافر كما لا يبلغ الماء الذي بسط

(١) سورة الرعد ، آية ١٤ ، والآية : له دعوة الحق ، والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال .

له دعوة الحق : لله دعوة الصدق . وقيل : إن الإخلاص في الدعاء هو دعوة الحق ؛ وقيل : دعوة الحق دعائه عند الحرف ؛ فإنه لا يدعى فيه إلا إياه . لا يستجيبون لهم بشيء : لا يستجيبون لهم دعاء ولا يسمعون لهم نداء .

كفَّيْهِ : لقوله تعالى : (وما دُعَاءُ الكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) ؛ أَى
إِلَّا فِي بَاطِلٍ .

مثل كلمة طيبة

وقال ^(١) : ومَثَلُ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ؛ وهى كَلِمَةُ
الشَّهَادَةِ ^(٢) ، طَابَتْ وَاسْتَنَارَتْ ، وَتَفَرَّعَتْ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ،
وَكَلِمَةُ الشُّرْكِ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ^(٣) ، وهى الحنظلة ^(٤) ، ليس لها
قرار ولا قائمة ، فهى ساقطة بالأرض .

مثل أعمال الكفار

وقال ^(٥) : مَثَلُ أَعْمَالِ الكَافِرِ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ
عَاصِفٍ . فَالْكَفَّارُ اتَّخَذُوا أَهْوَاءَهُمْ آلِهَةً مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَعَمَلُوا
بِأَهْوَائِهِمْ ؛ فَجَاءَتْ رِيحُ الْأَهْوَاءِ فَذَرَتْهُ فِي النَّارِ .

(١) سورة إبراهيم : آية ٢٤ ، ٢٥ . والآيتان : ألم تر كيف ضرب الله مثلا
كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء . تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها
ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون .

(٢) فى القرطبي : قال ابن عباس : الكلمة الطيبة لا إله إلا الله ، والشجرة الطيبة
المؤمن . وقال مجاهد : الكلمة الطيبة الإيمان (٩ - ٣٥٩) .

(٣) سورة إبراهيم ، آية ٢٦ : وهى : ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من
فوق الأرض ما لها من قرار .

(٤) فى القرطبي : الكلمة الخبيثة كلمة الكفر ، والشجرة الخبيثة شجرة الحنظل .

(٥) سورة إبراهيم ، آية ١٨

والآية : مثل الذين كفروا بربههم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف

لا يقدرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ، ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ البَعِيدُ .

وقال فيمن أفتري على الله كذباً^(١) : (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سِبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ) .

أَيِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَرْضَوْنَ لَأَنْفُسِكُمُ الْبَنَاتِ وَتُؤْتِرُونَ لَأَنْفُسِكُمُ الْبَنِينَ فَكَيْفَ نَسَبْتُمْ إِلَى مَا لَا تَرْضَوْنَ لَأَنْفُسِكُمْ .

وقال^(٢) : (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ^(٣)) ؛ فَإِذَا أَشْرَكَ بِاللَّهِ فَقَدْ سَقَطَ عِنْدَ اللَّهِ ، وَبَرَى اللَّهُ مِنْهُ ، فَاخْتَطَفَهُ الْعَدُوُّ ، وَهُوَ بِرِيحٍ أَدْوَى إِلَى قَعْرِ النَّارِ .

مثل الوثن الذى يعبدونه من دون الله

ومثل الوثن الذى يعبدونه من دون الله كمثل عبد مملوك لا يقدر على دانق ولا حبة قوله تعالى^(٤) : (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّْا رِزْقًا حَسَنًا ، فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ، هَلْ يَسْتَوُونَ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ^(٥)) . قال : فكيف سويتموه بي وأنا الرازق أنفق عليكم .

(١) سورة النحل ، آية ٥٧

(٢) سورة الحج ، آية ٣١

(٣) فى القرطبي : تحطفه الطير : تقطعه بمخالها . سحيق : بعيد .

(٤) سورة النحل ، آية ٧٥

(٥) عبدا مملوكا ... : أى كما لا يستوى عندكم عبد مملوك لا يقدر من أمره على

شئى ورجل حر قد رزق رزقا حسنا فكذلك أنا وهذه الأصنام .

وضرب مثلاً آخر ، فقال ^(١) : (ضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل ^(٢) على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير ، هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم) ، كيف عدلتموه في العبادة وأنا لست بآبئكم ، خلقتكم بكلمة واحدة ، وأقدرتكم من قدرتي على دنيا محشوة بالنعمة ، أعولكم وأطعمكم ولا تطعموني . وهذه الآية والآية التي قبلها قد ذكرنا معانيهما في موضع آخر وسطرناهما .

مثل ناقض العهد

وضرب الله في ناقض العهد مثلاً ؛ فقال ^(٣) : (ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ^(٤)) ؛ فقال : مثل الذي نقض العهد كمثل الغزل التي نقضت تلك المرأة الحمقاء .

كان لعمر بن كعب بن سعد بنت تسمى ريطة ، وكانت

(١) سورة النحل ، آية ٧٦

(٢) كل على مولاه : ثقل على وليه وقرابته .

(٣) سورة النحل : آية ٩٢

(٤) في القرطبي (١٠ - ١٧١) :

شبهت هذه الآية الذي يخلف ويعاهد ويرم عهده ثم ينقضه بالمرأة تغزل غزلها وتفتله فتلا محكما ثم تحله . دخلا : الدخل : الخديعة والغش . أربى : أكثر .

إذا غزلت الصوف أو شيئاً آخر نقضته لحمقها ، فقال : ولا تنقضوا ؛
أى لا تنكثوا العهود بعد توكيدها كما نقضت تلك الحمقاء غزلاً
من بعد قوة : من بعد إبراهه . أنكاثا : يعنى نقضاً ، فلا هو غزل
تنتفع به ولا صوف ينتفع به ، فكذا الذى يعطى العهد ثم ينقضه
لا هو وفى بالعهد إذا أعطاه ولا هو ترك العهد فلم يعطه .

وضرب مثلاً آخر لناقض العهد ، فقال ^(١) : (ولا تتخذوا أيمانكم
دخلاً بينكم فتزِلَّ قَدَمُ بَعْدَ ثبوتها وتذوقوا ^(٢) السوء بما صدَدْتُم عن
سبيل الله ولكم عذابٌ عظيمٌ) ؛ أى ^(٣) عهودكم بالمكر والخديعة .
فتزِلَّ قَدَمُ بَعْدَ ثبوتها : يقول إن ناقض العهد يزِلُّ فى دينه عن
الطاعة كما تزِلُّ قَدَمُ الرَّجُل بعد الاستقامة .

مثل لأصنام أهل مكة

وضرب مثلاً لأصنام أهل مكة ، فقال ^(٤) : (يا أيها الناس
ضربَ مثلاً فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا
ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذونه منه
ضعف الطالب والمطلوب ^(٥)) .

(١) سورة النحل ، آية : ٩٤

(٢) ذوق السوء فى الدنيا : ما يحل بهم من المكروه .

(٣) عهودكم : تفسير لقوله : أيمانكم .

(٤) سورة الحج ، آية ٧٣

(٥) الاستنقاذ ، والإنقاذ : التخليص .

قال : أَرَاهِمُ اللَّهَ ضَعْفَ الذُّبَابِ وَعَجَزَهُ عَنِ الْقُدْرَةِ لِيَعْلَمُوا
عَجَزَ أَصْنَامِهِمُ الَّتِي لَا تَتَحَرَّكُ وَلَا يَسُودُ فِيهَا حَيَاةٌ - أَنَّهُمْ أَقْلٌ وَأَضْعَفُ
غِيَاثًا عَنِ الذُّبَابِ ، فَكَيْفَ تَكُونُ شَرِيكَةً لِلْقَادِرِ ؟

وقال ^(١) : (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ
عَمَّا يَصِفُونَ) ، يُرِيدُ بِهَذَا أَنَّ الشُّرَكَاءَ يَتَزَاوَمُونَ وَيَتَفَاوَتُونَ ، بِأَهْوَاءِهِمْ
وَإِرَادَاتِهِمْ ، فَلَوْ كَانَ لِي شُرَكَاءُ كَمَا تَزَعُمُونَ لَفَسَدَ التَّدْبِيرُ وَلَزَلَتَا .
وقال ^(٢) : (إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ)

مثل قلب المؤمن وأعماله وقلب الكافر وأعماله

وَضَرَبَ مِثْلًا لِقَلْبِ الْمُؤْمِنِ وَأَعْمَالِهِ وَقَلْبِ الْكَافِرِ وَأَعْمَالِهِ ؛
فَقَالَ ^(٣) : (اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا
مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ، الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ
مِنْ شَجَرَةٍ مَبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ
تَمْسَسْهُ نَارٌ ، نُورٌ عَلَى نُورٍ ، يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ
الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ^(٤)) .

(١) سورة الأنبياء ، آية ٢٢ (٢) سورة المؤمنون ، آية ٩١

(٣) سورة النور ، آية ٣٥

(٤) المشكاة : الحرق في الحائط . وقيل : عمود القنديل الذي فيه الفتيلة : وقال
بجاهد : هي القنديل . لاشرقية ولا غربية : الشرقية التي تصيبها الشمس إذا شرقت ،
ولا تصيبها إذا غربت ، والغربية عكسها ؛ أي إنها شجرة في صحراء ومنكشف من
الأرض ، لا يوارىها عن الشمس شيء ، وهو أجود لزيتها ؛ فليست خالصة للشرق ،
فتسمى شرقية ، ولا للغرب فتسمى غربية ؛ بل هي شرقية غربية :

ضرب المثل لنوره في قلب المؤمن ليُعلمه قدره ومنزله ؛ فدلّه
بالحاضر على ما أعدّ له في الآجل ؛ فنفس المؤمن مثل بيت ، وقلبه
مثل قنديل ، ومعرفته مثل السراج ، وفمه مثل الباب ، ولسانه
مثل المفتاح . والقنديل معلق فيه دهنها من اليقين ، والفتيلة
من الزهد ، وزجاجها من الرضا ، وعلائقها من العقل ؛ إذا فتح
المؤمن لسانه بإقرار ما في قلبه ؛ فاستضاء المصباح من كوته ^(١) إلى
عرش الله تعالى ؛ فكلامه نور ، وعمله نور ، وظاهره نور ، وباطنه
نور ، ومدخله في الأعمال نور ، ومخرجه منها نور ، ومصيره يوم
القيامة إلى النور .

مثل أعمال الكفرة

وقال ^(٢) : مثل أعمال الكفرة كالسراب الذي يحسبه الظمان ^(٣)
ماءً . حتى إذا قدم عليه غداً أكذبه ^(٤) أمّيته ، وساقه عطشان ^(٥)

(١) الكوة - بفتح الكاف وبضمها : الخرق في الحائط .

(٢) سورة النور ، آية ٣٩ ، ٤٠ ، والآيتان : والذين كفروا أعمالهم كسراب
بقية يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله
سريع الحساب . أو كظلمات في بحر لحي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب
ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له
من نور .

(٣) السراب : ما يرى نصف النهار في اشتداد الحر كالماء في المفازة يلتصق
بالأرض . يحسبه : يظنه . الظمان : العطشان .
(٤) في ج : كذبه . والمثبت في ا ، ب :
(٥) في ج : عطشاناً .

إلى النار ؛ وهو قوله تعالى ^(١) : (فَوْفَاةٌ حِسَابُهُ) ، مستعدًّا لِعَذَابِهِ ، وَيُجَازِيهِ بِعَمَلِهِ .

ظلمات ^(٢) بعضها فوق بعض : ضرب مثل صدره وقلبه وعمله
بظلمة البحر والموج والسحاب ؛ فالبَحْرُ قَلْبُهُ الْمُظْلَمُ وَالمَتَحِيرُ ،
والمَوْجُ ^(٣) شِرْكُهُ ، وَالسَّحَابُ أَعْمَالُهُ السَّيِّئَةُ ؛ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ
يَكْدُ يَرَاهَا ؛ أَي لَمْ يَرَهَا [هُوَ] ^(٤) البتة . ولم يكد ؛ أَي ولم يكد أَنْ
يَرَاهَا ؛ فَكَذَا قَلْبُ الكَافِرِ مُظْلَمٌ فِي صَدْرِ مُظْلَمٍ ، فِي جَسَدٍ مُظْلَمٍ ،
لَا يُبْصِرُ نُورَ الإِيمَانِ ، وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَرَاهُ .

ويقال : سَمِعَهُ ظُلْمَةً ، وَبَصَرَهُ ظُلْمَةً ، وَلِسَانَهُ ظُلْمَةً ، وَقَلْبَهُ
ظُلْمَةً ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ^(٥) : ظِلْمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ . وَمَنْ
لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ .

مثل بيت العنكبوت

ثم ضرب مثلاً آخر للكافر ؛ فقال ^(٥) : (مثل الذين اتخذوا
من دون الله أولياءَ كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً) .
قوله : اتَّخَذُوا ؛ أَي عَبَدُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ ؛ أَي بِالرَّبُوبِيَّةِ ،

(١) من الآية ٣٩ من سورة النور .

(٢) من الآية ٤٠ من سورة النور ، وقد تقدمت كاملة .

(٣) في ج : والمورد .

(٤) من هامش (ب) .

(٥) سورة العنكبوت ، آية ٤١ : والآية : مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء

كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون :

لَا يَفْعَهُمْ فِي الْآخِرَةِ ، كَمَا لَا يَنْفَعُ بَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ الْعَنْكَبُوتَ فِي حَرٍّ وَلَا قُرٍّ^(١) ؛ فَكَذَا ضَعْفُ الصَّنَمِ ؛ ثُمَّ قَالَ : وَإِنَّ أَوْهَنَ^(٢) الْبُيُوتِ لِبَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ لَا يَسْتَرُ ، وَلَا يَنْفَعُ ، وَلَا يَدْفَعُ حَرًّا وَلَا بَرْدًا ؛ كَذَا كُلُّ مَعْبُودٍ دُونَهُ ؛ أَيُّ إِنْ الْكَافِرُ عَارٍ^(٣) عَنْ سِتْرِ اللَّهِ يَخْرُجُ إِلَى اللَّهِ عَارِيًّا فَلَا يَكْسِي ، وَتَبْدُو فِضَائِحَهُ وَقَبَائِحَهُ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ .

مثل الشرك

وَضُرِبَ مِثْلًا آخَرَ لِلشَّرْكِ ؛ قَالَ^(٤) : (ضَرَبَ لَكُمْ مِثْلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) . مَعْنَاهُ : هَلْ أَنْتُمْ تَجْعَلُونَ عِبِيدَكُمْ شُرَكَاءَ فِيمَا أُعْطِينَاكُمْ ؛ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ . تَخَافُونَهُمْ ؛ أَيُّ تَخَافُونَ مِنْ لَأئِمَّةِ عِبِيدِكُمْ إِنْ لَمْ تَشَارِكُوهُمْ فِي أَمْوَالِكُمْ [٤٧] كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ ؛ أَيُّ كَلَائِمَةِ أَهْلِ الْمِيرَاثِ مِنَ الْأَوْلَادِ وَالْقَرَابَاتِ إِنْ لَمْ يُعْطُوا الْمِيرَاثَ . مَعْنَاهُ لَا يَخَافُ الْمَخْلُوقُ مِنْ شَرِكَةِ عَبْدِهِ فِي مَالِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ ، كَمَا يَخَافُ مِنْ أَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ وَقَرَابَتِهِ ؛ فَكَذَا جَمِيعُ الْخَلَائِقِ عِبِيدُهُ ، وَإِمَائِدُهُ ، لَا يَخَافُ مِنْهُمْ الشَّرِكَةَ فِي مُلْكِهِ .

(١) القر : البرد .

(٢) أوهن البيوت : أضعف البيوت .

(٤) سورة الروم ، آية ٢٨

(٣) في ج : عارى .

مثل المشرك

وضرب مثلاً آخر لأهل الشرك ، فقال ^(١) : (ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل ، هل يستويان مثلاً ، الحمد لله ، بل أكثرهم لا يعلمون ^(٢)) .

فالموحد أسلم وجهه لله وحده ، والمشرك أسلم وجهه لأرباب متفرقين ، فكيف حاله في الدنيا في بعث عبوديته ^(٣) لهم ؟ وكيف حاله في الآخرة ؛ فهو وأربابه في النار .

مثل المنافقين

مثل ^(٤) المنافقين ^(٥) مع بني قريظة وبيعتهم إياهم كمثل الشيطان مع برصيصا ^(٦) ؛ إذ قال للإنسان : اكفر ، فلما كفر قال

(١) سورة الزمر ، آية ٢٩

(٢) متشاكسون : مختلفون . ورجلاً سلماً : خالصاً لسيد واحد ؛ وهو مثل من من يعبد الله وحده . هل يستويان مثلاً : هذا الذي يخدم جماعة شركاء ، أخلاقهم مختلفة ، ونياتهم متباينة ؛ لا يلتصق به رجل إلا جره واستخدمه ، فهو يلقي منهم العناء والتعب العظيم ، وهو مع ذلك كله لا يرضى واحداً منهم بخدمته لكثرة الحقوق في رقبته ، والذي يخدم واحد الا يمتاز به فيه أحد ، إذا أطاعه وحده عرف ذلك له ، وإن أخطأ صفح عن خطئه ، فأيهما أقل تعباً أو على هدى مستقيم ؟

(٣) في الأصول : عبودته ، وهي بمعنى عبودية .

(٤) سورة الحشر ، آية ١٦ ، والآية : كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما

كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين .

(٥) في القرطبي (١٨ - ٣٧) : هذا ضرب مثل للمنافقين واليهود في تحاذهم

وعدم الوفاء في نصرتهم .

(٦) والقرطبي : (١٨ - ٣٧) .

الشیطان له : إني بريء منك : تبرأ منه . تبایعوا مع یهود بنی قریظة
إننا معكم للقتال على محمد صلی الله علیه وسلم ، فلما آل الأمر إلى
القتال تبرؤوا منهم . وعاقبة الكل في النار كعاقبة الذين ^(١) في
النار .

مثل الذين حملوا التوراة

وقال ^(٢) : (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل
الحمار يحمل أسفارا ^(٣)) .
شبه اليهود بالحمر ؛ لأنهم تحملوا دراسة التوراة ، وتركوا
العمل بها ، فأتعبوا أبدانهم ، ولم ينتفعوا بها .
فهذه الأمثال نموذجات ماغاب عن العين والأسماع لتدرك
النفوس ما أدركت عيانا لما أنبيء .

الأمثال من الأخبار

ومافي الأخبار من ضرب الأمثال أكثر من أن يحصى ، نذكر
بعضها :

قال : حدثنا سفيان ، حدثني أبو الزعراء عمرو بن عمرو ،
وسمعه ابن عمه ، أي الأحوص ، عن أبيه ، عن رسول الله صلی الله

(١) في الأصول : اللذين .

(٢) سورة الجمعة ، آية ٥ ، والآية : مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل
الحمار يحمل أسفارا بنس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله ، والله لا يهدي القوم الظالمين ؛
(٣) السفر : الكتاب الكبير ، أو جزء من أجزاء التوراة :

عليه وسلّم ، قال ^(١) : أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ عَبْدَانِ أَحَدُهُمَا يَكْذِبُكَ وَيَخُونُكَ وَلَا يَصْدُقُكَ ، وَالْآخَرَ لَا يَكْذِبُكَ وَلَا يَخُونُكَ وَيَصْدُقُكَ ؛ أَيُّهُمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قُلْتُ : الَّذِي لَا يَكْذِبُنِي وَلَا يَخُونُنِي وَيَصْدُقُنِي .
 قال : فَكَذَلِكَ أَنْتُمْ عِبِيدُ رَبِّكُمْ ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِيلٌ ^(٢) ؛ فَجَدَعْتَ هَذِهِ ، فَقُلْتَ صَرْمَاءٌ ^(٣) ، وَتَشَقَّ هَذِهِ وَتَقُولُ بِحَيْرَةٍ ^(٤) ، فَسَاعِدُ اللَّهُ أَشَدُّ ، وَمُوسَاهُ أَحَدٌ ، لَوْ شَاءَ أَنْ يَأْتِيكَ بِهَا صَرْمَاءٌ فَعَلَّ .

عن عثمان رضى الله عنه قال : قَيِّدُوا الْعِلْمَ . قلنا : وما تقييده ؟ قال : تَعَلَّمُوهُ وَعَلِّمُوهُ وَاسْتَنْسِخُوهُ ؛ فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ الْعِلْمَاءُ وَيَبْقَى الْقُرَاءُ لَا يَجَاوِزُ قِرَاءَةَ أَحَدِهِمْ تَرَاقِيَهُ ^(٥) .

مثل العالم

ومنها : قال عليه السلام : إِنَّمَا مَثَلُ الْعَالِمِ كَمَثَلِ يَنْبُوعٍ مِنْ مَاءٍ يَسْقِي بِلَدِّهِ وَمَنْ مَرَّ بِهِ ، كَذَا الْعَالِمُ يَنْتَفِعُ بِهِ أَهْلُ بِلَدِّهِ وَمَنْ مَرَّ بِهِ .

مثل الرسول في الدعوة

ومنها : قال عليه السلام : مَثَلِي فِي الدَّعْوَةِ مَثَلُ سَيِّدِ بَنِي دَارِ ،

(١) الفائق : ٢ - ٢٠ .

(٢) في الأصول : إيل .

(٣) في الفائق واللسان : صرم . وهو جمع صريمة ؛ وهي التي صرمت أذنها ، أي

قطعت .

(٤) البحيرة : التي بحرت أذنها ؛ أي شقت .

(٥) تراقيه : جمع ترقوة ، وهي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق ، وهما ترقوتان

من الخائبين (النهاية) .

وَاتَّخَذَ مَادِبَةً ، وَبَعَثَ دَاعِيًا يَدْعُو إِلَى مَادِبَتِهِ فِي دَارِهِ ، فَالسَّيِّدُ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَالْمَادِبَةُ الْجَنَّةُ ، وَالِدَاعِي أَنَا .

مثل الآدمي ومثل الموت

ومنها قال عليه السلام ^(١) : مَثَلُ الْآدَمِيِّ وَمَثَلُ الْمَوْتِ كَمَثَلِ رَجُلٍ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْخِلَآنِ ؛ فَقَالَ أَحَدُهُمْ لَهُ : هَذَا مَالِي فَخُذْ مِنْهُ مَا شِئْتَ ، وَأَعْطِ مِنْهُ مَا شِئْتَ ، وَدَعَّ مَا شِئْتَ .

وقال الآخر : أَنَا مَعَكَ أَحْمَلُكَ لِي مَادِمْتَ حَيًّا ، فَإِذَا مَتَّ تَرَكْتُكَ .

وقال الثالث : أَنَا مَعَكَ أَدْخُلُ مَعَكَ ، وَأَخْرُجُ مَعَكَ مَتَّ أَوْ حَيِّيتَ .

فَالأَوَّلُ مَالُهُ . وَالثَّانِي عَشِيرَتُهُ . وَالثَّالِثُ عَمَلُهُ حَيْثَمَا كَانَ فَهُوَ

معه .

مثل القرآن

ومنها ماروى زافع عن ابن عمر رضي الله عنهما ^(٢) : مَثَلُ الْقُرْآنِ ^(٣) مَثَلُ الْإِبِلِ الْمَعْقَلَةِ ^(٤) إِنْ عَقَلَهَا صَاحِبُهَا أَمْسَكَهَا عَلَيْهِ ، وَإِنْ أَرْسَلَهَا مِنْ عَقْلِهَا ذَهَبَتْ .

(١) وانظر الإصابة : ٤ - ٢١٨

(٢) صحيح مسلم : ٥٤٣

(٣) في صحيح مسلم : إنما مثل صاحب القرآن .

(٤) المعقلة : المشدودة بعقل ؛ أى حبل .

مثل من لعب الميسر

ومنها قوله عليه السلام : مثل مَنْ لَعِبَ المَيْسِرَ ثُمَّ قَامَ يَصِلُ كمثل الذى يتوضأ بالقِيحِ ودمِ الخنزيرِ ثم قام فصلى ، فيقول : قد يقبلُ اللهُ صَلَاتَهُ .

مثل قارئ القرآن

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : مَثَلُ الْقُرْآنِ مَثَلُ جِرَابٍ فِيهِ مَسْكٌ قَدِ رِبَطَ فَمُهُ ، فَإِنْ فَتَحَهُ فَاحَ رِيحُ الْمَسْكِ ، وَإِنْ تَرَكَهُ مَرْبُوطًا كَانَ مَسْكَاً مَوْضُوعًا ؛ فَإِنْ قَرَأْتَ الْقُرْآنَ وَإِلَّا فَهُوَ فِي صَدْرِكَ .
وقال صلى الله عليه وسلم أيضا (١) : مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الأَثْرَجَةِ (٢) ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ ، وَرِيحُهَا طَيِّبٌ . ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها .

مثل المنافق القارئ للقرآن وغير القارئ له

ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر . ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ، طعمها مر ولا ريح لها .

مثل الكافر

ومثل الكافر كشجرة خبيثة طعمها مر خبيث لا خير ولا أصل ، اجتثت ؛ أى انتزعت من فوق الأرض ما لها من قرار ؛ أى من أصل ،

(١) صحيح مسلم : ٥٤٩ ، وسنن النسائي : ١٠٨

(٢) الأثرجة : ثمر جامع لطيب الطعم والرائحة وحسن اللون ، يشبه البطيخ .

(م ٣ - الأمثال من الكتاب والسنة)

بِأَذْنِي رِيحٍ تَقْعُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ، وَتَخْرُجُ مِنْ أَصْلِهَا ؛ كَذَا كَلِمَةُ
الْكَفْرِ (١) .

مثل كلمة الشهادة

وَمَثَلُ كَلِمَةِ الشَّهَادَةِ مِنَ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ شَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ
وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ . تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِأَذْنِ رَبِّهَا ، وَيَضْرِبُ اللَّهُ
الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢) .

مثل من يقرأ القرآن وهو يعلم تفسيره أو لا يعلم

ومنها ما حدثني به عمر بن أبي عمرا بإسناده عن سفيان بن
حسين ، قال : قال لي إياس بن معاوية : إني أراك قد لمجت بعلم
القرآن ، فاقراء علي سورة وفسرها حتى أنظر أين تقع . فقرأت عليه
سورة وفسرتها ، فقال : ياسفيان ، لا علم أشرف من علم القرآن .
وهل تدري ما مثل من يقرأ القرآن وهو يعلم تفسيره أو لا يعلم ؟

مثله مثل قوم جاءهم كتاب من صاحب لهم ليلا ، وليس
عندهم مصباح ، فقد دخلهم بهذا الكتاب روعة^(٣) ، لا يدرون
ما فيه ، فهم خائفون ، فإذا جاءهم المصباح عرفوا ما فيه .

(١) في سورة إبراهيم ، الآية ٢٦ : ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت
من فوق الأرض ما لها من قرار .

(٢) من الآيتين ٢٤ ، ٢٥ ، من سورة إبراهيم .

(٣) الروعة : الفرعة ، والخوف :

مثل من أعطى القرآن ولم يعط الإيمان

وعن علي رضي الله عنه قال : أخبركم بمن أُعطي القرآن ولم يُعط الإيمان ، ومن أُعطي الإيمان ولم يُعط القرآن ، ومن أُعطي القرآن والإيمان . ومن لم يُعط القرآن ولا الإيمان : فأما من أُعطي الإيمان ولم يُعط القرآن فهو بمنزلة ثمرة طيبة الطعم لا ريح لها ؛ ومنزلة من أُعطي القرآن ولم يُعط الإيمان منزلة الآس^(١) طيبة الريح خبيثة الطعم ؛ ومنزلة من أُعطي القرآن والإيمان بمنزلة الأترجة^(٢) طيبة الطعم ، طيبة الريح ؛ ومنزلة من لم يُعط القرآن ولا الإيمان مثل الحنظلة خبيثة الطعم خبيثة الريح .

مثل الرسول والأنبياء

ومنها ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال^(٣) : قال رسول

(١) الآس : شجرة ، وجمعه آس (القاموس) .

(٢) الأترجة : ثمرة جامع لطيب الطعم والرائحة وحسن اللون ، يشبه البطيخ ، يجلو اللون والكلف ، وقشره في الثياب يمنع السوس ، وهو نافع من أنواع السموم وشبهه بأنواعه في أيام الوباء نافع . ومن خواصه أن الحن لا تدخل بيتا فيه أترجة كما حكى الجلال في التوشيح . قال شيخنا : قيل : ومنه تظهر حكمة تشبيه قارئ القرآن به في حديث الصحيحين وغيرهما (تاج العروس) ، وهو يشير إلى الحديث الآتي :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب . ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو . ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر . ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر (صحيح مسلم ٥٤٩

(٣) صحيح مسلم : ١٧٩١

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا ،
فَعَجِبَ لَهُ النَّاسُ فَقَالُوا : وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا مِثْلَ هَذَا الْبُنْيَانِ لَوْلَا مَوْضِعُ
اللَّبْنَةِ ؛ فَكُنْتُ أَنَا مَوْضِعَ تِلْكَ اللَّبْنَةِ (١) .

مثل المنفق ومثل البخيل

ومنها ما روى عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ (٢) :
مِثْلُ الْمُنْفِقِ (٣) وَمِثْلُ الْبَخِيلِ كَمِثْلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جَبْتَانٌ (٤) مِنْ
حَدِيدٍ مِنْ لَدُنْ تُدَيِّهُمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا ، فَأَمَّا الْمُنْفِقُ فَلَا يَنْفِقُ شَيْئًا
إِلَّا سَبَّغَتْ (٥) عَلَى جِلْدِهِ حَتَّى تَوَارِيَ بِنَانَهُ وَتَعْفُو أَثْرَهُ (٦) .

مثل الصلوات الخمس

[٤٨] ومنها (٧) ما روى عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أَرَأَيْتَ (٨)
لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِيَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ [مِنْهُ] (٩) كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ
مَاتَ قَوْلُونَ ؟ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ (١٠) شَيْءٌ ؟

(١) في صحيح مسلم : فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء .

(٢) صحيح مسلم : ٧٠٨ .

(٣) في صحيح مسلم : مثل البخيل والمتصدق .

(٤) في مسلم : جنتان ، أو جبтан .

(٥) سبغت : كملت واتسعت .

(٦) تعفو أثره : يمحي أثر مشيه بسبوغها وكما لها .

قال في شرح مسلم : وهو تمثيل لنماء المال بالصدقة والإنفاق ، والبخل بضد ذلك .

(٧) صحيح مسلم : ٤٦٣ . (٨) في صحيح مسلم : أرايتم .

(٩) من صحيح مسلم : (١٠) الدرر : الوسخ .

قالوا : لا . قال : ذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا .

هتل لوت المرأة المعجب بها زوجها

وعن القاسم بن محمد أنه قال : هلكت امرأة لي ، فأتاني محمد بن كعب القرظي يعزيني بها ، فقال لي : إنه كان عالم في بني إسرائيل ، وكان له امرأة وكان بها معجبا ، فماتت فوجد عليها (١) وجدا شديدا ، ولقي عليها أسفا (٢) ، حتى خلا في بيت ، وأغلق على نفسه ، واحتجب عن الناس ، فلم يكن يدخل عليه أحد ، وإن امرأة سمعت به ، فجاءته فقالت : إن لي إليه حاجة أستفتيه فيها ، وليس يجزييني إلا مشافهته .

فذهب الناس ولزمت بابه ، وقالت : مالي منه بد . فقال له قائل : إن هاهنا امرأة أرادت أن تستفتيك ، وقالت : إني أريد مشافهته ، وقد ذهب الناس ، وهي لا تمارق الباب . قال : ائذنوا لها .

فدخلت عليه فقالت : إني جئت أستفتيك في أمر . قال : وما هو ؟ قالت : إني استعرت من جارة لي حليا ، فكنت ألبسه وأعيره ، فلبث عندي زمانا ، ثم إنهم أرسلوا إلي فيه ، أفارده عليهم ؟ قال : نعم . قالت : إنه مكث عندي زمانا . قال : ذاك أحق لردك إياه عليهم حين أعاروكه . فقالت : أي رحمتك الله ! أفتمأسف على ما أعارك الله تعالى ، ثم أخذه ، وهو أحق به منك !

(١) وجد عليها : حزن عليها . (٢) الأسف : أشد الحزن .

فَأَبْصَرَ مَا هُوَ فِيهِ ، وَنَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهَا .

الصِّيَامُ جَنَّةٌ

وَمِنْهَا مَا رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ (١) :
الصَّيَامُ جَنَّةٌ (٢) كَجَنَّةِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْقِتَالِ .
وَعَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : حُسْنُ الْحِفَاظِ (٣) صِيَامُ ثَلَاثَةِ
أَيَّامٍ مِنَ الشَّهْرِ .

مِثْلٌ مِنْ جَاءِ مَسْجِدِهِ

وَمِنْهَا مَا رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ جَاءَ مَسْجِدِي هَذَا لَمْ يَأْتِ إِلَّا لْخَيْرٍ
يَتَعَلَّمُهُ أَوْ يُعَلِّمُهُ ؛ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى ؛ وَمَنْ جَاءَ
لْغَيْرِ ذَلِكَ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ رَجُلٍ يَنْظُرُ إِلَى مَتَاعٍ غَيْرِهِ .

مِثْلُ الرَّؤْيَا حِينَ تَعْبُرُ

وَرُوِيَ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ رَوَاهُ قَالَ : مِثْلُ الرَّؤْيَا حِينَ تَعْبُرُ كَمِثْلِ
رَجُلٍ أَمَرَ أَنْ يَرْفَعَ إِحْدَى رِجْلَيْهِ وَيَضَعُ أُخْرَى ، فَهُوَ يَنْتَظِرُ مَتَى
يُؤْمَرُ بِوَضْعِهَا فَتَسْتَقِرُّ الرَّؤْيَا عَلَى مَا تَعْبُرُ عَلَيْهِ ، فَلَا يَحْدُثُ إِلَّا عَالِمًا
أَوْ نَاصِحًا .

مِثْلُكُمْ وَمِثْلُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى

وَمِنْهَا مَا رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : مِثْلُكُمْ
وَمِثْلُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَمِثْلِ رَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عُمَالًا ؛ فَقَالَ : مَنْ

(١) صحيح مسلم : ٨٠٦

(٢) الصيام جنة : معناه ستر ومانع من الرفث والآثام ، ومانع أيضا من النار .

(٣) الحفظ : المحافظة والمواظبة (القاموس) .

يعمل عملاً من صلاة الصبح إلى نصف النهار على قيراط قيراط ؟
فعملت اليهود .

ثم قال : مَنْ يعمل لى من نصف النهار إلى صلاة العصر على
قيراط قيراط ؟ فعملت النصارى . ثم قال : من يعمل من صلاة
العصر إلى صلاة المغرب على قيراطين قيراطين ؟ أَلَا فأنتم .
فغضبت اليهود والنصارى ، وقالوا : نحن أكثر أعمالاً ،
وأقل عطاءً . فقال : أظلمتكم من حقكم شيئاً ؟ قالوا : لا . قال :
فإنما هو فضلى أوتيه من أشياء .

الناس كإبل مائة

ومنها ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إنما
الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة (١) .

(١) صحيح مسلم : ١٩٧٣ ، وفي النهاية (رحل) . وفيه : تجدون الناس كإبل مائة
ليس فيها راحلة . والراحلة من الإبل : البعير القوى على الأسفار والأحمال ، والذكر
والأنثى فيه سواء . والهاء فيها للمبالغة ، وهى التى يختارها الرجل لمركبه ورحله على
النجابة وتمام الخلق وحسن المنظر ، فإذا كانت فى جماعة الإبل عرفت .
وفي النهاية (إبل) : الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة : يعنى أن المرضى المنتخب من الناس فى
عزه وجوده كالنجيب من الإبل القوى على الأحمال والأسفار الذى لا يوجد فى كثير من الإبل .
قال الأزهرى : الذى عندى فيه أن الله ذم الدنيا وحذر العباد سوء مغبتها وضرب لهم
فيها الأمثال ليعتبروا ويحذروا ، كقوله تعالى : إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء
فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شئ مقتدراً .
وما أشبهها من الآى . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحذرهم ما حذرهم الله ،
ويرزدهم فيها ؛ فرغب أصحابه بعده فيها ، وتنافسوا عليها حتى كان الزهد فى النادر
القليل منهم ، فقال : تجدون الناس بعدى كإبل مائة ليس فيها راحلة ؛ أى إن الكامل
فى الزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة قليل كقلة الراحلة فى الإبل ، والراحلة هى البعير
القوى على الأسفار والأحمال النجيب التام الخلق الحسن المنظر ، ويقع على الذكر والأنثى ،

مثل المؤمن مثل النخلة

وروى عن مجاهد رحمه ، الله قال : صحبتُ ابنَ عمرَ رضَى اللهُ عنه من مكة إلى المدينة ، فما سمعته يحدثُ عن رسولِ الله صلى اللهُ عليه وسلم إلا هذا الحديث : مثل المؤمن مثل النخلة إن جالسته نفعك ، وإن شاركته نفعك ، وإن شاورته نفعك ، وإن صاحبته نفعك ، وكلُّ شئٍ من شأنه منافع ؛ فكذلك النخلة كلُّ شئٍ من شأنها منافع .

مثل الصحابة

ومنها ما روى عن ابن عباس رضَى اللهُ عنه عن رسولِ الله صلى اللهُ عليه وسلم ، قال : مثلُ أصحابي في الناس كمثل الملح في الطعام ؛ لا يصلح الطعام إلا بالملح .

مثل الرسول صلى الله عليه وسلم

ومنها ما روى عن أبي هريرة رضَى اللهُ عنه عن رسولِ الله صلى اللهُ عليه وسلم (١) : **إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلِكُمْ مَثَلُ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا فَهُوَ يَذَّبُ عَنْهَا أَنْ يَقَعَ فِيهَا الْجَرَادُ وَالْفَرَاشُ ، وَإِنِّي آخِذٌ بِحُجْرِكُمْ (٢) أَنْ تَقَعُوا فِي النَّارِ .**

(١) صحيح مسلم : ١٧٨٩ ، ١٧٩٠

(٢) لحجركم : الحجز : جمع حجرة ، وهي معقد الإزار والسراويل .

مثل المؤمنين

ومنها ماروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (١) :
مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى شَيْءٌ (٢) مِنْهُ تَدَاعَى (٣) سَائِرُهُ بِالْحُمَى وَالسَّهَرِ .

ومنها ماروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (٤) :
مَثَلُ الَّذِي اسْتَرَدَّ مَا وَهَبَ مَثَلُ الْكَلْبِ يَقْبِئُ فَيَأْكُلُ قَيْئَهُ .

مثل التاجر

ومنها ماروى عن على بن الحسين رحمهم الله أنه قال : إنما
مَثَلُ أَحَدِكُمْ مَثَلُ التَّاجِرِ يَحْسِبُ الرِّبْحَ وَلَا يُوْفِي رَأْسَ مَالِهِ ، يُوْفِي
أَحَدَكُمْ التَّطَوُّعَ ، وَلَا يُوْفِي الْفَرِيضَةَ .

ومنها ماروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (٥) :
مَثَلُ الْمُؤْمِنِ وَمَثَلُ الْإِيمَانِ كَمَثَلِ فَرَسٍ فِي آخِيَّتِهِ يَجُولُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى
آخِيَّتِهِ ؛ وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْهُو ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى الْإِيمَانِ ، وَأَطْعَمُوا طَعَامَكُمْ
الْأَتَقِيَاءَ ، وَأَوْلُوا مَعْرُوفَكُمْ الْمُؤْمِنِينَ .

(١) صحيح مسلم : ١٩٩٩

(٢) في مسلم : عضو منه .

(٣) تداعى له سائر الجسد : دعا بعضه بعضا إلى المشاركة في ذلك . سائره : باقيه .

(٤) صحيح مسلم : ١٢٤٠ : ١٢٤١

(٥) الباية (أخا) . والآخية : حبيبل أو عود يعرض في الحائط ويدفن طرفاه فيه ويصير وسطه كالعروة وتشد فيها الدابة ، وجمعها الأواخي . قال : ومعنى الحديث أنه يبعد عن ربه بالذنوب وأصل إيمانه ثابت .

مثل المنافق

ومنها قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١) : مَثَلُ الْمُنَافِقِ مَثَلُ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ (٢) بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ تَتَرَدَّدُ بَيْنَهُمَا مَرَّةً إِلَى هَذِهِ وَمَرَّةً إِلَى هَذِهِ .
ومنها قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَثَلُ الْمُنَافِقِ مَثَلُ رَجُلٍ فِي نَهْرٍ يَسْبَحُ فِيهِ ، فَلَمَّا بَلَغَ أَنْ يَقْطَعَهُ نُودِيَ مِنَ الْجَانِبِ الْآخِرِ ، فَرَجَعَ إِلَى ذَلِكَ الصَّوْتِ ، ثُمَّ نُودِيَ مِنْ هَاهُنَا فَأَجَابَ ، ثُمَّ رَجَعَ ؛ فَبَيْنَمَا هُوَ فِي تَرَدُّدِهِ إِذْ عَلَا آذَى (٣) ، وَهُوَ الْمَوْجُ ، فَعَرِقَهُ .

مثل النبي ومثل الساعة

ومنها قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَثَلِي وَمَثَلُ السَّاعَةِ كَفَرَسِي رِهَانٍ سَبَقَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ بِأُذُنِهِ .

ومنها قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَثَلِي كَمَثَلِ قَوْمٍ بَعَثُوا طَلِيْعَةً (٥) ، فَرَأَى الْعَدُوَّ فَجَاءَ لِيُخْبِرَهُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ قَدْ هَجَمَ فَلَاحَ (٦) بِثَوْبِهِ مَخَافَةَ أَنْ يَسْبِقَهُ الْعَدُوُّ .

(١) صحيح مسلم : ٢١٤٦ ، والنهائية (غير) .

(٢) العائرة : المترددة الحائرة بين قطيعين لاتدرى أيهما تتبع .

(٣) الآذى : الموج الشديد .

(٤) فرسي رهان : يتسابقان إلى غاية .

(٥) الطليعة : الذي يبعث ليطلع طلع العدو (النهائية) .

(٦) لاح : بدا وظهر . ولاح الرجل : خاف وحاذر ، وبسيفه لمع به كلوح

(القاموس) .

خمس كلمات وأمثالها

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ
أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَأْمُرَ قَوْمَهُ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ ، وَأَنْ يَضْرِبَ لَهُمْ
مِثْلًا ، فَقَالَ : إِنَّ اللهُ تَعَالَى أَمَرَنِي أَنْ أَمُرَ كُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا
تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ؛ وَمِثْلُ ذَلِكَ كَمِثْلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ
مَالِهِ ، فَذَهَبَ الْعَبْدُ فَعَمِلَ لغيرِهِ ، فَأَيُّكُمْ يَحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ ذَلِكَ .

وَأَمَرَنِي أَنْ أَمُرَ كُمْ بِالصَّلَاةِ ؛ وَمِثْلُ ذَلِكَ مِثْلُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَى
مَلِكٍ فَهُوَ يُنَاجِيهِ حَوَائِجَهُ وَهُوَ يَسْمَعُ لَهُ وَيَقْضِي لَهُ الْحَوَائِجَ .

وَأَمَرَنِي أَنْ أَمُرَ كُمْ بِالصَّدَقَةِ ؛ وَمِثْلُ ذَلِكَ مِثْلُ رَجُلٍ قَتَلَ قَتِيلًا
فَهَرَبَ مِنْ وَطَنِهِ مَخَافَةَ أَنْ يُؤْخَذَ بِهِ ، فَبِعَتْ [٤٩] إِلَى أَهْلِهِ ، فَقَالَ :
مَا يَنْفَعُكُمْ إِزْعَاجِي مِنْ وَطَنِي ، فَإِنَّا أُوْدَى إِلَيْكُمْ دِيَّةً قَتِيلِكُمْ
نَجُومًا ^(١) . وَأَرْجِعْ إِلَى وَطَنِي ، فَرَضُوا بِذَلِكَ ؛ فَمَا زَالَ يُؤدَى
نُجُومَهُ حَتَّى فَكَّ رَقَبَتَهُ .

وَأَمُرَ كُمْ بِالصِّيَامِ ؛ وَمِثْلُ ذَلِكَ كَمِثْلِ رَجُلٍ لَقِيَ الْعَدُوَّ فِي
جَنَّةِ حَصِينَةٍ ، فَمَا وَجَدَ فِي الْجَنَّةِ مِنْ خَلَلٍ وَصَلَ إِلَيْهِ سِلَاحُ الْعَدُوِّ .

وَأَمُرَ كُمْ بِذِكْرِ اللهِ ؛ وَمِثْلُ ذَلِكَ كَمِثْلِ رَجُلٍ أَتَاهُ فَوْجٌ مِنْ
عَدُوٍّ مِنْ نَاحِيَةٍ ، فَهُوَ يَحَارِبُهُمْ ؛ ثُمَّ أَتَاهُ فَوْجٌ آخَرَ مِنْ

(١) نجومًا : تنجيم الدين : هو أن يقدر عطاؤه في أوقات معلومة متتابعة مشاهرة .

أو مساناة (اللسان - نجم) .

تأخيه أخرى ، وأتاه الفَوْجُ من كل ناحية ؛ فلما رأى ذلك ترك مُحَارَبَتَهُمْ ، ودخل الحِصْنَ . . وأغلق الباب على نفسه ، وكذلك ذكر الله تعالى .

مثل المصلى الذى لا يتم ركوعه وسجوده

وروى عن أبى بردة بن أبى موسى ، عن أبى سلام الأسود رضى الله عنهم— أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً ينقُرُ (١) فى صلاته ، لا يتمُّ الرُّكُوعَ والسُّجُودَ ، فقال : لو مات هذا مات على غير مِلَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فإذا صَلَّيْتُمْ فَأَتِمُّوا الرُّكُوعَ والسُّجُودَ ؛ فَإِنَّ مَثَلَ الْمُصَلِّى الَّذِي لَا يَتِمُّ رُكُوعَهُ وَلَا سُجُودَهُ كَمَثَلِ الْجَائِعِ الَّذِي يَأْكُلُ الْمَرَّةَ وَالْمَرَّتَيْنِ لَا تَغْنِيَانِ عَنْهُ شَيْئًا .

قال أبو بردة : قلت لأبى سلام : مَنْ حَدَّثَكَ بِهَذَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قال : حَدَّثَنِي أُمْرَاءُ الْأَجْنَادِ : يَزِيدُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ (٢) ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، وَشَرْحَبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ (٣) .

فهذه الأمثال كلها ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليريهما ما غاب عنهم بما حضر .

(١) ينقر فى صلاته : يصلى النقرى : وينقر فى صلاته نقر الديك (أساس البلاغة)

(٢) يزيد بن أبى سفيان بن حرب الأموى : أمير صحابى من رجالات بنى أمية شجاعة

وحزما ، وهو أخو معاوية ، توفى سنة ١٨ هـ

(٣) شرحبيل بن حسنة : هو شرحبيل بن عبد الله : من مهاجرة الحبشة ، وكان واليا

على الشام لعمر على ربع من أرباعها ، وتوفى بها سنة ١٨ هـ ، وهو ابن سبع وستين سنة .

الحكماء يضربون الأمثال

ولم ينزل الحكماء يضربون الأمثال :

مثل العلماء

مثل العلماء مثل النجوم التي يفتدى بها ، والأعلام^(١) التي يهتدى بها إذا تغيبت عنهم تحيروا ، وإذا تركوها ضلوا .

مثل الامام

مثل الإمام مثل عين صافية^(٢) يخرج منها نهر عظيم ، يخوضه الناس ، فيكدرونه ، فيأتى عليها صفوة العين ، فيصير صافيا من تلك الكدورة ، فإذا كانت الكدورة من قبل العين فسد النهر فكيف يصفو؟ فلم يكن من الحيلة إلا سد النهر .

مثل الناس والامام

مثل الناس والإمام كمثل الفسطاط^(٣) لا يقوم إلا بعمود ، ولا يقوم العمود إلا بالأوتاد ، فكلما نزع وتدد^(٤) ازداد العمود وهنا^(٥) .

مثل الجليس الصالح والسوء

مثل الجليس الصالح مثل صاحب المسك إن لم يصبك منه شيء أصابك من ريحه . ومثل جليس السوء مثل كبير^(٦) الحداد ، إذا جالسته إن لم يصبك من سواده أصابك من دخانه .

(١) الأعلام : جمع علم ، ما ينصب في الطريق يهتدى به (القاموس) .

(٢) في ا ، ب ، ج : صافي .

(٣) الفسطاط : السرادق . (٤) في الأصول : وتدا .

(٥) وهن : ضعف . (٦) الكبير : زق ينفخ فيه الحداد .

مثل القلب

مَثَلُ الْقَلْبِ مَثَلُ حَدَقَةِ الْعَيْنِ فَإِنْ أَدْنَى (١) شَيْءٍ يَشْغَلُ الْعَيْنَ .
والقلبُ أيضا يشغله أدنى شيء .

مثل العالم

مَثَلُ الْعَالَمِ مَثَلُ الْعِطَّارِ إِنْ مَرَّرْتَ بِهِ وَجَدْتَ رَائِحَةَ الطَّيِّبِ ؛
وَإِنْ جَالَسْتَهُ أَصَابَكَ اللَّطِخُ (٢) مِنَ الْعِطْرِ ؛ وَإِنْ صَاحَبْتَهُ تَنَاوَلْتَ
مِنْهُ الطَّيِّبَ ؛ فَتَرْجِعُ إِلَى أَهْلِكَ بِذَلِكَ .

مثل المؤمن المنتبه

مَثَلُ الْمُؤْمَنِ الْمُنْتَبِهِ مَثَلُ وَادٍ فَتَحَ عَيْنِيهِ مِنَ النَّوْمِ فَأَبْصَرَ مَائَةَ
أَلْفِ ثَدْيٍ وَحَجْرٍ لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهَا مَا لَمْ يَجِدْ رِيحَ أُمِّهِ ،
فَحِينَئِذٍ يَتَعَلَّقُ بِثَدْيِيهَا ، وَيَدْخُلُ فِي حِجْرِهَا ؛ لِأَنَّ رِيحَ الْأُمِّ
رِيحُ الرَّأْفَةِ ، وَلِذَلِكَ قَالَ الصَّدِيقُ لِعَمْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - حِينَ طَلَّقَ
أُمَّرَأَتَهُ وَأَرَادَ أَنْ يَأْخُذَ وَلَدَهُ مِنْهَا ؛ فَمَنْعَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،
وَقَضَى بِهِ لِلْأُمِّ ؛ وَقَالَ : رِيحُهَا وَلِقَاحُهَا (٣) خَيْرٌ لَكَ مِنْكَ يَا عَمْرُ .

فَالْعَاقِلُ أَيْضًا لَمَّا وَجَدَ رَائِحَةَ رَأْفَةِ الرَّءُوفِ الْجَوَادِ الْكَرِيمِ ،
وَنَظَرَ إِلَى إِحْسَانِهِ لَدَيْهِ ، لَا يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ سِوَاهُ ، حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهِ ؛ فَهَذَا
الصَّادِقُ فِي قَوْلِهِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، عِلْمٌ أَنَّ الْأَشْيَاءَ الَّتِي تَضُرُّ وَتَنْفَعُ

(١) أدنى : أقل .

(٢) لطيخه - كمنعه : لوثه فتلطخ . ولطخ من سحاب ونحوه : قليل منه .

(٣) اللقاح : يريد لبنها .

كلها من الله ، فلم يتعلق قلبه بشيء من أسباب الضر والنفع ،
وردَّ وِلَّهَ (١) قلبه في تلك الأشياء إلى ألوهية الله تعالى ؛ لأنه عاينَ
أنَّ هذه الأودية كلها تتفجرُ من تلك العين ، وبِقَدْرِ (٢) ما ينصبُ
من تلك العين التي منها تسيلُ هذه الأودية ، فلم يغتر بالأودية ؛
وَمَنْ حُجِبَ عن رؤية تلك لم يجد قراراً لكثرة ملاحظته الأودية
واديًا واديًا ، فمتى يستفرغ رؤية الأودية ؟ ومتى يَقْدِرُ أن يتعلق
بشيء منها ؟ لأن كل وادٍ يدعو إلى نفسه ، فقلبه ذو شعب ،
ونفسه غير مطمئنة إلى شيء منهم (٣) ؛ فهي كالريشة ؛ يطير مرة
إلى هذا ، ومرة إلى هذا إلى ما لا يتناهى .

مثل المؤمن المخطيء الغافل

ومثل المؤمن المخطيء (٤) الغافل مثل رجلٍ في خربةٍ في فلاةٍ
من الأرض يأتيه صوتٌ من كلِّ جانبٍ يدعوهُ ولا يدري من يجيبُ
ولمَن يجيبُ ، وإلى من يطمئنُّ ، فهو أسيرٌ كلِّ ناعقٍ ؛ فالمؤمنُ
مِنْ شَرَطِهِ أن يطمئنَّ إلى ربه ، ويفرغ في كلِّ شيءٍ إلى ربه ،
ويتعلق في كلِّ أمرٍ بربه .

(١) الوله : ذهاب العقل من شدة الحب أو الحزن ، أو الخوف .

(٢) في ح : فبقدر .

(٣) هذا في الأصول .

(٤) في ب ، ج : المخطئ .

مثل الماقل المحق

ومثل العاقل المحقق في إسلامه مثل رجل باع داراً هو ساكنها ،
ف قيل له : سَلِّمْ مَا بَعْتَ ، فخرج من ساعته ، وترك (١) ثقله
ثَمَّة (٢) ، وقال للمشتري : هذا كله لك مع الدار من غير بيع ،
ووهبت الثمن لك أيضا .

مثل المؤمن المخلط

ومثل المؤمن المخلط (٣) مثل من باع داراً هو فيها ساكن ، فلما
قيل له سَلِّمْ مَا بَعْتَ قام من موضعه ، وجمع ثقله في زاوية أخرى من
الدار ، وجلس ثَمَّة ؛ فإذا قيل له ثانيا : سَلِّمْ مَا بَعْتَ ذهب إلى زاوية
أخرى مع ثقله ، ولا يزال دأبه (٤) هكذا في التسليم ؛ يتحول من مكان
إلى مكان ، ويفرغ ناحية ، ويشغل أخرى إلى أن يقبض الثمن ،
ويسلم ويخرج منها ؛ فالمؤمن من شرطه تسليم النفس إلى الله تعالى
في كل شيء ، فلو اقتحم النهي ، وفرط في الأمر ، صار كمن سلم
بعض النفس دون البعض ، كمن تحول من زاوية إلى زاوية ؛
لا تسخو نفسه بتسليم ما باع ؛ فالمسلم باع نفسه وماله من مولاة

(١) الثقل : متاع المسافر وحشده ، وكل شيء نفيس مصون .

(٢) ثمة : هناك .

(٣) المخلط : الذي خلط الأشياء فلبسها على السامعين والناظرين ، ويقال : هو

امرؤ مخلط : لا يستقيم أبداً .

(٤) دأبه : شأنه وعادته .

يقولُ له (١) : (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ
لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي
التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ
الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ
السَّائِحُونَ الرَّكَعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ، وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) ؛ وصير تسليمه في
عشر خصال مذكورة في الآية ، وجعل منها الجنة ؛ فكلما وفى
تحصيله (٢) منها فقد سلم جزءاً من المبيع ، ثم مع هذا يقتضى
رَبَّهُ الثَّمَنَ ، فلو عقل هذا كيف يَسْتَحِي من رَبِّهِ اليوم إلى أَنْ يَجِيءَ
قَبْضُ الثَّمَنِ ؟

مثل المصلى الساهى

مَثَلُ الْمُصَلِّيِّ الَّذِي يُصَلِّي وَيَكُونُ سَاهِيًّا فِي قَلْبِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ جَنَى
فِي حَقِّ الْأَمِيرِ ثُمَّ نَدِمَ ، فَاسْتَجْمَعَ خَدَمَهُ وَخَوَّلَهُ (٣) ، وَتَوَجَّهَ إِلَى
بَابِ الْمَلِكِ مُعْتَذِرًا ؛ فَلَمَّا قَامَ بَيْنَ يَدَيْ الْمَلِكِ بِشَاكِرِيَّتِهِ (٤) وَخَدَمِهِ ،
وَوَقَفَ بِهِمْ عَلَيْهِ مُعْتَذِرِينَ مِمَّا كَانَ مِنْهُ وَمِنْ خَدَمِهِ مِنْ سُوءِ الْأَدَبِ ،
صَفَحَ عَنْهُ وَحَيَّى وَأَكْرَمَ ، وَمَنْ أَقْبَلَ إِلَى الْمَلِكِ ثُمَّ زَاغَ عَنْهُ فِي الطَّرِيقِ

(١) سورة التوبة : آية ١١١ ، ١١٢ (٢) في ج : تحصله .

(٣) الخول : العبيد والإماء وغيرهم من الخاشية (القاموس) .

(٤) الشاكرى : الأجير والمستخدم — معرب . (القاموس) .

وبعث بشاكريته وخدمته حتى وقفوا مقام الاعتذار ومحل الكرامة ،
ولما أقبل الملك إليه ليقبل عذره ، ويحسن إليه ، أعرض عن مقام [٥٠]
الاعتذار ، وشغل بينهما^(١) ، وترك خدمته وخوله بين يدي الملك
معتذراً منه ؛ أفليس من مقالة الملك أن يقول : أنت الذي جنيت
في حقى ، وتركت أمرى ، وضيعت أمري ؛ وهؤلاء الخدم إنما
حضروا الأجلك ، فأقمتهم مقام الاعتذار عنك ، واشتغلت بينهما^(٢) !
أليس أنه ممقوت ، ولا يعبأ باعتذار خوله فيما هنالك ؟

مثل الدعوات دون حضور القلب

وكذا مثل دعواته التي تجرى على لسانه بدون حضور القلب
رغبة ورهبة كمثلي يقف على باب يسأل شيئاً ، ولم يلبث ، ومضى
لسبيله ، فأخرج له ما طلب فلم يجدوه ، فيدخل^(٢) في الدار مع
مأخرج له ويقول : لم يمكث السائل على بابنا ، فلم يزل هذا
دأب^(٣) هذا المسكين على كل باب حتى صار محروماً ؛ كذا هذا الداعي ؛
والتقريب معلوم .

مثل من يثنى على ربه عن غفلة

ومثل من يثنى على ربه عن غفلة كمثلي من جنى إليك جنائية ،
فلم يعتذر حالة الإفاقة حتى شرب وسكر ، فجاء في حال سكره ووقف

(١) النهمة : الحاجة ، والشهوة في الشيء ، وهو مفهوم بكذا : مولع به .

(٢) يدخل في الدار : يدخل حامل طلبه ، مع ما أخرجه أهل الدار له .

(٣) دأبه : شأنه وعادته .

بين يديك ، وَقَبْلَ قَدَمَيْكَ ، ومدحك بمدائح السَّكَّارَى ؛ أُولَئِكَ مِنْ
مَقَالَتِكَ إِنَّ هَذَا لَا يَعْقِلُ مَا يَقُولُ ، وَلَا مَا يَعْمَلُ ، فَلَسْتَ تَعْبَأُ بِقَوْلِهِ
وَفِعْلِهِ ؛ كَذَا هَذَا .

مثل من يثنى ولا يعلم معنى ما نطق به

وَمَثَلُ مَنْ يُثْنِي عَلَى رَبِّهِ فِي غَفْلَةٍ وَلَا يَعْلَمُ مَا مَعْنَى مَا نَطَقَ بِهِ
كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى بِشِعْرٍ فِي دَفْتَرِ بَابِ الْمَلِكِ ، فَقَرَأَهُ عَلَيْهِ مِنَ الدَّفْتَرِ ؛
فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَا هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا مَدْحُكَ الَّذِي مَدَحْتُكَ . فَقَالَ لَهُ
الْمَلِكُ : عَقَلْتَ مَا أَثْنَيْتَ ؟ قَالَ : لَا ، إِلَّا أَنِّي عَلِمْتُ أَنَّ هَذَا ثَنَاءٌ .
فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : فَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ عَقَلْتَ أَنَّهُ ثَنَاءٌ ، فَلَعَلَّهُ هِجَاءٌ ؛ فَتَحْيِيرُ
الرَّجُلِ فَلَمْ يَبْقَ لَهُ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يَقُولَ : هَذَا طَمَعٌ فِي نَوَالِ شَيْءٍ ؛ فَجَعَلَ
هَذَا الثَّنَاءَ سَبَبًا لِنَوَالِهِ ؛ فَيُعْطُونَهُ شَيْئًا وَيُخْرِجُونَهُ مِنْ بَابِهِ .

مثل من يثنى ويعقل معنى الثناء تعريفا

وَمَثَلُ مَنْ يُثْنِي عَلَى رَبِّهِ وَهُوَ يَعْقِلُ مَعْنَاهُ ، وَلَكِنْ لَا يَعْقِلُهُ عَقْلَ
الْمُشَاهَدَةِ ؛ كَمَثَلِ شَاعِرٍ أَتَى بِابِ الْمَلِكِ بِشِعْرٍ يُثْنِي عَلَيْهِ ، فَلَمَّا
أَنشَدَهُ قَالَ لَهُ الْمَلِكُ : عَرَفْتَنِي بِهَذِهِ الْخِصَالِ أَمْ عُرِّفْتُ بِهِ ؟ قَالَ :
لَا . بَلْ عُرِّفْتُ بِهِ فِي السُّوقِ أَنَّكَ هَذَا (١) .

فَسَقَطَتْ مَنَزَلَتُهُ عِنْدَ الْمَلِكِ ، وَأَنَالَهُ مِنْ مَعْرُوفِهِ عَلَى قَدْرِ انْحِطَاطِ
قَدْرِهِ وَسُقُوطِ مَنَزَلَتِهِ .

(١) هَذَا فِي الْأَصُولِ .

مثل من يننى ويعقل عقل مشاهدة

ومثل مَنْ عَقَلَهُ عَقْلٌ مَشَاهِدَةٌ بِقَلْبِهِ ، فَقَالَ : عَرَفْتُكَ بِهَذِهِ
الْخِصَالِ مَعْرِفَةً أَشَدَّ مِنْ مَعْرِفَتِي بِنَفْسِي ، فَإِنَّ مَعْرِفَتِي بِكَ لَا تَصِيرُ
نِكْرَةً أَبَدًا . فيقول له الملك : إِذَا الْأُجْهَلُكَ (١) عَلِمَكَ فِيَّ ، وَلَا أَجْعَلُ
مَعْرِفَتَكَ لِي نِكْرَةً أَبَدًا ، وَلَا يَقِينَكَ شَكًّا ، وَلَا بَصْرَكَ عَمًى ، وَلَا
هُدَاكَ حَيْرَةً وَضَلَالَةً ؛ وَأُوْفِي لَكَ بِجَمِيعِ مَا عَرَفْتَنِي ؛ إِنْ عَرَفْتَنِي
جَوَادًا فَجُودِي لَكَ ، وَإِنْ عَرَفْتَنِي رَحِيمًا فَرَحْمَتِي لَكَ ، وَإِنْ عَرَفْتَنِي
كَرِيمًا فَكْرَمِي لَكَ ، وَإِنْ عَرَفْتَنِي رَعُوفًا فَرَأْفَتِي لَكَ ، وَإِنْ عَرَفْتَنِي
لَطِيفًا فَلَطْفِي لَكَ ، وَإِنْ عَرَفْتَنِي قَدْرِي فَمَحَبَّتِي لَكَ ، وَلِكَ الْمَزِيدُ مِنْ
فَضْلِي وَدَوَامُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ ؛ وَلَيْسَ يَحْسُنُ بِي أَنْ تَعْرِفَنِي بِشَيْءٍ فَأَرِيكَ
مِنْ نَفْسِي خِلَافَ ذَلِكَ حَتَّى تَصِيرَ مَعْرِفَتُكَ لِي نِكْرَةً ؛ أَنَا كَمَا
عَرَفْتَنِي (٢) حَقَّ الْمَعْرِفَةِ . وَأَنَا أُوجِبُ لَكَ مَا عَرَفْتَنِي بِهِ لِيَكُونَ مَا عَرَفْتَنِي
بِهِ ظَاهِرًا مَكشُوفًا بَارِزًا ؛ وَهُوَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَوْ عَرَفْتُمْ
اللَّهَ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ لَزَالَتْ بَدْعَائِكُمُ الْجِبَالُ ، وَلَوْ خِفْتُمْ اللَّهَ حَقَّ خِيفَتِهِ (٣)
لَتَعَلَّمْتُمُ الْعِلْمَ الَّذِي لَا جَهْلَ مَعَهُ ؛ فَمَنْ عَرَفَهُ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ عَرَفَهُ بِالْقُدْرَةِ ،
وَمَنْ عَرَفَهُ بِالْقُدْرَةِ لَمْ تَعْظُمْ فِي عَيْنِهِ زَوَالُ الْجِبَالِ عَنْ مَكَانِهَا ، وَمَنْ

(١) جهله : نسبه إلى الجهل .

(٢) في ج ، ب : كما عرفتني في حق المعرفة .

(٣) خيفته : خوفه وخشيته .

عرف كرمه حقيقةً لم تعظم في عينه أن تجاب دعوته في إزالة
الجبال عن مكانها ، ومن خافه حق الخيفة زال عنه الجهل ؛ لأن نور
الخوف من الذات ، فإذا أشرق ذلك النور خاف حق الخيفة وطار
الجهل ؛ لأن القلب حيي بالله ؛ وإنما الجهل من الموت والعلم من
الحياة .

مثل التالي كتاب الله في غفلة

ومثل التالي كتاب الله في غفلة كمثل رجل بين يديه حقائق^(١) ،
في كل حقة منها جوهر بعثه إليه الملك ، فهو في غطاء عن تلك
الجواهر ؛ ففي حقة منها ياقوتة حمراء ؛ وفي أخرى منها ياقوتة
صفراء ؛ وفي أخرى ياقوتة زرقاء ؛ وفي أخرى ياقوتة خضراء ، وفي
أخرى لؤلؤة بيضاء صافية ؛ فليس له من تلك الجواهر إلا عدد
الحقائق وإحصاؤها ، وهو يعلم أنها ثمينة نفيسة^(٢) ، ولكنه لا
يلتذّبها ولا يتغنى بها ؛ لأن عينه إنما تأخذ الحقائق ، ونفسه تحسن
ماترى عينه ، وعلمه بنفاستها وأثمانها علم لا يحرّكه ، ولا يبعثه ،
ولا يهيجه إلى شيء ؛ فهو كالناعس قد أخذه ريح النوم ، فهو في
نفسه ثقيل ؛ فإذا فتش الحقة فأبصر جواهر تتلألأ ، ونظر إلى

(١) الحقة : وعاء من خشب ، جمعه حق ، وحقوق ، وحقاق .

(٢) نفيسة : يتنافس فيها ، ويرغب .

شئٍ مِلاً نَفْسَهُ سُرُورًا ، وَسَبِي قَلْبِهِ بِهَا ، فَإِذَا نَظَرَ فِيهَا فَوَجَدَ
اسْمَهُ مَكْتُوبًا عَلَيْهَا مَنْقُوشًا فَاشْتَدَّ عَجَبُهُ ، وَتَضَاعَفَ سُرُورُهُ وَبَهَّجَتْهُ ،
وَتَاهُ فِي الْبَهْجَةِ ؛ فَسُرُورُهُ بِنَفَاسَةِ تِلْكَ الْجَوْهَرَةِ يَهْنِيهِ ، وَيَهْنِيهِ فِي
اسْمِهِ الَّذِي وَجَدَهُ مَنْقُوشًا عَلَى تِلْكَ الْيَاقُوتَةِ ؛ فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : صَارَ لِي إِلَى
الْمَلِكِ مَحَلًّا ؛ بَعَثَ إِلَى جَوْهَرًا مِثْلَ هَذِهِ ، وَاسْمِي مَنْقُوشٌ عَلَيْهَا ،
يَعْرِفُنِي ذَلِكَ مَحَلِّي عِنْدَهُ ؛ إِنْ قَدْ أَعَدَدْتُ لَكَ هَذِهِ الْجَوَاهِرَ وَبِاسْمِكَ ؛
لِعَظِيمِ قَدْرِكَ عِنْدِي ، وَكَثْرَةِ بَالِي بِكَ ، وَرَفِيعِ مَحَلِّكَ عِنْدِي ، وَحَسْبِي
لَكَ ؛ فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُ هَذَا الْعَبْدِ مِنَ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ ؛ كَمَا كَتَبَ
اللَّهُ تَعَالَى . كَلَامَ عَزِيزٍ ، حُرُوفَ مَنْسُوقَةٍ (١) مُؤَلَّفَةٍ ، أَلْفَهَا رَبُّ
العَالَمِينَ بِحِكْمَتِهِ الْبَالِغَةِ - وَمَعْنَى قَوْلِهِ الْبَالِغَةُ ؛ أَيْ بَلَغَتْ تِلْكَ الْحِكْمَةُ
يَوْمَ الْمَقَادِيرِ ، وَمِنْهَا خَرَجَتْ إِلَى الْعِبَادِ ، فَصَارَتْ حِكْمَةً ؛ فَقِيلَ :
حِكْمَةُ الْبَالِغَةِ ؛ أَيْ تَبْلُغُ بِصَاحِبِهَا عِلْمَ الْمَقَادِيرِ ، فَمَنْ بَلَغَ عِلْمَ الْمَقَادِيرِ
فَقَدْ وَفَّرَ حِظَّهُ مِنَ الْعِلْمِ ، كَمَا وَفَّرَ (٢) الْحِظُّ لِلْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
حَتَّى سَاحَ فِي الْمَفَاوِزِ ، وَخَاضَ الْبِحَارَ ، وَعَبَّرَ مَعَابِرَ الْعِبَرِ بِحِظِّهِ مِنْ
عِلْمِ (٣) الْمَقَادِيرِ ، فَرَأَى فِي كُلِّ شَيْءٍ رِبُوبِيَّةَ الْعَزِيزِ الْقَهَّارِ - فَذَلِكَ
تَأْلِيفٌ عَجَزَتْ عَنْهُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّسُلُ وَالثَّقَلَانِ (٤) وَجَمِيعُ الْخَلْقِ ؛

(١) مَنْسُوقَةٌ : نَسَقَتِ الدَّرَّ نَسَقًا : نَظَّمَتْهُ ، وَنَسَقَتِ الْكَلَامَ نَسَقًا : عَطَفَتْ بَعْضَهُ

عَلَى بَعْضٍ . وَكَلَامٌ نَسَقٌ : عَلَى نِظَامٍ وَاحِدٍ .

(٢) وَفَّرَ حِظَّهُ : تَمَّ وَكَمَّلَ .

(٣) فِي ب : مِنَ الْعِلْمِ .

(٤) الثَّقَلَانِ : الْحَزَنُ وَالْإِنْسَانُ .

لأنه وَضَعَ في كلِّ حرفٍ لعباده شيئاً ؛ فهو أعلم بما يحتاج إليه
عِبَادُهُ من تلك الأشياء ، فألف الحروف للأشياء الموضوعة في
الحروف ، يخاطبهم بها ، وهى لطائف وبشرى ، ووعد ووعيد ،
ونذارة^(١) وتأديب ، وتحضيض^(٢) وتنديب^(٣) ، وأنباء ماضى ،
وأنباء ما هو كائن في الدارين ؛ فذلك قوله تعالى^(٤) : (لَعْنِ
اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ
بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً^(٥)) ، فمن غيبي^(٦) فهمه عن
هذا تحير فيه .

ولو قال قائل : كيف لا يقدرُونَ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ ، وإنما هو لسانُ
العرب ؛ فمن شاء ساق^(٧) [كلاماً بهذه اللغة ، فكيف لا يمازجه ولا
يدانيه .

وهذا هوس^(٨) وكلام المنهوكين^(٩) الذين أعينهم في غطاء
عن ذكره . وإنما معرفتهم ربهم على ألسنتهم .

(١) نذارة - بكسر النون : إنذار .

(٢) تحضيض : حث .

(٣) ندبه إلى الأمر : دعاه وحثه ووجهه (القاموس) .

(٤) سورة الإسراء ، آية ٨٨ .

(٥) الظهير : المعين . (٦) في ج : عبي .

(٧) من هنا إلى آخر ما بين القوسين ساقط في ب ، وهو في ا ، ج :

(٨) الهوس : طرف من الجنون (القاموس) .

(٩) المنهوكين : يقال : نهكته الحمى : هزلته . ونهكه السلطان عقوبة : بالغ

في ذلك . أو هى : والمنهوكين . والمنهوك : المتحير .

وإنما عجزت الجن والإنس عن تأليف مثله ؛ لأن جميع الكلام
الذي أبرزه رب العالمين للعباد إنما هو تسع وعشرون حرفاً وضع في
كل حرف أمراً من أموره ، وأعلم خواصه بذلك من الأنبياء ،
وخاص الأولياء ؛ فمن دام على ذلك الأمر وخالصه وصفاه ،
فاستوجب هذا النور الأعظم الذي إذا أشرق في صدره ، وطالع ما في
حشوه كل حرف من هذه الحروف فعندها يعقل تأليف رب العالمين .

قال له قائل : اشرح لنا شيئاً نفهم به بعض ما وصفت .

قال : نبين ذلك في قوله : (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) : ففي الباء
بهاؤه ^(١) ، وفي السين سناؤه ^(٢) ، وفي الميم مجده ؛ فمن أعطى في
قلبه سراجاً فانار ذلك السراج في صدره عاين فؤاده ذلك البهاء
والسناء والمجد ، وعاين ما أجرى إليه رب العالمين من بهائه وسنائه
ومجده ؛ فواصل إليه في دينه ودنياه ، فإذا عاين فؤاده ذلك كان
كمثل من وضع بين يديه حقة ^(٣) وقد علم أنه فيها جوهر ثمين
نفيس يخطف الأبصار تلاًلاً فيضيء القلوب شغوفاً به ، فهو في
ذلك حيران لا يلتذ ولا يبهج ^(٤) به ؛ لأنه سكران أونائم ؛ فالسكران

(١) البهاء : الحسن والجمال .

(٢) السناء : الرفعة .

(٣) الحقة : وعاء من خشب .

(٤) البهجة : الحسن ، و بهج به فهو بهيج ، وابتهج بالشئ إذا فرح به .

والنائم لاحتظَّ لهما من اللذة والبهجة ؛ فإذا رَفَعَ عن الحَقَّة رأسها ^(١) ،
وتلأَّ ذلك الجوهرُ في وجهه يكادُ يخطفُ بصره ؛ وسبى قلبه ؛ فإذا
رأى اسمه منقوشا على ذلك الجوهر كاد ينصدع ^(٢) قلبه فرحا
وسرورا بما اطَّع من حاله عند الملك .

قال له قائل : زدنا في شرحه .

قال : نزل ربنا جلَّ جلاله كلامه تنزيلا ؛ فهو كلام مؤلف
محشو كل حرف بما فيه حشا ، ثم تكلم به ، ثم أنزله ، فلو
عقلت هذا الدهشت من قبل أن تسمو إلى حشوه .

مثل الناظر إلى حروف القرآن

مثل الناظر إلى حروف القرآن كمثل رجل اشتدَّ شوقه إلى حبيب
غائب ، فوجد له كتابا بخطه ؛ فهاج شوقه ، ثم نظر إلى آثار
أصابعه وصنع يده فالتدبها ، فسكن إلى وجود لذته ساعة ، وتقطع
أيام شوقه ؛ فكذا المشتاق إلى لقائه إذا وقع بصره على خط الحروف ،
وتراعى له بدو هذه الحروف من عند مليكه ، والمجرى من الوحي
إلى صدره ومستودعه وهو الحفظ الذي قد قرن بالعقل ، وأوتمن عليه ؛
والتدبها ؛ وسكن غليان شوق من لا يجد إلى ما وجد من آثار كلامه ،

(١) يريد غطاءها .

(٢) ينصدع : ينشق .

! وهو تأليف تلك الحروف قولاً ثم كلاماً ، فإنه قال وتكلم .

قال له قائل : ما هذا ؟

قال : القول وهو ترجيع الصوت ، فذلك الترجيع هو القول مأخوذاً من الإقالة والقيولة ؛ والكلام هو سلطان تكلم القلب ؛ أي يؤثر عليه ، ولذلك سميت الجراحة كلماً ، لأنه لا بد مؤثر فيها (١) .

مثل التالي كتاب الله من غير تفهم

ومثل التالي كتاب الله من غير تفهم ولا تدبير كمثل رجل جمع الحلبي من أناس عارية ، وفيها جواهر نفيسة مثممة (٢) ، فجعلها في صرة ثم علقها في عنقه كهيئة جرس البعير ؛ فذلك الصوت من الجرس كائن ، والجرس مثنى عظيم الثمن بجوهره ، فماذا له من تلك الجواهر ؟ وماذا له من ذلك الضوء إلا الإخبار بأنني على الطريق .

مثل من يربي القرآن

ومثل من يربي القرآن كمثل رجل آوى يتيماً إلى منزله وكفله وكساه وأطعمه وسقاه ، ونزّهه (٣) ، ونقاه ، ووقاه من من الآفات والأدناس ، وجعل حجره له (٤) حواءً فهو يغسله بيده ، وينقيه كما لولده ، ويرشفه ، ويقوم عليه في جميع أحواله ؛

(١) في ج : لأنه يؤثر منها . (٢) أتمت الشيء : بعته بثمر . وتمت الشيء تميمته

جعلت له ثمناً بالحدس والتخمين .

(٣) في ح : وترضه - تحريف . (٤) الحواء : جماعة البيوت المتدانية .

فلا يزال دأبه (١) معه ، يترنّبني هذا اليتيم في حجره إلى أن يدرك ،
فإذا أدرك فعرف تربيته فشكر له وقام له بالبنوة ، يحمي عنه في
كل مكان ، ويذب عنه ، ويدفع عنه ، ويربيه في وقت ضعفه وكبر
سنه .

وآخرام تربيته هذا اليتيم فأدخله بيته ساعة من نهار ، فأعطاه
كسرة خبز وشيئا من عنب ، ثم أخذ بيده وأقامه على قارعة
الطريق ، فإذا أدرك هذا اليتيم مدرك الرجال قلّ مايلتفت إلى هذا ،
وإنما يعرف له بقدر ما رأى من تلك الكسرات والعناقيد .
فكذا من قرأ كلام الله عز وجل في كل يوم وردًا أو جزءًا ، ثم
وضعه في ناحية من بيت ، ولم يقم بين يديه ، فالقرآن في زماننا
كاليتيم الذي ليس له مأوى ملقى على قارعة الطريق ، لا يؤبه به ،
ولا يتكفل أحد بتربيته ، فالمحسن من أهل هذا الزمان كمن أدخل
اليتيم في بيته ساعة ، فأطعمه شيئًا وسقاه ، ثم أعرض عنه وترك
كفالتة .

فالقرآن إنما يلج صدورًا طاهرة زكية ، فإذا لم يجد تلك الصدور
فهو كاليتيم الذي لا يجد كفيلاً ولا مأوى . وقد قال جلّ ذكره (٢) :
(يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون

(١) دأبه : شأنه .

(٢) سورة المائدة ، آية ١٥

من الكتاب ويعفو عن كثير . قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين .

قال : كتاب مبين من الله الحروف المؤلفة التي تضمنت المعاني ، والنور كسوة تلك الحروف أهداها رب العزة إلى هذه الأمة ، قد تضمنها الوحي حتى أوصلها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتلقاها الأذهان والعقول ، وأخذتها منه ؛ قال جل ذكره (١) : (وإنه لتذكرة للمتقين) . فالتذكرة كدفتر حساب ؛ [يرجع إليه] (٢) في كل يوم وساعة ؛ إذا أصبح ينظر فيه فيدبر أمره من التذكرة مما أحكمه وردّه إلى الديوان الأكبر الذي فيه جملة حساب تجارته ، فالمتقى ينظر فيه كل يوم يتدبر أمره فيه ومنه ، ويقابل أموره مما أمر الله فيه ، ويسويه ويتلافى ماضياً منه وما قصر فيه ؛ ثم يؤديه إلى ديوان الله عز وجل ، وهو اللوح المحفوظ .

ثم قال (٣) : (وإنه لحسرة على الكافرين) .

فإذا رأى الكافر ما يصنع القرآن بأهله من الثناء عليهم بين يدي الله عز وجل ، ونظر إلى كرامة الله على أهل القرآن صار ذلك كله حسرة عليه ، وتقطع قلبه حسرات .

(١) سورة الحاقة ، آية ٤٨ .

(٢) مكانها بياض في ب ، ج ، ومطموس في ا .

(٣) سورة الحاقة ، آية ٥٠ .

ثم قال ^(١): (وإنه لحقُّ اليقين) ؛ أي هذا القرآن من حق اليقين ؛
أي كما أعطيتكم من نور المعرفة ، فاستقرت قلوبكم ، وأيقنت
بربوبيتي وبوحدانيتي فاطمأنت نفوسكم بي ، وآمنت ، كان من
حق ذلك اليقين علينا أن أنزل كلامي إليكم لتسكن به تلك الصدور
التي استقر اليقين في تلك القلوب فيها ، ويجاوزه بأحسن المجاورة ،
فهذا حقه ، [ويساكنه في مستقره ، فاليقين في القلوب ، وكلامي في
الصدور ، وهو ساحة اليقين ؛ فذلك حق اليقين .

مثل من يقرأ القرآن من غير تدبر

ومثل من يقرأه من غير تدبر كجرسٍ على بعير ، فالسائق للجمال
تسير من أمامه ^(٢) بصوت ذلك الجرس لثقلتها ، ليس عندهم
إلا ذلك الصوت في أسماعهم .

مثل التالى لكتاب الله

ومثل التالى لكتاب الله تعالى مثل رجلٍ طاهرٍ طيب ، له محبوب
له حنين إليه أخذ حبه قأيه ، وهو به مشغوف ، يمضغ شيئاً في
فمه ، فإذا وجد ذلك الشيء في فمه كيف يلتذ به ؟ وكيف يجد
حلاوته في حلقه وصدرة ، فلا يمل من مضغه وازدراد ^(٣) ريقه

(١) سورة الحاقة، آية ٥١

(٢) في ب : فالسائق . . من أمامها .

(٣) زرد اللقمة وازدرده : بلعها .

بذلك الشيء ، فكذا التالى لكتاب الله تعالى إذا فُكِّرَ أَنَّ هذا كلامٌ
تكلَّم به ربُّ العالمين ، وأنزله ، ومكَّن له فى صَدْرِي (١) حتى تردَّد
واستقر ؛ وأقدرني على استخراجِه من صَدْرِي حتى اختلج به لسانى ،
مُسْتَعِينًا بِالْحَنَكِ وَالْأَسْنَانَ وَالشَّفَتَيْنِ ، فتردَّدَ كَلِمُهُ الْمُنزَلُ الَّذِي
تكلَّم به ، وأنزله فيما بين صدرى وشفتى ، وقرت عينه بهذه
الفكرة والتدبير ، وابتدأ بتردها فى فمه ولسانه وحلقه وشفتيه ،
هذا من قبل أن يشتغل بلطائفه ومعانيه ، قال الله عز وجل (٢) : (إِنَّهُ
لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ) ، وقال (٣) : (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ) . وقال : (وإنه لكتابٌ
عَزِيزٌ) (٤) وَمُهَيْمِنٌ (٥) ؛ فوصف كَلَامَهُ بِالكَرَمِ وَالْمَجْدِ وَالْعِزِّ وَالْهِمْمَةِ .
فَأَمَّا كَرَمُهُ فَمِنْ سَهولته الممزوجة باللطف والتقريب والتعليل .
وَأَمَّا مَجَادَتُهُ ففى الأَمْرِ والنهى . وَأَمَّا عِزُّهُ ففى شَرَفِ الألفاظ . وَأَمَّا
هِمْمَتُهُ ففى نَفْيِ الأَشْبَاهِ وَنَزَاهَةِ القلوب .
التَّمثِيلُ وَالتَّشْبِيهُ

فَإِنْ نَفَرَ نَافِرٌ مِنْ هَذَا فَقَالَ : أَلَيْسَ هَذَا تَشْبِيهُ ؟ قِيلَ لَهُ :
هَذَا تَمثِيلٌ ، وَلَيْسَ بِتَشْبِيهِ . قَالَ : وَالتَّمثِيلُ أَنْ تَصِفَ شَيْئًا غَابَ
عَنكَ فَتَمَثَّلَ لَهُ فى الشَّاهِدِ لِيَقِفَ عَلَى مَا يُؤَدِّى مَعْنَى الغَائِبِ .

(١) هذا فى الأصول . (٢) سورة الواقعة ، آية ٧٧

(٣) سورة البروج ، آية ٢١

(٤) فى قوله تعالى فى سورة فصلت ، آية ٤١ : وإنه لكتاب عزيز :

(٥) فى قوله تعالى : وأترلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب

ومهيمننا عليه (سورة المائدة ، آية ٤٨) .

قال : مثل ماذا ؟ قال : جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : لما كلم الله تعالى موسى عليه السلام يوم الطور ، ورجع إلى بني إسرائيل رأوا على وجهه من النور والبهاء ما لم يروه قبل ذلك ؛ فقام إليه اثنا عشر سبطاً^(١) ، فقالوا^(٢) : يا موسى ، إنك سمعت كلام ربك فصفه لنا . فقال : سبحان الله ! إنه لا يوصف - قالوا ثلاث مرات . قالوا : فشبهه لنا . فقال : سبحان الله ! إنه لا يشبه شيئاً - ثلاث مرات . قالوا : يا موسى ، فبين لنا منه شيئاً نفهم . قال : سمعت كلام ربي لا ريبه فيه ولا شبهة كأشد رعد خلقه الله في أشد صواعق خلقها الله في أحلى حلاوة منطلق ، ما خطر على قلب بشر قط . فقلت : يارب ، أهكذا كلامك ؟ قال : لا ، يا موسى ، إنما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان ، ولى قوة الألسن^(٣) كلها ، ولو كلمتك بكنهه^(٤) كلامي لم تك شيئاً .

روى عن الحويرث أنه قال : كلم الله موسى عليه السلام بقدر ما أطاق ، ولو كلمه بغير ذلك لم يطق ؛ فليس هذا بتشبيه ؛ فقد

(١) السبط : القبيلة من اليهود ، وجمعه أسباط (القاموس) .

(٢) تفسير ابن كثير : ٤٢٧

(٣) في ابن كثير : الألسنة .

(٤) كنه : حقيقة .

عَلِمَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ عَرَفُوا اللَّهَ صِدْقًا وَيَقِينًا أَنَّ كَلَامَهُ لَا يَشْبَهُ كَلَامَ
الْمَخْلُوقِينَ ، وَلَكِنْ حَلَاوَةَ الْكَلَامِ ، وَبَرَكَةَ (١) الْكَلَامِ ، وَذَوْقَ (٢)
الْكَلَامِ ؛ وَاصِلٌ إِلَى قُلُوبِ الْمُوحِّدِينَ ، فَهَيِّجَ أَنْوَارَ الْمَعْرِفَةِ وَالتَّوْحِيدِ
مِنْ مَعْدِنِهَا (٣) ، ثُمَّ أَخْلَصَ إِلَيْهَا مِنَ الْحَلَاوَةِ وَالبَرَكَةِ وَالذَّوْقِ . وَلِكُلِّ
هَيِّجٍ مَعْمَلٍ ، وَلِكُلِّ مَعْمَلٍ ثَمَرَةٌ ، وَلِكُلِّ ثَمَرَةٍ طَعْمٌ وَلَذَّةٌ سِوَى
الْمَنْفَعَةِ ؛ وَإِنَّمَا أَسْمَعَ اللَّهُ تَعَالَى كَلِمَهُ مُوسَى صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ
لِاخْتِصَاصِهِ بِذَلِكَ ، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَلَاوَةٌ وَلَذَاذَةٌ مَانَفَعَتُهُ هَذِهِ
الْخُصُوصِيَّةُ وَطَعْمُهُ وَلَذَّتُهُ .

وَرُوي فِي الْخَبَرِ أَنَّهُ قَالَ : يَا مُوسَى ، إِنِّي مُتَوَفِّيكَ . قَالَ مُوسَى :
يَا رَبِّ ، مَنْ يَغْسِلُنِي ؟ قَالَ : بِحَسْبِكَ (٤) طَهْرِي . قَالَ : يَا رَبِّ ، مَنْ
يَبْكِي عَلَيَّ ؟ قَالَ : الْجِنُّ وَالشَّجَرُ .
أَفَلَا تَرَى أَنَّ كَلَامَهُ قَدْ طَهَّرَهُ ، وَمِنْ دُونَ هَذَا (٥) نُودِيَ عَمَلًا .

المرأة التي في لسانها بذاء :

بَلَّغْنَا أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ فِي لِسَانِهَا بَدَاءً (٦) ، فَوَافَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى

(١) فِي ب ، أ : وَرَكَّة .

(٢) فِي ح : وَذَرُو الْكَلَامَ . وَفِي اللِّسَانِ (ذَرَا) : فِي حَدِيثٍ عَلَى كَرَمِ اللَّهِ وَجْهَهُ :
يَذُورُ الرُّوَايَةَ ذَرُورًا وَهَشِيمًا ، أَيْ يَسْرُدُ الرُّوَايَةَ كَمَا تَسْفِ الرِّيحُ هَشِيمَ النَّبْتِ . فَذَرُوا الْكَلَامَ
مَعْنَاهُ سَرَدَهُ . وَفِيهِ أَيْضًا : ذُرُّو الذَّرُّو : الْخَلْقُ . وَالمُتَّبِعُ فِي أ ، ب .

(٣) المَعْدِنُ : مَعْدِنٌ كُلُّ شَيْءٍ حَيْثُ يَكُونُ أَصْلُهُ . (المصباح) .

(٤) بِحَسْبِكَ : يَكْفِيكَ .

(٥) فِي ح : يُوذَى . وَالمُتَّبِعُ فِي أ ، ب .

(٦) البَدَاءُ : الْكَلَامُ الْقَبِيحُ .

الله عليه وسلم وهو يَمْضِغُ اللَّحْمَ ، فقالت : أَطْعِمْنِي مِنْهُ يَا رَسُولَ
الله . فذاولها مِنَ الذي بين يديه ، فقالت : لا ، إِلَّا الذي فِي فَمِكَ ،
فَأَخْرَجَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ فَمِهِ وَنَاوَلَهَا ، فابتلعتهُ المرأةُ ، فذهب عنها
البَدَاءُ ، وظهرت عليها غَضَاضَةٌ (١) وَعَفَافَةٌ وَحَيَاءٌ .

فهذا مِنْ آذَمِيٍّ أَكْرَمَهُ اللهُ تَعَالَى وَطَهَّرَهُ ، فكيف بكلامٍ تَكَلَّمُ بِهِ
رَبُّ العِزَّةِ ؟ ولذلك قال (٢) : (وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ) .

وقد قال فِي شَأْنِ النَّحْلِ (٣) : (يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ
أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ) .

فَالَّذِي يَلْعَقُ العَسَلَ يُصِيبُهُ الشِّفَاءُ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ شَرَابٌ خَرَجَ مِنْ جَوْفِ
مَنْ تَدَلَّلَ لَوْحِي اللهُ ، وَسَلَكَ سَبِيلَ رَبِّهِ الذي سَبَّلَ لَهُ ، فَصَارَ بِذَلِكَ
شِفَاءً لِلبَدَنِ ، وَحِلَاوَةً فِي المَطْعَمِ ؛ فَمَا ظَنُّكَ بِكَلَامِ رَبِّ العِزَّةِ ؟
وَإِنَّمَا يَتَحَيَّرُ فِي هَذَا مَنْ كَانَ قَلْبُهُ سَكْرَانًا عَنِ اللهُ ، يَحِبُّ النَفْسَ ،
وَيَحِبُّ الشَّهَوَاتِ ؛ فَإِنَّمَا مَنْ أَفَاقَ مِنْ سُكْرِهِ ، وَحَيِيَ قَلْبُهُ بِاللَّهِ
فَانْتَبَهَ فَهُوَ وَأَجِدُ هَذَا .

وَكَمَا أَنَّ السُّكْرَانَ مِنَ الشَّرَابِ لَا يَجِدُ طَعْمَ العَسَلِ وَلِذَاذَتَهُ إِذَا

(١) الغضاضة : الذلة . وغض طرفه غضاضة : خفضة .

(٢) سورة يونس ، آية ٥٧ ، والآية : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ
رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ ، وَهَدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ .

(٣) سورة النحل ، آية ٦٩ .

لعقه . فكذا السَّكْرَانِ مِنْ حُبِّ الشَّهَوَاتِ لَا يَجِدُ طَعْمَ كَلَامِ اللَّهِ وَلَا لَذَاتَهُ ، وَلَا يَكُونُ لَهُ شِفَاءٌ لَا فِي الْفَمِ ، وَلَا فِي الْجَوْفِ ، وَلَا فِي الْقَلْبِ ؛ وَهُوَ عَبْدٌ ^(١) أَبَقٌ مُعَاقِبٌ بِإِبَاقِهِ ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ^(٢) :
(سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) .

وَكُلُّ مَنْ تَكَبَّرَ عَلَى اللَّهِ أَهَانَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَذَلَّلَهُ وَرَمَى بِهِ فِي إِكْرَامِ نَفْسِهِ ، وَطَلَبَ عِزَّهَا وَرَفَعَتِهَا ؛ فَقَدْ عُوِّقَ بِأَنَّ صَرْفَ قَلْبِهِ عَنْ آيَاتِهِ حَتَّى لَا يَفْهَمُهَا ، وَلَا يَجِدُ حِلَاوَتَهَا وَلَا لَذَاتَهَا .

مثل التالى ولا يعلم التفسير

مِثْلُ التَّالِي كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى وَلَا يَعْلَمُ تَفْسِيرَهُ كَمِثْلِ مَلِكٍ كَتَبَ إِلَى عَامِلِهِ كِتَابًا فِيهِ أَمْرٌ وَنَهْيٌ وَوَعْدٌ وَوَعِيدٌ عَلَى تَضْيِيعِ أَمْرِهِ ؛ فَاسْتَظْهَرَهُ هَذَا الْعَامِلُ ، فَقَامَ بِبَعْضِهِ فِي الْأُمُورِ الَّتِي أَوْعَدَ ^(٣) عَلَيْهَا ، وَضَيَّعَ الْبَعْضَ الَّتِي وَعَدَ عَلَيْهَا ، فَأَخَذَ هَذَا الْعَامِلُ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَقْرَأُ هَذَا الْكِتَابَ ، وَكَلَّمَا أَتَى عَلَى وَعِيدٍ ^(٤) وَتَهَوَّلَ عَلَى النَّفْسِ طَرْبٌ ^(٥) فِيهِ وَرَفَعَ صَوْتَهُ ، كَأَنَّهُ يَتَغَنَّى بِأَغَانِي السُّرُورِ ؛ وَكَلَّمَا أَتَى عَلَى طَمَعٍ وَنَوَالٍ ، وَبُشْرَى وَكِرَامَةٍ ، ذَبُلَ وَتَكَاسَلَ ؛ وَرَبَّمَا يَتَشَاءَبُ فِي

(١) أبق العبد : إذا هرب من سيده .

(٢) سورة الأعراف ، آية ١٤٦

(٣) الوعد في الخير ، والإيعاد في الشر .

(٤) التهول : إظهار ما هالك من شيء .

(٥) طرب : الإطراب : كالتطريب والتغنى .

قراءته ؛ فقرأه على تلك الهيئة كالمصروع والمجنون ؛ فإنه ^(١) في القرآن أمر ونهى ، ووعد ووعد ، وذكر أنباء القرون للطمع والتخويف . وضرب الأمثال ، وذكر الآلاء ^(٢) ، وذكر المنن واللطائف ؛ فإذا لم يعلم هذا كله ، ورَضِيَ من نفسه بالقراءة فقط ؛ فكأنه العاملُ يقرأ كل يوم كتاب الملك ، ويترك ما فيه من المعاني بمنزلة رجل يسلك طريقاً قفراً يستقبله عقاب ^(٣) يحتاج إلى قطعها ، وهو ^(٤) أثقال الصدق في أمره ونهيه ، ومرة يستقبله مفاوز وهو وعيده ، ومرة يستقبله فلاة معطشة ومجاعة ، وهي منازل قوم وصفها في تنزيله ، ومدحهم بها ، ومرة يستقبله فضاء من الأرض فيها رياض من خضر ، وهي ذكر النعم ، ومرة يستقبله في تلك الأرض بساتين ذات ورد وبيان ^(٥) وياسمين ، وهو ذكر المنن ، ومرة يهجم على أغراس ^(٦) في تلك البساتين ، وهي تلك الحظوظ التي هيأ له من آلائه ، وتلك اللطائف المذكورة ، ومرة تستقبله أرض شاكة مسبعة ^(٧) ، وهي ذكر النفوس ومكايد الشيطان .

(١) في ح : فان . (٢) الآلاء : النعم .

(٣) عقاب : جمع عقبة .

(٤) هذا في الأصول .

(٥) البيان : شجر ، ولحبه ثمره دهن طيب .

(٦) أغراس : جمع غرس : المغروس .

(٧) أرض شاكة : كثيرة الشوك . ومسبعة : كثير السباع .

فهذا القرآنُ كائنٌ فيه هذه الألوان ؛ فمن قرأ القرآنَ
ظَهَرَهُ ^(١) مرَّت عليه هذه الأشياءُ ومرَّ بها وهو عنها سَكْرانٌ أو نائمٌ .
فيطرب ويظهر السُّرور في وقت الأَحزان والانكسار ، ويرفَعُ صوته
في وقت الخَفْضِ والخُشوع ، وينشَطُ في حال الانقباض ، ويتحازن ^(٢)
في وقت السُّرور والبَهْجَةِ .

مثل من يقرأ القرآن بالحن

فمثل ذلك مثل ملكٍ أمر المَنادِي أن ينادي في الرعيَّة بوعيد
مائلي يكادُ أن تَشيبَ منه الرُّمُوسُ ، فنادى بنداٍ طَرَّبَ فيه وتغنى ،
وجاءَ بالأحانِ السُّرور ، أفليس يَمُتُّهُ الملكُ على ذلك ويَغِيظُهُ .

ولو أنَّ رجلاً تلا هذه الآية ^(٣) : (واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى
الله) . أو تلا هذه الآية ^(٤) : (فوربك لنسألنهم أجمعين) أو تلا :
^(٥) إذ الأغلالُ في أعناقهم والسلاسلُ يسحبون . في الحميمِ ثم في النارِ
يسجرون) ، ثم قال في آخر ذلك ^(٦) : (ذلكم بما كنتم تفرحون في
الأرض بغير الحقِّ وبما كنتم تَمْرَحون) . فهو يرى نفسه في

(١) لظهره : يريد غير متفهم له . وفي الحديث : ما نزل من القرآن آية إلا لها

ظهر وبطن (تاج العروس - طلع) .

(٢) يتحازن : يظهر الحزن .

(٣) سورة البقرة ، آية ٢٨١

(٤) سورة الحجر ، آية ٩٢ .

(٥) سورة غافر ، آية ٧١ ، ٧٢ . يسجرون : يحرقون .

(٦) سورة غافر ، آية ٧٥

الفرح والمرح إلى قرنيه وقدمه ؛ فرجع بقراءة هذه الآيات وطرب ،
وجاء بالأحان السرور .

ثم قرأ (١) : (وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً) .
(يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ؛ يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم
بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو
الفوز العظيم) ؛ فأخذ يتحازن ، ويخفص في صوته وترجيعة ،
ويئن فيها ، ويخرج صوته (٢) أصوات الشكالي ، وإذا قرأ قوله
تعالى (٤) : (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية) ، يغنى في صوته
ولحنه ، وأرسل كل صوت كالمتنشط المسرور .

وإذا قرأ صفة الجود (٥) : « هل جزاء الإحسان إلا الإحسان »
تمثل في تلاوته كهيئة أهل المصائب ، وذبل وانكسر .
فلو أن عبداً من عبيد أهل الدنيا بشره مولاه (٦) بشيء أو أملاه
نوالاً (٧) ، أو أطمعه في بشري انقبض وعبس وجهه ، أو إذا
أوعده أو وبخه في شيء انبسط وضحك في وجهه - لمقته (٨) ؛ ولو أن

(١) سورة الأحزاب ، آية ٤٧

(٢) سورة الحديد ، آية ١٢

(٣) مكانها بياض في ب ، أي ويخرج صوته كأصوات الشكالي .

(٤) سورة الحاقة ، آية ١٨ .

(٥) سورة الرحمن آية ٦٠ .

(٦) المولى هنا السيد .

(٨) مقته : أبغضه أشد البغض .

(٧) النوال : العطاء .

أرجلا قال في مَوْلَاهُ سُوءًا فلفظ به العَبْدُ على الجَهْر والتصريح لِمَقْتِهِ ؛
فإذا تَلَا التَّالِيَّ تلكَ المقالاتِ التي حَكَى اللهُ تعالى عن أعدائه مِنْ
الْفِرَاعِنَةِ جَهْرًا وَطَرَّبَ بِهَا خِيفَ عَلَيْهِ المَقْتُ .

قراءة السلف :

وروى عن إبراهيم النخعي رحمه الله أنه كان إذا مرّ بقوله (١) :
(وقالوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا) - خَفَضَ صَوْتَهُ .

وروى عن بعض التابعين أنه قرأ سورة الفرقان أربعين ليلة ،
فكان كلَّ ليلة إذا بلغ إلى قوله (٢) : (قالوا وما الرَّحْمَنُ) - سَقَطَ
مَغْشِيًّا عَلَيْهِ ، فتعاهدوا ذلك أربعين ليلة - كلما بلغ هذه الآية
سَقَطَ ، ولم يقدر أن يجاوزها .

فهكذا صفة المُنْتَبِه لما يَتَلَو ؛ فمن اتبع لتلاوته وقراءته
لِبَطْنِهِ (٣) ؛ فإذا أتى على مثل هذه الآية انقطع صوته ، وتراجع في
حلقه ، وإذا أتى على العِقَاب أعينا ، وإذا قطع المَفَاوِز عطش
ونصب (٤) ، وإذا قطع البساتين والرياض طرب ، وإذا طعم
الأغراس سكر ؛ لأنَّ الأشربة الصّافية الصّرفة كائنة في الأغراس ؛

(١) سورة البقرة ، آية ١١٦

(٢) سورة الفرقان ، آية ٦٠ ، والآية : وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا :

وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا .

(٣) هذا بالأصول . لبطنه : يريد مفكرا في معانيه ، انظرها مش رقم ١ صفحة ٦٨ .

(٤) النصب : أشد التعب .

فذلك وقتُ الوله^(١) إلى الله تعالى ، وَلَهَتْ قُلُوبُهُمْ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ سِوَاهُ ،
وَإِذَا أَتَى عَلَى أَرْضٍ شَاكَةً^(٢) أَنَّ وَضَاقَ عَلَيْهِ الطَّرِيقُ ، وَإِذَا أَتَى عَلَى
أَرْضٍ مَسْبُوعَةٍ^(٣) أَرْعَدَ خَوْفًا ، وَإِذَا أَتَى عَلَى بَلَاءِ الْعَدُوِّ تَحِيرًا وَاسْتِغَاثَ
وَصَرَخَ إِلَى رَبِّهِ ؛ فَهَذِهِ أَحْوَالُ كَائِنَةٍ فِي قُلُوبِ الْمُنْتَبِهِينَ الَّذِينَ
قَرَأُوا الْقُرْآنَ لِبَاطِنِهِ ، فَتَحَوَّلَتْ قُلُوبُهُمْ عَلَى تَحْوِيلِ مَعَانِي مَا يَتْلُونَ ؛
وَرَبَّمَا هَالَهُمْ فِي تِلْكَ الْفَلَاةِ لَا يَحْطُونَ فِي تِلْكَ الْمَوَاضِعِ أَثْقَالَهُمْ ؛ فَإِذَا
نَزَلُوا اسْتَرَاخُوا ؛ وَذَلِكَ لَطْفٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى يَلْطَفُ بِهِ عَبْدُهُ لَمَّا يَرَى
مِمَّا حَلَّ بِقَلْبِهِ مِنَ النَّصَبِ وَالتَّعَبِ فِي قَطْعِ هَذَا الطَّرِيقِ عَلَى مَا وَصَفْنَا ،
فَفَتَحَ لَهُ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْآيَاتِ ، وَيُشْرِقُ عَلَى قَلْبِهِ مِنْ نُورِهِ فَيُرَدُّ
تِلْكَ الْآيَاتِ ، فَرَبَّمَا بَقِيَ فِي تِلْكَ الْآيَاتِ سَاعَاتٍ لَمَّا يَتَرَاغَى لَهَا فِيهَا ؛
فَذَاكَ مُسْتَرَاخٌ^(٤) قَلْبِهِ ، وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَحْطُ رَحْلُهُ ، وَيَحُلُّ بِفَنَائِهِ
حَتَّى يَقْوَى .

فِي التَّوْرَةِ :

وَرُوي عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ رَحِمَهُ اللَّهُ ؛ قَالَ : قَرَأْتُ فِي التَّوْرَةِ :
لَا تَعْجِزَنَّ أَنْ تَقُومَ فِي صَلَاتِكَ بَيْنَ يَدَيَّ بَاكِيًا ، فَإِنِّي أَنَا اللَّهُ الَّذِي
اقْتَرَبْتُ لِقَلْبِكَ ، وَبِالْغَيْبِ رَأَيْتَ نُورِي ؛ فَهَذِهِ خَانَاتٌ وَمَنَازِلُ

(١) الوله : أشد الحب .

(٢) شاكة : كثيرة الشوك .

(٣) أرض مسبعة : كثيرة السباع .

(٤) مستراح : راحة .

أولئك القوم تهيأ لهم نزلاً^(١) من النور حتى تتراعى لهم معاني تلك
الآيات وبواطنها ، فيتلذذون بها ، ويستريحون من التعب الذي لحقهم
لما تلووا قبل ذلك ؛ وإنما^(٢) مروا بتلك الآيات بعد ذلك مرة
أخرى فلم يصبهم تعب ولا نصب كما كان قبل ذلك ، فطمعوا
في حط الرحال لما كانوا وجدوه قبل ذلك ، فداروا عليها ، ورددوها
يريدون حط الرحال من غير إعياء^(٣) ، واستراحة من غير نصب ،
يطمعون في إشراق ذلك النور تلذذاً بفناء الملك الكريم ، فيجدون
تلك الخانات لم تهيأ لهم نزلاً ، إنما هي أوارى^(٤) خالية ، وبيوت
صفراء^(٥) ، فيرتحلون ويمضون . وإذا هيئ النزول فقد وجدوا
ما طلبوا ، فإذا رددوها تراعى للقلب شعاع ذلك ، فالتهب النور ،
وتصورت تلك المعاني المندرجة فيه على قلبه ، فصار طرباً في سمعه ،
فأعلمه وأبكاها .

فإذا لم يعلم هذا كله ، ورضى من نفسه بالقراءة فقط فكان كعامل
يقرأ كل يوم كتاب الملك ويترك ما فيه من المعاني .

وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : ما أنزل الله

(١) النزول : المنزل ، وماهي للضيف أن ينزل فيه .

(٢) في هامش ب : لعله ربما .

(٣) الإعياء : الكلال ، والعجز .

(٤) الأوارى : الأرى معلف الدابة ، أو محبس الدابة ، جمعه أوارى (تاج العروس)

(٥) صفراء : خالية .

تعالى كتاباً إلا أحبُّ أن يعلم تفسيره ؛ فمن قرأ القرآن ولم يعلم تفسيره فهو أُمِّيٌّ .

وقال سعيد بن جبير رحمه الله : مثلٌ من قرأ القرآن ولم يعلم تفسيره كمثلي رجلٍ جاءه كتاب من أعز الناس إليه ، يفرح به ويطلب من يقرؤه عليه ، فلم يجد وهو أُمِّيٌّ ؛ ففرح بالكتاب ولا يدري ما فيه فهكذا مثلٌ من يقرأ القرآن ولا يعلم تفسيره وما فيه .

مثل صاحب الأخلاق

ومثل صاحب الأخلاق مثل [٥٣] ملك له خزانةٌ وقواد ومملكة ، فإن كانت الخزانة قليلةً كنوزها ، وكورتته^(١) صغيرة ضاق به هؤلاء القواد ؛ وقال بعضهم لبعض : هذا ملك له اسم الخزانة والكنوز ، وليس لكنوزه مادةٌ يجري علينا ويغنيننا حتى نتخذ عدةً للعدو الذي هو بمرصد منا ومن ملكنا هذا ، وليست له مملكةٌ فسيحةٌ نتشرف فيها ، فيأخذ كل قائدٍ منا ناحيةً من المملكة ، فيتملك على أهل ناحيته ؛ وقوة الملوك في الخزانة الجمَّة^(٢) ، وبالكنوز والجواهر والقواد ، وحسن التدبير في هذين ، فيدبر أمره وأمورنا بحسن ما عنده من الكياسة^(٣) ، فيدبر علينا كنوزه وقتاً وقتاً ، وشهراً

(١) الكورة : المدينة والصفع .

(٢) الحممة : الكثرة .

(٣) الكياسة : خلاف الحمق ، والعقل .

شهرًا ، ويعدُّ جواهره للنوائبِ العظام ، فلا نرى هاهنا عدة ولا فسحة ؛
 فتعالوا ننتقل عن هذا إلى ملكٍ لمملكته فسحة ومنتشر ، نتسع
 في نواحيها ، ونعملُ للقيادة ؛ فيعود الجندُ إلى ملكٍ له كنوزٌ جمَّة ،
 ولكنوزه مادةٌ من غلاتِ المملكة ، فله كنوزٌ وأمصارٌ ^(١) وقرى
 وبرٌ وبحرٌ ، كملكِ الهندِ والرُّومِ والعربِ ؛ ما نصنعُ بهذا الضعيفِ
 العاجزِ ؟ يطلبون ملكًا بتلك الصفة ، ولا يشبتون مع هذا ؛ فالملكُ
 هو القلبُ ، وخزانتة في جوفِ القلبِ ، فيه كنوزُ المعرفة ، وجواهرُ
 العلمِ بالله ، والعقلُ وزيرُهُ ، والصِّدْرُ فسحته ، وساحته ومملكته ؛
 والأخلاقُ قوادهُ ، والأركانُ رعيته ؛ وهى الجواهرُ السبع ؛ فهؤلاءِ
 القوادُّ قد أحدقوا ^(٢) بالقلبِ فى هذا الصِّدْرِ ، وأطافوا ببابِ
 القلبِ بين عيني الفؤادِ ؛ فإنَّ الفؤادَ هو ما ظهر من القلبِ ، والقلبُ
 ما بطن . والقلبُ بعُضٌ فى بعضٍ ، والعينُ على الفؤادِ ؛ وذلك
 قوله تعالى ^(٣) : (ما كذبَ الفؤادُ ما رأى ^(٤)) . وقول رسول الله

(١) الأمصار : جمع مصر . والمصر : كل كورة يقسم فيها النى والصدقات :

(٢) أحدقوا : أحاطوا .

(٣) سورة النجم ، آية ١١ .

(٤) أى لم يكذب قلب محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ، وذلك أن الله تعالى

جعل بصره فى فؤاده حتى رأى ربه تعالى ، وجعل الله تلك رؤية (القرطبي : ١٧-٩٢) .

وقال الزمخشري فى الكشاف (٢ - ٤١٦) : ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم

مارآه يبصره من صورة جبريل عليه السلام ؛ أى ما قال فؤاده لما رآه : لم أعرفك ،

ولو قال ذلك لكان كاذبا ؛ لأنه عرفه ؛ يعنى أنه رآه بعينه ، وعرفه بقلبه ، ولم

يشك فى أن مارآه حق .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ أَلَيْنُ قُلُوبًا ، وَأَرْقُ أَفْعَدَةً (١) .
فوصف القلب باللين ، والفؤاد بالرقّة .

فالأخلاقُ في الصّدرِ قوَادِ الملكِ ، قِيَامُ بَيْنَ عَيْنِي الفؤَادِ ، والعقلُ
شُعَاعُهُ : يُشْرِقُ بَيْنَ عَيْنِي الفؤَادِ ، وَيَدْبِرُ أَمْرَ القَلْبِ . والنفْسُ في
الجوفِ رَابِضَةٌ (٢) في مكانٍ مَظَانُّهَا ، والهوى بِيَابِ النَّفْسِ يَتَلَهَّبُ
وَيَتَلَطَّى (٣) بَيْنَ يَدَيِ بَصِيرَةِ النَّفْسِ ، فإِذَا خَطَرَتِ الخَاطِرَةَ في الصّدرِ
بَيْنَ عَيْنِي الفؤَادِ نَظَرَ العَقْلُ ؛ فَإِنْ رَأَاهَا حَسَنَةً وَأَمْرًا رَشِيدًا قَدَّرَ
وَدَبَّرَ مَاذَا يُرَادُ ؟ وَكَمْ يُرَادُ ؟ وَمَتَى يُرَادُ ؟ وَإِلَى مَتَى يُرَادُ ؟ وَإِنْ رَأَاهَا
سَيِّئَةً وَغِيًّا (٤) نَفَاهَا (٥) عَنِ الصّدرِ ؛ ففِي هَذَا الوَقْتِ لِلنَّفْسِ مَنَازِعَةٌ
مَعَ القَلْبِ وَلِلْهَوَى مَعَ العَقْلِ .

فِي هَذِهِ الخَاطِرَةَ النَّفْسُ تَشْتَهِي ، وَالهوى يَزْعَجُ (٦) النَّفْسَ
وَيَشْجِعُهَا ، وَالعدُو يَزِينُ بِمَنَى وَيَعْرِى ؛ فَإِذَا جَاءَ مَدَدُ الأَخْلَاقِ
بَطَلَتْ زِينَةُ العَدُوِّ وَأَمَانِيهِ ، وَانْكَشَفَ غُرُورُهُ ، وَارْتَدَّ الهَوَى
قَهْقَرَى إِلَى مَعْدِنِ مَهْنَتِهِ ، وَجَاءَ مَدَدُ الكِنُوزِ : كِنُوزِ المَعْرِفَةِ ، وَمَدَدُ
الْمَلِكِ يَدَهُ إِلَى جَوْهَرِ الخِزَانَةِ فَانْمَحَقَتْ (٧) الخَاطِرَةَ وَأَسْبَابُهَا ،

(١) صحيح مسلم : ٧٢ ، وفي النهاية : أرق قلوبا ، أي ألين وأقبل للموعظة ،
والمراد بالرقّة ضد القسوة .

(٢) ربضت الشاة : كبركت في الإبل ، يريد ساكنة مستقرة .

(٣) يتلظى : يتهب . (٤) الغى : ضد الرشيد . (٥) نفاها : أبعدها .

(٦) زعجه : أقلقه وقلعه من مكانه كأزعجه .

(٧) محقه : أبطله ومحاه .

وَمُعْتَمَلَهَا ، وَجَنُودُهَا . وَطَلِيعَةُ الْخَاطِرَةِ النَّفْسُ الْعَدُوُّ إِذَا كَانَتْ خَاطِرَةً
غَيِّ ، وَإِنْ كَانَ رَشْدًا كَانَتْ طَلِيعَتُهُ الْخَاطِرَةُ الْحَقُّ ، فَعَزَّ هَذَا الْمَلِكُ
وَمَنْعَتُهُ ^(١) وَقِيَامُهُ ^(٢) مَمْلَكَتُهُ بِهَذِهِ الْكِنُوزِ وَالْقِيَادِ ، وَكَذَلِكَ عِزُّ
الْقَلْبِ ، وَمَنْعَتُهُ بِكِنُوزِ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ تَعَالَى ، وَجَوَاهِرِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ تَعَالَى ،
وَبِهَذِهِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي أَحْدَقَتْ ^(٣) بِالْقَلْبِ بَيْنَ عَيْنِي الْقِيَادِ .

أصول الأخلاق :

فَالْأَخْلَاقُ أُصُولُهَا فِي الطَّبَعِ ، وَمَادَّتُهَا مِنَ الْمَعْرِفَةِ وَالْعِلْمِ بِاللَّهِ تَعَالَى ،
وَمُعْتَمَلُهَا فِي الصُّدْرِ .

فَالْمُوحِدُونَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ ، وَالْكَفَّارُ أَخْلَاقُهُمْ أُصُولُهَا فِي الطَّبَعِ ،
وَمُعْتَمَلُهَا فِي الصُّدْرِ ، وَمَادَّتُهَا فِي الْفَرَحِ بِمَدْحِ النَّاسِ ، وَطَلَبِ
الْعُلُوِّ وَالشَّرَفِ وَالذِّكْرِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٤) : (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ الَّتِي
نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فِسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ^(٥))
فَالْمُؤْمِنُونَ تَخَلَّقُوا بِخَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَتَوَاضَعُوا بِهِ لِلَّهِ تَعَالَى ،

(١) في منعة : أي معه من يمنعه من عشيرته .

(٢) قوام الأمر : نظامه وعماده وملاكه .

(٣) أحدقت : أحاطت .

(٤) سورة القصص ، آية ٨٣

(٥) الدار الآخرة : الجنة . علوا في الأرض : رفعة وتكبرا على الإيمان والمؤمنين .

ولافسادا : عملا بالمعاصي .

وَأَرَادُوا ^(١) بِهِ وَجْهَ اللَّهِ ، وَتَقَرَّبُوا بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَتَحَبَّبُوا بِهِ إِلَى اللَّهِ .

وَالْكَفَّارُ تَخَلَّقُوا بِذَلِكَ الْخَلْقِ ، فَتَكَبَّرُوا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، فَجَاوَزُوا بِهَا الْحُدُودَ ، وَلَمْ يَضَعُوهَا وَأَضَاعَهَا بِحَقِّهِ ، وَتَقَرَّبُوا إِلَى الْخَلْقِ ، وَتَحَبَّبُوا بِهِ إِلَى أَهْلِ الْعَلَائِقِ ، وَتَصَنَّعُوا ^(٢) بِهِ ، وَاتَّخَذُوا جَاهًا .

وَالْأَخْلَاقُ لَهَا سُلْطَانٌ ، فَإِذَا وَجَدَ الْخَلْقُ تَفْسُحًا سَاحَ فِي فُسْحَتِهِ ، فَجَاوَزَ الْحُدُودَ فِي أُمُورِهِ ، فَصَارَ مُسْرِفًا مُضَيِّعًا لِلْحَقِّ ، وَقَدْ اسْتَمَرَّ بِهِ الْهَوَى وَالنَّفْسُ .

وَالْمُؤْمِنُ يَتَخَلَّقُ بِذَلِكَ الْخَلْقِ ، فَإِذَا تَفَسَّحَ الْخَلْقُ عَقْلَهُ ^(٣) الْعَقْلُ عَنِ الْمَجَاوِزَةِ ، وَمَنْعَهُ عَنِ التَّعَدَّى ، وَهَذَا سُمِّيَ عَقْلًا ؛ لِأَنَّهُ عَقْلُهُ عَنِ الْجَهْلِ ، وَرَدَّهُ إِلَى الْعِلْمِ الَّذِي عَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ؛ وَكَانَ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمَ بِذَلِكَ الْأَمْرِ ، كَمْ يُرَادُ ؟ وَإِلَى مَتَى يُرَادُ ؟ وَبِأَيِّ مَقْدَارٍ ؟ وَإِلَى مَتَى ؟ فَوَكَّلَ بِهِ الْعَقْلُ حَتَّى يَهْدِيَهُ لِذَلِكَ .

أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، حَيْثُ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَمْ تُنْفِقُ مِنْ هَذَا الْمَالِ الَّذِي حَثَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى انْفِاقِهِ ،

(١) فِي ج : فَأَرَادُوا .

(٢) فِي ب : وَتَضَيَّعُوا . وَالمَثْبُتُ فِي أ ، ج .

(٣) عَقْلُهُ : مَنْعُهُ .

وعَظَّمَ فِيهِ الثَّوَابَ ؟ فَنَزَلَتْ ^(١) قَهْرًا اللهُ تَعَرَّ : (يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوُ) .

والعَفْوُ : هُوَ الْفَضْلُ ؛ أَي مَا فَضِلَ مِنْ نَفْسِكَ وَعِيَالِكَ الَّذِينَ تَعُولُهُمْ .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اِبْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ ^(٣) ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنَى ^(٤) .

وَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عِنْدِي دِينَارٌ ، مَا أَصْنَعُ بِهِ ؟ قَالَ : أَنْفِقْهُ عَلَى نَفْسِكَ . قَالَ : عِنْدِي آخَرٌ . قَالَ : أَنْفِقْهُ عَلَى عِيَالِكَ وَوَالِدَتِكَ . قَالَ : عِنْدِي آخَرٌ . قَالَ : أَنْفِقْهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى ؛ وَذَلِكَ أَدْنَاهُنَّ .

فَمَنْ تَخَلَّقَ بِالسَّخَاوَةِ ^(٥) ، فَاسْتَمَرَّ بِهِ طَبَعُهُ ، وَأَعْلَنَتْهُ ^(٦) نَفْسُهُ ، وَمَلَكَ بِهِ هَوَاهُ ، وَزَيَّنَ لَهُ عَدُوَّهُ ، وَذَهَبَ فَاَنْفَقَ عَلَى آبَا عَدِهِ ،

(١) هَكَذَا فِي الْأَصُولِ .

(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، آيَةُ ٢١٩ .

(٣) تَعُولُ : تَلْزِمُكَ نَفَقَتَهُ مِنْ عِيَالِكَ . مَنْ عَالَ الرَّجُلَ عِيَالَهُ يَعْوَلُهُمْ إِذَا قَامَ بِمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ قُوَّةٍ وَكِسْفَةٍ وَغَيْرِ هُمَا . يَرِيدُ اِبْدَاءَهُمْ وِلَاءً فَإِنْ فَضِلَ شَيْءٌ فَلْيَكُنْ لِلْأَجَانِبِ .

(٤) عَنْ ظَهْرِ غِنَى : مَا كَانَ عَفْوًا قَدْ فَضِلَ عَنْ غِنَى .

وَقِيلَ : أَرَادَ مَا فَضِلَ عَنِ الْعِيَالِ وَالظَّهْرُ قَدْ بَرَزَ فِي مِثْلِ هَذَا إِشْبَاعًا لِلْكَلَامِ وَتَمَكِينًا ، كَأَنَّ صَدَقَتَهُ مُسْتَنَدَةٌ إِلَى ظَهْرِ قُوَى مِنَ الْمَالِ (الْهَيْبَةِ) .

(٥) السَّخَاوَةُ : السَّخَاءُ وَالْكَرَمُ .

(٦) فِي ج : وَأَعَانَتْهُ .

وترك أقاربه ، وعال^(١) مَنْ لَمْ تَلْزِمَهُ عِيَالُهُ ، وَضَيَّعَ عِيَالَهُ ؛ فَهَذَا
فِعْلٌ مَنْ أَرَادَ بِذَلِكَ الْخُلُقِ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ ، وَتَصَنُّعًا عِنْدَ الْخَلْقِ .
فَالْعَقْلُ يَكْشِفُ عَنْ هَذَا الْغَيْبِ ، وَمَا هُوَ أَدَقُّ مِنْ هَذَا .

الأسخياء والأجواد :

رَوَى سُلَيْمَانُ بْنُ الْحَارِثِ الْبَصْرِيُّ ، عَنْ أَبِي هِلَالِ الرَّاسِبِيِّ ،
عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ ، قَالَ : تَفَاخَرَ رَجُلَانِ : رَجُلٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ،
وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ ، فَقَالَ هَذَا : قَوْمِي أَسْخَى مِنْ قَوْمِكَ . وَقَالَ
ذَلِكَ : بَلْ قَوْمِي أَسْخَى مِنْ قَوْمِكَ . فَقَالَ : سَلْ فِي قَوْمِكَ ، وَأَسْأَلُ فِي قَوْمِي ؛
فَافْتَرَقَا عَلَى ذَلِكَ ؛ فَسَأَلَ الْأُمَوِيُّ عَشْرَةَ مِنْ قَوْمِهِ ، فَأَعْطَاهُ عَشْرَةَ
آلَافٍ ، وَجَاءَ الْهَاشِمِيُّ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فَسَأَلَهُ
فَأَعْطَاهُ مِائَةَ أَلْفٍ ، ثُمَّ أَتَى الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَسَأَلَهُ ،
فَقَالَ : هَلْ أَتَيْتَ أَحَدًا قَبْلِي ؟ قَالَ : نَعَمْ ، عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمَا [٥٤] ، وَأَعْطَانِي مِائَةَ أَلْفٍ ، فَأَعْطَاهُ الْحَسَنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِائَةَ
أَلْفٍ وَثَلَاثِينَ أَلْفًا ؛ ثُمَّ أَتَى الْحُسَيْنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ :
هَلْ أَتَيْتَ أَحَدًا قَبْلِي ؟ قَالَ : أَخَاكَ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ؛
فَأَعْطَانِي مِائَةَ أَلْفٍ وَثَلَاثِينَ أَلْفًا ، فَقَالَ : لَوْ أَتَيْتَنِي قَبْلَ أَنْ
تَأْتِيَهُ لَأَعْطَيْتُكَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ لَمْ أَكُنْ لِأَزِيدَ عَلَى سَيِّدِي ؛
فَأَعْطَاهُ مِائَةَ أَلْفٍ وَثَلَاثِينَ أَلْفًا .

(١) عاله : كفله وقام به .

فهذه سخاوةٌ مستمرةٌ في الطبع والنفس ، قد منعها العقل ،
فزين هذا العقل من الحسين بن علي رضي الله عنهم .
فالكفار كانوا يتفاخرون ، ويباهي^(١) أحدهم صاحبه
بالأخلاق وأفعاله ، ويماري^(٢) حتى يتعادوا من أجله .
مكارم الأخلاق :

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال^(٣) : لما أتانا
سبايا^(٤) طيئ تكلّمت فيه جارية جميلة نسيت^(٥) جمالها لما
رأيت من فصاحتها ، فقالت : يا محمد ، إن رأيت أن تخلي عني
ولا تشمت بي أحياء العرب ، فإني ابنة^(٦) سرّة قومي ، كان أبي
يفك العاني^(٧) ، ويحمي الدمار^(٨) ، ويقري^(٩) الضيف ،
ويشبع الجائع ، ويفرج عن المكروب^(١٠) ، ويطعم الطعام ،
ويفشي السلام ، ولم يردّ طالب حاجة قطّ ، وأنا ابنة حاتم الطائي .

(١) يباهي : يفاخر .

(٢) ماراه : جادله .

(٣) مختار الأغاني : ٣ - ٣٥٢ .

(٤) سبايا : سبي العدو سبايا : أسره فهو سبي .

(٥) في ب : سبت جمالها .

(٦) في مختار الأغاني : فإني بنت سيد قومي .

(٧) العاني : الأسير .

(٨) الدمار : ما يلزمه حفظه وحمايته .

(٩) يقري الضيف : يقدم له ما يحتاج إليه .

(١٠) المكروب : المهموم .

فقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا جَارِيَةَ ، هَذِهِ صِفَةُ الْمُؤْمِنِ حَقًّا ، لَوْ كَانَ أَبُوكَ إِسْلَامِيًّا لَتَرَحَّمْنَا عَلَيْهِ ، خَلُّوا عَنْهَا ، فَإِنَّ أَبَاهَا كَانَ يُحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ .
فَقَامَ أَبُو بَرْدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، اللهُ يُحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ ؟ فَقَالَ : يَا أَبَا بَرْدَةَ ، لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ إِلَّا بِحُسْنِ الْخُلُقِ .

حَدَّثَنَا الْجَارُودُ ، أَخْبَرَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ ، عَنِ الْمَسْعُودِيِّ ، عَنِ الْقَاسِمِ ، قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللهِ : تَجِدُ الرَّجُلَ ^(١) فِظًّا ، فَإِذَا بَحِثْتَهُ وَجَدْتَ سَرِيرَتَهُ الْإِيمَانَ ، وَتَجِدُهُ حَلْوَ الْخَلَائِقِ ، فَإِذَا بَحِثْتَهُ لَمْ تَجِدْ فِيهِ مِنَ الْإِيمَانِ شَيْئًا ، وَمَنْ شَاءَ اللهُ جَمَعَ لَهُ حَلَاوَةَ الدِّينِ وَحَلَاوَةَ الْخُلُقِ .

الْفِظَاظَةُ ضِدُّ الْكِرْمِ :

وَالْفِظَاظَةُ ^(١) : ضِدُّ الْكِرْمِ ، فَمَنْ كَانَتْ لَهُ فِظَاظَةٌ غَلِظَ قَلْبُهُ .
وَالْكَرْمُ لِينُ الْقَلْبِ وَانْقِيَادُهُ بِمَنْزِلَةِ شَجَرِ الْكِرْمِ . أَيْنَمَا قُدَّتْهُ انْقَادٌ ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ جَنَّةَ الْعِنَبِ كَرْمًا .

وَكَذَلِكَ مَارُويٌّ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عَنِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ قَالَ : لَا تَقُولُوا لِلْعِنَبِ كَرْمًا ، إِنَّمَا الْكَرْمُ

(١) رَجُلٌ فِظٌ : سَيِّئُ الْخُلُقِ .

قَلْبُ الْمُؤْمِنِ ^(١) ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَأَنَّ وَرَطَّبَ بِالرَّحْمَةِ الَّتِي حَلَّتْ بِهِ مِنْ
اللَّهِ تَعَالَى ، وَانْقَادَ لِعِبَادَتِهِ ^(٢) ؛ وَالْكَافِرُ كَزُّ ^(٣) قَابِى الْقَلْبِ ،
يَابِسُ كَالصَّخْرِ ؛ لِأَنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ لَمْ تَنْلَهُ فَيَبَسَتْهُ حَرَارَةُ النَّفْسِ
وَشَهَوَاتِهَا ، وَقَوَاهُ التَّجْبِيرُ وَالْكَبِيرُ ، فَيَبِسَ وَكَزَّ ؛ فَإِنْ كَانَ فِيهِ
بَعْضُ هَذِهِ الْأَخْلَاقِ الْمَحْمُودَةِ فَاسْتَعْمَلَهَا ، فَبِجَوْهَرِيَّتِهِ اسْتَعْمَلَ ،
لَا بِدَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى . فَيَجَاوِزُ الْحُدُودَ حَتَّى أَفْرَطَ وَضَيَّعَ ، وَشَانَ ^(٤)
مَا حَسُنَ مِنْهُ .

مَثَلٌ مِنْ يَسْبَحُ بِتَسْبِيحِ غَيْرِهِ

وَمَثَلٌ مِنْ يَسْبَحُ بِتَسْبِيحِ غَيْرِهِ مَثَلُ رَجُلٍ عَجَزَ أَنْ يَهْدِيَ إِلَى
الْمَلِكِ عَلَى قَدْرِ مُلْكِهِ وَغِنَاهُ ، فَأَهْدَى إِلَيْهِ مِنْ طَاقَتِهِ وَمَقْدَرَتِهِ ، ثُمَّ
قَالَ لَهُ : أَهْدَيْتُ هَذَا مِنْ ذَاتِ يَدِي . وَأَهْدَيْتُ إِلَيْكَ بِتَقْلِبِي هَدِيَّةً

(١) فِي الْفَائِقِ (٢ - ٤٠٧) : لَا تَسْمُوا الْعَنْبَ الْكَرِيمَ ، فَإِنَّمَا الْكَرِيمُ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ .
قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ : أَرَادَ أَنْ يَقْرُرَ وَيَشْدُدَ مَا فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : (إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ
أَتَقَاكُمْ) بِطَرِيقَةٍ أَنْيَقَةٍ وَمَسَالِكٍ لَطِيفَةٍ وَرَمَزَ خَلُوبَ : فَبَصَرَ أَنَّ هَذَا النَّوْعَ مِنْ غَيْرِ
الْأَنَاسِيِّ الْمَسْمُومِ بِالْأَسْمِ الْمَشْتَقِّ مِنَ الْكَرِيمِ أَنْتُمْ أَحْقَاءُ بَأْأَلَا تَوْهَلُوهُ لِهَذِهِ التَّسْمِيَةِ وَلَا تَطْلُقُوهَا
عَلَيْهِ ، وَلَا تَسْلُمُوهَا لَهُ ، غَيْرَةَ لِلْمُسْلِمِ التَّقِيُّ وَرَبَّأَبِهِ أَنْ يَشَارَكَ فِي مَا سَمَاهُ اللَّهُ بِهِ ، وَاخْتَصَّهُ
بِأَنْ جَعَلَهُ صِفَتَهُ ، فَضْلًا أَنْ تَسْمُوا بِالْكَرِيمِ مِنْ لَيْسَ بِمُسْلِمٍ ؛ وَتَعَرَّفُوا لَهُ بِذَلِكَ ،
وَلَيْسَ الْغَرَضُ حَقِيقَةُ النَّهْيِ عَنِ تَسْمِيَةِ الْعَنْبِ كَرِيمًا . وَلَكِنَّ الرَّمْزَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى .
(٢) بِالْأَصُولِ : لِعِبَادَتِهِ ، وَهَمَّا بِمَعْنَى .

(٣) كَزُّ : الْكَزَّازَةُ : الْيَبْسُ وَالْإِنْقِبَاضُ ، وَوَجْهُ كَزُّ : قَبِيحٌ ، وَرَجُلٌ كَزُّ

الْيَدِينِ : بِخَيْلٍ .

(٤) شَانَ : عَابَ .

مِثْلِكَ ، فَعَلِمَ الْمَلِكُ أَنَّهُ صَادِقٌ فِي مَقَالَتِهِ ، فَاحْتَسِبَهَا مِنْهُ عَلَى قَدْرِهِ ،
وَجَعَلَ ثَوَابَهُ عَلَى (١) ذَلِكَ .

فَكَذَلِكَ الْعَبْدُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى ؛ إِذَا أَثْنَى عَلَيْهِ فَإِنَّمَا
يُثْنِي بِمَبْلَغِ عِلْمِهِ ، ثُمَّ عِلْمُ الْعَبْدِ أَنَّهُ عَاجِزٌ عَمَّا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ
الثَّنَاءِ ؛ إِذْ هُوَ فَوْقَ مَا أَثْنَى ، فَيَقُولُ : لَكَ الْحَمْدُ كَمَا حَمَدْتَ نَفْسَكَ ،
وَأَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ ، وَلَكَ التَّسْبِيحُ كَمَا سَبَّحْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، وَلَكَ
الْحَمْدُ زِينَةُ عَرْشِكَ وَمِدَادُ (٢) كَلِمَاتِكَ ، وَرِضَا نَفْسِكَ ؛ فَهَذِهِ
الْمَعْجِزَةُ (٣) عَنْ بَلُوغِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ ، فَجَعَلَ مَقَالَتَهُ بِالْقَلْبِ كَتَلِكِ
الْأَشْيَاءِ الَّتِي ذُكِرَتْ ، وَلَا يَقْدِرُ بِلِسَانِهِ أَنْ يُعْبِّرَ إِلَّا بِمَبْلَغِ عِلْمِهِ ؛
فَرَبَّمَا يَقْبَلُ مِنْهُ كَهَيْئَةِ مَا أَحَالَ عَلَيْهِ مِنْ حَمْدِهِ وَثَنَائِهِ عَلَيْهِ ، وَكَمَا
أَحَبَّ وَرَضِيَ لِنَفْسِهِ ؛ وَإِنَّمَا أَمَرَ الْعَبْدَ بِالثَّنَاءِ لِعَظَمَتِهِ ، ثُمَّ يَسْأَلُ (٤)
الْحَاجَةَ ؛ فَإِذَا سَأَلَ (٤) الْحَاجَةَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُثْنِيَ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَعْظُمِ
الرَّبَّ ، وَلَمْ يُؤَدِّحْ الْعِظَمَةَ .

(١) فِي ب : مِثْل .

(٢) مِدَادُ كَلِمَاتِكَ : مِثْلُ عِدْدِهَا ، وَقِيلَ : قَدْرُ مَا يَوَازِيهَا فِي الْكَثْرَةِ عِيَارُ
كَيْلٍ أَوْ وَزْنٍ أَوْ عِدْدٍ أَوْ مَا أَشْبَهَهُ مِنْ وَجْهِ الْحَصْرِ وَالتَّقْدِيرِ .

قَالَ فِي النِّهَايَةِ : وَهَذَا تَمَثُّلٌ يَرَادُ بِهِ التَّقْرِيبُ ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ لَا يَدْخُلُ فِي الْكَيْلِ
وَالْوِزْنِ ، وَإِنَّمَا يَدْخُلُ فِي الْعِدْدِ (النِّهَايَةِ) .

(٣) الْمَعْجِزَةُ : الْعَجْزُ .

(٤) فِي ب : سَأَلَ .

ولو أَنَّ ملكاً من ملوكِ الدُّنيا رَفَعَ الحِجَابَ فيما بينك وبينه ،
وسَهَّلَ ذلكَ السَّبيلَ إلى نفسه ، ورفَعَتَ الحِجَابَ إليه لكان قد عَظَّمَ
رُتَبَتَكَ وَمَنَزِلَتَكَ ؛ فكيف بربِّ العالمين تَعَالَى ؟ أَفليس يَجِبُ عليك
من ذلك الشُّكر ، وَأَوَّلُ الشُّكر أَنَّ تُعَظِّمَهُ باللسان والقلب ، ثم من
بعد ذلك رَفَعَ الحِجَابَ .

مثل النفس مثل الكرش

مثل النفس مثل الكرش^(١) الذي فيه مُسْتَنَقَعُ البَوْلِ في
المثانة ؛ إذا دَلَكْتُهُ بالأرض حتى يرقِّ ، ثم نَفَخْتَ فيه حتى يمتلئ
من الرِّيح ، ثم أَلْقَيْتَ فيه الزَّبِقَ ، فإذا أَصَابَتْهُ حَرَارَةٌ طار ذلك
الزَّبِقُ على وَجْهِ الأَرْضِ دَبِيباً ، فإذا أَلْقَيْتَ فيه مع الزَّبِقِ رصاصة
أَمْسَكَتَهُ ؛ فكذلك الشهوات في النفس كالزَّبِقِ في تلك الجِلْدَةِ
المتلئة رِيحاً هَفَّافَةً ، فإذا ثَقَلَهَا الإِيْمَانُ على القلبِ سكنت النفسُ
عن الطيَاشَةِ^(٢) ؛ لأنَّ الإِيْمَانَ بِالرَّحْمَةِ ناله العَبْدُ ، وبرد الرحمة
يُطْفِئُ نارَ الشهوة ، وإِثْقَالَ العِظْمَةِ يَسْكُنُ طيَاشَةَ النَّفْسِ ، كثقل
الرَّصاصةِ سَكَنَ تلكَ الجِلْدَةِ وَأَلزَقَهَا بالأَرْضِ .

مثل التسبيح والثناء والقرآن مع التقوى

مثل التسبيح والثناء والقرآن مع التَّقْوَى كمثل عروس زينب
للعرض على الزوج على رءوس الجمع ؛ فمن شَأْنُهَا أَنْ تُقَلِّمَ أَظْفَارَهَا ،

(١) الكرش لدى الحف والظلف كالمعدة للانسان .

(٢) الطيش : الرق والحفة ، وذهاب العقل .

وتُنَقَّى شَعْرُهَا وَصَدْرُهَا وَعُنُقُهَا وَيَدَيَا وَقَدَمَيْهَا مِنَ الْأَوْسَاخِ وَالْأَدْرَانِ^(١)
ثم تتحلَّى بالحُلَى ، وتلبس ألوان الثياب زينة لها ؛ فإن لم تفعل
ذلك ، وتركت هذه الأظفار والدرن والأوساخ على جسدها ،
وحلَّيت بالحُلَى ، وزينت بالثياب ، كان ذلك كاللعب ، وينسب
ذلك إلى فعل الجنون والعتاهة^(٢) . فكذلك الذي يتدنس بالمعاصي ،
ويتوسخ بالبطالات ، ويتزين لربه بالثناء والتسبيح وقراءة القرآن .
الآتري إلى قول الله عز وجل^(٣) : (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ)^(٤) .
فالصادق^(٥) والحاذق^(٦) في أمره بدأ فتطهر وأنقى الدرن وأوساخ
المعاصي والفضول ، ثم تحلَّى بالحُلَى ، وتزين بالحلل^(٧) ؛ فذلك
فعل لبق^(٨) ، فهو حاذق في فعله ؛ وإنما وكل آدمي في أمر دينه
برمي الفضول ، فأمر بنفسه الشرك بقوله : لا إله إلا الله . وأمر

(١) الأدران : الأوساخ .

(٢) العته : نقص العقل من غير جنون أو دهش .

(٣) سورة المائدة ، آية ٢٧

(٤) قال ابن عطية : المراد بالتقوى هنا اتقاء الشرك بإجماع أهل السنة ، فن اتقاه

وهو موحد فأعماله التي تصدق فيها نيته مقبولة ، وأما المتقى للشرك والمعاصي فله
الدرجة العليا من القول والحثم بالرحمة (القرطبي : ٦ - ١٣٥) .

(٥) في ب : فالصادق .

(٦) الحاذق : الماهر العارف بغوامض الأشياء ودقائقها .

(٧) الحلل : جمع حلة .

(٨) رجل لبق : حاذق بعمله . واللبق : الظريف .

باجتناب المحارم : الظلم ، والعدوان ، والسرقه ، والزنا ، والخمر ،
والكذب ، والغيبه ، وسائر الآثام ؛ فهذا كله فضول ، ثم أمر
بالفرائض ثم السنن ليتحلى بها ، ثم بالتطوع ليتزین به ، فإذا لم
یرم بالفضول ، وقصد قصد الزينة فهو مستهزیء بربه يسخر
بنفسه .

مثل قلب يتردد فيه الذكر

مثل قلب يتردد فيه الذكر مثل عين لها نبعان . وفيها سمك
صغار ، فكلما توحل كثير تردد السمك ؛ فكانت ينابيع [٥٥] ماء تلك
العين أنقى ، وماؤها أسلس . وإذا قل السمك انسدت المنابع لما
يجتمع هناك من الضين ؛ لأن ماء العين وإن كان صافيا فلن يخلو عن
غبار عند هبوب الرياح ، ولن يخلو من مازجة ^(١) الأرض ؛ فإذا
انسدت تلك المنابع لم ينز ^(٢) الماء ، ولم يسيل ؛ فكذلك القلب تنسد
منابع الحكمة منه لما يجتمع هناك من كدورة النفس ، وسلطان
الهوى وغباره ؛ فإنه لكل سلطان جيش وعسكر ؛ فإذا سار الجيش
هاج الغبار ، فالهواء إذا أقبل قبل النفس آثار الشهوات ، فوقع في
النفس هبوب رياح الشهوات ؛ فصار هناك غبار ودخان وغيم
على قدر كل شهوة ، فرب شهوة لها غيم ، ورب شهوة لها غبار ،

(١) مازجة : مخالطة .

(٢) النز : ما يتحاب من الأرض من الماء (القاموس) .

وَرُبَّ شَهْوَةٍ لَهَا دُخَانٌ ؛ فَإِذَا جَاءَتْ هَذِهِ الرِّيحُ بِغُبَارِهَا وَغَيُومِهَا
وَدُخَانِهَا انْسَدَّتْ يَتَابِعُ حِكْمَةَ القَلْبِ ؛ لِأَنَّ الحِكْمَةَ مَنبَعُهَا مِنْ
الصُّدُقِ الَّذِي هُوَ صِدْقُ الصِّدْقِ ؛ فَالَّذِي يَظْهَرُ مِنَ العِبَادِ مِنْ بَاطِنِ
إِلَى ظَاهِرٍ هُوَ الصُّدْقُ ، وَصِدْقُ الصِّدْقِ هُوَ مِنْ بَاطِنِ إِلَى بَاطِنٍ ، إِنَّمَا
يَظْهَرُ مِنْ بَاطِنِ القَلْبِ إِلَى ظَاهِرِ الصِّدْقِ حَتَّى تَبْصُرَهُ بِصَائِرِ النَفْسِ ؛
فَمِنْ ذَلِكَ الصُّدْقِ تَبْدُو الحِكْمَةُ العُلْيَا .

الحكمة العليا :

قال له قائل : وما الحكمة العليا ؟ قال : تلك حكمة الحكمة ،
ولكل علم حكمة ؛ فكما أَنَّ العِلْمَ عِلْمَانِ فَكَذَلِكَ الحِكْمَةُ حِكْمَتَانِ ؛
فإِنَّمَا صَارَ العِلْمُ عِلْمَيْنِ ؛ لِأَنَّ عِلْمَ الصِّفَاتِ غَيْرُ عِلْمِ التَّدْبِيرِ ،
وَلِكُلِّ عِلْمٍ حِكْمَةٌ ، فَحِكْمَةُ عِلْمِ الصِّفَاتِ عِلْمُ القُدْرَةِ ، وَحِكْمَةُ
عِلْمِ التَّدْبِيرِ عِلْمُ مَلِكِ المَلِكِ وَعِلْمُ الرَّبُوبِيَّةِ ، فَقَلْبُ المُؤْمِنِ خِزَانَةُ
اللَّهِ فِيهَا كِنُوزٌ ، وَالكَنْزُ عَلَى خَطَرِ الغَارَةِ .

قال له قائل : وما ^(١) هذا ؟ وما الكنوز ؟

الكنوز :

قال : إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَعْطَى المُوَحِّدِينَ مَعْرِفَتَهُ حَتَّى وَجَدُوهُ وَعَرَفُوهُ ،
فَالْمَعْرِفَةُ كَصِرَّةٍ فِيهَا أَلْوَانُ جِوَاهِرِ ثَمِينَةٍ مِنَ الدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ وَالزَّبْرِجَدِ ،
كُلُّ جِوَاهِرَةٍ ثَمَنُهَا مِثْلُ الدُّنْيَا ذَهَباً وَفِضَّةً ، فَهَذِهِ الأَشْيَاءُ كَلِّهَا فِي

(١) في ج : ما - من غير واو .

صِرَّةٌ ، فَمَنْ تَنَاوَلَهَا ، فَقِيلَ لَهُ : هَذِهِ لَكَ ، فَكَمْ تَرَى ثَمَنَهَا ؟ قَالَ :
مِائَةٌ دِرْهَمٍ ، فَإِذَا فَتَحَهَا فَأَبْصَرَهَا أَزْدَادَ بِهَا بَصَرًا ، وَذَلِكَ بَصَرُ
الْعَيْنِ . قِيلَ لَهُ : كَمْ تَرَى ثَمَنَهَا ؟ قَالَ : أَلْفٌ . فَلَمَّا أَبْصَرَ بَصَرَ
الْعِلْمِ بِجَوْهَرِ تِلْكَ الْجَوَاهِرِ عَجَزَ عَنِ الْإِحَاطَةِ بِعِلْمِ ثَمَنِهَا ، وَقَالَ :
كُلُّ وَاحِدٍ خَيْرٌ مِنْ مِائَةِ الدُّنْيَا ذَهَبًا وَفِضَّةً ، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَشْفَقَ عَلَى
الصُّرَّةِ كُلِّ الْإِشْفَاقِ فِي إِحْرَازِهَا ^(١) وَحِرَاسَتِهَا وَحِفْظِهَا ، وَإِقَامَةِ
الْمَوَكَّلِينَ بِحِفْظِهَا ، وَعِنْدَهَا ظَهَرَ غِنَاهُ بِقَلْبِهِ بِتِلْكَ الْأَشْيَاءِ ، وَمِنْهَا
ظَهَرَ غِنَى جَسَدِهِ بِشَارَتِهِ ^(٢) وَهَيْئَتِهِ ، وَمَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ ، وَمَلْبَسِهِ
وَمَرْكَبِهِ .

فَالْمَعْرِفَةُ مُتَضَمِّنَةٌ لِأَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَعِلْمِ صِفَاتِ الْقُدْرَةِ ، فَكُلُّ
شُعْبَةٍ مِنْ ذَلِكَ الْعِلْمِ تَمَلُّأُ مَا بَيْنَ الْعَرْشِ إِلَى الثَّرَى ^(٣) ، وَيَزِيدُ
وَيُفْضِلُ ، وَكُلُّ اسْمٍ لِلْعَبْدِ بِهِ مُتَعَلِّقٌ ، وَلَهُ إِلَيْهِ مُسْتَنَدٌ ، وَعَلَيْهِ
مُعْتَمَدٌ وَوَسِيلَةٌ يَتَوَسَّلُ بِهَا إِلَى رَبِّهِ ، وَكُلُّ اسْمٍ لَهُ شَفِيعٌ إِلَى رَبِّهِ ،
فَهَذِهِ صُرَّةٌ مَكْنُونَةٌ تَمَلُّأُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ، وَتَمَلُّأُ الْمَلَكُوتَ فَوْقَ

(١) الحزر : الموضع الحصين ، والمكان الذي يحفظ فيه . وأحرزت المتاع : جعلته في حرز . وأحرزت الشيء إحرازاً : ضممته . (المصباح) .
(٢) الشارة : الحسن والجمال والهيئة والزينة .
(٣) الثرى : التراب .

العترت ؛ نال الموحِّدون هذا من جودِ الله ، وعظيم رأفته ، وواسع
رحمته

حب الله تعالى :

ورأسُ هذا الجوهرِ حبُّ الله تعالى ، والفرحُ به ؛ فإنَّ الله تعالى
لم يُعْطِه ذلك حتى أحبه وفرِحَ به ؛ فابتدأ خلقته من باب الفرح
به ؛ فمن لقي الله قبل أن يفتح هذه الصُّرة ، ولم ينكشف له الغطاءُ
لقيه على غفلة عظيمة ، وكفرانِ نعمة ، وضِياعِ شكر ، وتهافتٍ (١)
في الذنوب ؛ فعظم حياؤه ، واشتدَّ خوفه ، واستقبلته أهوالُ
القيامة وعسرة (٢) الحساب .

ومن انفتحت صرته ، وكُشِفَ له الغطاءُ لقي الله على بصيرة ،
شاكرامؤمنا ، موقنا ، باذلاً لنفسه ، قد وفى بالعهد ، وأتى بالإسلام
وحقائقه ؛ فقرب وأدنى وأومن .

فمع كلِّ واحدٍ صرةٌ توحيد ، قد عقد عليها حياة قلبه . فإنَّ
أصلَ الحياة في القلب ، والذهنُ مقرون بالحياة فقد عقد بحرارة
حياته وحدة ذهنه على الصُّرة ، وهي المعرفة ، وحبُّ الله تعالى فيها
مكزون ؛ وكتابُ ربِّ العالمين فيها مكتوب ، وذلك قوله تعالى (٣)

(١) التهافت : التساقط والوقوع .

(٢) في ب : عسيرة .

(٣) سورة المجادلة ، آية ٢٢ .

(أَوْلَيْكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ) (١)

قال له قائلٌ : وما ذلك الكتاب ؟

قال : إنه لما وقعت جبايته في البدو يوم المقادير على تلك القلوب قبض عليها ، وقال : أَنْتُمْ لِي ، فصارت هذه المقالة في القبضة كتابه ، فاطمأنوا إليه ، وآمنوا به ، وتعلقوا به ، فذلك إيمانهم صار هناك مكتوباً يومئذ ، فلما أخرجهم من بطون الأمهات إلى الدنيا أشرق في القلوب منهم نور المعرفة ، من الحبِّ والرأفة والرحمة والحياء (٢) ، وعلم الصفات (٣) ، وعلم الأسماء ؛ فهي مكتوبة لا يكاد صاحبها يميز ، ولا يعبر عنها ؛ فإذا عقل واستعمل عقله ، وتبحر ، ظهرت الأنوار في الصدر ، وانكشف الغطاء ، وحيى القلب ، وعمل بذكاة الحياء فجددته (٤) ، وعمل بحلاوة الحبِّ ، فأخذ بمجامع قلبه ، وسبته (٥) حتى صار أسير الحبِّ ، وعملت أثقال الرأفة فصغطت القلب وعصرته ، وعملت أمطار الرحمة فلينت القلب ، وسكنت شعوثه (٦) واغتراره ، وعملت أنفة الحياء فقبضته

(١) في القرطبي (١٧ - ٣٠٨) : كتب في قلوبهم الإيمان : خلق في قلوبهم التصديق .

(٢) في ب : فالحياء .

(٣) في ج : وعلم الصفاء .

(٤) في ب : فجددته .

(٥) سبته : أسرته .

(٦) الأشعث : المغبر الرأس ، والتشعث : تلبد الشعر .

وَفَتَّرْتَهُ ^(١) ؛ وَعَمَلُ الْجُودِ فِيهِ فَوْسَعَهُ وَأَعْتَقَهُ مِنْ رِقِّ النَّفْسِ .

فهذه معرفةٌ قد انكشفت الصِّرةُ عما فيها من هذه الأسماء التي وصفتها . فاستقام القلبُ بما أبصر فؤاده في هذا الصدر من هذه الأسماء . فاستعمل بالمعروف الموصوف ، فلها عن كل شيءٍ سِوَاهُ ، فأحبه صدقا ، وخافه صدقا ، ورجاه صدقا ، واستحيا منه صدقا ، ورعى حقوقه من تلك الرأفة صدقا ، فما ظنك به ؟ ماذا يظهر على جوارحه من الأعمال السنية ؟

تفطية الشهوات :

وآخر وضعت فيه هذه المعرفة ، فجاءت الشهوات فغطتتها ، ولم يستعمل صاحبها العقل ، ولم يتبحر في ذلك ؛ فاستعمل الشهوات ، فتراكمت على صدره غيومها وغبارها ودخانها ؛ فكل شهوة استعملها من حلها - وللنفس نصيب الإكباب ^(٢) - صارت غيوما ، وكل شهوة استعملها من حلها - وللنفس فيها نصيب الغفلة فاستعمل القلب ذلك في غفلة عن الله - صار غبارا في الصدر ؛ وكل شهوة استعملها بحرص وهلع ^(٣) وتخليط صار دخانا ؛ وكل شهوة استعملها من غير حلها صارت ظلمة كالليل ، فبقيت هذه المعرفة

(١) فترفتورا : سكن بعد حدة ، ولان بعد شدة ، وفتره تفتيرا .

(٢) أكب على الشيء : لازمه .

(٣) هلع هلعا : جزع ؛ فهو هلع وهلوع .

في القلب والصدر متراكمة هذه الأشياء فيه ، ولم تجد المعرفة
مَسَاغًا إِلَى أَنْ تُشْرَقَ بِمَا فِيهَا مِنْ بَابِ الْقَلْبِ إِلَى الصَّدْرِ حَتَّى
تُبْصِرَ عَيْنُ الْفؤَادِ ذَلِكَ فَتَقْوَى ، وَتَسْتَقِيمَ وَتَسْتَمِرَّ فِي الْعِبَادِيَّةِ (١) ؛
فَصَارَ الْقَلْبُ بِكُنُوزِهِ كَالْمَسْجُونِ الدَّلِيلِ ، وَصَاحِبِهِ [٥٦] فَقِيرٌ مَحْزُونٌ ؛
لَأَنَّ غِنَاهُ بِحُطَامِ الدُّنْيَا ، وَحُزْنُهُ بِمَا يَفُوتُ مِنَ الدُّنْيَا فَلَا يَنَالُهُ ،
وَيَحْرَصُ وَيَكْدُّ وَيَتَعَبُ فَلَا يَدْرِكُ مَنَاهُ ؛ وَالْعُدُومَنُهُ بِمَرْصَدٍ (٢) يَنْتَظِرُ
مَتَى يَجِدُ فُرْصَةَ الْإِغَارَةِ عَلَى هَذَا الْكَنْزِ .

أصحاب هذه الصفة صنفان :

فَأَصْحَابُ هَذِهِ الصِّفَةِ صَارُوا صِنْفَيْنِ : فَمِنْهُمْ مَنْ أَحَاطَ بِقَلْبِهِ
عَسْكَرَ أَعْمَالِ الْبِرِّ ؛ فَهُوَ يَعْمَلُ دَائِمًا أَعْمَالَ الْبِرِّ ، وَهُوَ فِي خِلَالِ
ذَلِكَ يُرَائِي بِعَمَلِهِ ، وَيَتَصَنَّعُ بِشِمَائِلِهِ ، وَيَسْتَلْذِبُ بِخِلَائِقِهِ ، وَيُبَاهِي (٣)
فِي أُمُورِ اللَّهِ ؛ يَنْزِلُ (٤) مَرَّةً ، وَيَثْبِتُ أُخْرَى ؛ تَرَاهُ مَرَّةً مُسْتَقِيمًا ؛
وَمَرَّةً مُتَرَدِّيًا (٥) فِي آبَارِ الْمَعَاصِي ، وَاسْمُهُ فِي الْمُسْتَوْرِينَ الْقَرَّائِينَ
الْمُعَدِّلِينَ (٦) عِنْدَ الْخَلْقِ فِي الظَّاهِرِ ؛ فَهَذَا الْعَسْكَرُ الْمُحِيطُ

(١) في الأصول : العبودة ، وهي بمعناها .

(٢) والعدوم منه بمرصد : أي بطريق الارتقَاب والانتظار .

(٣) يباهي : يفاخر .

(٤) ينزل : زل عن مكانه : تنحى عنه . وزل في منطقته : أخطأ .

(٥) تردي في مهواة : سقط فيها .

(٦) المعدل : المعدود في أهل العدل .

بقلبه له عند الله قَدْرٌ يَسْتَجْلِبُ مِنْهُ الرَّحْمَةَ لِصَاحِبِهِ حَتَّى لَا يَنْقَطِعَ
حَبْلُهُ ؛ فَعَامِلٌ عَسْكَرَهُ التَّعَبُّدَ ، وَعَامِلٌ عَسْكَرَهُ التَّزَهُدَ ، وَعَامِلٌ
عَسْكَرَهُ التَّوَرُّعَ ؛ فَقَدْ صَارُوا أَصْنَافًا مِنْ هَذَا الصَّنْفِ الْوَاحِدِ ، وَكُلُّهُمْ
يَرْجِعُونَ إِلَى تَحْرِيٍّ ^(١) الصَّدَقِ ، وَهُمْ فِي غِطَاءٍ وَغَفْلَةٍ عَظِيمَةٍ عَنِ
اللَّهِ تَعَالَى ؛ فَقَدْ حُرِّمُوا حِلَاوَةَ التَّوْحِيدِ ، وَلِذَاذَةُ الْمَعْرِفَةِ ، وَنَزَاهَةُ عِلْمِ
الْمَعْرِفَةِ ؛ إِنَّمَا يَذُوقُونَ حِلَاوَةَ أَعْمَالِهِمْ مِنَ التَّعَبُّدِ وَالتَّزَهُدِ وَالتَّوَرُّعِ ؛
فَإِذَا وَجَدُوا تِلْكَ الْحِلَاوَةَ حَسَبُوا ^(٢) أَنَّ هَذِهِ الْحِلَاوَةَ وَالْعِبَادَةَ
وَالزَّهْدَ وَالتَّوَرُّعَ إِنَّمَا هِيَ حِلَاوَةُ أَعْمَالِهِمْ ؛ تَلْتَدُّ نَفُوسُهُمْ بِهَا ، وَتَبْطُرُ
وَتَأْشُرُ ^(٣) وَتَفْرَحُ بِهَا ، وَتَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا ، وَتَتَكَلَّمُ عَلَيْهَا ؛ فَإِنْ لَمْ
يَتَدَارَكْهُمْ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ ، وَيَحْفَظْ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، ضَرَبَهُمُ الْعُجْبُ ،
وَكَبُرُ النَّفْسِ بِالْغَطْسَةِ ^(٤) فَرَضَتْ رِعْوسَهُمْ رَضًا ، وَصَارُوا كَمَنْ
يَضْرِبُ اللَّبْنَ فِي الْمَاءِ إِذَا نُسِبُوا لِلسُّؤَالِ يَوْمَ الْمَوْقِفِ ، وَقَبُولِ صَدَقَتِهِمْ
بشكرهم .

وَمَنْ تَرَاحَتْ بِهِ نَفْسُهُ عَنِ الصَّدَقِ ، وَخَدَعَتْهُ ^(٥) نَفْسُهُ

(١) تحريت الشيء : قصده ، وتحريت في الأمر : طلبت أحرى الأمرين ؛ وهو

أولاهما .

(٢) حسبوا : ظنوا .

(٣) بطر : أشر . وأشر : كفر النعمة فلم يشكرها .

(٤) الغسطة : الموت .

(٥) في ج : جرعته .

بأمانيتها ، فنالت به التودع^(١) إلى راحات الدنيا ولذاتها ونزعتها ،
فاستعملت الشهوات ، وتوسعت فيها ، أبصر العدو من مرصده
ذلك منه ، فعظم طمعه فيه ، واستعد له بأسلحته ، فهيج منه الكبر
والكبرياء ، وأثار الشهوات منه ، حتى اشتعل حريقها وحرها ،
وأشخص^(٢) آماله ، واستعد للحيلة عليه بنفسه ؛ فإذا وجد صدره
مشحوناً بهذه الأشياء التي هي أسلحته ، وتلك جنود الهوى حمل
حملة واحدة ؛ فلما رأت الجنود التي في صدره أن سيدهم قد أقبل
ثاروا من^(٣) معادتهم ، واصطفوا بين يديه في صدر العبيد ، وتداعت^(٤)
منازل الشهوات بعضها بعضاً ، فإذا رأى القلب حملة العدو
وسلطان تلك الجنود ، وعلى مقدمته جيش الهوى انهزم وتخلي عن
الباب ؛ ف وقعت الغارة في الكنوز : كنوز المعرفة ، حتى تركت
القلب خالياً من الكنوز . وبقيت المعرفة خالية كملقاة بأدق
من الشعرة : فبقى^(٥) القلب متحيراً يتذبذب ، وقد افتقد العلم

(١) التودع : الاستسلام .

(٢) شخص يشخص شخصاً : خرج من موضع إلى غيره . ويتعدى بالهمزة ،

فيقال اشخصته .

(٣) في ج : من مغازتهم .

(٤) تداعى البنيان : تصدع من جوانبه وآذن بالانهزام والسقوط . وتداعى الكتيب

من الرمل : إذا هيل فانهال . وتداعوا بالألقاب : دعا بعضهم بعضاً بذلك .

(٥) في ب : بقي .

والحياء ، والخشية والخوف ، والحب ، وجاء الهوى وشهوات
النفس فسكنوا القلب ، وأحاطوا بالمعرفة ، فدقت قوة المعرفة حتى
تورده النار معه ، فذهبت قوة المعرفة ، وصارت كالمعلقة بشعرة ،
وصار الصدر مملكة الهوى ، ورجع العدو ، فظهر على الجوارح من
الحرص جمع الدنيا ، ومن الكبر إبطال الحقوق وظلم العباد ،
ومن الشهوات رفض العبودية (١) ، ونبذ العهد ، ونقض الميثاق ،
وجاءت أعمال الفسق والفجور ، ونبتت السريرة ، وحسن العلانية ،
والنفاق ، وسكر العقل ، وولاية الهوى وإمرته ، وانكمن (٢)
العقل ، وانسد الفهم ، وحمق الذهن ، وانطبق الحفظ ، واندفن
العلم ، وذابت المعرفة ، وفاض جهلاً ، وامتلاً كذباً وخيانة ،
وذهب الوفاء ، وطارت الأمانة ، وظهر الاستبداد ، وعلاه الكبر ،
وأحاط به التجبر ، وامتلات الأرض والسماء فضائح وقبائح ، وهو في
حلم الله ، والعدو بمرصدٍ ينتظر حتى يحلُّ به سُخْطُ (٣) الله تعالى ،
فيحمل حملة (٤) بكفر ، فيورده حتى يمتد (٥) ويضبط ، فإذا

(١) في الأصول : العبودية ، وهي معناها .

(٢) انكمن : اختفى .

(٣) السخط : الغضب .

(٤) في ب ، ج : حملة تكفر . والمثبت في أ .

(٥) في ب : يسدد . والمثبت في أ .

حلَّ به السخَطُ رُفِعَتِ المعرفةُ ، وانقطعَ الحَبْلُ ، وسبَّاه (١) العدوُّ ،
وصيَّرَ إلهَهُ هَوَاهُ ، وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ ، وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ ،
وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً : فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ ؟ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢) ؟

مثل المعرفة مثل قطب الرِّحَا

مَثَلُ الْمَعْرِفَةِ مِثْلُ قَطْبِ الرِّحَا ؛ فَالرَّحَا تَدُورُ بِالْمَاءِ وَبِالْقُطْبِ (٣)
عَلَى حَسَبِ قُوَّةِ الْمَاءِ وَكَثْرَتِهِ وَانْحِدَارِهِ مِنْ مَصَبِّهِ ، يَدُورُ الْقُطْبُ
بِالرَّحَا ، وَقُوَّةُ الْقُطْبِ فِي عَمُودٍ مِنْ أَسْفَلِهِ إِلَى أَعْلَاهُ ، وَقُوَّةُ الْعُمُودِ
فِي أَجْنِحَةٍ ؛ فَإِذَا انْحَدَرَ الْمَاءُ دَفَعَ الْأَجْنِحَةَ فَأَدَارَهَا ، فَدَارَ الْقُطْبُ
فَأَدَارَ الرَّحَا ؛ فَكَذَلِكَ الْقَلْبُ ، فَالْقَلْبُ رَحَا ، وَقُطْبُهُ الْعِلْمُ ، وَالْمَعْرِفَةُ
هُوَ (٤) الْمَاءُ الْمَنْصَبُ فِي حَدُورِهِ (٥) ؛ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَعْرِفَةِ أَجْنِحَةٌ

(١) سبَّاه : أسره ، وملكه .

(٢) سورة الحاثية ، آية ٢٣ ، والآية : أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على

علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون .
أفرأيت من اتخذ إلهه هواه : أفرأيت من جعل إلهه الذي يعبده ما يهواه أو يستحسنه ،
فإذا استحسن شيئاً وهويه اتخذها . وأضله الله على علم ، أي قد علم أنه سيضل . وقيل :
أضله عن الثواب على علم منه بأنه لا يستحقه . ختم على سمعه وقلبه ، أي طبع على
سمعه حتى لا يسمع الوعظ ، وضيع على قلبه حتى لا يفقه الهدى . وجعل على بصره
غشاوة : أي غطاء حتى لا يبصر الرشداً . أفلا تذكرون : تتعظون وتعرفون أنه قادر
على ما يشاء .

(٣) القطب - مثلثة ، وكعنق : حديدة تدور عليها الرِّحَا (القاموس) .

(٤) هذا بالأصول .

(٥) الحدور : مكان ينحدر منه الماء .

لَمْ يَنْفَعَهُ الْمَاءُ ، وَلَا الْقُطْبُ ، فَالْعِلْمُ هُوَ حِمْلُهُ ، وَالْمَعْرِفَةُ ذَوَاتُ شُعْبٍ ، فَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ فَلَمَعَرَفَتَهُ شُعْبٌ ، فَعَلَامَةُ الشُّعْبِ أَنْ يَقُومَ بِتِلْكَ الشُّعْبِ : فَهَذَا قُطْبُهُ قَدْ اسْتَقَامَتْ شُعْبُهُ ، فَاسْتَدَارَ ، وَإِذَا كَانَ الْقُطْبُ قَدْ انْتَشَرَ أَجْنَحَتُهُ جَرَى الْمَاءُ عَلَى عَمُودٍ ، فَلَمْ يَغْنِ شَيْئًا ، وَلَمْ يَدِرِ الْقُطْبُ وَلَا الرَّحَا ، فَذَهَبَتْ مَنْفَعَتُهُ ، فَعَلَى قَدَرِ مَا تَنَاطَرَ مِنْ أَجْنَحَةِ الْقُطْبِ ذَهَبَتْ قُوَّةُ الرَّحَا ، فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُ كَثْرَةُ الْمَاءِ .
كَذَلِكَ الْعِلْمُ هُوَ عَلَى الْقَلْبِ حِمْلُهُ ، وَالْمَعْرِفَةُ ذَاتُ شُعْبٍ ، فَتِلْكَ الشُّعْبُ تَهِيجُ الشَّعْبَةَ اسْتِعْمَالِهَا حَتَّى يَقْوَى الْقَلْبُ ، وَيَدُورُ بِرَحَاهُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْهُ الْأَعْمَالُ الطَّاهِرَةَ النَّقِيَّةَ فَيَرْمِي بِهَا إِلَى الْجَوَارِحِ ، فَذَلِكَ الدَّقِيقُ .

قال له قائل : وماتلك الشعب ؟

قال : الخوف ، والخشية ، والحب ، والحياء ، والفرح ، والهيبة ، والأنس ، والوداد ، والرغبة والرغبة والتقوى ، فهذه كلها شعب المعرفة كأجنحة القطب للرحا ، فإذا حي القلب بالله صار عالماً بالله ، فإذا رأت تلك الحياة شعب المعرفة ، وأهاجت منك الخوف والخشية ، والحب والحياء ، والفرح والوداد ، والهيبة والأنس ، والرغبة ، والرغبة ، والتقوى ، ويظهر في الجوارح صدق ما هاج منك في الباطن ، من أداء الفرائض ، واجتناب المحارم ، والقيام بحقوق الله تعالى دق أو جل^(١) ، والصفاء

(١) دق أو جل : صغر أو عظم .

في الصّدق ، والإخلاص في هذه الأمور التي ظهرت على الجوارح ،
فَبِقَدْرِ مَا افْتَقَدْتَ (١) من هذه الشُّعْبِ تَفْتَقِدُ القُوَّةَ من نفسك في
هَيَجَانِ هذه الأشياءِ في باطنك ، ويظهر النقص في ظاهر أعمالك
من القيام بأداء الفرائض ، واجتناب المحارم ، وإقامة الحقوق ،
والصفاء والإخلاص والصدق في الأمور ، كما كان ؛ فكلما تناثر من
أَجْنِحَةِ القُطْبِ لم تُغْنِ له كثرة الماء وقوة انحداره في مَصَبِهِ شيئاً .
فصاحبُ الرِّيحِ قائمٌ على الرِّيحِ ، يَحْفَظُ أَجْنِحَةَ القُطْبِ ، هل
تَنَاطَرُ منها شيءٌ ؟ وكلما تناثر منها شيءٌ ، وبطلت زيادة الماء ، ذهب
قوة هَيَجَانِ الأَجْنِحَةِ .

مثل من استعمل عقله وذهنه في أمور الدنيا

ومثل من استعمل عقله وعلمه وذهنه وكياسته (٢) وروحه في
أمور الدنيا لغير الله كمثالِ حِمَارٍ تَنَقُّلٌ عليه سِرْقِينَا (٣) من المَرَابِلِ ،
فما زلت تَكُدُّهُ (٤) في ذلك العملِ حتى إذا كان في آخرِ النهارِ
حوَّلتَ عليه سَرَجًا ، وابتغيت (٥) منه هَمَلَجَةً (٦) وسيرًا ، فكيف
تَجِدُهَا منه ؟ وقد ذهب الكدود والعمل بكثافة قوته ، وحيدة
مقاصده ، ونال الفتور (٧) منه كل شيء .

(١) افتقده : طلبه عند غيبته (القاموس) .

(٢) الكيس : الظرف والفتنة . وقيل الكيس : العقل .

(٣) السرجين والسرقين : الزبل .

(٤) كده : طلب منه الكد ، والكد : الشدة في العمل وطلب الرزق ،

والإلحاح في محاولة الشيء . والكد : الإلتعاب . (٥) ابتغيت : طلبت .

(٦) الهملجة : حسن سر الدابة في سرعة (التاج) .

(٧) فتر عن العمل فتوراً : انكسرت حدته ولا : بعد شدته .

فكذلك هذا العلم والعقل والذهن والكياسة والفهم والفتنة
والروح ؛ لكلُّ حدٍّ وسلطان وقُوَّةٌ تعمل في هذا الجسد ، فإذا
استعملهم ^(١) في أمور الدنيا التي لا تصعدُ إلى الله تعالى من باب
السَّماءِ انْفَتَرَ منه كلُّ شَيْءٍ على حَدِّته ، وذهبت قوتُهُ ، وظهر العجزُ .

مثل الذي يختلف إلى مجالس العلم

مَثَلُ الَّذِي يَخْتَلِفُ إِلَى مَجَالِسِ أَهْلِ الْعِلْمِ كَمَثَلِ رَجُلٍ دَخَلَ
السُّوقَ وَلَا يَدْرِي مَا يَشْتَرِي ، فَمَا اسْتَقْبَلَهُ مِنْ شَيْءٍ رَجَا فِيهِ الرَّبْحَ
اشْتَرَى ، فَكَمْ مِنْ شَيْءٍ اشْتَرَاهُ فَخَسِرَ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَنْلُ أَمَلَهُ .

وآخر دخل السوق يشتري منافع ؛ ففيل له : ما تريد ؟ قال :
متاعاً . ففيل له : أي متاع تريد ؟ فإنَّها هنا ألوان الأمتعة من
القطن والكتان والإبريسم ^(٢) ، وها هنا أمتعة الذهب والفضة ،
والصفر ^(٣) والنحاس والحديد ، فلم يدري ما يشتري ، فدخل من
أعلىها وخرج من أسفلها صفر ^(٤) اليدين .

وآخر دخل السوق لحوائجه قد رأى ^(٥) ما يشتري ؛ فقصد
الحوائج ، فاشترى في الصيف ما يحتاج إليه في الشتاء ، وترك

(١) هذا بالأصول .

(٢) الإبريسم : الحرير .

(٣) الصفر : من النحاس ، وصانعه الصفار . والصفر : الذهب أيضا .

(٤) صفر اليدين : خالي اليدين .

(٥) رأى : علم .

ما يحتاج إليه في يومه وليلته ، فرجع إلى المنزل معه حوائج الشتاء ،
فبات جائعاً بائساً .

ودخل آخر السوق قد لزت^(١) به الحاجة^(٢) وألحت ، يعملون^(٣)
الطاعات على طريق الثواب والعقاب .
ومثلهم في ذلك كالذى يخوض النهر ، فما جرى به الماء فوجده
على ظهر الماء أخذه مثل البردى^(٤) والحطب وأصول الأشياء^(٥)
والقشائ ، وليس لهم غوص ؛ وأهل الانتباه يعملون الطاعات على
طريق العبودية^(٥) عارفين موقنين .

مثل الذى يغوص فى البحر والأنهار

ومثلهم فى ذلك كالذى يغوص فى البحر والأنهار ، فيضرب
بيده ضربة يقع فيها على جوهرة لا يحاط بثمنها ، فأولئك الأولون
يجمعون حركات الجوارح بتلك الطاعة ، فليس لهم من ذلك إلا
عملهم الظاهر ، وعليه يثابون الجنة ، وهؤلاء المنتبهون يدخلون
فى الطاعة بحركات الجوارح وفى قلوبهم عجائب ، تعجب لهم
الملائكة إذا رفعت تلك الطاعات وفى حشوها تلك الأنوار ؛ فأهل

-
- (١) لزت به الحاجة : اشتدت . ولزبه الشيء : لصق به كأنه يلتزق بالمطلوب
لسرعه (اللسان - لز)
(٢) هذا بالأصول .
(٣) البردى : نبات .
(٤) الأشياء - كسحاب : صغار النخل .
(٥) فى الأصول : العبودية .

الغفلة حشوا طاعاتهم التوحيد ونور الصدق ، وهؤلاء الآخرون حشوا طاعاتهم نور الحب والحياء ، والشوق والحنين ، والتضرع والملق^(١) ، والحزن والسرور ، والبهجة والشكر ، والذكر الصافي ، والإقبال والإنابة^(٢) . والخضوع والخشوع ، والتسليم والتبري من الحول والقوة ؛ فهؤلاء غواصون يغوصون في كل طاعة في بحور المعرفة ، في صدورهم في الطاعات من هذه الأشياء ، ويستخرجون منها الدرر والجواهر ؛ لأن القلوب خزائن الله فيها كنوزه ، فإذا طهر العبد ساحة الخزانة ، وهو الصدر ، ظهرت في تلك الساحة من باب الخزانة في وقت كل طاعة يدخل فيها - عجائب لا توصف من الجواهر والدرر .

والطاعات ذوات صور ، وكل طاعة لها صورة ، وفي كل صورة يرأى نعمها ، فإرأى بها ربه ، ويتزين عنده بتلك الصورة وما فيها من الجواهر التي ذكرنا .

مثل المتعرف اليك باختلافه اليك

مثل مضروب : رجل تعرف اليك باختلافه^(٣) اليك .
وذهابه وجيئته وعوده على بدئه عرفك ، فحل في قلبك محل المعرفين بالوجه ، ثم مع هذا الاختلاف من بعد ذلك تعرف اليك

(١) الملق - محرقة : الود واللفظ .

(٢) الإنابة : ناب إلى الله وأناب : تاب .

(٣) الاختلاف : التردد .

بالسلام عليك ، والسؤال عن أحوالك ومهماتك صدقًا ؛ فتعرّف (١)
إليك بالاهتمام ؛ فحلّ من قلبك محلّ المهتمين لك ، المباليين بك
وبأمورك ، ثم أبدى (٢) صدق ذلك السؤال فعلاً حتى شاركتك في محبوبك
ومكروهك ؛ ففرح بمفروحك ، وسرّ بمسرورك ، وحزن لمصائبك ،
وتوجّع بفجائعك ؛ فتعرّف (١) إليك بالإخلاص حتى حلّ من قلبك
محلّ المخلصين ؛ ثم تخطى من هذه الدرجة إلى أن فداك بنفسه وماله ؛
فبذل عند الشدائد نفسه ، وفي (٣) ذلك لا يبالي ما ناله في نفسه وماله
من النقصان والمكروه في جنبك ، فأعطاك كله ؛ فحلّ من قلبك
محلّاً أحبته كلّ الحب ، وصارَ واحدك من بين الناس ، وصرتَ
له واحداً ، فأفشيت أسرارك بين يديه ، وأطلقت يده في
مملكته ، وأنفذت (٤) أمانيه وحكمه في أمورك ؛ فعامل الله بما
يعاملك عبداً من عبده بهذه الصفة .

مثل الحب بين الأشياء

مثل الحب من بين الأشياء كمثل شجرة لها قلب وأغصان ؛
فالقلب من الساق ، والأغصان : فروع الشجرة منها الثمرة . ولكن

(١) في ج - فيعرف .

(٢) أبدى : أظهر .

(٣) في ج : وفاء .

(٤) أنفذت : نفذت .

أصل الثمرة من القلب ، فالمعرفة هي الشجرة ، والحب هو قلب المعرفة ، والخوف والرجاء والحياء والخشية والرضا والقناعة ، وسائر الأشياء أغصانها ، ومنها تتولد الثمرة ، وهي الطاعات ، وإنما جاد عليك ربك بالمعرفة ، فمن بها عليك بعد أن قسم لك حظاً من معرفته محبته ، وأخرج إليك محبته من باب الرأفة والرحمة ، فملت حظاً من المحبة والرأفة والرحمة حتى ظفرت بالمعرفة ، فلما عرفته خفته ورجوته وخشيتته ورهبتته واطماننت إليه ، واعتقدت بقلبك عبوديته (١) وتسليمك نفسك إليه في أمر ونهيه ، هذا كله في عقدة المعرفة (٢) ، وهي كالأغصان من الشجرة ، فإنما أعطيت الشجرة بأغصانها ، والثمرة من بعد ذلك كسبك الطاعة .

الحب سر الله في العباد :

فالحب سر الله تعالى في العباد ، يفتح لهم من ذلك على أقدارهم بمشيئته بما سبق لهم من الأقدار منه ، وهو قوله تبارك وتعالى (٣) :
(إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ . لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ) (٤) ، مبعدون ، أي عن النار ، ثم لا يسمعون حسيسها ، كأنه أجازهم الصراط وهم لا يشعرون بها .

(١) في الأصول : عبودته .

(٢) العقدة : مافيه بلاغ الرجل وكفايته .

(٣) سورة الأنبياء ، آية ١٠١ ، ١٠٢ .

(٤) الحسنى : الجنة . أولئك عنها : عن النار . لا يسمعون حسيسها : حس النار وحركة

فيها . والحسيس والحس : الحركة . خالدون : دائمون . (القرطبي : ١١ - ٣٤٥)

فَالْحَبُّ سِرٌّ فِي الْإِيمَانِ ، وَالْإِيمَانُ بَارِزٌ ظَاهِرٌ ؛ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى ^(١) :
(وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ
وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ
وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) ^(٢) .

فَاللَّهُ تَعَالَى عَرَّفَ نَفْسَهُ أَهْلَ مَنَّتِهِ بِالْمَنَّةِ ^(٣) ، وَخَوَّفَهُمْ مِنْ عَظَمَتِهِ ،
وَرَجَاهُمْ مِنْ كَرَمِهِ ، وَأَخْشَاهُمْ مِنْ رَبُّوبِيَّتِهِ ؛ فَنَالُوا هَذِهِ الْأَشْيَاءَ مِنْ
الْمَعْرِفَةِ الْمَشْحُونَةِ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ .

وَأَمَّا الْحَبُّ فَإِنَّهُمْ نَالُوا حُبَّهُمْ لَهُ مِنْ حَبِّهِ لَهُمْ .

الفرح بتوبة العبد :

كَانَ بَدَأُ أَمْرَهُمْ مِنْ حَبِّهِ لَهُمْ وَالْفَرَحَ بِهِمْ ؛ أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ

(١) سورة الحجرات ، آية ٧

(٢) وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ؛ فَلَا تَكْذِبُوا فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أُنْبَاءَكُمْ فَتَفْتَضِحُونَ ه
لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ؛ لَوْ تَسَارَعَ إِلَى مَا أُرِدْتُمْ قَبْلَ وَضُوحِ الْأَمْرِ
لَنَا لَكُمْ مَشَقَّةٌ وَإِثْمٌ ؛ فَإِنَّهُ لَوْ قَتَلَ الْقَوْمَ الَّذِينَ سَعَى بِهِمُ الْوَلِيدُ بْنُ عَقْبَةَ إِلَيْهِ لَكَانَ
خَطَأً . لَعَنِتُّمْ : الْعَنِتُّ أَيْضًا : الْوَقُوعُ فِي أَمْرٍ شَاقٍّ .

وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ ؛ هَذَا خُطَابٌ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَا يَكْذِبُونَ النَّبِيَّ
وَلَا يَخْرُونَ بِالْبَاطِلِ ؛ أَيْ جَعَلَ الْإِيمَانَ أَحَبَّ الْأَدْيَانِ إِلَيْكُمْ . وَزَيَّنَهُ - بِتَوْفِيقِهِ - فِي
قُلُوبِكُمْ ؛ أَيْ حَسَّنَهُ إِلَيْكُمْ حَتَّى اخْتَرْتُمُوهُ . وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ ؛ كُلُّ
مَا خَرَجَ عَنِ الطَّاعَةِ فَهُوَ فَسُقٌ . وَالْعِصْيَانَ : الْمَعَاصِيَ . أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ؛ يَعْنِي
هُؤُلَاءَ الَّذِينَ وَفَّقَهُمُ اللَّهُ فَحَبَّبَ إِلَيْهِمُ الْإِيمَانَ وَكَرَّهَ إِلَيْهِمُ الْكُفْرَ وَقَبَّحَهُ عِنْدَهُمْ هُمُ
الرَّاشِدُونَ . وَالرَّشْدُ : الْإِسْتِقَامَةُ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ ، مَعَ تَصَلُّبٍ فِيهِ .

(٣) مِنْ عَلَيْهِ : أَنْعَمَ عَلَيْهِ ، وَالْإِسْمُ الْمُنْتَمِئُ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) : لَلَّهِ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ مِنْ فَرَحِ
رَجُلٍ أَضَلَّ رَاحِلَتَهُ فِي مَفَاذَةٍ (٢) مُهْلِكَةٍ عَلَيْهَا زَادُهُ وَحَمُولَتُهُ (٣) ؛
فَهُوَ يَضْرِبُ يَمِينًا وَشِمَالًا فِي طَلَبِهَا حَتَّى آيِسَ (٤) مِنْهَا وَأَشْرَفَ عَلَى
الْمَلَكَةِ ؛ فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : أَرْجِعْ إِلَى حَيْثُ افْتَقَدْتَهُ (٥) فَأَمُوتَ هُنَاكَ ،
فَرَجَعَ فَوَجَدَ بَعِيرَهُ عَلَيْهِ زَادُهُ وَحَمُولَتُهُ ، فَجَعَلَ يَهْلِكُ مِنَ الْفَرَحِ ،
فَيَقُولُ لِلَّهِ تَعَالَى : أَنْتَ رَبِّي ، وَأَنَا عَبْدُكَ ثَلَاثًا . قَالُوا : يَا رَسُولَ
اللَّهِ ، هَلْ (٦) بِهَذَا فَرَحًا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَالَّذِي
نَفْسِي بِيَدِهِ : لَلَّهِ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ مِنْ هَذَا بِبَعِيرِهِ .

فَبَدَأَ شَأْنَ الْمُؤْمِنِ فَرَحُ اللَّهِ بِهِ ، وَحُبُّهُ لَهُ ، مِنْ هَاهُنَا خَرَجَ وَظَهَرَ
أَمْرُهُ فِي الْبَدِءِ ؛ فَهَذَا سِرُّ اللَّهِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِهِ ؛ وَضَعَهُ فِي بَاطِنِ
مَعْرِفَتِهِ ؛ فَهُوَ يُحِبُّهُ وَيَخَافُهُ ، وَيَرْجُوهُ وَيَخْشَاهُ ؛ فَهَذَا كُلُّهُ نِظَامٌ
وَاحِدٌ عِنْدَ الْعَامَّةِ ، وَلَكِنْ خَاصَّةُ النَّاسِ لَمَّا اخْتَصَّوهُمْ بِالرَّحْمَةِ الَّتِي
اخْتَصَّ بِهَا الْمُؤَحِّدِينَ حَتَّى نَالُوا تَوْحِيدَهُ ، ثُمَّ أَوْلَجَ (٧) الْخَاصَّةَ
بِبَابِ الرَّحْمَةِ حَتَّى دَخَلُوهَا ، فَوَصَلُوا إِلَى الرَّحْمَةِ الْعُظْمَى الَّتِي خَرَجَتْ

(١) صحيح مسلم : ٢١٠٤

(٢) في ج : مغارة . والمفازة : الموضع المهلك ، والبرية القفر .

(٣) الحمولة : الأحمال .

(٤) آيس : يئس .

(٥) افتقده : وتفقدته : طلبه عند غيبته .

(٦) هل الرجل : فرح وصاح (القاموس) .

(٧) أولج : أدخل .

منها هذه المائة الرحمة التي كتبها على نفسه لعباده ؛ وفي تلك الرحمة حبه ، فلما دخلوها ووصلوا إلى تلك الرحمة العظيمة غرقوا فيها ، وفيها حبه ومشيعته ؛ ففتح لهم باب المشيئة ، وأنالهم من حبه ، فلما فتح لهم باب حبه علق^(١) قلوبهم ، ووليت^(٢) قلوبهم عن كل شيء سواه ؛ وتشبثت^(٣) النفس بتلك الحلاوة التي نالت ؛ فعندما انقطعت الأسباب والعلائق ، وتطهروا من أدناسها^(٤) بوصولهم إلى مقامهم في القرب ، فلما تطهروا تقدسوا^(٥) بقدس قرية القدس ؛ فلما تقدسوا خلصوا إلى فردانيته ، فانفردوا به ، فعندما جاز لهم أن يقولوا : يا واحد ؛ فإذا قال صدق ، وأجيب ، وكان من أهل القبضة .

المفردون :

أولئك الذين وصفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله^(٦) :
سيروا ، سبق المفردون . قالوا : يا رسول الله ؛ ما المفردون ؟ قال :
الذين أهتمروا^(٧) في ذكر الله ، يضع الذكر عنهم أثقالهم ، فيأتون
يوم القيامة خفافاً .

(١) علق به علوقاً : أحبه .

(٢) ولت : وله : ذهب عقله من فرح أو حزن . يريد : انصرفت .

(٣) التثبت : التعلق . (٤) الدنس : الوسخ : يريد الذنوب والآثام .

(٥) تقدسوا : التقديس : التطهير . (٦) صحيح مسلم : ٢٠٦٢ .

(٧) في ج : اهتمروا : تحريف . والمثبت في صحيح مسلم ، والفائق (٢ - ٢٥٨) :

قال الزمخشري : والإهتار : الاستهتار ، يقال : فلان مهتر بكذا ومستهتر به : مولع به لا يحدث غيره .

فَالْخَوْفُ أَنْ تَخَافَهُ مِنْ عَظَمَتِهِ ، وَالرَّجَاءُ أَنْ تَرْجُوهُ مِنْ رَحْمَتِهِ ،
وَالْخَشْيَةُ أَنْ تَخْشَاهُ مِنْ مَهَابَتِهِ ، وَالْحُبُّ هُوَ أَحَبُّكَ فَأَعْطَاكَ مِنْ
حُبِّهِ لَكَ حَتَّى أَحْبَبْتَهُ ؛ فَهَذَا مَبَايِنٌ ^(١) لِلْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ وَالْخَشْيَةِ
فِي الْأَصْلِ ، فَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ وَالْخَشْيَةُ هَا ج مِنْ نَفْسِكَ لِعَظَمَتِهِ ،
وَالْحُبُّ مِنْهُ بَدَأَ ^(٢) فَوَضَعَ فِيكَ حَتَّى هَا ج لَهُ حُبُّ الرَّجَاءِ مِنْ ذَلِكَ
الْوَضْعِ فِيكَ ، وَالَّذِي وَضَعَ فِيكَ مِنَ الْحُبِّ سِرٌّ مَنْظُومٌ فِي نُورِ الْمَعْرِفَةِ ،
وَنُورِ التَّوْحِيدِ ، وَنُورِ التَّوْحِيدِ كَشَى فِي شَيْءٍ ؛ فَالْمَعْرِفَةُ ظَاهِرَةٌ ، وَالْحُبُّ
يَهَا بَاطِنٌ ^(٣) كَلْبُ الشَّيْءِ ؛ وَلِذَلِكَ قُلْنَا : إِنَّهُ مِنَ الشَّجَرَةِ بِمَنْزِلَةِ قَلْبِ
الشَّجَرَةِ ^(٤) ، فِعِظْ قُوَّةَ الشَّجَرَةِ مِنْ قَلْبِ الشَّجَرَةِ ، فَمَنْ اخْتَصَّ مِنْ
الْعِبَادِ فَتَحَ عَلَيْهِ بَابَ حُبِّهِ حَتَّى هَا ج مَا فِي قَلْبِهِ يَسْمُو ^(٥) ، إِلَى الَّذِي
عِنْدَ رَبِّهِ ، فَلَا يَزَالُ قَلْبُهُ فِي السَّيْرِ ، وَحُبُّ اللَّهِ فِي مَزِيدٍ ، وَهَيِجَ ^(٦)
الْعَبْدُ فِي مَزِيدٍ ، حَتَّى يَصِيرَ الْعَبْدُ هَائِمًا بِهِ ؛ فَكَمَا كَانَ هَذَا فِي الْأَصْلِ
يَسِرُّ ^(٧) فَحَقِيقٌ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يُسِرَّ ذَلِكَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ ، وَلَا يَبْدِيهِ ^(٨)

(١) مَبَايِنٌ : مُخَالَفٌ .

(٢) بَدَأَ : ظَهَرَ وَوَضَحَ .

(٣) اللَّبُّ : خَالِصٌ كُلُّ شَيْءٍ .

(٤) اللَّبُّ مِنَ النَّخْلِ وَالْحَوْزِ وَنَحْوِهَا : قَلْبُهَا (الْقَامُوسُ) .

(٥) يَسْمُو : يَرْتَفِعُ .

(٦) هَا جَ الشَّيْءِ : ثَارَ .

(٧) فِي ب : سَرَّ .

(٨) يَبْدِيهِ : يَظْهَرُهُ .

حتى يكون ذلك مَصُونًا فيما بينه وبينه ، ويجتهدُ ألا يشتهر فيُنسب
إلى ذلك فيُقْتَضَى غداً صدق ذلك وحقائقه ووفارته (١) ؛ فيستحي
من ذلك .

ألا ترى إلى أصحابِ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم لما ذكروا
مِنَّةَ (٢) اللهُ عليهم بالإسلام طابت نفوسهم ، فقالوا : إنا لنحبُّ
ربَّنَا ، فلو علمنا ماذا يحبُّ لآتينَا محبوبه ، فابتلوا بهذه الكلمة ؛
فأنزل اللهُ عزَّ وجل (٣) : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي
يُحِبِّكُمْ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (٤) .
وامتحن دعوتهم لمحبَّتهم إياه بقوله (٥) : (إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ الَّذِينَ
يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَنِيَّانَ مَرُوضُونَ) .

فاقتضاهم قتالاً بهذه الصفة من الثبات ، ليبرز حقائق حبهم ،
فلما خرجوا إلى القتال فمنهم مَنْ وفى بذلك ، ومنهم مَنْ لم يفِ
بذلك ؛ فأنزل اللهُ تعالى قوله تعالى (٦) : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ) .

(١) وفر الشيء : تم وكمل .

(٢) منة : نعمة .

(٣) سورة آل عمران ، آية ٣١

(٤) محبة العبد لله ورسوله : طاعته لها واتباع أمرهما . ومحبة الله للعباد : إنعامه

عليهم بالغفران .

(٥) سورة الصف ، آية ٤ .

(٦) سورة الصف ، آية ٢ .

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا قال العبد اغفر لي ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، ضحكك الربُّ من قول العبد .

مثل رجل له عبد رياه بين يديه

فمثل ذلك كمثل رجل له عبدٌ تليد^(١) رباه بين يديه ، وله عليه رافةُ الأمومة وعطف الأبوة ؛ فهو يحبُّ أن يكون بين يديه لا يبرح حتى يكون في رعايته وكلاءته^(٢) ؛ وهذا العبد يجول ويتردد ، فإذا خرج من المأمن نالته نكبةٌ من عشرة إذا اشتدَّ في سعيه فردده ، وربما شاكته^(٣) شوكةٌ ، وربما خدشته السباع بالبرائن^(٤) والأنياب ، والسيد قد حذره ذلك ، فإذا لم يأخذ حذره نالته هذه الأشياء ، ففزع إلى الأدوية والمراهم يداوي نكباته ، وفزع إلى منقاش ينزع شوكته ، فهو يتردد في طلب هذه الأشياء للتداوي بها ؛ وهذا كله موجودٌ عند سيده ، وهو أعلم بدائه ، وأرفق بمداواته والطف ، فيتركه السيد في التردد حتى يعيا ويعجز ويأيس^(٥) ، فإذا أيس

(١) التليد : ما شربته صغيراً فنبت عندك والتليد : الذي ولد ببلاد العجم ، ثم حمل صغيراً إلى بلاد العرب (المصباح) .

(٢) كلاءه : حرسه ورعاه .

(٣) شاكته الشوكة : دخلت في جسمه .

(٤) البرائن : الكف مع الأصابع ، ومخالب الأسد ، أو هو للسبع كالإصبع

للإنسان ، وجمعه برائن .

(٥) يأيس : ييأس .

من هذه الأشياء فزع إلى سيده طالبا من عنده دوائه وعلاجه ، فإذا صار إلى سيده بتلك الحال ضحك منه كأنه يقول : جئتني بعدما اقتدرت وترددت في الاقتدار كالمستغنى بما عندك ، فلما عجزت وأيست جئتني شئت أو أبيت ؛ وسيده جواد كريم ، حسن الخلق ، واسع الصدر ، وليس^(١) بكز ولا لئيم ، فيضحك إلى عبده بجهله وقلته وضعفه ، وعجزه وفقره .

فكذلك العبد أمره ربه أن يكون واقفا بين يديه مراقبا لمشيئاته فيه ، ساعيا في أمره ، يسعى العبد خائفا لمساخته^(٢) ، معظما لأمره ، شاكرا لأنعمه ، عارفا لمنته^(٣) ، عالما بإحسانه ، لاحظا إلى فضله ، واثقا بما تكفل له من رزقه ، فذهب العبد فبرح من المقام ، وأعرض عن المراقبة ، وأقبل على نهمات^(٤) نفسه ، حتى ضيع أمره ، وذهب في مساخته ، كالدابة الحرون^(٥) الجموح^(٦) ، حرن على ربه في جميع أمره ونهيه ، فاستخف بحقه ، واستهان بأمره ، وعظم نفسه ، وتكبر بأحواله ، وكفر بنعمه ، وأنكر

(١) رجل كز اليمين : بخيل .

(٢) السخط - بالضم ، وكعتق ، وجبل ، مقعد : الغضب . والكراهية ، وعدم

الرضا .

(٣) المنة : النعمة والفضل .

(٤) نهمات : جمع نهمة : الحاجة والشهوة إلى الشيء .

(٥) حرنت الدابة حرانا فهي حرون ؛ وهي التي إذا استدر جريها وقفت .

(٦) جمع الفرس : غلب فارسه ، واستعصى على راكبه حتى غلبه .

مَنَّتَهُ ، وَجَهَلَ إِحْسَانَهُ ، وَعَمِيَ عَنِ فَضْلِهِ ، وَتَدَبَّدَبَ عَقْلُهُ فِي شَأْنِ مَا تَكْفَّلَ لَهُ بِهِ ، ثُمَّ ذَهَبَ [٥٩] يَتَرَدَّدُ فِي الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ ، وَالصَّدَقَةِ وَالْحَجِّ وَالْجِهَادِ ، وَأَنْوَاعِ أَعْمَالِ الْبِرِّ ، يُرِيدُ أَنْ يَأْخُذَ نَفْسَهُ مِنْ رَبِّهِ ، وَيُنَجِّيَهَا مِنْ عَذَابِهِ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ ؛ فَأَيُّ خَائِبٍ أَخْيَبُ مِنْ هَذَا حَيْثُ يَعْمَلُ مِثْلَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ ، فَلَا يَكُونُ مَفْرُوعَهُ إِلَى رَحْمَتِهِ ، وَافْتِقَارَهُ إِلَى مَغْفِرَتِهِ . فَهَذَا أَحْمَقُ جَاهِلٌ بِرَبِّهِ ، أَخَافُ أَنْ يَكْلَهُ اللَّهُ إِلَى عَمَلِهِ حَتَّى يَفْضَحَهُ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ .

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رُوِيَ عَنْهُ (١) :
أَنْ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُنَجِّيه عَمَلُهُ . قَالُوا : وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟
قَالَ : وَلَا أَنَا ، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَ نِي (٢) اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَتِهِ .

وَالْعَاقِلُ الْمُنْتَبِهَ عَقْلَ هَذَا الْبَابِ ، فَعَمَلُ جَمِيعِ أَعْمَالِ الْبِرِّ ، وَرَمَى بِهَا خَلْفَ ظَهْرِهِ وَلِسَانِهِ ، لَا يَفْتَرُ (٣) عَنِ الدَّعَاءِ وَالنَّدَاءِ عِنْدَ التَّضَرُّعِ ، وَعَيْنَا قَلْبِهِ شَاخِصَتَانِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، يَغْسِلُهُ بِمَاءِ الرَّحْمَةِ ، فَيَصْلُحُ حِينَئِذٍ لِلْمَغْفِرَةِ ؛ فَعِنْدَهَا إِذَا قَالَ : اغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ضَحَكَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ ، كَأَنَّهُ يَقُولُ : عَبْدِي كَانَ بَيْنَ يَدَيَّ ، فَتَرَكَ الْمَقَامَ فَأَذْنَبَ ، ثُمَّ نَدِمَ فِجَالًا وَتَرَدَّدَ ، فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَ أَحَدٍ فَرَجًا ، فَأَيْسَ (٤) مِنَ الْجَمِيعِ ، ثُمَّ عَادَ إِلَيَّ ، عَلِمَ

(١) صحيح مسلم : ٢١٢٩ ، ٢١٧٠ (٢) يتغمدني الله برحمته : يلبسنيها ويسترنني بها .

(٣) فتر عن العمل فتورا : انكسرت حدته ولان بعد شدة .

(٤) أيس : يئس . وفقد الأمل .

أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يُدَاوِيَهُ مِنْ هَذَا إِلَّا أَنَا ، لِأَنِّي لَمْ أَجْعَلِ الْمَغْفِرَةَ بِيَدِ
غَيْرِي ، وَإِذَا ضَحِكْتَ إِلَى عَبْدِهِ لَمْ يُحَاسِبْهُ .

وَرَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ ^(١) : أَفْضَلُ
الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِينَ يَأْقُرُونَ فِي الصَّفِّ فَلَا يَلْتَفِتُونَ بِوُجُوهِهِمْ
حَتَّى يَقْتُلُوا ، أَوْلَئِكَ يَتَلَبَّطُونَ ^(٢) فِي الْغُرْفِ الْأَعْلَى ^(٣) مِنَ الْجَنَّةِ ،
يَضْحَكُ إِلَيْهِمُ الرَّبُّ ؛ إِنَّ الرَّبَّ إِذَا ضَحِكَ إِلَى قَوْمٍ فَلَا حِسَابَ
عَلَيْهِمْ . وَالْمَغْفِرَةُ حِجَابُ الرَّحْمَةِ ؛ فَإِذَا سَتَرَ ذَنْبَ عَبْدٍ وَتَخَطَّى
بِذَلِكَ السُّتْرَ فَقَدْ نَجَا مِنَ الْعَذَابِ ؛ لِأَنَّ الرَّأْفَةَ قَدْ اسْتَكْمَلْتَ ،
وَالْعَرَضَ وَالْحِسَابَ بَاقٍ عَلَى الْعَبْدِ ؛ فَإِذَا ضَحِكَ اللَّهُ إِلَيْهِ نَجَا مِنْ
الْعَرَضِ وَالْحِسَابِ ؛ لِأَنَّ الضَّحْكَ مِنَ الْجُودِ ؛ فَإِذَا اسْتَعْمَلَ عَلَى الْعَبْدِ
جُودَهُ نَجَا وَكَأَنَّهُ لَمْ يَذْنِبْ .

مَثَلُ الْهَوَى فِي الْآدَمِيِّ

وَمَثَلُ الْهَوَى فِي الْآدَمِيِّ كَالسَّحَابِ الْمُطْبِقِ ^(٤) عَلَى الْأَرْضِ كُلِّهَا
قَدْ أَحَاطَ بِالْأَفْقِ ، وَمِنْ وَرَاءِ السَّحَابِ شَمْسٌ ؛ فَإِذَا انْكَشَفَتْ
الشَّمْسُ صَارَ النَّهَارُ كَاللَّيْلِ ، فَإِذَا انْجَلَّتْ ^(٥) عَنِ الْكُسُوفِ فِي سَحَابِ

(١) الفائق : ٢ - ٤٢٥

(٢) التلبط : التمرغ في النعيم ، يقال : يتلبط في النعيم : يتمرغ فيه ويتقلب

(القاموس) .

(٣) في الفائق : العلاء .

(٤) أطبقه : غطاه (القاموس) .

(٥) انجلت : انكشفت وظهرت .

فذلك نهارٌ مُقيمٌ ذو غُبارٍ وغيَمٍ ، فإذا انقشع منها مثلُ رُوْزَنَةٍ (١) حتى بدأ منها بمقدار ذلك ، فأشرق نورها في الأرض أضاءت الأرض كلها بقدر ما أشرق في تلك الروزنة ، فلا تزال تتقشع ، وتتسع تلك الروزنة حتى تتقشع كلها ، وتفضى (٢) في جميع نواحي الأفق ، فتصير السماء مُصحية ، والشمس بارزة مُشرقة بكمالها على جميع الأرض في التلِّ والجبل ، فالأودية (٣) والأمصار ، والقرى والبيوتات والكوى (٤) . فبقدر ما ينقشع السحاب تشرق الأرض بنورها ، ثم بقدر ما يبقى فإشراقها منكمين ، وهي محتجبة بذلك الباقي من الغيم . فكذلك الحوى في الآدمي مُطبق على الفؤاد في الصدر ؛ والنور في القلب كالشمس المنكمنة في السحاب ، فلا ينتفع بحرها وإشراقها . وإذا غره العدو حتى أشرك بالله فقد انكشفت شمسُه ، وصارت معرفته في كُفره ؛ والكفرُ الغطاءُ ، فصار صدره كالليل المظلم ، وهو عالم بأن الله خالقه ورازقه ، ومميته ومالكه ؛ والعلم المنكمن في تلك الظلمة لامستنير لعيني فؤاده ، وهو يقول : رَبِّي اللهُ ثم لا يستقيم ؛ قال الله تعالى (٥) : (وَلَعِنَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ

(١) الروزنة : الكوة . (٢) في هامش ب : ويضحى .

(٣) الوادي : مفرج ما بين جبال أو تلال أو آكام جمعه أو داء ، وأودية ، وأوداة ، وأودية . قال ابن سيده : وبعضهم يروي : الأودية : قال : وهو تصحيف (تاج العروس) .

(٤) الكوى : جمع كوة . (٥) سورة الزخرف ، آية ٩

وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقْنَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ^(١) .

وَمَنْ يَدَبِرُ الْأُمُورَ ^(٢)؟ وَمَنْ يَرْزُقُكَ؟ وَمَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ؟

وَمَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ؟ فَيَقُولُنَّ اللَّهُ، ثُمَّ أَشْرَكَوَابِهِ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قُلْ (أَفَلَا تَتَّقُونَ ^(٣) .

فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ ، فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ) .

وَإِنَّمَا حَمَلُهُمْ عَلَى الشِّرْكِ الْهَوَى ، لِأَنَّ الْهَوَى يُطَلِّبُ الضَّرَّ وَالنَّفْعَ ،

وَالْتَجَاءً ^(٤) مِنْ أَجْلِ الْمَضَرَّةِ وَالْمَنْفَعَةِ إِلَى الْأَوْثَانِ ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ^(٥) :

(مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ^(٦)) .

وَقَالَ ^(٧) : (أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ شُفَعَاءَ ^(٨)) .

وَقَالَ ^(٩) : (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ^(١٠)) .

(١) ولئن سألتهم : يعنى المشركين . ليقولن الله خلقهن : أقروا له بالخلق والإيجاد ثم عبدوا غيره جهلا منهم .

(٢) فى سورة يونس ، آية ٣١ : قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون .

(٣) سورة يونس ، آية ٣١ ، ٣٢ .

(٤) فى ح : ومن التجأ . والمثبت فى أ ، ب .

(٥) سورة الزمر ، آية ٣ .

(٦) الزلفى : القربة ، أى ليقربونا إليه تقريبا .

(٧) سورة الزمر ، آية ٤٣ .

(٨) شفعاء - يعنى الأصنام .

(٩) سورة مريم ، آية ٨١ .

(١٠) واتخذوا - يعنى مشركى قريش . عزاء : أعوانا ومنعة .

فإِذَا مَنَّ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ فَتَحَ رَوْزَنَةً مِنْ [هَذَا ^(١)] الْهَوَاءِ الْمُطْبَقِ
بِالنُّورِ الَّذِي لَاقَى هَذَا الطَّبَقَ فَخَرَقَهُ ، وَخَلَصَ إِلَى قَلْبِهِ إِشْرَاقُهُ ،
فَقَدْ خَرَجَتْ شَمْسُهُ مِنَ الْكُسُوفِ ، وَأَشْرَقَ الصَّدْرُ بِنُورِ اللَّهِ ، فَاسْتَقَرَّ
الْقَلْبُ وَأَمِنَ .

فَهَذَا عَبْدٌ مَمْنُونٌ عَلَيْهِ بِالْإِيمَانِ ، حَبَّبَ إِلَيْهِ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي
قَلْبِهِ ، وَالَّذِي لَمْ يَمَنْ عَلَيْهِ بِذَلِكَ فَقَلَبَهُ فِي غِلَافٍ ، وَذَلِكَ الْغِلَافُ
هُوَ الْهَوَى الْمُطْبَقُ ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ^(٢) : (أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ
إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ ، وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ ، وَجَعَلَ
عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً) ؛ أَيْ عَلَى بَصَرِ فُؤَادِهِ غِشَاوَةً ، وَتِلْكَ الْغِشَاوَةُ
هُوَ ^(٣) الْهَوَى (فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ ، أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) .

وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ ^(٤) يَا (إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ
يَفْقَهُوهُ ^(٥)) ؛ وَهُوَ الْغِطَاءُ ، وَذَلِكَ الْهَوَى ؛ فَإِذَا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَذَا النُّورِ
نَخَّرَقَ ذَلِكَ الْهَوَى ، فَاسْتَقَرَّ إِشْرَاقُهُ فِي مَكَانِ الْهَوَى ، وَرَحَلَ الْهَوَى عَنْ
مَوْضِعِهِ ، فَوَلَّجَ ^(٦) ذَلِكَ الْإِشْرَاقُ فِي الصَّدْرِ ، فَأَضَاءَ وَاسْتَنَارَ ، فَزَكَا .

(١) مِنْ ب .

(٢) سُورَةُ الْحَائِيَةِ : آيَةٌ ٢٣

(٣) هَذَا بِالْأَصُولِ .

(٤) سُورَةُ الْكَهْفِ : آيَةٌ ٥٧

(٥) أَيْ مَنَعْنَا الْإِيمَانَ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ فِي قُلُوبِهِمْ وَأَسْمَاعِهِمْ .

(٦) فِي ج - أَوْلَجَ ، وَوَلَّجَ : دَخَلَ .

وقال الله تعالى^(١) : (قد أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا. وقد خَابَ مَنْ دَسَّاهَا^(٢)) ؛
أى دَسَّ تلكَ الرُّوزنةَ بظُلْمَةِ الهوى وظُلْمَةِ الشُّركِ ، فالخائبُ خَابَ
عن الحِظِّ ؛ لأنَّه غابَ يَوْمَ القسمةِ عن المَقْسَمِ يومَ المقاديرِ قَبْلَ
خَلْقِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ والعَرْشِ والكرسى واللُّوحِ ، فلم يَحْتِظْ^(٣)
من ذلكَ النورِ ؛ غابَ وخَابَ ؛ وذلكَ قوله تعالى^(٤) : (ومن لم
يَجْعَلِ اللهُ له نُورًا فَمَالَهُ مِنْ نُورٍ)^(٥) .

وقال لمن شهد المَقْسَمَ يومَ المقاديرِ^(٦) : (وجَعَلْنَا له نُورًا
يَمْشِي به في الناسِ) .

وقال^(٧) : (أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ للإِسْلامِ فهو على نُورٍ مِنْ
رَبِّهِ)^(٨) .

فهذا عَبْدٌ قد مَنَّ اللهُ عليه حتى فتحَ من هذا الهوى المَطْبِقِ
رُوزنَتَهُ ، حتى أَشْرَقَ فيها نُورُ المَعْرِفَةِ في الصِّدْرِ ، فوجدَ رَبَّهُ ،

(١) سورة الشمس ، آية ٩ ، ١٠

(٢) أَفْلَحَ : فاز . زَكَّاهَا : زكى نفسه بالطاعة . خَابَ : خسر . دَسَّاهَا : أخفى
نفسه عن الطالبين . قال ابن الأعرابي : وقد خَابَ من دَسَّاهَا ؛ أى دَسَّ نفسه في جملة
الصالحين وليس فيهم .

(٣) في ب : فلم يحظ . (٤) سورة النور ، آية ٤٠

(٥) قال ابن عباس : أى من لم يجعل الله له ديناً فما له من دين ، ومن لم يجعل الله
له نوراً يمشى به يوم القيامة لم يهتد إلى الجنة . وقال الزجاج : ذلك في الدنيا ، ومن لم
يهده الله لم يهتد .

(٦) سورة الأنعام ، آية ١٢٢ (٧) سورة الزمر ، آية ٢٢

(٨) شرح : فتح ووسع ، قال ابن عباس : وسع صدره للإسلام حتى ثبت فيه =

واستقام له ، وذلك قوله تعالى ^(١) : (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا).

الآخرون مثل العنكبوت

والآخرون قالوا : (رَبُّنَا اللَّهُ) لما وضع فيهم من العلم به ، ثم زاعوا وقالوا بأفواههم ؛ طلباً للمنافع وهرباً من المضار ، فلم يستقيموا واتخذوا من دونه أولياءً يحتلبونهم ويستدرُّون منافعهم منهم ، ويستظهرون ^(٢) بهم ، ويتخذونهم من دون الله وليجةً يأمنون في تلك الوليجة ^(٣) ؛ فمثلهم كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً ، لا يستر ولا يدفع حرّاً ولا برداً ولا يأتي بخير .

ما في خطبة له عليه السلام

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في خطبته ^(٤) :
إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : جَعَلْتُ ^(٥) عِبَادِي كُلَّهُمْ حُنَفَاءً ^(٦) ، فَأَمَرْتُهُمْ

على نور من ربه : على هدى من ربه . وفي القرطبي (١٥ - ٢٤٧) : وخرجه الترمذى الحكيم في نوادر الأصول من حديث ابن عمر : أن رجلاً قال : يا رسول الله ، أى المؤمنين أكيس ؟ قال : أكثرهم للموت ذكراً ، وأحسنهم له استعداداً ؛ وإذا دخل النور فى القلب انفسح وتوسع : قالوا : فما آية ذلك يا نبي الله ؟ قال : الإجابة إلى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل نزول الموت .

(١) سورة فصلت ، آية ٣٠ ، سورة الأحقاف ، آية ١٣

(٢) يستظهرون : يتقوون .

(٣) الوليجة : من تتخذها معتمداً عليه من غير أهلك . وهو وليجتهم ، أى لصيق بهم .

(٤) صحيح مسلم : ٢١٩٧ (٥) فى صحيح مسلم : خلقت .

(٦) حنفاء : مسلمين ، وقيل طاهرين من المعاصى . وقيل : مستقيمين منيبين

القبول الهداية .

أَلَا يَشْرِكُوا بِي شَيْئًا ، فَآتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ ، فَأَحَالَتْهُمْ ^(١) عَنْ دِينِهِمْ
وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي .

فهؤلاء صنف لم يَمَنَّ اللهُ عليهم بنور الهداية ، ومن هداه حَبِّبَ
إِلَيْهِ الْإِيمَانَ بِحَبِّهِ ، وَزَيَّنَهُ فِي قَلْبِهِ بِالْعَقْلِ الَّذِي هَدَى إِلَيْهِ ؛
فثَبَّتَ عَلَى التَّوْحِيدِ ، وَوَفَّى بِإِلَهِهِ إِلَّا اللَّهَ ، ثُمَّ اقْتَضَاهُ الطَّاعَةَ فِي
الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ .

فكَلَّمَا وَفَى الْعَبْدَ بِهَذِهِ الطَّاعَةَ فِي جَمِيعِ مَتَقَلَّبِهِ ، وَوَقَعَ عَلَيْهِ
الْجُهْدُ وَالتَّعَبُ ، وَاجْتَهَدَ وَاحْتَمَلَ التَّعَبَ كَانَ إِنَّمَا يَعْمَلُ فِي اتِّسَاعِ
هَذِهِ الرَّوْزَةِ ، وَانْقِشَاعِ هَذَا الْهَوَى ؛ فَلَا يَزَالُ يُوسِّعُهَا حَتَّى تَغِيبَ
فِي نَوَاحِي صَدْرِهِ إِلَى جَوْفِهِ ، فَيَبْقَى هُنَاكَ مَسْجُونًا ، فَيَمُوتُ فِي
الْغَمِّ غَمِّ الْجَوْفِ ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا جَاءَهُ النُّورُ الْأَوَّلُ حَتَّى خَرَقَ تِلْكَ الرَّوْزَةَ
كَانَ ذَلِكَ مِنَ الْمِنَّةِ ^(٢) ، فَاقْبَلِ أَمْرَ اللَّهِ فِي أَنْ يُطِيعَهُ فِي كُلِّ أَمْرِهِ
كَهَيْئَةِ الْعَبِيدِ ؛ فَيَعْبُدُهُ بِالطَّاعَةِ ؛ فَابْتِلَاةً بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، لِيَنْظُرَ
كَيْفَ وَفَاؤُهُ بِمَا أَمَرَ وَقَبِلَ ؛ فَكَلَّمَا أَطَاعَ فِي أَمْرٍ أَمِدَّ مِنَ ذَلِكَ النُّورِ ،
فَلَا يَزَالُ فِي مَزِيدٍ مِنَ الْمَدَدِ ؛ فَكَلَّمَا صَعَدَ إِلَى اللَّهِ مِنْهُ طَاعَةً أَمِدَّ

(١) فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ : فَاجْتَالَتْهُمْ . اجْتَالَتْهُمْ : اسْتَخَفَّتْهُمْ فَذَهَبُوا بِهِمْ ، وَأَزَالُوهُمْ
عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ ، وَجَالُوا مَعَهُمْ فِي الْبَاطِلِ . وَأَحَالَتْهُمْ : حَوَّلَتْهُمْ وَصَرَفَتْهُمْ .
(٢) الْمِنَّةُ : النِّعْمَةُ وَالْفَضْلُ .

الله بمدد من ذلك النور ، فإذا جاء النور الزائد وقع على الهوى ،
فرحله عن مكانه ، واستقر في موضعه ؛ فلا يزال هذا دأب (١)
العبد في الطاعة وشأن الله تعالى في المزيد حتى يطبق الصدر بالنور ،
ويغيب الهوى كله من نواحي الصدر إلى الجوف ؛ لأن الهوى
مظلم ؛ فإذا جاء مدد النور ومزيده أشرق ذلك المكان ، وغابت ظلمة
الهوى حتى يمتلي الصدر نوراً ، كما كان ممتلئاً من الهوى ،
وتشرق الشمس بكاملها من قلبه في صدره ، فإذا لاحظ بنور تلك
الشمس ملك العظمة سبي (٢) قلبه حب الله ، وإذا لاحظ ملك الجلال
أحاطت به الخشية ، ولزمه الخوف ، ووقفه مكان الهيبة ؛ فعلى
المحبة قرار القلب في الباطن ، والهيبة غشاء الحب حتى لا يضطرب
القلب ، وتسكن هشاشة (٣) النفس في تلك الهيبة . وتصديق
ما قلنا في شأن المدد في قول الله تعالى (٤) : (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ
هُدًى ، وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (٥) .

(١) دأب : شأن . (٢) سبي : أسر .

(٣) هش الرجل هشاشة : إذا تبسم وارتاح (المصباح) . (٤) سورة محمد ، آية ١٧

(٥) والذين اهتدوا للإيمان زادهم الله هدى . وفي الهدى الذي زادهم أربعة أقوال :

أحدها - زادهم علماً ؛ قاله الربيع بن أنس . الثاني - أنهم علموا ما سمعوا وعملوا

بما علموا ؛ قاله الضحاك . الثالث - زادهم بصيرة في دينهم وتصديقاً لنبينهم ؛ قاله

الكلبي . الرابع - شرح صدورهم بما هم عليه من الإيمان .

وآتاهم تقواهم : ألهمهم إياها . والتقوى : الخشية ، أو ثواب تقواهم في الآخرة ،

أو وفقهم للعمل الذي فرض عليهم .

فكلما عمِلَ العَبْدُ طَاعَةً فَإِنَّمَا يَعْمَلُهَا مِنَ الْإِهْتِدَاءِ ، فَيَزِيدُهُ اللَّهُ
هُدًى ، أَى نورا يُورِثُهُ التَّقْوَى ، وَلَا تَكُونُ التَّقْوَى إِلَّا مِنَ الْخَوْفِ
وَالْخَشْيَةِ .

السلام للأمة من إبراهيم :

وقولُ إبراهيمَ لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة أُسْرِىَ بِهِ ، فَلَقِيَهُ
فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فَقَالَ لَهُ : أَقْرَى^(١) أُمَّتِكَ مِنِّي السَّلَامَ ،
وَأَخْبِرْهُمْ بِأَنَّ الْجَنَّةَ قِيَعَانُ^(٢) طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ ، عَذْبَةُ الْمَاءِ ، وَأَنَّ
غُرَاسَهَا^(٣) سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ .

مثل رجل غرس غرسا

فمثل ذلك كمثل رجل غرس غرسا في بستانه ، وكان بذره
ألوانا : من الرياحين ألوانا ، ومن الثمار ألوانا ، فنبتت على هيئة
ما بذر ، فكذلك بذر التسبيح غير بذر الحمد ؛ ولكل كلمة بذر
سوى بذر الأخرى ، فمنبته من بذره . وكل بذر له جوهر وطعم
وريح وثمره ؛ فكذلك هذه الكلمات : لكل كلمة جوهر وطعم
وثمره ؛ فجوهر « سبحان الله » الطهر والنزاهة ، وطعمه السعة
والغنى ، وريحه الروح^(٤) ، وثمرته التقوى .

(١) أقرى أمتك مني السلام : أبلغهم مني السلام .

(٢) القاع : أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام ، والجمع قيع

وقيعه وقيعان (القاموس) .

(٣) الغرس : المغروس ، وجمعه أغراس وغراس .

(٤) الروح : الرحمة .

وجَوْهَرُ الحَمْدِ الحَب ، وطَعْمُهُ الحَنِينِ والشَّوْقُ والحَلَاوَةُ ،
ورِيحُهُ الفَرَحُ ، وثمرته نفاذُ مشيئته في الحِكمِ والقِسمِ .
وجَوْهَرُ التَّهْلِيلِ ^(١) الوَلَهَ ^(٢) بِأَهْلِيَّتِهِ ، وطَعْمُهُ الامْتِلاءُ
والغنى ، وريحُهُ البَصْرُ ، وثمرته الحريَّةُ والخروجُ من الرِقِّ
والاعتزاز ^(٣) بالله .

وجَوْهَرُ التَّكْبِيرِ الكِبْرُ والاحْتِشَاءُ ^(٤) ، وطَعْمُهُ السَّمَاحَةُ
والنزاهة ، وثمرته القُوَّةُ في أمرِ اللهِ تعالى ؛ فإذا بَدَرَ نَبَتَ هُنَاكَ
على تُرابٍ وقد خَرَجَ ذلكُ التُّرابُ مِنَ الرِّضْوَانِ ، فَأَرْضُهُ لَبِقَةٌ ^(٥) ،
والماءُ مِنَ الحَيَاةِ والرَّحْمَةِ ، والبذرُ مِنَ الصِّفَاتِ ؛ فما ظنُّكَ بنباتِ
أصلِهِ مِنَ الرِّضْوَانِ والحَيَاةِ والصِّفَاتِ ؟ كيف تَكُونُ تلكَ الرِّياحِينِ
وتلكَ الثُّمارِ ؟ فكلُّهُ يَكُونُ نَبْتُهُ وثمرته على قَدْرِ ما خَرَجَتْ مِنْهُ
الكَلِمَةُ يَقِينًا وَمَعْرِفَةً وَعِلْمًا ، وهو قولُهُ تعالى ^(٦) : (وَمَنْ يَقْتَرِفْ
حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا) ^(٧) .

(١) قول : لا إله إلا الله . (٢) الوله : الحنين .

(٣) اعتر بفلان : عد نفسه عزيزاً به (القاموس) .

(٤) الاحتشاء : الامتلاء .

(٥) لبقة : لائقة .

(٦) سورة الشورى ، آية ٢٣ ، والآية : ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا
وعملوا الصالحات قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة
نزاد له فيها حسناً إن الله غفور شكور .

(٧) من يقترف : من يكتسب . نزاد له فيها حسناً : نضاعف له الحسنه بعشر

أمثاله فصاعداً . إن الله غفور للذنوب ، شكور للحسنات .

فَحَسَّنَ الْكَلِمَةَ مِنْ حُسْنِ الْخُرُوجِ مِنْهُ ، وَحَسَنَ الْخُرُوجَ مِنْهُ
عَلَى هَذِهِ الْمَعَادِنِ ^(١) بِحُسْنِ الْمَعْرِفَةِ وَالْعِلْمِ وَالْيَقِينِ وَالْعَقْلِ ، فَعَلَى
حَسَبِ ذَلِكَ يَزَادُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ حُسْنُ الْمَسَاكِنِ وَالْأَزْوَاجِ ، وَالْكَسْوَةِ
وَالثَّمَارِ وَالْبَسَاتِينِ ، وَالْأَفْرَاحِ وَالْوُجُوهِ وَالْأَجْسَادِ وَالْخُدَمِ ، فَتَقَسَّمَ
اللَّهُ تَعَالَى حُسْنَ الْجَنَّةِ فِي الدَّرَجَاتِ عَلَى قَدْرِ حُسْنِ أَعْمَالِهِمْ وَعُبُودِيَّتِهِمْ ،
فَبِالْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْعَقْلِ تَحْسُنُ الْأَشْيَاءُ مِنَ الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ ^(٢) ،
وَبِالنَّفْسِ تَطِيْبُ وَتَثْبِتُ وَتَدْوُمُ .

مثل القلب والنفس

مثل القلب والنفس مثل أميرٍ ولى بلدةً ، وولى بِنْدَرَتِهَا آخَرَ ،
فَالْأَمِيرُ يَصِلُ بِالنَّاسِ ، وَتَتَحَوَّلُ النَّاسُ بِالْمَوَاعِظِ فِي الْخُطْبِ ، وَيُقِيمُ
الْحُدُودَ ، وَيُؤَدِّبُ الرِّعِيَّةَ ، وَيُقِيمُ أَوْدَهُمْ ^(٣) بِالتَّعْلِيمِ مَرَّةً وَبِالتَّعْزِيرِ ^(٤)
وَالْحَبْسِ مَرَّةً ، وَمَرَّةً بِالْجَوَائِزِ وَالْخِلَعِ ^(٥) وَالْحُمْلَانَ ^(٦) وَالطَّعَامَ

-
- (١) المعدن : منبت الجواهر من ذهب ونحوه ، لإقامة أهله فيه دائماً ، أو لإنبات
الله عز وجل إياه فيه . ومكان كل شيء فيه أصله .
(٢) تحسن الأشياء بسبب الأقوال والأفعال .
(٣) الأود : الاعوجاج .
(٤) التعزير : التأديب دون الحد .
(٥) الخلعة : ما يخلع على الإنسان ، وخيار المال - ويضم .
(٦) الحملان : بالضم : ما يحمل عليه من الدواب .

على موائده ، والبندار (١) يجمع المال والخراج والعشور (٢) والصدقات ، وهو موكل بأرزاق الجند ؛ فالسلطان للأمير ، وبيت المال للبندار .

فالقلب أمير ، وله سلطان المعرفة بمطالعة الملكوت ، ومقامه

من الجلال والعظمة وملك الهيبة ؛ فهو الذي يقف في مقامه بين

يدي الله تعالى في الملكوت ، ويقيم أود (٣) الجوارح ويؤدبهم ،

ويسير بهم بسيرة الطاعة ، والنفس بندار يجمع الأموال كلها بباب

الشكر وباب الصبر ، وتقوم بجميع الفرائض فتؤديها إلى الحق ،

وتمنع عن أدناس (٤) الآثام تورعاً وتقدساً (٥) ، وتتمسكن

وتتخشع لربها ؛ فما دام الأمير محافظاً على أمرته ضابطاً لها ، مشرفاً

على أدب الرعية ، واقفاً بين يدي الملك الأجل في مقامه ، يراقب

أموره وما يخرج له من التوقيع له بالباب ، وصائناً لسلطانه ، وفي

رعيته مهيباً (٦) - فأمره مستو (٧) ، وولايته عزيزة ، وما دام البندار

مشرفاً على أمور ديوانه محصناً لأبواب الأموال ، مستقصياً في

جمعه ، ضابطاً له - فأمره قوي ، وخزائنه محشوة بالأموال ، فمتى

(١) في القاموس : البنادرة : تجار يلزمون المعادن ، أو الذين يخزنون البضائع

للغلاء ، جمع بندار . ومن يكون كثيراً من شيء يشتره منه من هو دونه ثم يبيعه ،

والكثير المال .

(٢) عشرت المال : أخذت عشره .

(٣) أود : اعوجاج .

(٤) أدناس : أوساخ .

(٥) تقدس : تظهر .

(٦) الهيبة : الإجلال .

(٧) في الأصول : مستوى .

دعاهما (١) الملك فوجدهما على هذه الصفة أكرمهما وقربهما
ورضى عنهما ، وحلاً محلّ الخاصة في جواز الأمر ونفاذ القول .
فإذا ذهب البندار يَخْتَانُ (٢) ويَحْجِزُ من الأموال لنفسه الذخائر ،
وأشغل نفسه بالملاهي وملاذّ النعم ، وترك الإشراف على أموره ،
والاستقصاء في اقتضاء حق بيت المال حتى ضاع كثير من المال ، وما
صار بيده من ذلك سرق بعضاً فاحتجته (٣) لنفسه ، ثم لم يقنعه هذا الذي
فعل حتى قصد الخدع (٤) الأمير [٦١] واستمالته إلى نفسه ، ليشاركه
في أموره ، ولياً من ناحيته ، وطمع أن يجعله عوناً لنفسه وتحت يده
حتى لا يكون لأحد في هذه البلدة سلطان ولا أمر ولا نهى إلا له ، فصير
الأمير تابعا له في لهوه ولعبه وفساده ، كبعض عبيده ، حتى قوى
عليه قوة أخذ منه أمرته وولايته ، فمتى مادعاهما الملك وجدتهما بهذه
الصفة ما يقول لهذا الأمير؟ كيف يعاقبه؟ وماذا يقول للبندار؟
وبأية عقوبة يعاقبه؟ فإن عقوبة الأمير حيث انخدع للبندار أعظم ،
فالعقوبة الأمير أن يعزله ، ثم يقتضيه الأموال ، ويخاف الأيوليه
أبداً ، وعقوبة البندار أن يحبس ، ثم يقتضيه الأموال ، ورفع الحساب
مُحْكَمًا ، فالبندار مسجون بالأموال ، إذا جاء بها خلى عنه . والأمير

(١) دعاهما : دعا الأمير والبندار .

(٢) يَخْتَانُ : يخون .

(٣) احتجته : احتجزه .

(٤) خدعه : ختله ، وأراد به المكروه من حيث لا يعلم .

معزول مطرود مهان مسلوب ، مشرف على ضرب العنق (١) . فكذلك
النفس ضيقت الفرائض ، وتوثبت (٢) في المحارم ، وخانت الأمانة
والوفاء بالعهد الذي رفع إليه يوم الميثاق ، فضيغ البندكية (٣) ، وحل
وثاقا (٤) الجوارح الذي أوثق يوم الميثاق ، وأخلى بيت المال من
الأموال ، وأجاع الجند وأظمأهم وأعراهم ، وسلكهم في البوادي (٥)
بلا ماء حتى عطشوا . شغل جوارحه عن الطاعات في ارتكاب الحرامات ،
وشغل سمعه عن المواعظ باللغو والأباطيل ، وبصره عن الاعتبار
بالملاهي واللذات والزينة . ونسى المقابر والبيلى . ولها عن ذكر المعاد ،
وسها عن المبدأ والمنتهى من أين ؟ وإلى أين ؟ ثم لم يقنعها ذلك ، حتى
استمالت القلب ، فلم تزل تخادعه ، حتى أسرته وصيرته تابعا لها ،
وتحت يدها مقهورا ذليلا ، تقود بخطامه (٦) حيث شاءت ، وذهب
سلطان المعرفة ، ووقعت الغارة في كنوز القلب ، فإذا قدما على الله طولبت
النفس بالفرائض والغرامات والجنايات ، وما ضيقت من الأمانات ،
واشتملت عليه من الظلم للعبيد ، وسجنت ، وطولب القلب بالعهد

(١) على القتل .

(٢) توثبت في المحارم : يريد استمرت في عملها ، واستقرت على ذلك .

(٣) في تاج العروس : البنادك : المقيمون بالبلد وكأنتهم الأصول فيها .

(٤) الوثاق : القيد والحبل ونحوه .

(٥) البوادي : جمع بادية . والبادية : خلاف الحضرة .

(٦) الخطام : ما يوضع على أنف البعير ليققاد به .

وَاللُّوَاءُ^(١) ؛ فَإِذَا لَمْ يُوْجَدْ مَعَهُ ضُرِبَتْ عُنُقُهُ ، فَصَارَ مَعَ الْأَعْدَاءِ ، وَخَرَجَ اسْمُهُ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ ، وَالْعَهْدُ فِي بَاطِنِ إِيْمَانِهِ ، وَاللُّوَاءُ عَلَى طَرَفِ لِسَانِهِ ؛ وَهِيَ الْكَلِمَةُ الْعُلْيَا .

مثل من سار إلى الله حتى وصل إلى محل القرية

مَثَلُ مَنْ سَارَ بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى وَصَلَ إِلَى مَحَلِّ الْقَرْيَةِ ، وَأَعْطَى سِرَاجًا يَمْشِي بِهِ فِي أُمُورِهِ ، لِيَكُونَ عَلَى بَصِيرَةٍ - مَثَلُ رَجُلٍ سَارَ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ فِي طَرِيقٍ ؛ فَهُوَ يَتَعَسَّفُ^(٢) ، فَوَجَدَ سِرَاجًا يَسْتَضِي بِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ مَا يَكُنُّ^(٣) سِرَاجَهُ مِنَ الرِّيحِ ، فَهَاجَتْ رِيحٌ لَمْ يَأْتِ مِنْهَا أَنْطِفَاءٌ ؛ فَلَيْسَ هَذَا بِأَمْرٍ مُحْكَمٍ وَلَا وَثِيقٍ ؛ فَكَذَلِكَ مَنْ سَارَ إِلَى اللَّهِ فَوَصَلَ إِلَى مَحَلِّ الْقَرْيَةِ ، فَأَعْطَى سِرَاجًا يَمْشِي بِهِ فِي أُمُورِهِ لِيَكُونَ عَلَى بَصِيرَةٍ ، فَهُوَ عَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ ، لِأَنَّهُ إِذَا وَجَدَ السِّرَاجَ وَنَفْسُهُ حَيَّةٌ بَعْدَ ، وَالهُوَى مِنْهُ بِمُرْصَدٍ مَعَ الْعَدُوِّ ، فَطَالَ بِذَلِكَ السِّرَاجِ سَاعَةً أُمُورِهِ ، وَعَرَفَهُ بِصِفَاتِهِ ، وَأَشْرَقَ فِي صَدْرِهِ نُورُ ذَلِكَ الْجَمَالِ ، وَنُورُ الْبَهَاءِ ، وَنُورُ الْبَهْجَةِ ؛ فَامْتَلَأَ صَدْرُهُ فَرَجًا ، وَطَالَ كَرَمُهُ وَجُودُهُ وَمَجْدُهُ ، فَهَاجَتْ رِيَاحُ الشَّهَوَاتِ مِنْهُ لِعَوَارِضِ الدُّنْيَا الَّتِي يَأْوِجُ لَهَا [بِهَا]^(٤) الْعَدُوُّ ، وَيَرْجُو بِذَلِكَ سَقَطَتَهُ ، فَتَحَيَّرَتْ نَفْسُهُ وَتَشَجَّعَتْ

(١) اللواء : العلم .

(٢) عسف عن الطريق : مال وعدل ، كاعتسف وتعسف . أو خبط على غير

هداية .

(٣) يكن سراجة : يستره .

(٤) زيادة يقتضيها التعبير :

على الأمور ، فرمتُ به في أودية المهالك ؛ فإذا كاس (١) العبد ، واستعمل الكياسة تجنّب أسباب الآفات ، وأبقى على عطاياه التي أُعطِيَ في محل القربة إبقاءً رجل لبس ثوباً خطيراً (٢) ذا ثمن ، فصانه أن يلبسه في وقت هيجان الرياح ، واغترار (٣) الهواء اتقاءً على ذهاب طراوته ، وحاسب نفسه على الدقيق والجليل (٤) ، وكبح بلجام النفس على التجرّي والتجشع ، ولزم الدعاء والتضرّع ، وألح في طلب الثبات ، ولم يدخل في أمرٍ من الأمور إلا بإذن ، وأودع الله نفسه ودينه وأمانته ؛ فإذا كان هكذا رُفِعَ من هذه المرتبة إلى القبضة ، فإذا وقع في القبضة وقع في الثبات والحرز ، والحفظ والمأمّن ، وصاربه يسمع ويبصر وينطق ؛ وبه يعقل ويبطش ، وبه يمشي ، فقد وقع سراجُه في الكِنِّ ، ولا تقدر الرياح أن تطفئه .

مثل الذي يترك مجاهدة النفس

ومثل الذي يستولى عليه العجز حتى يترك مجاهدة النفس ، وحتى يدع (٥) الإخلاص في الأمور وطلب الصدق حتى يصير متصنعا مرأثيا مداهنا (٦) مخلطا (٧) ، يخضع للملوك ، ويتملق للأغنياء ، ويتصنع

(١) كاس العبد : غلب بالكياسة . والكياسة : هي الظرف والفتنة .

(٢) خطيراً : مرتفع القدر .

(٣) في ج : واغترار . والمثبت في ب ، ح .

(٤) الجليل : الكبير العظيم .

(٥) يدع : يترك . (٦) المداهنة : النفاق .

(٧) الخلط : من يخلط في الأمور .

عند العامة ، كمثل رَجُلٍ معدود اسمه في الرجال ، فلما عرِي وجد
نَحْتِي ، فاسمه اسم الرجال ، وهيئته هيئة الرجال ، وفعله فعل
الإناث ؛ فإذا كان هذا وضيعا من الخلق ، دنيا خطرا شخصه ،
فكيف يكون غداً هذا المتصنع المرائي ، الملق (١) للأغنياء ،
المتبصص (٢) للملوك خضوعاً وطمعاً .

مثل من ترك المجاهدة في وقت طاعة النفس

ومثل من ترك المجاهدة في وقت طاعة النفس كمثل رجل
خرج محارباً بسلاح تام ودابة فارهة (٣) ، وجميع ما يحتاج إليه ؛
فلما صار إلى مصاف العدو ، ونشبت الحرب ذهب هذا فدفن
سلاحه في التراب ، ونحلى (٤) دابته كي لا يقال : تقدم إلى القتال ،
فخاب عن الزحمة ؛ إذ تشبه بالمجاهدين وليس منهم ، كما فعل
جد (٥) بن قيس السلمى يوم بيعة الرضوان ، وذلك يوم الحديبية ،

(١) الملق : الود واللطف ، وأن تعطي باللسان ما ليس في القلب (القاموس)

(٢) بصبص الكلب : حرك ذنبه . (٣) فارهة : فتية قوية .

(٤) نحلى دابته : تركها .

(٥) في المغازي للواقدي (٥٩١) : قال أبو قتادة لما دعا رسول الله صلى الله عليه

وسلم إلى البيعة فر الجد بن قيس فدخل تحت بطن البعير فخرجت أعدو وأخذت بيد

رجل كان يكلمني فأخرجناه تحت بطن البعير ، فقلت : ويحك ! ما أدخلك هنا ؟

أفراراً مما نزل به روح القدس ؟ قال : لا ، ولكني رعبت وسمعت الهيعة (الهيعة :

الصوت تفرغ منه وتخافه من عدو) . قال الرجل : لا نضحت عنك أبداً ، وما فيك

خير (نضح عنه : دافع) . ومات الجد في خلافة عثمان .

ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُحْرِمٌ مَمْنُوعٌ عَنِ الْبَيْتِ وَالطَّوَافِ بِهِ ، وَالْهَدْيِ ^(١) مَحْبُوسٌ عَنْ بَلُوغِ مَحَلِّهِ ؛ وَوَجَّهَ عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَسُولًا إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ ، فَلَمَّا أَبْطَأَ وَقَعَ الْخَبْرُ فِي الْعَسْكَرِ أَنَّ عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قُتِلَ ، فَارْتَجَّ الْعَسْكَرُ بِمَا هَاجَ ؛ وَقَعَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، وَبَايَعَهُ النَّاسُ عَلَى أَنْ يَدْخُلُوا مَكَّةَ وَيَحَارِبُوا ، فَبَايَعُوهُ عَلَى الْمَوْتِ - يَعْنِي أَنْ يُقَاتِلُوا وَلَا يَفِرُّوا حَتَّى يَمُوتُوا ؛ وَكَانُوا أَلْفًا وَثَمَانِمِائَةً ، فَبَايَعُوهُ كُلُّهُمْ إِلَّا جَدَّ بْنَ قَيْسٍ ، فَإِنَّهُ أَقَامَ بَعِيرَهُ ، وَاخْتَبَأَ تَحْتَ إِبِطِ بَعِيرِهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٢) :
(لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ) ^(٣) .
وَالْخَائِبُ عَنِ رَحْمَةِ اللَّهِ فِي سَابِقِ الْعِلْمِ خَائِبٌ فِي كُلِّ وَقْتٍ .

مثل من يقصر في الفرائض

مَثَلٌ مَنْ يَقْصُرُ فِي الْفَرَائِضِ مَثَلُ عَبْدٍ يُؤَدِّي ضَرْبَةَ ^(٤)
مَوْلَاهُ ^(٥) شَهْرًا شَهْرًا ، فَالْعَبْدُ السُّوءُ يُؤَخِّرُ آدَاءَهُ ، وَيَمَاطِلُ ^(٦)

(١) الهدى : ما يهدى إلى الحرم من النعم .

(٢) سورة الفتح ، آية ١٨

(٣) هذه هي بيعة الرضوان ، وكانت بالحديبية . وخبرها في كتب التاريخ ،

وانظر في ذلك أيام العرب في الإسلام صفحة ٧٧

(٤) ضربت على العبد خراجا : إذا جعلت عليه وظيفة ، والاسم الضريبة .

والوظيفة : ما يقدر من عمل ورزق وطعام .

(٥) مولاه : سيده .

(٦) يماطل : يسوف ويؤخر .

مَوْلَاهُ حَتَّى يَطْعَنَ ^(١) فِي الشَّهْرِ الثَّانِي فَيَتَوَسَّطُهُ ، فَإِذَا أَدَّاهَا خَلَطَ بِهَا
زَيْوْفًا ^(٢) وَبَهْرَجَةً ^(٣) ، فَهَذَا الْمَوْلَى فِي كَرَمِهِ وَسَهُولَةِ أَمْرِهِ وَمُعَامَلَتِهِ
يَقْبَلُ ذَلِكَ مِنْ عَبْدِهِ ، وَلَكِنَّهُ عِنْدَهُ [٦٢] فِي الْمَنْزِلَةِ فِي أَدْنَى الْمَرَاتِبِ
مُسْتَخْفًا بِهِ وَبِأَحْوَالِهِ .

مثل من يضيع حقوق الله

وَمِثْلُ مَنْ يَضِيعُ حَقُوقَ اللَّهِ تَعَالَى مِثْلَ عَبْدٍ وَكُلِّهِ مَوْلَاهُ بِأَمْوَالِهِ
وَعَبِيدِهِ ، فَطَالَعَ عَمَلَهُ ، فَوَجَدَهُ إِنَّمَا هَمَّتْهُ بَطْنُهُ وَفَرْجُهُ ، فَإِذَا شَبِعَ
وَقَضَى نَهْمَتَهُ ^(٤) مِنْ فَرْجِهِ وَاسْتَسَى ، رَفَعَ الْبَالَ عَنْ عَمَلِ مَوْلَاهُ
وَعَبِيدِهِ ، فَهَذَا عَبْدٌ سَاقِطُ الْمَنْزِلَةِ .

مثل من قرأ القرآن بغير فهم

وَمِثْلُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ بَغَيْرِ فَهْمٍ مِثْلُ رَجُلٍ أُعْطِيَ جَوَاهِرَ
بِالْعِرَاقِ ، فَقِيلَ لَهُ : انْقُلْهَا إِلَى خِرَاسَانَ بِكَرَاءٍ ^(٥) مِائَةِ دِرْهَمٍ ،
وَعَامِلٌ بِهَا هُنَاكَ ، فَإِنْ عَامَلْتَ بِهَا هُنَاكَ فَلَاكَ رِبْحُهَا ، وَرِبْحُهَا مِائَةُ
الْبَيْوتَاتِ ذَهَبًا وَفِضَّةً .

(١) طعن في الشهر : دخل فيه .

(٢) زيوفاً : جمع زيف : ردى .

(٣) البهرج : الباطل والردى ، وفي أ ، ب : تهرجة .

(٤) النهمة : الحاجة ، والشهوة في الشيء .

(٥) الكراء : الأجرة .

فلما وافى خراسان اجتزأ^(١) بالكراء ، وترك المعاملة ، فأعطى
الكراء مائة درهم على حمّله ، وصرفت^(٢) المعاملة إلى غيره .
فكذلك من قرأ القرآن ولم يعامل الله بتلك الجواهر التي تعطى
فيه - له أجر تعبته وعنائته في قراءته ، وفاتته المعاملة وأرباح
المعاملة .

مثل الواعظ الناصح

مثل الواعظ الناصح مثل عبد للملك ، وللملك عبيد آخرون
سواه من بين راع وحرّاث ، وصانع وتاجر ، وكل واحد منهم
قد وكل بعمل من الأعمال ، يطالبون بالقيام بذلك وأداء الغلة^(٣) ،
وكل واحد منهم يدعى أنه يحب مولاه ، وينصحه ويطيعه في
أمره ، مقبل على أمره الذي وكل به ، موفياً لوظيفته التي وظفت^(٤)
لأعليه من العمل ؛ وكان هذا العبد الواحد من بينهم يوفر على الملك
وظيفته من العمل ، ومع ذلك يطوف على هؤلاء العبيد ، ويبحث
كل واحد منهم على القيام بعمل الملك وبتوفير ماوظف عليه ،
والإشفاق على أعماله ، ويجل بصدورهم أعماله ، ويصف لهم
قدر الملك وغناه ، وسعته وقوته ، ويؤملهم كرمه وجوده ، وحسن

(١) اجتزأ : اكتفى .

(٢) صرفت المعاملة : حولت .

(٣) الغلة : كل شيء يحصل من ريع الأرض أو أجرتها ونحو ذلك .

(٤) وظفت عليه توظيفا : قدرت .

خَلَقَهُ ، وَجَمِيلَ مَعَامَلَتِهِ ، وَمَحَاسِنَ مَا آتَى إِلَيْهِمْ وَعَطَفَ عَلَيْهِمْ ،
وَيَحْتَمُهُمْ عَلَى النَّصِيحَةِ^(١) لِهَذَا فِي رَعْيِ أَغْنَامِهِ ، وَلِهَذَا فِي صِنَاعَتِهِ ،
وَلِهَذَا فِي تِجَارَتِهِ ، وَيُعِينُهُمْ عَلَى ذَلِكَ ؛ لَا يَحْمِلُهُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا حُبُّ
الْمَلِكِ ، وَتَعْظِيمُ أَمْرِهِ ، وَتَوْقِيرُ شَأْنِهِ ، وَأَنْ تَقَعَ الْأُمُورُ مِنْهُ مُسَارَّةً ،
وَالْمَلِكُ مُطَّلِعٌ عَلَى ذَلِكَ مِنْهُ وَعَلَى سَائِرِ^(٢) هَؤُلَاءِ الْعَبِيدِ ، كُلِّ وَاحِدٍ
إِنَّمَا بِأَلْفِهِ...^(٣) وَبِأَلِّ هَذَا الْوَاحِدِ بِقُرْبِهِ ؛ وَمَوْلَاهُ قَدْ صَرَفَ هِمَّتَهُ
أَجْمَعَ عَنْ نَفْسِهِ ، وَجَمَعَ هَمُومَهُ أَجْمَعَ ، فَجَعَلَهَا هَمًّا وَاحِدًا لِلرَّبِّهِ .

فَهَذَا عَبْدٌ نَاصِحَ اللَّهِ فَنَصَحَهُ اللَّهُ ، وَأَحَبَّ اللَّهُ فَأَحَبَّهُ اللَّهُ ، وَتَوَلَّى
اللَّهُ فَتَوَلَّاهُ اللَّهُ ، فَهُوَ وَليُّ اللَّهِ ، وَاللَّهُ وَليُّهُ .

فَمَا ظَنُّكَ بِاللَّهِ يَوْمَ يَدْعُو هَؤُلَاءِ الْعَبِيدَ ، وَتَدْعُوهُ ، فَيَجْزِيهِمْ
عَلَى أَعْمَالِهِمْ عَلَى قَدْرِ عَقُولِهِمْ ؟ مَاذَا يَكُونُ جَزَاءُ الْعَبْدِ النَّاصِحِ ؟
وَإِنَّمَا أَدْرِكُ النَّصِيحَةَ بِفَضْلِ عَقْلِ فِيهِ ؛ عَقْلٌ إِلَهِيٌّ ، وَعَقْلٌ عَنْهُ
تَدْبِيرُهُ وَأُمُورُهُ ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
يَعْمَلُونَ وَيَعْلَمُونَ النَّاسَ الْخَيْرَ ، وَيُعْطُونَ أَجُورَهُمْ عَلَى قَدْرِ عَقُولِهِمْ .

أَنْبَأَنَا صَالِحُ بْنُ مُحَمَّدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ بِإِسْنَادِهِ قَالَ : أَوْحَى اللَّهُ
تَعَالَى إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ يَامُوسَى إِنَّمَا أَجْزَى النَّاسَ عَلَى
قَدْرِ عَقُولِهِمْ .

(١) النَّصِيحَةُ : الْإِخْلَاصُ .

(٢) سَائِرُ : بَاقِي .

(٣) فِي مَكَانٍ هَذَا الْبَيَاضُ كَلِمَةٌ غَيْرُ مَقْرُوءَةٍ .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : العَقْلُ ثلاثة أجزاء : حُسْنُ المعرفة لله ، وحُسْنُ الطاعة لله ، وحُسْنُ الصبر لله .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن جبريل عليه السلام عن الله تعالى أنه قال : ما تَقَرَّبَ إلىَّ عَبْدِي بِمِثْلِ أَدَاءِ فَرَائِضِي ، وإنه لِيَتَقَرَّبُ إلىَّ بعد ذلك بالنَّوَافِلِ حتى أُحِبَّهُ ؛ وما يَتَقَرَّبُ إلىَّ عَبْدٌ بِمِثْلِ النَّصْحِ ؛ فإذا أُحِبَبْتَهُ كُنْتُ سَمِعَهُ وبَصَرَهُ ، وَيَدَهُ وِرْجَلَهُ ، وفُؤَادَهُ ، فَبِي يَسْمَعُ ، وبِي يَبْصُرُ ، وبِي يَمْشِي ، وبِي يَبْطِشُ ، وبِي يَعْقِلُ .

وكانت مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم تكفياً كما تكفى (١) السفينة ؛ فإنما كان ذلك لا مُتَلَاءَهُ من عظمة الله تعالى ، وكان يميلُ به جلالُ الله هكذا وهكذا ؛ لأنَّ الجلالَ لا يسكن .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى : أَحَبُّ ما تَعَبَّدَ لي به عَبْدِي النَّصْحُ لي .

وكذلك ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً مَوَكَّلِينَ بِأَرْزَاقِ بَنِي آدَمَ ، قال : أَيُّما (٢) عَبْدٍ وَجَدْتُمُوهُ

(١) تكفى : تمايل إلى قدام . وبعضهم يرويه مهموزاً : تكفأً تكفأً (الفائق : ٣-٣٦) وفي صحيح مسلم ١٨١٥ : إذا مشى تكفأً . قال شمر : أى مال يميناً وشمالاً . قال الأزهرى : هذا خطأ لأن هذا صفة الختال ؛ وإنما معناه أن يميل إلى سمتة وقصده ، كما قال في الرواية الأخرى : كأنما ينحط من صيب . وارجع إلى الشائل للترمذى .
(٢) هذا فى أ ، ب ، ح .

حَلْب ، فَإِنْ تَحَرَّى الْعَدْلَ فَطَيَّبُوا وَيَسِّرُوا ، وَإِنْ تَعَدَّى إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ
فَخَلُّوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ ، ثُمَّ لَا يَنَالُ فَوْقَ الدَّرَجَةِ الَّتِي كَتَبْتُهَا لَهُ .
فَقَدْ ذَكَرَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ مَنْ جَمَعَ هُمُومَهُ فَجَعَلَهَا هَمًّا وَاحِدًا
خَضَمَ الْخَالِقُ رِزْقَهُ وَكَفَى .

مثل من أعطى نور الهداية

مِثْلُ مَنْ أُعْطِيَ نُورَ الْهُدَايَةِ ، وَاسْتَنَارَ قَلْبُهُ ، ثُمَّ أَضَاءَ صَدْرُهُ مِنْ
نُورِ الْقَلْبِ - مِثْلُ رَجُلٍ فِي بَيْتٍ مُظْلَمٍ لَا يَهْتَدِي لِمَا فِيهِ ، وَفِي الْبَيْتِ
جَوَاهِرٌ وَأَلْوَانٌ مِنَ النُّعْمَةِ نَاحِيَةٌ مِنْهُ ، وَفِي النَّاحِيَةِ الْآخَرَى مَزْبَلَةٌ (١)
وَجَرَفٌ (٢) يَتَرَدَّى (٣) فِيهَا ، وَعَقَارِبٌ وَشَوْكٌ ، وَهُوَ فِي تِلْكَ الظُّلْمَةِ
سَكْرَانٌ لَا يُفِيقُ بِجَوْهَرٍ وَنُعْمَةٍ ، وَلَا لِقَدَارَةٍ مَزْبَلَةٍ وَتَرَدَّى جَرَفٌ ،
وَلَدَغَةٌ عَقْرِبٌ ، وَوَخْزَةٌ شَوْكَةٌ مِنْ سُكْرِهِ ، فَأُعْطِيَ سِرَاجًا فَأَفَاقَ مِنْ
سُكْرِهِ ، فَأَضَاءَتْ لَهُ جُدْرَانُ الْبَيْتِ مِنْ ضَوْءِ ذَلِكَ السِّرَاجِ ، فَمَنْ قَامَ
خَلْفَهُ فَإِنَّمَا يَعْلَمُ بِحَالِهِ وَهَيْئَتِهِ وَنَعْتِهِ (٤) مِمَّا يَتَرَاعَى لَهُ مِنَ الظِّلِّ عَلَى
ذَلِكَ الْجِدَارِ الْمُضِيِّ الَّذِي هُوَ أَمَامَهُ ، فَإِذَا كَانَ ذَا جِثَّةٍ عَرَفَ ذَلِكَ بِمَا
وَقَعَ مِنَ الظِّلِّ عَلَى ذَلِكَ الْجِدَارِ ، وَعَرَفَ صُورَتَهُ بِمَا وَقَعَ لَهُ النَّعْتُ بِذَلِكَ
الظِّلِّ عَلَى الْجِدَارِ ، وَإِنْ أَشَارَ بِأَصَابِعِهِ مِنْ خَلْفِهِ وَقَعَ ظِلُّ إِشَارَتِهِ عَلَى

(١) الزبل - بالكسر : السرجين . والمزبلة : المكان الذي يلقي فيه الزبل .

(٢) الجرف : ما تجرفته السيول وأكلته من الأرض .

(٣) يتردى : يسقط .

(٤) نعته : صفته .

الجدار ، فعلم عدد الأصابع وما ينقص منها وما يزيد ، فصارت له رؤية ذلك الظل ، كأنك التفت إليه فرأيت به بعينك ، فإذا أثرت في ذلك البيت من دقاق^(١) التراب حتى يثور غباره فيمتلئ البيت ، أو أحرقت تبنا حتى ارتفع وهاج دخانه ، فامتلا البيت ، حجب ذلك الغبار والدخان عينيك عن رؤية ما كنت تراه على الجدار أمامك ، وغاب ذلك الظل الذي كنت تراه في ذلك الغبار والدخان بغلبتهما عليه .

فكذا الذي أضاء صدره من نور قلبه ، كلما ذكر في شيء من أمور الآخرة وشأن القيامة والدارين تصورت صورة تلك الأشياء لعيني فؤاده ؛ لأن ذكر تلك الأشياء إذا تصورت صارت الصور ظلاً في الصدر قبالة^(٢) عيني الفؤاد ؛ لأن الضوء من نور الله في صدره ؛ فإذا جاءت صور الأشياء وقع للصور ظل في ذلك الطور ؛ لأنه عليه النور ، ولكن حجبت صور الأشياء عيني الفؤاد عن رؤية النور بمقدار ما تصور .

ألا ترى أنه إذا انتقل من فكر المخلوقين إلى فكرة جلال الله وعظمته ازداد الضوء ، ولم تقع لتلك الفكرة صورة ؛ لأن ضوء هذه الفكرة زيادة في ذلك الضوء ، لأنه منه فكر ، ومنه [٦٣] حدث للضوء ، ثم عاد إلى ما حدث منه ، ولم يكن له ظل .

(١) الدقاق - كغراب : فتات كل شيء ، والدقيق .

(٢) قبالة العين : تجاهها .

وَإِذَا فَكَّرَ فِي أَمْرِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْقِيَامَةِ وَكُلِّ شَيْءٍ مَخْلُوقٍ
صَارَتْ تِلْكَ الصُّورُ الَّتِي تُصَوِّرُ بِالْفِكْرِ حَاجِبًا لِعَيْنِي الْفُؤَادِ عَنِ
ذَلِكَ النُّورِ بِمَقْدَارِ الصُّورِ ؛ فَلِذَلِكَ سَمَّيْنَاهُ ظِلًّا ؛ فَإِذَا عَايَنَ ذَلِكَ
الظِّلَّ عَلَى تِلْكَ الصُّورِ صَارَ كَأَنَّهُ يَشَاهِدُ بَعِينِي فُؤَادَهُ مَا يُعَايِنُ غَدَا
بَعِينِي رَأْسِهِ فِي الْآخِرَةِ ، وَإِذَا لَحِظَ إِلَى عِظْمَةِ اللَّهِ وَجَلَالِهِ أَشْرَقَ
الصَّدْرُ ، وَصَارَ ذَا شُعَاعٍ كُلِّهِ ؛ فَهُوَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ كَأَنَّهُ يَشَاهِدُ
بَعِينِي فُؤَادَهُ مَا يَشَاهِدُ مِنَ الْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَالنَّظَرِ إِلَى جَلَالِهِ ، وَإِذَا
خَلَا مِنَ النَّفْسِ وَشَهْوَاتِهَا ثَارَ ^(١) دُخَانُهَا إِلَى الصَّدْرِ ؛ فَامْتَلَأَ هَذَا
الصَّدْرُ دُخَانًا وَغُبَارًا ؛ الدُّخَانُ لِحَرِيقِ الشَّهْوَاتِ ، وَالْغُبَارُ لِلتَّجْبِيرِ
الَّذِي فِي النَّفْسِ مِنَ الْكِبَرِ ، فَغَابَ ذَلِكَ الظِّلُّ بِتِلْكَ الصُّورِ الَّتِي
صَوَّرَتْ لَهُ أُمُورَ الْآخِرَةِ ؛ لِأَنَّهُ اخْتَلَطَ الضُّوءُ بِالْغُبَارِ وَالِدُّخَانِ ،
وَافْتَقَدَتْ ^(٢) عَيْنَا الْفُؤَادِ تِلْكَ الصُّورَ .

فَإِذَا ذَهَبَ يَتَفَكَّرُ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَفَكِّرَ ؛ لِأَنَّ بَصَرَهُ لَا يَنْفَعُ فِي
ذَلِكَ الْغُبَارِ وَالِدُّخَانِ إِلَى صُورِ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ ؛ وَقَدْ ذَهَبَتْ الصُّورُ ؛
وَتَصِيرُ تِلْكَ الْفِكْرُ الْآنَ حَوْلَهَا ؛ فَهُوَ يَحْدِثُ نَفْسَهُ ، وَيَحْسِبُ أَنَّهُ
فِكْرَةٌ ، وَإِنَّمَا الْفِكْرَةُ تَوْهَمٌ ، وَالتَّوْهَمُ فِي الشَّيْءِ الْمَضِيِّ لِصُورِ
الْأَشْيَاءِ لَكَ ، وَإِذَا دَامَ ذَلِكَ فَهُوَ فِكْرُهُ ، وَيُقَالُ لِلتَّوْهَمِ بِالْأَعْجَمِيَّةِ

(١) فِي أ : فَا ر . وَالمُثَبِتُ فِي ب .

(٢) اِفْتَقَدَ الشَّيْءَ : بَحَثَ عَنْهُ عِنْدَمَا لَمْ يَجِدْهُ .

« انديشة » ولفكرة « اسكالسن » ، فالتوهم أصل ، والفكرة فرع ممدود ؛
فبالتوهم يتصور ، ويتفرع ما تصور ويمتد باستقبال القلب ذلك ،
حتى يمتد ويثمر ؛ فتلك فكرة ، وإنما صارت عامة أعمال العامة
فاسدة هذا الذي وصفنا ، لأن الأعمال تصدر عن عيني الفؤاد ، وأن
تدبير القلب مع العقل هناك يتراعى لعيني الفؤاد صور الأمور ،
ويزين العقل فيها ما حسن لعيني الفؤاد حتى يدبر الفؤاد ويمضيه .

تسمية القلب قلبا :

والقلب والفؤاد هو بضعه ^(١) في بضعه ، فما بطن فالنور فيه
فهو القلب ، سمي قلبا لأنه بين إصبعين من أصابع الرحمن الخالق ،
وإذا أراد الله أن يهديه بسطه فاستقام ، وإذا أراد أن يضلّه نكسه ^(٢) ؛
فنور القلب يتأدى ^(٣) إلى بصر الفؤاد ، فيستنير ويضي منه
الصدر ؛ فإن شاء الرحمن قلبه كيف شاء على ما مضى من الصدر ؛
فالفؤاد هي البضعة الظاهرة التي في جوفها هذه ، وعلى الفؤاد عينان ،
فسمي كله قلبا لاتصالهما ، ولأن أحدهما في جوف الآخر ، كاللؤلؤة
في الزجاجة ، وهو قول الله تعالى ^(٤) : (ما كذب الفؤاد ما رأى) .

(١) البضعة : القطعة من اللحم .

(٢) نكسه : قلبه على رأسه .

(٣) يتأدى : يصل .

(٤) سورة النجم ، آية ١١

وقال الله تعالى في التقليل (١) : (وَنَقَلْبُ أَفْئِدَتِهِمْ وَأَبْصَارَهُمْ
كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ) (٢) .
فقلب الكافر منكوس ، وبصر فؤاده من أسفل . وقلب
المؤمن مبسوط منتصب ، ووجهه إلى الله تعالى . وذلك قول الله تعالى (٣) :
(وَمَنْ يَسْلَمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى
وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) (٤) .

ولما روى عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع
الرحمن ، وإذا أراد الله أن يهديه بسطه فاستقام ، وإذا أراد الله
أن يضلّه نكسه (٥) .

(١) سورة الأنعام : آية ١١٠

(٢) في القرطبي (٦٥-٧) : قيل المعنى : ونقلب أفئدتهم وأبصارهم يوم القيامة
على لهب النار وحر الجمر كما لم يؤمنوا في الدنيا . وقيل : ونقلب في الدنيا ؛ أي نحول
بينهم وبين الإيمان لو جاءتهم تلك الآية كما حلنا بينهم وبين الإيمان أول مرة لما
دعوتهم وأظهرت المعجزة . والمعنى : كان ينبغي أن يؤمنوا إذا جاءتهم الآية فرأوها
بأبصارهم وعرفوها بقلوبهم ؛ فإذا لم يؤمنوا كان ذلك بتقليل الله قلوبهم وأبصارهم .
وقيل : ونقلب أفئدة هؤلاء كي لا يؤمنوا كما لم تؤمن كفار الأمم السابقة لما رأوا
ما أقرحوا من الآيات .

(٣) سورة لقمان ، آية ٢٢

(٤) يسلم وجهه إلى الله : يخلص عبادته وقصده إلى الله . وهو محسن ؛ لأن العبادة
من غير إحسان ولا معرفة القلب لا تنفع . العروة الوثقى : لا إله إلا الله .
(٥) نكسه : قلبه .

فَنُورُ الْقَلْبِ يَتَأَدَى ^(١) إِلَى بَصَرِ الْفُؤَادِ ، فَيَسْتَنِيرُ وَيُضِيءُ
مِنْهُ الصَّدْرُ ، وَإِذَا غَشِيَ الصَّدْرَ وَالْفُؤَادَ دُخَانُ الشَّهْوَاتِ صَارَ كَبَيْتٍ
فِيهِ سَرَاجٌ قَدْ غَابَ ضَوْؤُهُ فِي ذَلِكَ الدُّخَانِ ، وَأَيْضًا صَارَ دُخَانًا ؛
لَأَنَّ الشَّهْوَاتِ لَهَا حَرِيقٌ جَاءَ مِنَ الشَّهْوَاتِ الْمُحْفَوفَةِ بِبَابِ النَّارِ ؛
وَإِنَّمَا خُلِقَتْ مِنَ النَّارِ ، وَبِبَابِ النَّارِ وَضِعَتْ ، وَفِي جَوْفِ كُلِّ
آدَمِيٍّ مِنْهَا رِيحٌ تَلِكُ النَّارَ ، وَلَهَا اهْتَدَتْ فِي الْعُرُوقِ إِذَا هَاجَتْ حَتَّى
تَأْخُذَ جَمِيعَ الْجَوَارِحِ ^(٢) ؛ لِأَنَّ الْعُرُوقَ قَدْ التَفَّتْ عَلَى الْجَسَدِ
كُلَّهُ ؛ فَلِذَلِكَ إِذَا هَاجَتْ شَهْوَةٌ شَيْءٌ مِنْكَ أَخَذَتْ فِي تِلْكَ السَّرْعَةِ
مِنَ الْقَرْنِ ^(٣) إِلَى الْقَدَمِ ؛ لِأَنَّهَا هَاجَتْ فِي الْعُرُوقِ فِي سُرْعَةٍ تَأْكُ
الرِّيحَ الْجَاهِجَةَ ^(٤) ، فَاشْتَمَلَتْ عَلَى الْجَسَدِ كُلِّهِ .

وَقَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٥) : أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ أَلْيَنَ
قُلُوبًا وَأَرْقَ أَفْئِدَةً ، فَإِنَّمَا وَصَفَ الْقَلْبَ بِاللَّيْنِ ؛ لِأَنَّ الْقَلْبَ إِنَّمَا
يَلِينُ بِالرَّحْمَةِ ؛ لِأَنَّهُ بِالرَّحْمَةِ تَرْتُطِبُ الْأَشْيَاءُ ، فَكَلَّمَا كَانَ الْقَلْبُ
أَوْفَرَ ^(٦) حَظًّا مِنَ الرَّحْمَةِ كَانَ أَلْيَنَ ، ثُمَّ يُخَافُ عَلَيْهِ - مِنَ اللَّيْنِ -

(١) يتأدى : يصل :

(٢) الجوارح : أعضاء الإنسان .

(٣) القرن : يريد الرأس .

(٤) جمع الفرس : غلب فارسه - يريد الشديدة .

(٥) صحيح مسلم : ٧٢

(٦) أوفر حظًا : أكثر نصيبًا .

العجز عن أمر الله ؛ لأنَّ اللين يُؤدِّي إلى كسل النَّفس ، فإذا وفر الله تعالى عليه الرَّحمةَ فليِنَّه ، ثم فتحَ عليه من نورِ العظمة انكشافَ ذلك النور من رطوبةِ الرَّحمة ، فاستدرَّ الرَّحمة ، وعلاه نورُ الجلال والهيبة ، فصلَّبَ القلبُ ؛ فذاك محبوبُ الله تعالى في قلوب العباد أن يكونَ رحيماً صلِّباً ؛ ففي وقتِ يستعملُ الرَّحمة ، وفي وقتِ يستعملُ الصَّلابة .

ولذلك ما روى عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :
مَارِزِقَ عَبْدٌ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنْ إِيْمَانٍ صُلْبٍ . رَوَاهُ أَبِيٌّ عَنْ صَالِحِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ شَمِيلٍ ، عَنْ عَوْفٍ عَنْ أَبِي السَّلِيلِ (١) .

أَلَا تَرَى أَنَّ قَوْمًا رَقَّتْ قُلُوبُهُمْ عِنْدَ إِقَامَةِ الْحُدُودِ ، فَنَزَلَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى (٢) : (وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلِيَشْهَدَ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (٣) .

(١) هو ضريب بن نقيير ، قال ابن سعد : كان ثقة . (تهذيب التهذيب : ٤-٤٥٨) .

(٢) سورة النور ، آية ٢

(٣) بهما : الضمير راجع إلى الزانية والزاني في قوله تعالى في أول الآية : الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة . ولا تأخذكم بهما رأفة : لا تمتنعوا عن إقامة الحدود شفقة على المحدود ، ولا تخففوا الضرب من غير إجماع . في دين الله : في حكم الله ، أو في طاعة الله وشرعه فيما أمركم به من إقامة الحدود .

ثم قررهم على معنى التثبیت والحض بقوله : إن كنتم تؤمنون بالله . وهذا كما تقول لرجل تحضه : إن كنت رجلاً فافعل كذا ؛ أي هذه أفعال الرجال .

صلابة الايمان :

فحقيقةُ الإيمانِ البالغِ أَنْ يعملَ نُورَ العِظْمةِ في قلبك حتى يَصْلُبَ القلبُ ؛ لِأَنَّ هذا الاسمَ اسمَ العِظْمةِ العِظْمِي ، فَتَوَلَّهَ القلبُ إِلَيْهِ بِعِلْمِكَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ إِيمَانَكَ بِاللَّهِ يَصْلُبُ^(١) قَلْبَكَ فِي ذَاتِهِ حَتَّى تَغِيبَ الرَّأْفَةُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فِي تِلْكَ الصَّلَابَةِ مِنْ قَلْبِكَ .

وذلك مثلُ ما قال النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيثُ كَلَّمُ فِي تِلْكَ الْمَخْزُومِيَةِ الْقُرَشِيَّةِ حَيْثُ سَرَقْتُ ، فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ : وَاللَّهِ لَوْ كَانَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَطَعْتُهَا^(٢) ، ثُمَّ نَزَلَ فَقَطَعَهَا . -

رقعة الفؤاد :

وَأَمَّا رَقْعَةُ الْفُؤَادِ الَّتِي وَصَفَ بِهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْلَ الْيَمَنِ^(٣) فَإِنَّ هَذِهِ الْبَضْعَةَ^(٤) الظَّاهِرَةُ هِيَ وَعَاءٌ لِتِلْكَ الْبَضْعَةِ الْبَاطِنَةِ ؛ فَإِذَا كَانَتْ رَقِيقَةً تَأْدَى^(٥) ذَلِكَ النُّورَ الَّذِي فِي الْقَلْبِ إِلَى الصَّدْرِ ، فَنَفَذَ الْبَضْعَةَ الظَّاهِرَةَ ؛ وَالْقَلْبُ بِمَنْزِلَةِ الْمَشْكَاةِ^(٦) الَّتِي فِي جَوْفِ الْقَنْدِيلِ ، وَالنُّورُ فِي الْمَشْكَاةِ ، وَالْفُؤَادُ هِيَ الزَّجَاجَةُ الَّتِي فِيهَا الْمَشْكَاةُ ، وَالْمَشْكَاةُ وَسَطُ الزَّجَاجَةِ ؛ فَكَلِمَا كَانَتْ الزَّجَاجَةُ

(١) الصلب : الشديد . صلب - ككرم ، وسمع - صلابة . وصلب تصليبا ،

وصلبته أنا .

(٢) القطع : هو جزاء السرقة . وانظر الحديث في صحيح مسلم : ١٣١٥ ، والنسائي :

٨ - ١٦٤ (٣) في الحديث السابق . (٤) البضعة : القطعة من اللحم .

(٥) تأدى : وصل . (٦) المشكاة : كل كوة غير نافذة .

أَرْقٍ وَأَصْفَى كَانَ ضَوْءُ السِّرَاجِ أَنْفَذَ إِلَى الصُّدْرِ ، وَكَلِمَا كَانَتْ
أَكْثَفَ وَأَقْلَّ صِفَاءً كَانَ ضَوْءُهُ أَقْلَّ [٦٤] ؛ فَإِنَّمَا مَدَحَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلَيْنِ الْقَلْبِ لَوْفَارَةٍ ^(١) حَظُّهُمْ مِنَ الرَّحْمَةِ ؛ وَبِرُقَّةِ
الْفُؤَادِ لِإِضَاءَةِ الصُّدْرِ مِنْهُمْ مِنْ أَجْلِ الرُّقَّةِ .

فَأَمَّا الَّذِي وَصَفْنَا بِالصَّلَابَةِ فَهُوَ الْكَامِلُ ؛ لِمَا رَوَى عَنْ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : **إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى أَوَانِي ^(٢) فِي
الْأَرْضِ أَلَا وَهِيَ الْقُلُوبُ ، وَأَحَبُّهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَرْقُهَا وَأَصْفَاهَا
وَأَصْلَبُهَا ؛ أَرْقُهَا لِلْإِخْوَانِ ، وَأَصْفَاهَا مِنَ الذُّنُوبِ ، وَأَصْلَبُهَا فِي
ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى .**

مثل انقياد النفس

مَثَلُ انْقِيَادِ النَّفْسِ فِي أَعْمَالِ الْبِرِّ مَثَلُ رَجُلٍ قِيلَ لَهُ فِي لَيْلَةٍ
شَاتِيَّةٍ ^(٣) مُظْلَمَةٍ : **احْمِلْ هَذِهِ الْحَمُولَةَ إِلَى مَوْضِعِ كَذَا ، فَهَالَهُ ^(٤)
ذَلِكَ جَدًّا ، وَثَقُلَ عَلَيْهِ ، وَهَالَهُ شَانُهَا ، وَأَظْهَرَ الْعَجْزَ وَالضَّعْفَ
وَالْوَهْنَ ^(٥) مِنْ نَفْسِهِ .**

فَإِنْ قِيلَ لَهُ : **احْمِلْهَا وَلَكَ أَلْفُ دَرَاهِمٍ أَوْ دَنَانِيرٍ ، فَتَارَ فِيهِ
فَرَحٌ تِلْكَ الدَّنَانِيرِ حَتَّى أَخَذَ مِنْ قَرْنِهِ ^(٦) إِلَى قَدَمِهِ بِمَا رَجَا نَوَالَهُ ،**

(١) وفارة : كثرة . (٢) الأواني : جمع آنية .

(٣) شتا اليوم فهو شات : اشتد برده . (٤) هاله : أفرعه .

(٥) الوهن : الضعف . (٦) من قرنه : من رأسه .

فوجد من القوة من قلبه ، فاحتملها مُسرِعاً في السير ، وأظهر من نفسه قوة - فإنما قواه على ذلك فرح الدنانير ؛ فهذا مثل عبد حمل رجاء الثواب والنوال .

ولو لم يقل له : لك دنانير ترجو نوالها ، ولكن قال له : احملها وإلا ضربتكَ بالسيف ، فوجد من القوة ما احتملها واستخف بها من خوف السيف ؛ فهذا عبدٌ عمل على خوف الوعيد والعقاب .

ولو لم يكن هناك طمع ولا خوف ، ولكن قيل له احملها ، فتلكاً وحرناً (١) ، وأظهر العجز عنها ، فقيل له : أتدرى أن هذه الحمولة لمن ؟ قال : لا . فقيل : هي لفلان . فذكر رجل أعز الخلق عليه ، وأحبهم إليه ، فهاج من حبه في قلبه مانس الدنانير والسيف (٢) ، وأخذته من الحرمة (٣) لذلك الرجل والحياء ما لا يجد من نفسه ترك حمولته على قارعة الطريق (٤) حتى تضيع ؛ فاحتملها بقوة أشد من الأولين ، ونشاط وسرور ما لم يعلم أنه عليه شيء من الحمولة ؛ فهذا عبدٌ عمل على حب الله تعالى ، فبحبه الله أحب صاحب الحمولة ، فلا يترك نصحاً في ذلك العمل إلا بذله ، وأشفق

(١) يقال : حرنت الدابة إذا استدر جريها فامتنت .

(٢) أي لم يرج الثواب كأول ، ولم يخف العقاب كالثاني .

(٣) الحرمة : المهابة (المصباح) .

(٤) أي ما لا يجد من نفسه القدرة على ترك حمولته . . .

إِشْفَاقًا يَصُونُهُ عَنِ الْإِنْكَسَارِ وَعَنْ صِدُومِ^(١) الْآفَةِ ، لِحُبِّ صَاحِبِهَا .
فَالْأَوَّلُ يَحْمِلُهَا طَمَعًا لِتِلْكَ الدَّنَانِيرِ ، فَلَا يَكُونُ لَهُ شَفَقَةٌ عَلَى
تِلْكَ الْحَمُولَةِ أَنْ يَبْلُغَ بِهَا الْمَوْضِعَ الَّذِي أُشِيرَ لَهُ إِلَيْهِ ؛ وَكَذَا
الَّذِي خُوفٌ بِالسَّيْفِ إِنَّمَا بَالُهُ أَنْ يَبْلُغَ بِالْحَمُولَةِ الْمَكَانَ الَّذِي أُمِرَ ،
ثُمَّ إِنْ أَصَابَهَا فِي الطَّرِيقِ عَثَائِرٌ مِنْ صَدْمَةٍ أَوْ تَغْيِيرٍ حَالٍ لَا يُبَالَى ؛
إِنَّمَا بَالَى بِحَمْلِهَا مَخَافَةً مِنَ السَّيْفِ .

فَالْأَوَّلُ إِنَّمَا بَالُهُ الْوَصُولُ إِلَى مَا طَمَعَ فِيهِ مِنَ النَّوَالِ^(٢) ، وَهَذَا
الَّذِي عَرَفَ لِمَنْ هَذِهِ الْحَمُولَةُ أَخَذَتْهُ الشَّفَقَةُ عَلَى تِلْكَ الْحَمُولَةِ .
فَالْآخِرُ حَمَلَهَا مَحَبَّةً لِصَاحِبِهَا حَتَّى احْتَمَلَهَا إِلَى أَنْ يَتَوَقَّأَهَا^(٣) .
الْآفَاتُ ، وَإِبْلَاغُهَا إِلَى الْأَصْلِ .

وَالثَّانِي إِنَّمَا بَالُهُ إِبْلَاغُهَا إِلَى الْأَصْلِ لِلثَّوَابِ وَالنَّجَاةِ .
وَكَذَا عُمَالُ اللَّهِ تَعَالَى : مِنْهُمْ مَنْ يَعْمَلُ عَلَى الْكَسَلِ وَالْعَجْزِ عَلَى
التَّجْوِيزِ وَ«الشَّايذِبُودُ»^(٤) ، فَإِذَا انْتَبَهَ لِلوَعْدِ وَالنَّوَالِ جَدًّا وَاجْتَهَدَ ؛
فَعِنْدَ الْإِنْتِبَاهِ إِنَّمَا بَالُهُ الْوَصُولُ إِلَى مَا طَمَعَ ، وَلَيْسَ لَهُ شَفَقَةٌ عَلَى
الْمَحْمَلِ .

وَالثَّلَاثُ عَمَلٌ عَلَى الْحَرَمَةِ وَالشَّفَقَةُ عَلَى حَقُوقِهِ ؛ فَوْقَاهُ

(١) هَذَا فِي الْأَصُولِ . وَالْمَعْرُوفُ فِي مَصْدَرِ صِدْمٍ : « صِدْمٌ » ، يُقَالُ : صَدَمْتُهُمْ

أَمْرٌ : أَصَابَهُمْ (تَاجُ الْعُرُوسِ) .

(٢) النَّوَالُ : الْعَطَاءُ . (٣) يَتَوَقَّأُهَا : يَحْفَظُهَا .

(٤) هَذَا بِالْأَصُولِ .

العثار ، وصدّات النفس ، وعمَلُهُ على الهَشَاشَةِ (١) والسماحة
والانطلاق .

حال المشفق :

قال له قائل : صف لنا حال المشفق في أموره ؛ قد عرفنا
الجنفين ؛ فمن هذا الثالث ؟ قال : هذا عبدٌ محبٌ لربه ، فهو
يتحرى (٢) مسرّاته في الأمر ، كما روى عن الله تعالى أنه قال :

يا عيسى ، أنزلي من نفسك كهملك ، وتحرّ مسرّتي في الأمور .
فالمحبُّ لربه إنما بالله من الأمور طلبُ مسرّاته ؛ ماذا يحبُّ
ربّي من هذا الأمر ؟ وماذا يسره ؟
فرح الله بتوبة العبد :

ألا ترى إلى ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (٣) :
لله أفرحُ بتوبة العبد من أحدكم ضلّت راحلته عليها زادته وطعامه
وشرابه في فلاة (٤) من الأرض ، فضرب (٥) يميناً وشمالاً في
طلبها فلم يجدها ، فوطن (٦) نفسه على الموت ، وقال : أذهبُ

(١) الهشاشة : الارتياح والخفة والنشاط .

(٢) تحرى : تعمد وقصد .

(٣) صحيح مسلم : ٢١٠٤ - ٢١٠٥ ، وقد سبق : ١٠٥

(٤) الفلاة : القفر ، أو المفازة لا ماء فيها .

(٥) ضرب : سار . وضرب في الأرض ضرباً : خرج تاجراً أو غازياً . أو أسرع ،

وذهب .

(٦) وطن نفسه : توطين النفس : تمهيدها .

إلى ذلك المكان الذي ضلّت فيه راحلتى ، فرجع إليها فوجدها قائمةً هناك .

ومن السرور بعبادته يُباهى ^(١) بعملِ الآدميِّ للملائكة ، ويفتخرُ به فيهم ؛ فيقول : ياملائكتي ، انظروا إلى عبدى ؛ فهو لفرحه بتوبة العبدِ وبأعماله يُباهى به الملائكة .

وما جاء أنه يُباهى بأهل عرفات ، ويقول : عبادى! جاءونى شعناً ^(٢) غبراً ^(٣) من كلِّ فجٍّ عميقٍ ^(٤) .

فحقّ على من عقل هذا أن يطلب في الأمور بجهد مسرّاته ، فيطلب زينة الأمور ؛ فإن لكلِّ شىءٍ زينةً وكسوة . وقد يرى الأشياء العارف كيف يتضاعف حسنها إذا كسيت وزينت وطُيبت ، والمحِبُّ لربه لا يرضى أن يعمل له على خبث النفس والكراهة والعسر والتثاقل والنكر ^(٥) والعبوس ؛ بل يتوخى ^(٦) فى كلِّ أمرٍ التسارع والخفة والسبق ، والهشاشة ^(٧) والسماحة ، والانطلاق واليسر ،

(١) يباهى : يفاخر .

(٢) الشعث : جمع أشعث ، مغبر الرأس .

(٣) غبر : جمع أغبر . والغبرة : لون الغبار .

(٤) فج : طريق واسع . عميق : بعيد .

(٥) النكر : المنكر .

(٦) يتوخى : يقصد .

(٧) الهشاشة : الارتياح والخفة والنشاط .

فَإِنْ لَمْ يَجِدْ هَذَا فِي وَقْتِ عَظُمَتْ عَلَيْهِ الْمُصِيبَةُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَعَدَّهُ
نَقْصًا عَظِيمًا دَخَلَ عَلَيْهِ ، فَيَنْظُرُ مِنْ أَيْنَ جَاءَ هَذَا ، فَيَحْتَالُ أَنْ
يُنْحِيَهُ (١) وَيَنْفِيَهُ .

لَا تَرَى إِلَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حَيْثُ جَاءَ الْمُؤَذِّنُ ،
فَقَالَ : الصَّلَاةُ ! فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : إِنَّ لَنَا شَوَاءً فِي
التَّنَوُّرِ (٢) ، فَإِنْ تَنْتَظِرُ لَنَا وَالْإِذَا ذَهَبَ فَصَلِّ .

فَهَذَا عَيْنُ مَا قُلْنَا ؛ كَرِهَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَعَظَّمَ عَلَيْهِ
أَنْ يُجِيبَ الْمُؤَذِّنَ إِلَى الصَّلَاةِ وَمَعَهُ شَهْوَةٌ الشَّوَاءِ ، فَيَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ
وَمَعَهُ شَهْوَةٌ الشَّوَاءِ ، فَتَخَبُّثُ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي حَالِ الْقِيَامِ بَيْنَ يَدَيِ
اللَّهِ تَعَالَى ، وَمُنَاجَاتِهِ ، وَالْعَرَضِ عَلَيْهِ ، وَتَسْلِيمِ النَّفْسِ إِلَيْهِ ،
وَالْإِعْتِذَارِ إِلَيْهِ مِنَ التَّقْصِيرِ وَالْهَفْوَاتِ ؛ فَعَظَّمَ عِنْدَهُ أَنْ تَكُونَ
نَفْسُهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ تَزَاحِمُهُ فِي شَهْوَاتِهَا الَّتِي قَدْ أَحْسَتْ بِنَوَالِهَا ،
وَأَشْرَفَتْ عَلَيْهَا ؛ فَكَانَ الْأَمْرُ عِنْدَهُ أَنْ يَسْكُنَهَا بِمَا اسْتَشْرَفَتْ (٣) لَهُ
مِنَ الْأَكْلِ حَتَّى يَقُومَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَلَيْسَ هُنَاكَ مُنَازَعٌ وَلَا
مُدْعَى (٤) شَغَلَهُ عَنْ أَمْرِهِ ؛ فَهَذِهِ صَدْمَةُ النَّفْسِ .

(١) ينحيه : يبعده .

(٢) شوى اللحم شيا ، وهو الشواء . والتنور : المكانون ينجر فيه .

(٣) استشرفت : تطلعت .

(٤) ادعى كذا : زعم أنه له حقا أو باطلا .

وكذلك روى لنا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان يتعشى في رِبْضٍ^(١) قبل المغرب . فإنما حمّله على ذلك فيما نرى ما وصفنا لئلا يدخل الصلاة ونفسه تنازعه إلى العشاء .

وكذلك الذي فعل ابن عباس رضي الله عنهما حيث اشترى رداءً بألف درهم ، فكان يصلي فيه توخياً^(٢) بذلك [٦٥] أن يخفّ عليه الولاة كي لاتعجز النفس عن الحمل الثقيل على النفس .

وكذلك قيل للزبير رضي الله عنه : ما بالكم يا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أخفّ الناس صلاةً ؟ قال : إنا نبادر الوسواس^(٣) ؛ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أوجز الناس صلاةً في تمام . حدثنا بذلك صالح بن محمد ، أخبرنا أبو عوانة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فهذا شأن أعمال المحبين لله تعالى في كل أمر مع الزينة والبهاء^(٤) يطلب فيه محاب الله تعالى في كل وقت من ذلك الفعل ؛ لأنه^(٥) في كل أمر له حقوق كثيرة ، فهو إنما يشفق على تلك الحقوق لئلا يستخفّ بها ، فيعمله^(٦) على التعظيم له ، وعلى السباحة بنفسه ،

(١) الربض : مأوى الغنم . وفي ب : رمضان - تحريف .

(٢) توخياً : قاصدا . (٣) الوسواس : الشيطان . نبادر : نعاجل ونستبق .

(٤) البهاء : الحسن . (٥) في ب ، ج : لأن .

(٦) فيعمله ؛ أي ذلك الفعل .

وعلى السَّعةِ ، وعلى توفِّي دُخولِ الخَللِ ، وعلى الوفارةِ ^(١) ،
وتلكي الإتمام ، ومع هذا كله قلبه إلى موافقته هل وافق مسرته؟
وهل رضى بذلك؟ ومع ذلك يعلم إن وافق ورضى به أنه مع
التقصير جداً يستحى منه جداً ، وأنه عاجز أن يبلغ مدى ^(٢)
ما هو أهله من ذلك ، ولا يلتفت إلى ثواب في ذلك أبداً ، وربما فتح
عليه باب محبته ، لا أعني محبة العبد ، ولكن محبة الله تعالى ؛
فإذا فتح لك ذلك الباب كان في ذلك العمل كالسباح في البحر الذي
قد تراءى له الساحل ، وقرت عينه ؛ فهو يسبح في نشاط وسرور
بالساحل ، وهو يضطرب في ذلك الماء الصافي .

فهذا العبد إذا هاجت منه تلك المحبة التي فتحت له بابها صار
يتقد كالنار جوفه ، فصب عليه الرحمة صبا ، فهو يتقلب في برد
الرحمة ، قد أصابه روحها ورطوبتها وليئنها ، وهو يسبح فيها وقد
شم رياحين الياسمين والبساتين التي على الساحل ؛ لأنه يسبح إليها
فيتلقاها فيشمها .

مثل عمال الله

مثل عمال الله تعالى مثل ملك قطع قطيعة من الأرض ، وأمر
الفعلة أن يبنوا له قصراً إذا بيوتات ^(٣) ومساكن ، ومجالس وبساتين

(١) الوفارة : الإكمال والتمام .

(٢) مدى : غاية .

(٣) بيوتات : جمع بيوت ؛ فهو جمع الجمع .

وَمُتَنَزَّهَاتٍ وَجَدَاوِلَ ، يَطْرُدُ فِيهَا الْمَاءُ فِي تِلْكَ الْمَجَالِسِ وَالْمُتَنَزَّهَاتِ ،
فَمَنْ شَأْنُ هَؤُلَاءِ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ فِيهَا بَيْنَهُمْ مُدَبِّرٌ لِأَمْرِ هَذَا الْقَصْرِ ،
وَمُقَدَّرٌ لِكُلِّ شَيْءٍ مِنْهُ ، فَيَرْفَعُ فِيهَا بِيَوَاتَاتٍ لِلصَّيْفِ ، وَمَسَاكِنَ
لِلشِّتَاءِ ، وَمَجَالِسَ لِلرَّبِيعِ ، وَبَسَاتِينَ لِلنَّهْجَةِ ، وَالْجَدَاوِلَ الْمَطْرُدَةَ
فِي خِلَالِ هَذِهِ الْمَجَالِسِ وَالنَّهْجَةِ . وَهَذَا أُسْتَاذُهُمْ وَمَنْ بَعْدَهُ مَنْ يَهْتَدِي
لِلبِنَاءِ فِيبَنِي . وَمَنْ بَعْدَهُ تَلَامِذَةٌ يَقْتَفُونَ ^(١) أَثْرَهُ ، وَيَعْمَلُونَ عَلَى
إِشَارَاتِهِ . وَمَنْ بَعْدَهُ النَّقْلَةُ إِلَيْهِ مِنَ الطِّينِ وَاللَّبَنِ ، وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ .
فَإِذَا اسْتَوَى خَرَجَ إِلَى الْمُدَبِّرِ آخِرَ يَوْمِهِ عَشْرُونَ دِرْهَمًا ، وَإِلَى
الثَّانِي الْأُسْتَاذِ عَشْرَةَ ، وَإِلَى التَّلَامِذَةِ خَمْسَةَ خَمْسَةَ ، وَإِلَى مَنْ يَنْقُلُ
الطِّينَ عَلَى عَاتِقِهِ دِرْهَمَانِ ، وَإِلَى الْآخِرِينَ دِرْهَمًا دِرْهَمًا .

فَأَهْلُ التَّعَبِ وَالنَّصَبِ ^(٢) وَشِدَّةِ الْأَعْمَالِ أُجْرُهُمْ دِرْهَمَانِ
وَنَحْوَهُ ^(٣) ، وَالْمُشِيرُ بِرَأْسِهِ وَيَدِهِ أُجْرُهُ عَشْرَةُ دِرَاهِمٍ ، وَالْمُقَدَّرُ
الْمُدَبِّرُ أُجْرُهُ عَشْرُونَ دِرْهَمًا ، وَلَوْلَا الْمُدَبِّرُ لَبَطَلَ الْعَمَلُ كُلُّهُ ، وَلَوْلَا
الثَّانِي الْأُسْتَاذُ لَنَقَصَ أَمْرُ الْمُدَبِّرِ ، لِأَنَّ هَؤُلَاءِ الْآخِرِينَ لَا يَتَوَجَّهُونَ
لِلبِنَاءِ وَإِنْ دَبَّرَ لَهُمْ ، وَقَدَّرَ لَهُمْ ، فَهَؤُلَاءِ أُجُورُهُمْ أَكْثَرُ وَأَوْفَرُ ^(٤) ،
وَتَعَبُهُمْ أَقْلٌ .

(١) اقتفى أثره : اتبع طريقه .

(٢) النصب : التعب والإعياء .

(٣) هذا بالأصول .

(٤) أوفر : أكثر .

بساط الربوبية وبساط العبودية :

وكذلك عمال الله - بسط لهم من باب القدرة بساط الربوبية
وبساط العبودية (١) ، فأعلمهم بشأن هذين البساطين ، فأكثرهم
مطالعة وملاحظة أعظمهم قدرا عند الله تعالى ، وأقربهم إلى الله تعالى
وسيلة ، وأعظمهم أجرا .

الأنبياء أعظم أجرا :

ولذلك صارت الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أعظم قدرا ،
وأوفر حظا وأجرا ، ثم الأولياء من بعدهم ، وكل نبي أعلم
بما ذكرنا ، فهو أقرب إليه وأكرم عليه ، وأحب إليه ، وأعظم
أجرا . وكذلك كل ولي من بعده ، لأنه بالعلم والعقل يعظم أمره ،
ويعرف أقدار الأمور ، ويعرف الأوقات ، فإن الله تعالى خلق هذا
الآدمي . فأحياه بالروح ، وفضله على هؤلاء المسخرين له من الدواب
والبهائم والطيور والوحوش بهذا الروح .

تفضيل الموحدين :

ثم فضل الموحدين من بينهم بمنته العظم بنور التوحيد ،
فأحيا قلوبهم بالحياة حتى عرفوه ووجدوه ، فأوفرهم (٢) حظا من
الحياة ، ومن علم التوحيد أعلمهم بالعبودية ، وأكيسهم (٣)

(١) في الأصول : العبودة ، وهي بمعناها .

(٢) أوفرهم حظا : أكثرهم نصيبا .

(٣) أكيسهم : أعقلهم .

فيها ، و أشدَّهم قياماً على الساق ، و أصغاهم أذناً إلى أمره ، و أكثرهم ملاحظة إلى تقديره و تدبيره ، و أجهلهم به أعجزهم عن ذلك .
القلب يدعو إلى الله و النفس تدعو إلى الشهوات :

فالقلب بما فيه من كنوز المعرفة يدعو إلى الله و طلب رضوانه ؛ و النفس بما فيها من الهوى تدعو إلى الشهوات و لذات الدنيا ، و هي الفانية ، التي توجب عليك غداً الحساب الثقيل ، و الحبس الطويل ، و السؤال المهيل^(١) ، فمن قلت كنوزه استولت النفس على قلبه ، و وهنت^(٢) أمرته ، و أخذت بعنانه فسبته^(٣) ، فبينما هو أمير إذ هو أسير في يدي الخارجي ، فعندها يعطل التدبير ، و خربت الكورة^(٤) ، و ضاعت الرعية ، فبان العلم .

وإن النفس محتاجة إذ كانت بهذه الحال ، و القلب قليل الكنوز ؛ و إذا قلت الكنوز قلت الجنود ، و تفرق الحراس ، و ضاعت السياسة ؛ فالنفس محتاجة إلى أن تشتغل بالأعمال المتعبة الشاغلة لها حتى لا تصل إلى الفساد .

فلو أن هذا الأمير عرف أن هذا الخارجي ممن لا يؤمنُ خروجه عليه وهو في جواره و بلدته ، فأخذ الأمر بالحزم ، فعمد إلى كل

(١) المهيل : حال الشيء : صبه .

(٢) وهنت أمره : أضعفت شأنه .

(٣) سبته : أسرته .

(٤) الكورة : المدينة و الصقع .

مَنْ يَجَالِسُهُ وَيَثِقُ^(١) بِهِ ، وَيَسْتَظْهَرُ^(٢) بِهِ ، فَحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ ،
وَعَمَدَ^(٣) إِلَى أَسْلِحَتِهِ فَأَخَذَهَا مِنْهُ ، وَقَلَّدَهُ أُمُورًا أَتَعَبَهُ فِيهَا ،
وَشَغَلَهُ عَنِ الْفِكْرِ فِي ذَلِكَ الْأَمْرِ الَّذِي يَتَخَوَّفُ مِنْهُ - فَكَذَلِكَ عَامِلُ
اللَّهِ إِذَا نِمَّ يَفْتَحُ لَهُ الْبَابَ فَيُطَالِعُ ، فَيَكْثُرُ كَنُوزُهُ ، وَيَجْمَعُ^(٤) عِلْمَهُ
بِاللَّهِ ، وَخَافَ نَفْسَهُ أَنْ تَخْرُجَ عَلَيْهِ . كَمَا وَصَفْنَا مِنْ أَمْرِ الْخَارِجِيِّ
الَّذِي يَشْتَهِي الْإِمْرَةَ .

فَمَنْ الْحَزَمَ أَنْ يَقْطَعَ عَنْهُ الشَّهَوَاتِ ، وَأَنْ يَنْظُرَ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ
مِنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ يَحْمِلُ عَنْهُ^(٥) الْهُوَى أَنْ يَنْتَقِلَ عَنْهُ إِلَى ضِدِّهِ مِمَّا
لَيْسَ لَهُ فِيهِ هَوَى ، لِأَنَّ الطَّاعَاتِ كَثِيرَةٌ ، فَرُبَّ طَاعَةٍ تَمْلِكُهُ
حَلَاوَتُهَا ، فَتَصِيرُ هَوَى ، فَيَنْتَقِلُ إِلَى مَا يَتَعَبُ فِيهِ ، وَلَيْسَ لَهُ فِيهِ
هُوَى ، وَأَنْ يَتَعَبَهُ بِالْغُمُومِ وَالْمُحَمِّمِ حَتَّى يَنْغْصُ عَلَيْهِ عَيْشُهُ الَّذِي
اسْتَطَابَتْهُ نَفْسُهُ بِلَهْوِهَا وَلَعِبِهَا وَبَطَالَتِهَا ، فَإِنْ فَتَحَ لَهُ صَارَ مَلِكًا مِنْ
الْمُلُوكِ الَّذِينَ بِالْكَنُوزِ وَالْهُدَايَا وَالْفَوَائِدِ الَّتِي تَأْتِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ،
وَإِنْ لَمْ يَفْتَحْ لَهُ فَأَجْرُ تَعَبِهِ عِنْدَ الْمَلِيِّ^(٦) الْوَفِيُّ الْوَاحِدُ ، الْوَاحِدُ بَعَشْرَةٌ ،

(١) فِي ح ، ب : وَيَثِقُوا .

(٢) يَسْتَظْهَرُ بِهِ : يَتَقَوَّى بِهِ .

(٣) عَمَدَ إِلَى أَسْلِحَتِهِ : قَصَدَ إِلَيْهَا .

(٤) يَجْمَعُ : يَكْثُرُ .

(٥) فِي أ : يَحْمِلُ عَلَيْهِ الْهُوَى .

(٦) الْمَلِيُّ : الْغَنِيُّ الْمُقْتَدِرُ .

والواحد بسبعمائة ، والواحد بالأضعاف الكثيرة ، ونفسه ذليلة مقهورة في ذلك التعب والنصب [٦٦] .

فبنو إسرائيل حظوظهم من الله تعالى كثيرة ، وهذه الأمة أوفر حظاً ، وذلك قوله تعالى (١) : (قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هَدَىٰ اللَّهُ أَنْ يُوْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوْكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ) (٢) .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما أُعْطِيَتْ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ مِنَ الْيَقِيْنِ مَا أُعْطِيَتْ أُمَّتِي .

وكذلك عن عيسى عليه السلام أنه قال في هذه الأمة ؛ فلذلك صارت بنو إسرائيل في شدة من الأعمال ، وتعب من الأذكار ؛ فكانوا يلبسون المسوح (٣) وَيُجِيعُونَ الْبُطُونَ ، ويلزق أحدهم الترقوة فيشدّها بسلسلة إلى سارية (٤) يتعبد لله ، وإذا أذنب أحدهم أصبح مكتوباً على بابه : عقوبة خطيئتك أن تقطع أذنك ،

(١) سورة آل عمران ، آية ٧٣

(٢) أن يوتي أحد مثل ما أوتيتم : من فضل العلم والكتاب (الكشاف للزمخشري) .

وفي ابن كثير (١-٣٧٣) : ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم : لا تطمئنوا وتظهروا سركم وما عندكم إلا لمن تبع دينكم ، ولا تظهروا ما بأيديكم إلى المسلمين فيؤمنوا به ويحتجوا به عليكم ، أي يقول أهل الكتاب : لا تظهروا ما عندكم من العلم للمسلمين ، فيتعلموه منكم ، ويساؤوكم فيه ، ويمتازوا به عليكم ، لشدة الإيمان به ، أو يحاجوكم به عند الله ؛ أي يتخذوه حجة عليكم بما بأيديكم ؛ فتقوم به عليكم الدلالة وتركب الحججة في الدنيا والآخرة .

(٣) المسوح : جمع مسح - بكسر الميم .

(٤) السارية : الأسطوانة .

أَوْ عُضْوًا مِنْ أَعْضَائِكَ ، وَإِذَا أَصَابَ أَحَدَهُمْ بَوْلٌ أَوْ نَجَاسَةٌ لَمْ يَطْهُرْ حَتَّى يَقْرِضَهُ بِالْمِقْرَاضِ ^(١) ؛ وَصِدْقَتُهُمْ تَقْبَلُ بِنَارِ الْقُرْبَانِ ، وَعَلَيْهِمْ مِنَ الْآصَارِ ^(٢) وَالْأَغْلَالِ وَالتَّحْرِيمِ مَا تَقْشَعِرُّ مِنْهُ الذُّوَابُ وَالشُّعُورُ ، وَقَتْلُ النُّفُوسِ عِنْدَ عِبَادَةِ الْعِجْلِ .

وَهَذِهِ الْأُمَّةُ تُوَفِّرَتْ كُنُوزَهَا ، وَجَمَّتْ ^(٣) عُلُومُهَا بِاللَّهِ تَعَالَى بِفَضْلِ يَقِينِهَا ؛ فَخُفِّفَ عَنْهُمْ الْآصَارُ ، وَأُطْلِقُوا مِنْ أَغْلَالِ كَثِيرَةٍ ؛ اكَتَفَى مِنَ الْعَامَةِ بِالِاسْتِغْفَارِ ، وَسُتِرَ عَلَيْهَا الذُّنُوبُ ؛ وَجُعِلَتِ التَّوْبَةُ مِنْهُمْ إِلَى اللَّهِ لَا إِلَى عِقُوبَةِ الْأَجْسَادِ ، فَقَالَ لِأَوْلَائِكَ ^(٤) : تَوْبَتُكُمْ إِلَى بَارئِكُمْ مِنْ عِبَادَةِ الْعِجْلِ أَنْ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ؛ وَقَالَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ ^(٥) : (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ) . وَقَالَ لِلنَّصَارَى ، وَهُمْ مِنْ أَوْلَائِكَ الصَّنِيفِ حِينَ قَالُوا : الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ وَالثَّالِثُ ^(٦) ثَلَاثَةٌ : (٧) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

(١) قرضه : قطعه بالمقراض .

(٢) الإصر : الذنب والثقل ، وجمعه آصار .

(٣) جمت : كثرت .

(٤) في سورة البقرة ، آية ٥٤ : وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ : يَا قَوْمِ ، إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ ، فَتُوبُوا إِلَى بَارئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ، ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ .

(٥) سورة الأنفال ، آية ٣٨

(٦) هكذا في ب ، ج .

(٧) سورة المائدة ، آية ٧٤

فجعل تَوْبَتَهُمْ بِاِفْتِرَائِهِمْ عَلَيْهِ اِلسْتِغْفَارَ ؛ لِأَنَّهُ فِي وَقْتِ نَبِيِّ
اللَّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي زَمَانِهِ ، فَلَمْ يَقْبَلْ ذَلِكَ مِنْهُمْ فِي
ذَلِكَ الْوَقْتِ عِنْدَمَا عَبَدُوا الْعِجْلَ إِلَّا قَتَلَ النَّفْسَ ، وَقَبِلَ فِي هَذَا
الزَّمَانِ اِلسْتِغْفَارَ مِنْهُمْ مِنْ عِبَادَتِهِمْ عَزِيزًا وَعِبَادَةَ النَّصَارَى الْمَسِيحِ ؛
لَأَنَّ هَذَا وَقْتُ إِقْبَالِ اللَّهِ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ وَتَفْضِيلِهِمْ بِالْيَقِينِ وَالْعِلْمِ بِاللَّهِ .
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُعَاذِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَخْلَصْ
يَكْفِكَ الْقَلِيلُ مِنَ الْعَمَلِ .

فَإِنَّمَا دَعَاهُ إِلَى اِلسْتِغْفَارِ لِلَّهِ قَلْبًا وَقَوْلًا وَفِعْلًا ؛ فَالْقَلِيلُ الْعَمَلُ
مِنْ مِثْلِ هَذَا يَأْتِي عَلَى جَمِيعِ الْعُمَلِ ^(١) مِنْ سِوَاهُ ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا حَبِيبًا يَوْمَ الْأَكْيَاسِ وَفِطْرِهِمْ ، كَيْفَ يَغْنُونُ ^(٢)
سَهْرَ الْحَمَقَى وَصِيَامَهُمْ ، وَلَمِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ صَاحِبِ تَقْوَى وَيَقِينِ
أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أَمْثَالِ الْجِبَالِ عِبَادَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ .
عمل هذه الأمة :

فهذه الأمة بالقلوب تعبد ربها ، وتأخذ أجرها .

السفيان ، عن وكيع ؛ قال : أخبرنا عبد الوهاب ، أخبرنا
جنادة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : مثلكم ومثل اليهود
والنصارى كمثل رجل استعمل عمالا ، فقال : من يعمل لي من

(١) هذا بالأصول ، ولعلها الأعمال .

(٢) في ج : يعيون .

صَلَاةِ الصُّبْحِ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قَيْرَاطِ قَيْرَاطٍ؟ أَلَا فَعَمِلْتَ الْيَهُودَ .
ثُمَّ قَالَ : مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى
قَيْرَاطِ قَيْرَاطٍ؟ أَلَا فَعَمِلْتَ النَّصَارَى .

ثُمَّ قَالَ : مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى الْمَغْرِبِ عَلَى قَيْرَاطِينَ؟
أَلَا فَانْتُمْ! أَلَا فَانْتُمْ!

فَغَضِبَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ؛ فَقَالَتْ : نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلًا وَأَقْلَى

عَطَاءً .

فَقَالَ : ظَلَمْتُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئًا؟ فَقَالَ : لَا . قَالَ : إِنَّمَا هُوَ
فَضْلِي أُوتِيهِ مِنْ أَشَاءً .

وَرَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : وَفِيكُمْ (١)
سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى .

وَرَوَى مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ ، وَهُوَ مُسْنِدٌ ظَهَرَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ : فَأَمَّتِي تَوَفَّى سَبْعِينَ
فِي أَجْرِهَا وَخَيْرِهَا .

مَثَلُ الْحَمْدِ لِلْمُوحِدِينَ

مَثَلُ الْحَمْدِ لِلْمُوحِدِينَ مَثَلُ رَجُلٍ يَأْخُذُ مِنْ حَرِيفِهِ (٢) مِنْ
مَنْ حَانُوتَهُ الشَّيْءَ بَعْدَ الشَّيْءِ ؛ فَإِذَا اجْتَمَعَ شَيْءٌ أَدَّى وَأَخَذَ بَعْدَ ذَلِكَ
حَتَّى تَخِفَّ عَنْهُ أَثْقَالُ الدِّينِ ، فَإِذَا لَمْ يُؤَدِّ ، وَاجْتَمَعَ الْمَأْخُودُ ،

(١) ابن ماجه : ١٤٣٣ . وفيه سبعين أمة ؛ أي تمت العدة بكم سبعين (النهاية) .

وفي رواية : نكمل - يوم القيامة - سبعين أمة نحن آخرها وخيرها (ابن ماجه ١٤٣٣) .

(٢) الحريف : المعامل ، وجمعه حرفاء ، مثل شريف وشرفاء (المصباح) .

وتراكم عليه الدين واقتضى فلم يوجد يوشك أن يقطع عنه ما كان يعطى ، ويقول صاحب الحانوت : أدمما اجتمع وخذ ما بقى ، فيرده خائبا ، ويقطع عنه .

فأسبغ الله تعالى النعم ؛ فلو ذهبنا نعد نعمة لم نحصها ؛ ولذلك قال الله تعالى (١) : (وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) (٢) . ثم قال : إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ .

فأهل رحمته هم الذين عصمهم الله من الاختلاف ، وقصدوا بقلوبهم عبادة خالقهم وربهم ، ولم يلتفتوا إلى معبود غيره ؛ قال الله تعالى (٣) : (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) (٤) .

قوله : خلقهم ؛ أى خلقهم للرحمة .

فلما خلقهم للرحمة أعطاهم ثمن النعمة ، وهو الاعتراف بأن النعم كلها من الله تعالى ؛ وذلك كلمة الحمد ؛ فصير توحيده فى كلمة (لا إله إلا الله) ، وتنزيهه فى : (سبحان الله) ، وتعظيمه فى : (الله أكبر) ، وشكر نعمة فى (الحمد لله) .

(١) سورة النحل ، آية ١٨

(٢) نعمة الله لا تحصىها : لا تطيقوا عددا ، ولا تقوموا بحصرها لكثرتها .

(٣) سورة هود ، آية ١١٨ ، ١١٩ .

(٤) ولا يزالون مختلفين على أديان شتى . إلا من رحم ربك بالإيمان والهدى فإنه لم يختلف . وقيل مختلفين فى الرزق فهذا غنى وهذا فقير ، إلا من رحم ربك بالقناعة . ولذلك خلقهم ؛ أى ولما ذكر خلقهم .

حدثنا سليمان بن العباس الهاشمي ، أخبرنا عبد الرزاق ، عن
معمر ، عن قتادة ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : رأس الشكر الحمد لله ، وما شكر الله عبده
إلا بحمده ؛ فالشكر أصله في القلب ومعرفة العبد بربه أنه
لا شريك له ، وفرعه على اللسان ، وهو كلمة : لا إله إلا الله ،
وتحقيقه في الطاعات ؛ فمن أكثر قول (لا إله إلا الله) فإنه يحط
خطايا ، ومن أكثر من قول : الحمد لله - فإنه يحط عن نفسه أثقال
الشكر ؛ فعلمنا ربنا هذه الكلمة ، فنرددها على الألسنة
حتى نكون في مثال ما مر بنا من المثل ، فنكون بمنزلة من يأخذ
من حريفه الشيء بعد الشيء ، فإذا اجتمع أدى قليلا قليلا ، ثم
يترك الأداء بغفلة حتى يركبه الدين ، ويثقل عليه ؛ فيعجز عن
الأداء ، كما كان ها هنا إذا اجتمع عليه الحساب ، وتراكم ، فلم
يقض انقطع ولم يعط النعم ؛ فإذا تراكمت ولم يواتر ^(١) العبد
بكلمة الحمد لم يأمن انقطاع النعم ؛ فرحم الله العباد ، فأعطاهم
هذه الكلمة ليخففوا عن أنفسهم أثقال النعم ؛ ثم وضعت لهم هذه
الكلمة في صلاتهم عند رفع الرعوس من الركوع ، فيقول : سمع
الله لمن حمده ؛ فصار هذا دعاء من قائل هذا القول لنفسه ولجميع
الموحدين ؛ لأن كل مُصلٍّ من الموحدين يقول هذا في صلاته من

(١) يواتر : يوالي ، ويتابع .

المفروض وغير المفروض ؛ فليست هذه كلمة يخص بها نفسه ؛
وإنما هي [٦٧] لكل من حمده .

فأول من نطق بهذا الرسول صلى الله عليه وسلم عن تعليم جبريل
عليه السلام إياه .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه إذا قال الإمام :
سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمَدَهُ - فقولوا : اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ يَا اللهُ تَعَالَى
قال ذلك على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قال : سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمَدَهُ قال :
اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ . كَيْ لَا يَخْلَى نَفْسَهُ مِنْ مَقَالَةِ الْحَمْدِ حَتَّى يَدْخُلَ
فِي ذَلِكَ الدَّعَاءِ .

واعلم أن هذه الكلمة قول الله تعالى ؛ فما ظن من عقل هذا أن
الله تبارك اسمه يدعو لعبده ؟ أين محل هذا الدعاء ؟ وماذا يخرج
للعبد من هذا الدعاء ؛ ودعاء الرب أن يسأل بنفسه من نفسه
للعبد ، وهو كقوله : إِنَّ اللهُ تَعَالَى يُصَلِّي عَلَى الْعِبَادِ . وقال الله تعالى
فِي تَنْزِيلِهِ (١) : (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ (٢) لِيُخْرِجَكُم
مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) ؛ فإذا قال : سَمِعَ اللهُ

(١) سورة الأحزاب ، آية ٤٣

(٢) قال القرطبي (١٤ - ١٩٨) : الصلاة من الله على العبد هي رحمته له وبركته

لديه . وصلاة الملائكة دعائهم للمؤمنين واستغفارهم له .

لَمَنْ حَمَدَهُ ، ثُمَّ حَمَدَهُ الْعَبْدُ فَقَدْ سَبَقَتْ دَعْوَتُهُ لِلْعَبْدِ ، وَسَمِعَ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَدْ أَوْجِبَ ^(١) لِلْعَبْدِ .

فهذه كلمة دقيقة خرجت من الله تعالى للعباد ، ثم خرجت من الرسول صلى الله عليه وسلم مقالته للعباد ، ثم خرجت من الجميع بعض لبعض ، فإذا قال العبد الواحد : الحمد لله ، ثم ذكر في هذا وجد الله قد قال له : سَمِعَ اللهُ لَهُ ، وَوَجَدَ الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَ : سَمِعَ اللهُ ، وَوَجَدَ جَمِيعَ الْمُوَحِّدِينَ قَدْ قَالُوا ، فَعَظُمَ شَأْنُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ .

مثل عبد دعاه مولاه فوكله بأعماله

مَثَلُ عَبْدٍ دَعَاهُ مَوْلَاهُ فَوَكَلَهُ بِكَرْمٍ لَهُ أَنْ يَحْفَظَهُ عَلَيْهِ ، وَيَغْرِسَهُ وَيَسْرِقِنَهُ ^(٢) ، وَيَقْضِبَ ^(٣) قُضْبَانَهُ ، وَفِي وَقْتِ الثَّمَرِ يُورِقُهُ وَيُدْعِمُهُ ^(٤) ، وَأَعْطَاهُ كُلَّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْقَوَائِمِ وَالِدَعَائِمِ وَالْهَرَائِي ^(٥) مِنَ الْبَرْدِيِّ وَالْأَبَاءِ ^(٦) وَالْقَصَبِ وَالْكَعْبِ ^(٧) ،

(١) في النهاية : أوجب طلحة : أى عمل عملاً أوجب له الجنة .

(٢) السرقين : الزبل .

(٣) قضبه : قطعه ، كاقضبه وقضبه .

(٤) دعيه : مال فأقامه . والدعامة : الحشب المنسوب للتعريش .

(٥) الخراوة : العصا ، وجمعها هراوى .

(٦) الأباء : البردية ، أو الأجمة ، أو هى من الخلفاء ، والقصب (القاموس) .

(٧) الكعب : ما بين الأنوبتين من القصب .

وأداة العمل ، وأمهلة في ذلك مايمهل في مثله ؛ ثم طالع أمره عند انقضاء المهلة ، فوجد القضبان ساقطة بالأرض ، والدعائم مسروقة ، والقوائم منجدلة (١) ، والثمار بعضها محترقة (٢) من كثرة الورق ، وبعضها عفنة من سقوطها بالأرض ، وقد ترك الآلة والأداة ، وأمهل نوبتها (٣) في اسقى حتى عطشت ، وترك تقضيها حتى ذهبت قوتها ، فمولاه إذا رأى الكرم هكذا فماذا يلقاه من الجناية ؟ وماذا يتوقع من العقوبة التي أوجب على نفسه .

فالتعريشُ القيامُ بأداء الفرائض والحفظِ عليها ؛ ليكون ذلك بوضوءٍ سابغ (٤) وحفظِ الحدود والأوقات ، وكذلك في الصوم في كف السمع والبصر والجوارح (٥) السبع .

والسرقنة : سنن النبي صلى الله عليه وسلم على أثر الفرائض تقوية لها . والسعى العلم الذي يهديه الأشياء . وتقضيته رمى الفضول من الكلام والطعام والحطام . وتوريقه ترك الالتفات إلى الأعمال . وتدعيمه كثرة الذكر . وقوائمه حسن النية والصدق في المقاصد .

(١) منجدلة : واقعة على الأرض .

(٢) هذا بالأصول .

(٣) أمهل : أخر . والنوبة . الفرصة ، يريد أهملها حين كان يأتي الوقت المقدر

لسريها .

(٤) سابغ : تام .

(٥) الجوارح : الأعضاء .

مثل قوى القلب فى الأعمال والأقوال وملكها

ومثل قوى القلب فى الأعمال والأقوال وملكها كمثال هؤلاء
الملوك ؛ فملك له سلطان على قرية ؛ وعلى قدر ذلك كنوزه ،
وجنوده ، وعدته ، ونفاذ أمره ، وجواز قوله ، وهيبته .
وملك له سلطان على خراسان أجمع على قدر كنوزه وجنوده ،
وهيبته ، وخوف شاكريته ^(١) ورعيته منه .

وملك ملك المشرق والمغرب ؛ فملوك الأرض كلهم تحت يده ،
وعلى قدر مملكته سلطانه ، وكنوزه ، وجنوده ، وهيبته ، وخوف
شاكريته والناس منه ، فنلاحظه تضرب بأمره الأعناق ، وتسفك
دماء .

فألقب ملك على الجوارح له كنوز ، وجنود ، وسلطان ،
ومهابة ونفاذ أمر ، فأعظمهم مملكة أهيبهم ، وأحرزهم قولاً
ونفاذاً ، وإنما تملك القلوب نفوسها وهى دنياها العريضة ؛ فإذا
ملك القلب بعض النفس ولم يملكها كلها كان صاحبها مع
تخليط ؛ تزل قدم وتثبت أخرى ، وإذا ملكها كلها كان بمنزلة
من ملك الدنيا شرقها وغربها ، وخضعت له الملوك ، وصاروا من
تحت يده ؛ فالقلب إذا كثرت كنوزه كثرت جنوده ؛ فكنوزه
العلم بالله ، والمعرفة لله ؛ وجنوده الخوف من الله ، والخشية لله ،

(١) الشاكرى : الأجير ، والمستخدم .

والحياء من الله ، والتعظيم لله ، والتسليم لأمر الله ، والانقياد لحكم
الله ، والثقة بالله ، وحسن الظن بالله ، والتوكل على الله ، والطمأنينة
إلى الله ، وحب الله قد استولى على جميع هذه الأشياء ؛ فهذه كلها
جنود القلب اجتمعت على عسكره في صدره من العلم به ؛ فالمعرفة
كنز القلب ، والنفس سفينة الكنز في بحر الله الأعظم ؛ فإذا
أثنى العبد على ربه ، أو مدحه ، أو دعاه باسم من أسمائه ؛ فإنما
يُخرج كلمته من فيه على قدر سلطانه من القلب ومملكة القلب .
وكذلك أعمال أركانها فإنما يصعد ما يخرج منه إلى الله على
قدر قوته في مملكته وسلطانه .

مثل الهوى إذا ما زج العقل في أمر واحد

مثل الهوى إذا ما زج العقل في أمر واحد كمثل ماء صاف
كالطل^(١) في الصفاء ، مازجه^(٢) ماء من مياه الأنهار ؛ ففي ذلك
الماء ترى الأشياء كلها كالمرآة إذا نظرت فيها ؛ وفي ماء الأنهار
لا يرى إلا الخيال ؛ أمير بسط عدله في رعيته ، ودبر سلطانه ،
فأعد سجناً وعقوبات لمن خلع يده عن الطاعة ، وفرق أعماله بين
عماله ، وأعد حاجباً وخليفة ومرترقة ، وأظهر كنوزه وقوته ،
وأمر ونهى ، وأعلم الرعية أن من ائتمر بأمره فهو الوجيه^(٣)

(١) الطل : المطر الخفيف ، ويقال : أضعف المطر .

(٢) مازجه : خالطه .

(٣) وجه وجاهة : إذا كان له حظ ورتبة .

عنده ، والخطير^(١) لديه ، المثاب على ذلك ، المقضى عنده حوائجه ،
المتخذ لنفسه عنده قدراً ، حتى تظهر عنده مرتبته . ومن لم يَأْتَمِر
بأمره ، وركب هَوَاهُ خَلَقَ وَجْهَهُ^(٢) عنده ، وبخس حظّه ، وحرّم
ثوابه ، وحطّ قدره ، وبطلت رتبته ، فظهر في رعيته إنجاز وعده ،
ووصول وعيده إلى مَنْ استحقّ ذلك ، وفي هذه الرعية طبقة مؤتمرون
بأمره ، زائدون على ماوظّف^(٣) عليهم من أمره ، ناصحون له ،
قد شغفوا به حباً ، وأعينهم مائة إلى ميامر ، وإلى مايقضى ، وإلى
مايدبر لهم ، حتى يتلقوا تدبيره بالهشاشة^(٤) ، ووجوه متطلقة^(٥) ،
وأفعال سَمُحَة ، ويتلقوا أمره بالتعظيم ، ومع ذلك ينصحونه في
رعيته ، فينشرون محاسنه وأفعاله وأخلاقه ، وحسن معاملته بالرحمة ،
ويخبرون عن ملكه وجنوده وكنوزه وغنايه ، ويحثون الرعية على
طاعته ، والحمية له ، والجدّ في أموره ، والشفقة [٦٨] على
أودائه ؛ فهذه الطبقة أوجههم عند الأمير ، وأعظمهم قدراً لما
أظهروا من النصيحة والحب له .

(١) الخطير : من ارتفع قدره ومنزلته .

(٢) أخلق الدهر الشيء : أبلاه ، وكذلك أخلق السائل وجهه ، وهو على المثل

(اللسان - خلق) .

(٣) وظفت عليه العمل توظيفاً : قدرته .

(٤) الهشاشة : الارتياح .

(٥) متطلقة : منسرحة .

شأن الأدميين مع الله :

فكذلك شأن الأدميين مع الله ؛ كان أو جههم عند الله تعالى أشكرهم له ، وأكثرهم نشراً لمحاسن أفعاله وأخلاقه ، وأعلمهم بصفاته ، وأغزرهم معرفة به ، وأوثقهم به ، وإن الله تعالى أظهر ملكه ، وخلق في ملكه خلقه : ثم آتى كل ذي روح يتحرك في السموات ، ويدب في الأرض - على قدره من ملكه بتلك الحياة التي جعل فيه ؛ فمن سار فيما أوتى من الملك بسيرته التي مثل له فقد تواضع لملكه ، ووضع نفسه لملكه ، فإذا دعى يوم المقدم عليه قدم على نزل مهياً^(١) ، ومهاد كريم ، وتحية رب العالمين ؛ وذلك قول الله تعالى^(٢) : (تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ، وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا)^(٣) .

من سار سيرة هواه :

ومن سار فيما أوتى من الملك بسيرة هواه الذي يهوى به في الشهوات واللذات يمينا وشمالا فقد تكبر على ملكه ؛ والتكبر هو المكابرة ؛ فما ظنك بعبد مخلوق من ماء مهين في ظلمات الأرحام

(١) النزل : المنزل ، وماهي للضيف أن ينزل عليه .

(٢) سورة الأحزاب ، آية ٤٤

(٣) تحيتهم : تحية بعضهم لبعض ، سلام : سلامة لنا ولكم من عذاب الله .

يوم يلقونه : يوم القيامة بعد دخول الجنة ، وقيل : يوم يلقونه : أي يوم يلقون ملك

الموت . وتحيتهم يوم يلقونه سلام : فيسلم ملك الموت على المؤمن عند قبض روحه ،

لا يقبض روحه حتى يسلم عليه (القرطبي : ١٤ - ١٩٩) .

بين اللحوم والدماء ، مخرجه منها من طريق الأحداث والمبالات ،
والحيض والنفاس ، يكابر ربه في كبريائه ، ويعظم نفسه ،
ويهين حقه ، فإذا دعي يوم المقدم قدم على نزل معد قد أعدّه
مالك ، ومهد الأمهاد فيه ؛ ومقته رب العالمين .

العاقل والأحمق :

فالعاقل الذي أحيا الله قلبه نظر ما أوتي من الملك على الذي
وضع بين يديه من الجوارح السبع ، ومن دنياه التي ملك عليها ،
ومن الأحوال ، فلم يستعمله إلا فيما أمر .

والأحمق الذي قد أماتت زينة الشهوات وفتنتها قلبه نظر
إلى ما قد أوتي من الملك ، فاستعمله في نهماته ^(١) فيما هويت ^(٢)
نفسه ، فخاب عن وعده ، وخسر مهلته وعمره الذي أعطى .

فالكيس من جند الأمير يقول للأمير : أنا أسعى خلفك
سعى العبيد ، فإن أعطاه حمولة فقال : اركب معي هاب ذلك ،
وقال : مالي وللكوب ! ينبغي أن أسعى خلفه .

فإن قال له : اركب بأمرى ، وانظر ألا تر كض ركبات تقدمني ،
فإن فعل ذلك أهانه الملك وأنزله وردّه إلى السعى على قدميه ،
وإن حفظ وصيته وركب وكان في آخر الناس فلم يزل يتخطى

(١) نهماته : النهمة : الحاجة ، والشهوة في الشيء ، وبلوغ الهمة .

(٢) هويت نفسه : أحببت .

المراتب بأدبه وكياسته^(١) وظرافته حتى وصل إلى قُرب الأمير في المركب ، فقال له الأمير : ألزم هذا المكان في المركب مني ، كن على قفأى على أثر مركبي ؛ فهذا رجل وجيه ذو مكانة عند الأمير حتى إذا أعطى المكان في المركب .

فالكيس^(٢) من عمال الله تعالى من سعى في الطاعات سعى العبيد ، فلقى تعباً وأذى كثيراً ، ومقاساةً في جنب^(٣) المولى ، واستقل ذلك له ، فأعطاه نوراً حتى صار قلبه فارساً من فرسان الله تعالى ، ومركبه ذلك النور العطائي ، فلم يزل في مزيد من ربه نوراً على نور حتى لحق ؛ وهو وصول العبد إلى ملك الملك بين يديه باب القدرة .

مثل اثبات الرزق في اللوح

مثل إثبات الرزق في اللوح مثل أمير أعطاك خطة بصك^(٤) صكك على نفسه في شأن أرزاقك ، فركنت^(٥) إلى ذلك منه ، فإن كانت أقلام رب العالمين جرت على قضيتك في اللوح بالكائن ، وبأرزاقك على صفاتها التي تظهر لك في دنياك - ألا كان الأحق

(١) الكياسة : الظرف والفتنة .

(٢) الكيس : العاقل الفطن .

(٣) المولى الله .

(٤) الصك : الكتاب الذي يكتب في المعاملات .

(٥) ركنت إلى ذلك : اعتمدت عليه .

والأولى أن يكون ركوبك إلى ماجرت به أقلام رب العالمين !

مثل الراغب في الدنيا

مثل الراغب في الدنيا ، المنكمش فيها ، المتناول من كل تخليط
وغثٍّ وسمين مثل البقرة الجلالة (١) تركت المراعى الطيبة ،
وأقبلت على الجلة (٢) في المزابل ، فإذا كان لبن تلك البقرة
مكروها على السنة العلماء (٣) ومعافى على ألسن الشاربين فما ظنك؟

مثل القلب والنفس

مثل القلب والنفس مثل ثورين في نير (٤) يجرهما إليك ،
وأحدهما له سماحة في التخطي ونزع (٥) في المشى ، يعطى من
نفسه القوة الوافرة . والآخر له بلادة في التخطي وانتكاص (٦) في
المشى ، وتراجع القهقري ، لا يعطى من نفسه القوة التي فيه ،
فصاحبه مبتلى به ؛ إذ هما شريكان في العمل ؛ فإنما ثقل الآخر
وتبدل أنه محب للراحة والتخيلية في المرعى ، فيثقل لمفارقة
الشهوة واللذة والوقوع في التعب والنصب .

فمثل هذه النفس كمثل هذا الثور البليد الثقيل ، والقلب

(١) الحلالة : البهيمة تأكل العذرة .

(٢) الجلة : البعرة ، وتطلق على العذرة .

(٣) عاف الشراب : كرهه ، فلم يشربه .

(٤) النير : الحشبة التي على عنق الثور بأدائها .

(٥) نزع إليه : اشتاق .

(٦) نكص عن الشيء : أحجم .

خال من الشهوات ، والنفس معدن^(١) الشهوات واللذات ، والقلب يطلب ربه ، والنفس تطلب شهواتها ولذاتها ؛ فمثل النفس كسفينة مشحونة في نهر شديد الجرية^(٢) ، والسفينة في صعود تجرجر^(٣) ، فكلما أوقرت^(٣) السفينة كان جرّها أصعب وأثقل .

فمن أحب أن يخف عليه جرّها فليخل سفينته من الأشجان^(٤) بكل ما يقدر عليه حتى يتركها خالية من الأشجان والأثقال ، فعندها تخف على من جرّها مصعدة .

فالنفس تجرى في أمر الله مع القلب فيما تهوى^(٥) النفس ، وتشتهى وتلتذ ؛ فالسفينة المشحونة منحدره ، فإذا جاءها أمر لم تهو ولم تشته^(٦) صارت كسفينة موقرة^(٧) مشحونة مصعدة ، فهي تجرجر^(٨) بالرجال مع الأنين والأعناق والأيدي المكدودة حتى تبلغ المصعد .

(١) معدن : أصل .

(٢) الجرية : الجرى .

(٣) أوقرت : ثقل حملها .

(٤) الأشجان : الشجن : الهم والحزن ، والحاجة حيث كانت . وجمعه شجون وأشجان .

(٥) تهوى النفس : تحب .

(٦) في الأصول : تشهى .

(٧) موقرة : محملة بحمل ثقيل .

(٨) المكدودة : المتعبة .

مثل الدنيا وانخداع الأحمق بها

مثلُ الدنيا وانخداع الأحمق بها كمثل الصبي في المهد ؛
ترضعه أمه ، وتسدل عليه (١) ذلك الغطاء ، وترججه (٢)
وتنغمه (٣) بأنواع الكلام حتى يذهب به النوم ، فكذلك الدنيا
ترضعه حلاوتها ولذاتها ، وتطبق (٤) عليها (٥) الخوى ، وتتابع
عليها الأمان ، وتطول له في الأمل حتى ينام عن الآخرة ، فكلما
ازداد أمله طولا كان أثقل نوما ، ثم سقته شربة في نومه من ذلك
السم الناقع (٦) ؛ وهو حب الدنيا وشغوفه (٧) بها ، حتى يسكر
من حلاوة ذلك الحب ، فعندها يغلي حرصه ، فهو هلاك دينه ؛
كما تسقى هذه المرضعة ولدها من هذا « الأفيون » حتى يثقل نومه ،
ويكون كالسكران ، فإذا لم تطبخه بالسمن ، وتمزجه بسائر
الأدوية ، يقتل الصبي .

ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **حبك الشيء يعمي**

ويصم .

(١) تسدل : ترخي .

(٢) ترجح : تذبذب ، وترجحت به الأرجوحة : مالت .

(٣) تنغمه : يريد تغنى له .

(٤) تطبق : تغطي .

(٥) هذا بالأصول .

(٦) السم الناقع : البالغ الثابت .

(٧) الشغف : الحب ، والتعلق .

فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ أَعْمَاهُ حُبُّ الدُّنْيَا وَأَصَمَّهُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَنْ

مَوَاعِظِهِ؟

وَرَوَى عَنْ رَسُولِ [٦٩] اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :

مَا ذُئِبَانَ جَائِعَانَ أُرْسِلَ فِي زَرِيْبَةِ غَنَمٍ بِأَفْسَدَلِهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ فِي الْمَالِ
وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ .

مثل من يخلط أعمال السوء بأعمال البر

مَثَلُ مَنْ يَخْلُطُ أَعْمَالَ السُّوءِ بِأَعْمَالِ الْبِرِّ مَثَلُ مَنْ أَهْدَى إِلَى

الْمَلِكِ مَائِدَةً عَلَيْهَا أَلْوَانٌ مِنَ الْأَطْعَمَةِ مِنَ الطَّرْفِ (١) مِنَ الْمَأْكُولِ

وَالْمَلْبُوسِ ، وَفِي خِلَالِ ذَلِكَ عَظْمُ الْمَيْتَةِ ، وَخِرْقُ الْمَزَابِلِ (٢) ،

وَرَجِيْعُ (٣) الدُّوَابِّ وَنَحْوِهَا ؛ فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْمَلِكِ رَفَعَ الْحَاجِبُ

الْحِنْدِيلَ ، فَرَأَاهَا بِهَذِهِ الصُّفَةِ ، فَحَجَبَهُ عَنِ الْمَلِكِ ، وَوَضَعَهُ فِي الْخِزَانَةِ

حَتَّى يَأْتِيَ الْوَقْتُ الَّذِي يَدْعُو بِهَا الْمَلِكُ لِيَخْزِنَهَا ، فَإِذَا الْحَاجِبُ أَخْرَجَ

وَتَوَضَّعَ بَيْنَ يَدَيْ الْمَلِكِ ؛ فَكَمْ مِنْ حَيَاءٍ يَسْتَحْيِ ؟ وَكَمْ مِنْ خَوْفٍ

يَخَافُ ؟

وَمِثْلُهُ أَيْضًا مَثَلُ مَنْ يُهْدِي لِلْمَلِكِ قِلَادَةً (٤) فِيهَا يَوَاقِيْتُ

(١) الطرف : جمع طرفة : يقال أطرفت فلانا ؛ أى أعطيته مالم تعطه أحدا قبله ،

والاسم الطرفة - بالضم .

(٢) المزابل : جمع مزبلة .

(٣) رجييع الدواب : روثها .

(٤) القلادة : ما جعل في العنق .

وجواهر ، وذهب ولآلِي وزبرجد ، وفي خِلالِها بدورة ، وعِظام الميتة ،
والزجاج ؛ أليس أنه قد أذهب بهاء^(١) جواهره ولآلئه ؛ كذلك هذا .

مثل من يقوم بأمر الله مخلصا ، أو غير مخلص

ودثل مَنْ يقوم بأمرِ الله وحقوقه في الظاهر على هَوَاهُ ، وبباطنه
مُنْعَزِلٌ ، وَمَنْ يقوم بأمرِ الله لِأَمْرِ الله - كمثل عبدين دَعَاهُمَا المَوْلَى ،
فوجهُهما إلى كَرَمٍ له لِيَسْتَقِيَاهُ وَيُصْلِحَاهُ وَيَقُومَا بمصلحة هذا
الكَرَمِ . فذهبَا لذلك الأمرِ مسرعين^(٢) كالسَّهْمِ ، وفَعَلَا ذلك ،
فَمَنْ رآهُمَا نَظَرَ إِلَيْهِمَا بَعَيْنِ الطَّاعَةِ وَصِحَّةِ العِبُودَةِ^(٣) ، فَأَرَادَ
المَوْلَى امتحانَهُمَا لِيَبْلُو^(٤) بَاطِنَهُمَا ، فحضر الكَرَمُ فوجدَهُمَا في
ظلالِ بَيْنِ الثُّمَارِ والأَعْنَابِ ، وَالوَقْتُ وَقْتُ الظُّهيرةِ ، فبعثَهُمَا
إِلَى الحَصَادِ والِدِّيَاسِ^(٥) ، فمرَّ أَحَدُهُمَا من سَاعَتِهِ مُسْرِعًا مُمْتَثِلًا
أَمْرَهُ . وَالآخِرُ أَخَذَ فِي التَّلَكُّو والتَّعَافُلِ ، فَعَلِمَ مِنْ رَأْيِهِمَا بَعْدَ
الامْتِحَانِ أَنَّ ذَلِكَ الأَوَّلَ مِمَّنْ أَطَاعَ مَوْلَاهُ عَلَى الصِّفَاءِ والإِخْلَاصِ ،
وَالآخِرَ عَلَى هَوَى نَفْسِهِ ؛ فَلَمَّا اسْتَقْبَلَهُ خِلَافُ هَوَاهُ تَرَكَ طَاعَتَهُ ،
وَتَأَنَّى بِالكَسَلِ والتَّشَاقُلِ ؛ فهُذَاتَا تَابِعُ هَوَاهُ .

(١) بهاء : جمال .

(٢) بالأصوات : مسرعا .

(٣) العبودة : الطاعة .

(٤) يبلو : يختبر .

(٥) الدياس : الدراس .

فكذلك العبيد عند الله تعالى : مَنْ عَبْدَ اللَّهِ تَعَالَى لِلْهُوَى وَلِلنَّفْسِ
فِيهِ نَصِيبٌ يَمُرُّ فِيهِ ، وَإِذَا أَتَاهُ أَمْرٌ يَثْقُلُ عَلَيْهِ هَرَبَ مِنْهُ ، وَضِيعَ
الْحَقِّ ، فَإِذَا أَتَاهُ مَحْبُوبٌ سَارَعَ إِلَيْهِ ، فَلَا يَكُونُ هَذَا مِنَ الْمُحَقِّقِينَ
أَبَدًا .

مثل موسرين ينفق أحدهما فيما يهوى وينفق الآخر في وجوه الخير

مَثَلُ الْمُوسِرِينَ (١) أَحَدُهُمَا يَنْفِقُ مَالَهُ فِي هَوَى نَفْسِهِ ، وَالْآخَرَ
يَنْفِقُ مَالَهُ فِي وَجْهِ الْخَيْرِ ، مِنْ إِطْعَامِ الطَّعَامِ ، وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ ،
وَمَصَارِفِ الْحَقِّ ، وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ - مَثَلُ رَجُلَيْنِ دَعَاهُمَا الْمَلِكُ ، فَأَوْدَعَ
كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا خِزَانَةً ، فَقَالَ : أَمْسِكَا وَاحْفَظَا ، فَمَنْ جَاءَ كَمَا
بِرُقْعَتِي (٢) فَأَعْطِيَاهُ مَا فِي الرُّقْعَةِ مَقْدَارَهَا ، وَهَاهُنَا عَسْكَرَانُ : عَسْكَرِي ،
وَعَسْكَرُ الْعَدُوِّ ، فَإِيَّا كَمَا أَنْ تَصْرِفَا شَيْئًا مِنْ هَذَا الْمَالِ إِلَى عَسْكَرِ
الْعَدُوِّ .

فَذَهَبَ أَحَدُهُمَا وَاسْتَعْفَاهُ (٣) مِنْ قَبُولِهِ ، فَلَمْ يَعْفِهِ مِنْهُ ،
فَقَبِلَهُ عَلَى ضَرُورَةٍ ، وَهُوَ ثَقِيلٌ عَلَيْهِ ، فَكَلَّمَ مِنْ أَتَاهُ بِرُقْعَتِهِ أَدْرًا
عَلَيْهِ مَا تَضَمَّنَتْهُ الرُّقْعَةُ مَغْتَنِمًا لِحَقِّهِ حَتَّى صَدَرُوا إِلَى (٤) الْمَلِكِ حَامِدِينَ
لَهُ ، شَاكِرِينَ بِبَابِ الْمَلِكِ ، مُثْنِينَ عَلَيْهِ ، نَاشِرِينَ عَنْهُ جَمِيلًا ،

(١) الموسر : الغنى .

(٢) الرقعة : التي تكتب .

(٣) استعفاه : طلب إعفائه .

(٤) صدروا : رجعوا .

ثم عمد إلى صرته فأنفق على ما فيه قوة عسكر الملك ، فإذا قدم
لحسابٍ قرَّت^(١) عينه بأداء الأمانة والامتنال لأمره .

وأما الآخر فإنه لما قبل الوديعه ، ذهب يفتخر بها ، ويتطاول
على نظرائه^(٢) ، ويباهي^(٣) بها أشكاله^(٤) ؛ ثم أخذ يصرفها
إلى مَلاهيه وهواه وقبيح عمله ، وأنفذها إلى عسكر العدو ؛ فكل
من عقل أمره تعجب منه ، وبهت^(٥) في أمره بغفلته وبلاهته
وقبح عمله ، فإذا جاءت رقة الملك دافع وسوف^(٦) حتى رجع
أصحاب الرقاع^(٧) إلى الملك بها ذامين له متذمرين لفعله ؛ ثم
لما صرفها في الوجوه عمد إلى أسلحة ودواب ، فأنفذها إلى عسكر
العدو ؛ فإذا قدم إلى الحساب سأل : ما صنعت في وديعتنا وأموالنا
ومواثيقنا ؟ لم يكن له جواب إلا أن يقول : صرفت أصحاب
الرقاع بحرمان تسويفا ومدافعة ؛ وصرفت المال في الأسلحة والدواب
لعسكر عدوك ، فما له من الحساب !

(١) قرَّت عينه : اطمأن ، وسر .

(٢) نظرائه : أمثاله .

(٣) يباهي : يفاخر .

(٤) أشكاله : أمثاله ونظراءه .

(٥) بهت : تحير .

(٦) سوف : آخر .

(٧) الرقاع : جمع رقة : ما يكتب فيه .

مثل من يعظ القلوب الخربة

مثل من يعظ القلوب الخربة مثل رجلٍ عمد إلى خرابٍ قد
تَلزَّقَ عليه الدُّخَانُ والغُبَارُ ، واسودَّ من كثرة ذلك ، فكلما طينَه (١)
لم يَلزُقْ به الطينُ ، وتساقطَ ؛ فهو بينَ أمرين : إما أن يحكَّه
أو يغسله حتى زال عنه ذلك الغبار والدُّخَانُ حتى يَلزُقَ به الطينُ ،
فإن عجزَ عن ذلك وإلا تابعَ الطينُ عليه . فكلما تساقطَ ضربَه بآخر
مرةً بعد أخرى ، إلى أن يَلزُقَ ؛ فلا يزال يردُّ عليه ذلك حتى يزيلَ
جميعَ ما كان عليه من الدُّخَانِ بتتابعِ الطينِ مرةً بعد مرة .

فكذلك القلوبُ التي قد رانتَ (٢) من كثرة الذنوب ، إذا
لاقت الموعظةَ تهافتت (٣) عنها بمنزلة الجدارِ الذي مثلناه ؛ فإذا
تاب العبدُ ، وفزعَ من المعاصي ، واستغفرَ فلاقته الموعظةُ قبيلَ
القلبِ ذلك ، وأقبلَ على الطاعةِ ؛ ثم أقبلَ بعد ذلك على حسنِ
الطاعةِ ؛ فعبدَ اللهَ كأنه يراه ، فذلك منه الإحسانُ الذي وصفه
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لجبريل صلوات الله عليه حيث سأله
عن الإيمان والإسلام والإحسان ، فقال : الإحسان أن تعبدَ اللهَ
كأنك تراه .

(١) طينه : لطحه بالطين .

(٢) رانت : غطيت .

(٣) تهافتت : تطايرت وتساقطت ؛ يريد ابتعدت .

فهذا القلب كجدارٍ غُسلٍ وُطِينٍ ثم جُصِّصَ (١) ، فصار
أبيض ، ثم ينقش ويُطَيَّب ، فصار مُطيباً منقوشاً .

فالقلبُ التزق عليه دُخانُ الذنوبِ وغُبارها ، لقوله سبحانه
وتعالى (٢) : (كَلَّا ، بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (٣) .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم (٤) : إِذَا أَذْنَبَ الْعَبْدُ ذَنْبًا

نُكِّتَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ (٥) سَوْدَاءٌ ، فَإِذَا عَادَ نُكِّتَتْ أُخْرَى ،

فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَسْوَدَّ الْقَلْبُ ، ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى (٢) :

(كَلَّا ، بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) . فَإِذَا تَابَ صُقِلَ

الْقَلْبُ وَأَضَاءَ ، فَإِذَا لَاقَتْهُ الْمَوْعِظَةُ لَاقَتْ قَلْبًا مُصْقُولًا ، فَصَارَتْ

الْمَوَاعِظُ لَهُ عِيَانًا كَأَنَّهُ يَشَاهِدُهَا بِعَيْنِي الْفُؤَادِ ، مَا يُوصَفُ لَهُ ،

فَصَارَ كَالْمِرَاةِ إِذَا رِيْنَتْ ، فَمَا رَأَى فِيهَا أَبْصَرَ كَالْخِيَالِ ،

فَإِذَا صُقِلَتْ أَبْصَرَ فِيهَا كُلَّ مَا قَابَلَهَا مِنْ شَيْءٍ خَلْفَ ظَهْرِهِ وَبَيْنَ

يَدَيْهِ ، وَأَبْصَرَ مِثَالَ وَجْهِهِ فِيهَا ، فَإِذَا قَابَلَهَا بِعَيْنِ الشَّمْسِ وَقَعَ

ضَوْءُ الشَّمْسِ فِي الْبَيْتِ الَّذِي لَيْسَ لِلشَّمْسِ فِيهِ مَوْضِعٌ إِشْرَاقٍ ، وَذَلِكَ

(١) جصص : طلى بالخص .

(٢) سورة المطففين ، آية ١٤

(٣) ران على قلوبهم : قال الفراء : كثرت المعاصي والذنوب منهم فاتحاطت

بقلوبهم ، فذلك الرين عليها ، ويقال : ران على قلبه ذنبه : أى غلب .

(٤) سنن الترمذى ، والقرطبي : ١٩ - ٢٥٩

(٥) نكتة سوداء : أثر قليل كالنقطة شبه الوسخ في المرآة والسيوف ونحوهما (النهاية) .

لأن النورين إذا اجتمعا والتقيا : نور الشمس ، ونور المرآة - تولد من [٧٠] بينهما نور ، فوق في البيت المظلم ، فأضاء .

فكذلك القلب الذي عليه رين الذنوب بمنزلة المرآة التي قد صدئت : فإذا فكرت شيئا من أمور الآخرة لم يتراء (١) لك ؛ فإذا صقل قلبك بالتوبة والاستغفار صار كالمرآة المجللة (٢) ؛ فإذا فكرت في سالف الذنوب ، وتراءى لك قبورها ، فاشتد عليك ، وإذا فكرت فيما أعدّه الله لأهل المعاصي ذكرتك ، وأرعبت (٣) قلبك بتعظيم ماتمثل لك من عقابه .

وإذا فكرت في دار المطيعين برمت (٤) بالحياة شوقا إلى تعظيم ماتمثل لك من كراماته لعبده .

وإذا فكرت في العرض الأكبر هالك (٥) شأنه ، وأخذك القلق ، وعمل فيك الحياء من ربك .

وإذا فكرت في أمر الملكوت عظم شأن العبادة (٦) عندك ، فإذا لاحظت جلاله وعظمته صار صدرك بمنزلة البيت الذي وقع

(١) تراءى لك : تصدى لك لتراه ، والمعنى : لم يظهر لك فتراه .

(٢) في ١ : المتجللة .

(٣) أرعبت قلبك : خوفته .

(٤) برم بالشئ : ضجر منه ، واغتم وقلق .

(٥) هالك : أفرعك .

(٦) العبودة : الطاعة ، كالعبودية .

فيه نور الشمس حيث قابلتها بتلك المرأة ؛ فصار الصدر منك
ممتلئاً نوراً ، قد غاب عنك في ذلك النور جميع ما تراعى لك قبل
ذلك في وقت فكرتك في أمر الجنة والنار ، وأمر الذنوب ، وكل
شيء سواه ؛ ولها^(١) قلبك عن ذلك كله ، ووقع قلبك في بحار العظمة ،
فتقع في الوله إلى الله ، فإذا صار هذا القلب كجدار غسل وطين ثم
جصص ، فصار أبيض ؛ ثم نقش وطيب فصار مطيباً منقوشاً ،
فحينئذ أقبل إلى الإحسان وعلى حسن الطاعة بأن يعبد الله كأنه
يراه ؛ فذاك منه الإحسان الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين سأله جبريل عليه السلام .

مثل الدنيا مثل بحر عميق

مثل الدنيا مثل بحر عميق كل من دخله غرق فيه ، لأنه لا يرى
ساحله ، فإلى كم يسبح ؟ فهو في السباحة حتى يعيا^(٢) ، فيلقى
نفسه في التهلكة^(٣) ؛ وربما هاج الموج فيغرق في تلك الأمواج .
فالكيس^(٤) من يجانب البحر فهو في سلامة ومأمن من الآفات
إذا لزم السواحل والفرضة^(٥) . ومن له حمق دخلها من قلة المبالاة ،
وترك السواحل ؛ فإذا هو هالك .

(١) لها عن الشيء : سلا عنه وتركه .

(٢) يعيا : يعجز .

(٣) التهلكة : الهلاك .

(٤) الكيس : العاقل .

(٥) الفرضة من النهر : ثلثة يستقي منها . ومن البحر : محط السفن .

ومن كان قويا في ذات يده . هنيئا مريئا بآلاته و أدواته و رجاله
و شرعه ^(١) و ديدبانه ^(٢) ، و هيأ السفينة فركب البحر في مركب
لم يضره ؛ لأن سفينته بعرض البحر و طوله قد طبقت البحر ، فإن
سكنت الرياح أرساها ، و إن هاجت أجراها ؛ فالأدعى بحره حرصه
الذي في جوفه ، فليس لحرصه نهاية ؛ كالبحر الذي لا يرى أطرافه ،
وهو قول ^(٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو كان لابن آدم
واديان من ذهب ^(٤) لا يتغنى ^(٥) إليه ثالثا ، ولا يملأ جوف ابن
آدم إلا التراب .

أخبر أن صاحب هذا كلما ازداد تناولا من الدنيا لم يدعه ^(٦)
ما في جوفه حتى يطلب مزيدا ، وذلك حرصه الذي غرق فيه قلبه ،
فأهلكه .

ثم قال في آخره ^(٧) : ويتوب الله على من تاب . فالتوبة من
العبد إقباله إلى الله بقلبه ، و التوبة من الله على العبد إقباله على العبد
بوجهه الكريم ^(٨) ؛ فتلك سفينته ؛ و كما أن السفينة بلا أداة و آلة
و رجال لا تغني عنه شيئا فكذا التوبة لها شعب حتى تأتي بالشعب

(١) الشرع : جمع شراع ، وهو كالملاءة الواسعة فوق خشبة تصنّفه الريح فيمضي بالسفينة .

(٢) الديدبان : الرقيب و الحارس . (٣) صحيح مسلم : ٧٢٥ : ٧٢٦

(٤) في مسلم : من ما . (٥) ابتغى : طلب . (٦) يدعه : يتركه .

(٧) في آخر الحديث السابق . (٨) في شرح صحيح مسلم : معناه أن الله

يقبل التوبة من الحرص المذموم و غيره من المذمومات .

كلها ؛ وهو أن يُعْرِضَ بقلبه عن جميع الشهوات والهوى ، فذاك الإقبال كل الإقبال . فقد أَمِنَ الغرق ؛ لأنه قد وقع قلبه في بحار العظمة ، فامتلاً قلبه وصدره حتى شَبِعَ وروى ، وغاب الحرص عن صدره ، ودانت^(١) نفسه ، فصارت كسفينة قد طبقت عرض البحر ؛ فإذا هاج البحر فإنيهما هو بحر العظمة جرت سفينته بريح طيب ، وشراعها حبُّ الله تعالى وذكْرُه ، وريحها شوقُ العبد ؛ فلو أخذ الدنيا كلها بكفه لقوى عليها ولم يضره ؛ لأنَّ الحرص مفقود ؛ وإنما أخذها الله ، ثم ردها إلى الله ؛ فهو كالخازن يأخذها بحق ، ويمسكها بحق ، ويصرفها في حق ، ليست له في ذلك شهوة ولا نَهْمَةٌ^(٢) .

مثل الشهوات وترددها في الصدور

مثل الشهوات وترددها في الصدر بين عيني الفؤاد مثل ذبّان^(٣) تطير بين عيني الرأس ؛ وإنما يجتمع الذبّان حيث يكون الشيء الحلو من الأشرطة والأطعمة ، وكذا إذا اجتمعت الشهوات في صدر المؤمن وحلاوة الدنيا ولذاتها ، فلقيته مستقراً^(٤) لها بتردها ،

(١) دانت نفسه : أطاعت .

(٢) النهمة : الحاجة ، والشهوة في الشيء .

(٣) الذبّان : جمع الذباب .

(٤) في ب : مستقبلة ، وفي هامشه أمامها : مستقراً لها . وفي ا : مستقراً لها ، وفي

هامشه أمامها : مستقبلة .

فما دام الحرُّ كائناً (١) فذلك شأنهنَّ ، فإذا جاء البردُ لم يكن لها بقاء .

فكذا صاحبُ الشهوات إذا جاءته من الله رَحْمَةٌ بَرَدَ قلبه عن الشهوات ؛ فإنَّ نورَ الرحمةِ يُبَرِّدُ الأشياءَ ويخمدُها ؛ فإنَّ بَرَدَ الرَّحْمَةِ يُطْفِئُ حَرَّ النَّارِ عن المؤمن عند الجَوَازِ على الصراط .

وكذا ما هنا مَنْ نالَ رَحْمَةً من الله تعالى بَرَدَ قلبه عن جميع الشهوات ؛ ثمَّ بَعْدَ ذلك جاءت أنوارٌ على القلب ، واشتعلت نيرانها في القلبِ ، حتى صار سَعْيُهُ كُلُّهُ له بَعْدَ أَنْ كانت حرارةُ الشهوات موجودةً في صدره ، وكان سَعْيُهُ لها .

وقد قال اللهُ تعالى في وَصْفِ الشهواتِ وشأنها (٢) : (زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ، ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَآبِ (٣)) .

(١) في أ ، ب : كائن . (٢) سورة آل عمران ، آية ١٤

(٣) الشهوات : جمع شهوة . واتباع الشهوات مرد وطاقها مهلكة . والقناطر : جمع قنطار . المقنطرة : المضعفة . المسومة : الراعية في المروج والمسارح . الأنعام : الإبل . والحرث : كل ما يحرث . والمآب : المرجع .

وفي القرطبي (٤ - ٣٦) : قال العلماء : ذكر الله تعالى أربعة أصناف من المال ، كل نوع من المال يتمول به صنف من الناس . أما الذهب والفضة فيتمول بها التجار . وأما الخيل المسومة فيتمول بها الملوك ، وأما الأنعام فيتمول بها أهل البوادي ، وأما الحرث فيتمول بها أهل القرى والسواد . فأما النساء والبنون ففتنة للجميع . قال : ومعنى الآية : تقليل شأن الدنيا وتحقيرها ، والترغيب في حسن المرجع إلى الله تعالى في الآخرة .

فقد اجتمع في الآدبي ثلاثة أشياء : زينة ، وحب ، وشهوة ،
هذه الأشياء التي عدّ في هذه الآية .

والشهوة خلقت من النار ، وهي محفوفة بها ؛ لقوله صلى الله
عليه وسلم ^(١) : حُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ . فتلك زينة ونعيم وأفراح
خلقت من النار ، والنار خلقت لها ؛ ففي جوف كل نفس موضوع
فيها بقدره ، وحريقها موجود عند هيجانه .

وللحب حرارة ، وللزينة فرح ، وللفرح حرارة ؛ فكلما ازداد
العبد من هذا الفرغ تباعدت عنه الرحمة ؛ لأن الله تعالى لا يحب
الفرحين ^(٢) .

فإذا توفى عن هذه الأفراح فمثله كمثله رجل دخل بيتاً فيه
ذبان ^(٣) كثيرة فسد الكوة ^(٤) ، وذب ^(٥) الذبان إلى الباب
ليخرج ^(٦) ، فسد الباب حتى أظلم البيت ، فذهبت قوة طيران

(١) القرطبي : ٤ - ٢٨ . ومعناه أن النار لا ينجى منها إلا بترك الشهوات وطمأنينة النفس عنها .

(٢) سورة القصص آية ٣٦ : إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين .

(٣) ذبان : جمع ذب (القاموس) . وكثيرة في الأصول كلها .

(٤) الكوة : الفتحة غير النافذة في الحائط .

(٥) ذب : دفع .

(٦) في الأصول : ليخرجوا .

ما بقي في البيت ، فبقي^(١) في ناحية من البيت ، وراح^(٢) من
في البيت .

فمن لم ينل تلك الرحمة التي تبرّد قلبه عن الشهوات ، وتُخمد
نفسه فيها فالحيلة فيه أن يختار لنفسه العزلة ويسدّ أبواب الشهوات
على نفسه .

قال قائل : مثل ماذا ؟

قال : مثل رجل أراد أن يسدّ باب فضول الكلام حتى تنقطع
عنه شهوة فضول الكلام ويبرد على [٧١] قلبه ذلك .

١ - اجتناب أبواب الكلام :

فعليه أن يجتنب أبواب الكلام على كائونه^(٣) مع عياله ،
وعلى بابه عند مجتمع الجيران في الحارة ، وعند مجامع الطرق
والأسواق ؛ فهذه كلها أبواب الكلام ؛ فإذا عرفها تجنّبها ، فإذا
هو قد سدّ على نفسه وحسم^(٤) الباب ؛ فإذا تعشّى قام إلى مصلاه ،
وإذا رأى مجتمع الجيران سلّم ومرّ ؛ فكل مجامع فيها فضول^(٥)

(١) في الأصول : فبقوا .

(٢) يقال : راح لذلك الأمر : فرح ، وأشرف له (القاموس) .

(٣) الكائون : الموقد .

(٤) حسم فلانا الشيء : منعه إياه . وحسمه يحسمه : قطعه .

(٥) فضول : جمع فضل ، وهو الزيادة ، يريد ما لاخير فيه من الكلام ،

ولهذا نسب إليه فقيل فضولي ، لمن يشتغل بما لا يعنيه .

من الكلام جانب عنها ، كما فعل أبو مسلم^(١) الخولاني رحمه الله حيث رأى جماعة في المسجد ، فمال إليهم ليجلس معهم ، ووطن أنهم في ذكر الله تعالى ، فوجدهم في ذكر الدنيا ، فقال : أنتم في سوق الدنيا ، وحسبت^(٢) أنكم في سوق الآخرة ، وأعرض عنهم .

فمن كان لسانه منه على بال ، ورد شهوة الكلام عن نفسه ، فقد نجا من أمر عظيم .

وكذا في سائر الجوارح^(٣) يسد على كل جارحة أبواب فضولها ، حتى تهدأ جوارحها ، فصار كمن سد الكوة ، ورد الباب ، فسكنت الذببان^(٤) عنه ، فكلما فتح الكوة والباب عدن إلى الطيران ؛ فهذا دأبه^(٥) إلى يوم الموت .

فهذا شأن أهل العزلة حسموا^(٦) أبواب الشهوات بالعزلة عن الخلق ، حتى هدأت الجوارح ، وبقوا في الزوايا ، فمن من

(١) أبو مسلم الخولاني : تابعي من عباد أهل الشام ، روى عن الصحابة . روى عنه أهل الشام ، وتوفي زمن معاوية (الباب) .

(٢) حسبت : ظننت .

(٣) الجوارح : الأعضاء .

(٤) جمع الذباب .

(٥) دأبه : شأنه .

(٦) حسموا : قطعوا ، يريد : اقفلوا هذه الأبواب .

اللَّهُ عَلَيْهِ بِالنَّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ ، وبالرحمة التي إِذَا وَرَدَ عَلَى الْقَلْبِ نُورُهَا
خَمَدَتْ جَمِيعُ حَرَارَةِ الشَّهَوَاتِ ، وَذَبَلَتْ وَتَهَافَّتْ ^(١) بِمَنْزِلَةِ
الْبَرْدِ الَّذِي هَجَمَ عَلَى مَكَانِ الذُّبَابِ فَتَهَافَّتْ ، فَإِذَا بَرَدَ
الْقَلْبُ بِخُمُودِ النَّفْسِ ، وَخَلَا الصَّدْرُ مِنْ حَرَارَةِ الشَّهَوَاتِ ،
وَصَوَّرَ هُنَّ ^(٢) عَلَى عَيْنِي الْفُؤَادَ فِي صَدْرِهِ - صَارَ الصَّدْرُ كَمَفَازَةٍ ^(٣)
جَرْدَاءَ ، وَطَهَّرَ مِنْ أَدْنَسِ الشَّهَوَاتِ ، فَعِنْدَهَا جَلَبَتْ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ
تِلْكَ الْأَنْوَارُ الْمَلَكُوتِيَّةَ ، فَاشْتَعَلَ فِي قَلْبِهِ حَرِيقُهَا ، فَاسْتَنَارَ الصَّدْرُ
بِهَا حَتَّى حَمِيَ الصَّدْرُ ، وَصَارَ بِمَنْزِلَةِ التَّنُورِ الْخَالِي مِنَ النَّارِ ^(٤) ،
بَارِدٌ ، فَكَلِمَا أَلْزَقَ بِهِ رَغِيْفًا تَهَافَّتَ ، وَلَمْ يَلْزُقْ ، فَإِذَا سُجِرَ ^(٥)
التَّرْقُ الْخُبْزُ بِهِ .

فَكَذَا الْقَلْبُ إِذَا حَمِيَ بِتِلْكَ الْأَنْوَارِ ، فَكَلِمَا لَاقَتْهُ مَوْعِظَةٌ
التَّرْقُ الْوَعْظُ بِهِ ، وَنَجَّعَ ^(٦) فِيهِ ، وَاتَّعَظَ بِهِ ، وَإِلَّا تَهَافَّتَ كَالْخُبْزِ
مِنَ التَّنُورِ ^(٧) الْبَارِدِ .

(١) تهافتت : تساقطت .

(٢) في ب : وصورتهن .

(٣) المفازة : الموضع المهلك .

(٤) هذا في الأصول .

(٥) سحرت التنور : أوقدته .

(٦) نجع : ظهر أثره فيه .

(٧) التنور : الكانون يخبز فيه .

مثل رياضة النفس

مثل رياضة النفس مثل دابة سالمة لم تُربط إلى آرى^(١) ،
فكانت ترتع^(٢) في البرارى ، تذهب حيث شاءت إلى نهماتِها^(٣) ،
لا تعرف مالِكها ، ولا تعلم سيرها ؛ فإذا أراد أن يجعلها مركبا
أخذها الرابض بالوهق^(٤) والحبل ، ثم قيدها حتى أمكنته من
اللجام والسرج ، ثم ركبها فاضطربت بنفسها إلى الأرض ،
فلا تزال هكذا حتى انقادت للركوب عليها ، واعتادت اللجام
والسرج ، فاستغنى عن القييد ، ثم كانت تسير ولا تعلم السير ،
فلم تنزل تؤدب لتعلم السير ، وتترك مرادها ؛ فردّها من مرادها ومن
نهمتها وسيرها إلى مراد نفسه ؛ ثم لما صارت إلى الأنهار والحفائر
وثب بها لتعتاد العبور عليها ، ولم يجرها على القنطرة فتعتاد
الجرى على القنطرة ، فليس على كل نهر توجد قنطرة ؛ ثم سار بها
في جلب^(٥) الأسواق في النجارين والحدادين ونحوهما ؛
ليعودها الجلبة كي لا تنفر ولا تترك سيرها عند كل جلبة

(١) الآرى : الأخية ، وهى عود فى حائط أو فى جبل يدفن طرفاه فى الأرض
ويبرز طرفه كالحلقة تشد فيها الدابة .

(٢) رتعت الماشية : رعت كيف شاءت .

(٣) النهمة : الشهوة فى الشئ ، والحاجة .

(٤) الوهق : حبل يلتقى فى عنق الشخص يؤخذ به ويوثق ، وأصله للدواب .

ويقال فى طرفه أنشوطة ، والجمع أوهاق .

(٥) الجلب - محرّكة : الصوت : كالجلبة .

تستقبلها ، فلا يزال يردُّ بها هكذا حتى يأخذ بمجامع قلبها ،
وتترك أذنيها مُصغيةً إلى هذه الرياضة : فهي تسيرُ بهذا اللجام ،
فإنَّ مَدَّ عِنَانِهَا (١) بإصبع وقفت ، وإنَّ عَطِفت (٢) بإصبع
انعطفت ، وإنَّ تحامل بر كَابِيئِهَا (٣) . وأرْخَى عِنَانَهَا طارت ،
وإنَّ كَبَّحَ لِحَامِهَا في ذلك الطَّيْرَانِ بِإِصْبَعٍ هَدَّأتُ وسكنتُ وإنَّ
نزلَ عنها ووقفها امتنعت من أن تروثَ (٤) وتَبُولَ حتى تصيرَ إلى
مَوْضِعِهَا ، وإنَّ استقبلتها جَلْبَةً لم تلتفتِ إلى ذلك ، ودأبت (٥) في
سِيرِهَا ، وإنَّ استقبلها نَهْرٌ لم تلتفتِ إلى قَنْطَرَةٍ ، ووثبت وثبة من
رَفَعِ البَالِ عن نفسها .

فهذه دَابَّةٌ قد صلحت لِلْمَالِكِ ، فَعَرَضْتُ عليه ، فاستَحْلَاهَا ،
واتخذها لنفسه مَرْكَبًا ، فَرَبَطْتُ إلى آرِيَةٍ (٦) ، وَأَعْلَفْتُ من
أَطَايِبِ الأَعْلَافِ وَغَلَّافِي ثَمَنِهَا ، وَجَلَلْتُ (٧) وَبُرَّقَعْتُ (٨)
وَأَرِيحْتُ ؛ فَمِنْ بَيْنِ الأَيَّامِ يَنْشُطُ المَلِكُ مَرَّةً لِرُكُوبِ عَليهَا .

(١) العنان : سير اللجام التي تمسك به الدابة .

(٢) عطفت الشيء عطفا : ثبته وأملته فانعطف .

(٣) الركاب من السرج : ما يضع الراكب رجله فيه ، وهو من الجلد .

(٤) تروث : تخرج الروث .

(٥) دأبت في سيرها : جدت وتعبت .

(٦) الآرية : عروة تربط إلى وتد مدقوق ، وتشد فيها الدابة .

(٧) جللت : جل الدابة كثوب الانسان يلبسه يقيه البرد ، والجمع جلال وأجلال .

(٨) البرقع : ما تستر به المرأة وجهها ويكون للنساء والدواب . وتبرقعت : لبست

البرقع (القاموس) .

فكذا النَّفْسُ أَوْلَىٰ تُرَاضُ بِحِفْظِ الْحُدُودِ ؛ فهذا سَرَجُهَا
وَلِجَامُهَا ، وَالرَّكُوبُ هُوَ الْفَرَائِضُ ، وَلِجَامُهَا الْحُدُودُ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ
تَعَالَى ؛ ثُمَّ تُرَاضُ (١) فَتُؤَخَذُ بِالصِّدْقِ وَالْإِخْلَاصِ فِي الْأَعْمَالِ ،
وَحُسْنِ الْأَخْلَاقِ ؛ كَمَا أُمِرَتِ الدَّابَّةُ بِحُسْنِ السَّيْرِ ، وَبِالْعَطْفِ فِي
الْمَعَاطِفِ ؛ وَالطَّيْرَانِ عِنْدَ التَّحَامُلِ عَلَيْهَا ؛ وَذَلِكَ السَّبْقُ بِالْأَعْمَالِ مِنَ
الْعَبْدِ ، وَالْمَسَارَعَةُ فِي الْخَيْرَاتِ ؛ ثُمَّ يُؤَخَذُ عَلَيْهِ بِقَوْلِ الْحَقِّ وَالْأَلَى
يَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً ؛ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ .

وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ ، كَمَا أُخِذَتِ الدَّابَّةُ بِالْوَثْبِ
حَيْثُ لَا قَنْطَرَةَ وَلَا مَجَازَ لِلْمَاءِ ، ثُمَّ يُؤَخَذُ عَلَيْهِ بِالْمَعَادَاةِ لِأَهْلِ الْمُنْكَرِ
وَالْمَعَاصِي . وَالْحُبُّ لِلَّهِ ، وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ ، كَمَا أُخِذَ عَلَى الدَّابَّةِ
تَقَلُّبُهَا فِي الْعُبُورِ وَالْأَسْوَاقِ .

فَهَذَا بَدَلَ النَّفْسِ لِلَّهِ ؛ فَإِذَا قَدِ اسْتَكْمَلَ الْأَدَبَ ، وَأَخَذَ اللَّهُ بِقَلْبِهِ ،
فَصَارَ صَغُورًا (٢) أُذُنِي فُؤَادِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَشَخِصْتَ عَيْنَا فُؤَادِهِ
تَنْظُرَانِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَإِلَى تَدْبِيرِ اللَّهِ جَلِّ وَعَلَا فِي خَلْقِهِ ؛ فَهَذَا وَلى
اللَّهُ قَدْ أَدَّبَهُ وَاصْطَفَاهُ (٣) لِنَفْسِهِ ، وَاتَّخَذَهُ حَبِيبًا .

مثل الإيمان والأعمال الصالحة

مثل الإيمان والأعمال الصالحة مثل بيتٍ وُضِعَ فِيهِ غُصْنٌ مِنَ الْوَرْدِ

(١) رَضت الدابة : ذلتها .

(٢) صغور : ميل ، واستماع .

(٣) اصطفاه : اختاره .

والياسمين والسوسن مما يفوح ريحه ، فيطيب البيت مادام البيت
مرشوشاً ذا روح ، والغصن طرى بمائه ، فريحه فائح ، فإذا هب
الروح من البيت ، وتمكن فيه الحر ذبل الغصن ، وذهبت طراوته ،
وافتقد طيبه .

فكذا الإيمان في قلبه طرى نزه^(١) بنزاهة القلب ، فإذا نالته
حرارة شهوات النفس ، وفوران الهوى ، وحدة حرارة الحرص ،
وطلب العلو ، وحب العز والرياسة ، فأحاطت هذه الأشياء بالقلب
ذبلت شجرة الإيمان ، وذهبت طراوتها ونزاهتها .

مثل طيب الإيمان على القلب

مثل طيب الإيمان على القلب مثل عود أقيته على جمرة
ليتوقد ويتبخر به المسجد ، فإذا كانت الجمرة ذات توقد فاح ريح
البخور ، وانتفع القوم به ، وإذا كانت الجمرة منطفئة قد علاها
الرماد بقي العود مكانه ، ولم يكن له بخور .

مثل الإيمان في القلب

مثل الإيمان في القلب مثل غراسة غرستها في الأرض عودا
كالسواك ، فالتفت عليها الأرض ، فإن أنت سقيتها وأمددتها
بالتراب ، وأضحيتها^(٢) للشمس ، فعن قريب تصير شجرة

(١) نزه الرجل نزاهة : تباعد عن كل مكروه . فهو نزيه . ورجل نزه الخلق -
بسكون الزاي وتكسر - ونازه النفس : عفيف متكرم يحل وحده ولا يخالط البيوت
بنفسه ولا ماله (القاموس) .

(٢) أضحيت الشيء : أظهرته .

باسقة^(١) في السماء ؛ غلظ ساقها ، وكثر فروعها ، وتمكنت من الأرض [٧٢] عروقتها ، وزكّت^(٢) ثمرتها .

فإن قصرت في السقي والتراب ، وسطّحت^(٣) فوقها فلم تدركها الشمس تكون عويدة^(٤) كما غرستها ، ثم عن قريب تيبس وتقلع ويرمى بها في النار .

فكذا نور الإيمان إذا دخل القلب فسقيه العلم بالله ، فكلما ازددت بالله علماً ازداد القلب بالله حياة ، وازداد كشافاً ووضوحاً برؤيته .

ومدده أعمال البر ؛ وهي أداء الفرائض واجتناب المحارم ؛ فكلما عملت براً كان نور ذلك العمل راجعاً إلى نور المعرفة ، فيزداد قوة بنور المعرفة ؛ لأنه إذا رُفِعَ عمله إلى الله تعالى نظر الله إليه ، فاشتغل بذلك ؛ فذلك العمل النور ، وأصله في القلب ، وفرعه عند الله تعالى ؛ فإذا اشتعل الفرع نوراً بنظر الله تعالى إليه تنادى^(٥) ذلك النور إلى الأصل ، فاختلط بنور المعرفة فتزكى ، وإضحاًؤها للشمس

(١) باسقة : عالية طويلة .

(٢) زكّت : نمت وزادت .

(٣) سطّحه - كمنعه ؛ وسطّحه : بسطه وأضحجه .

(٤) عويدة : تصغير عود .

(٥) تنادى : وصل .

رَفَعَ العلائق ؛ وهو ر كوبُ الهوى في الشهوات ، فإذا زال الهوى عن القلب كان بمنزلة بيتٍ رُفِعَ سَقْفُهُ حتى خُلصَ إلى الشَّجَرِ حَرِّ الشَّمْسِ ، فعندها يَغْلُظُ ساقه ، وتكثر فروعُه ، وتزكو (١) ثمرته ؛ كعودِ غرسته في وعاءٍ مثل الحَبِّ (٢) وفي أصل الحَبِّ ترابٌ ، فلم يزل هذا العود ينمو بسقْيِ الماءِ وإشراقِ الشَّمْسِ ، حتى صار ذاساق (٣) غليظٌ : امتلأ من غلظه هذا الحَبُّ حتى لم يبق فيه موضع ظفرٍ ؛ فإذا امتلأ لم يكن لشيءٍ غيره مساعٍ فيه أن يدخله .

فكذلك المعرفة إذا تمكنت في القلب عروقتها لا يزال يربو (٤) على ازدياد العلم بالله وبأسمائه وبربوبيته وتدبيره ، وعلى أعمال البرِّ ، وقطع العلائق ، حتى يمتلئ القلب منه ، فكان بدؤه نور المعرفة ، فلحقت به هذه الأنوار : نور المعرفة ، وأنوار العمل ، فامتلاء القلب نوراً حتى لم يبق في القلب موضع رأسِ إبرَةٍ خالياً عن النور ، فكيف تدخله ظلمةُ الهوى والنفس . فإذا لم (٥) يرببه هذه الأنوار بقي القلب خالياً إلا بمقدار ذلك النور الذي حلَّ به من نور المعرفة وما حوله من القلب خالٍ ، فتدخل عليه ظلماتُ الهوى ، فتختلط به ، ويجاوره

(١) تزكو : تنمو وتكثر .

(٢) الحَبُّ : الحرة ، أو الضخمة منها (القاموس) .

(٣) ساق الشجرة : جذعها .

(٤) يربو : يزيد .

(٥) في الأصول : يربيه . ولعلها : يزيه .

بجوار السوء حتى يذوبَ ذلك النور ، وينتقص ؛ فيوشك صاحب
هذا أن يسلبَ حتى لا يبقى معه شيء . نعوذُ بالله من تلك الحال .

وحكى أن إبراهيم بن جنيد رَحِمَهُمَا اللهُ قال : كان يُقال :
هَمَّةُ الزُّهَّادِ وَالْعِبَادِ مَخَالَفَةُ الْأَهْوَاءِ عَنِ الشَّهَوَاتِ ، وَهَمَّةُ الْعُقَلَاءِ
وَالْأَوْلِيَاءِ تَرْكُ الذُّنُوبِ وَإِصْلَاحُ الْقُلُوبِ .

مثل الايمان

مثلُ الإيْمَانِ مِثْلُ الضَّيْفِ الْكَرِيمِ بَعَثَهُ^(١) الْمَلِكُ إِلَيْكَ ضَيْفًا ،
وَأَمَرَكَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ ؛ فَإِنْ تَرَكَكَ عَلَى ذَلِكَ وَقَعْتَ فِي الْجَهْدِ^(٢)
وَالْمَعَالِجَةِ وَالِاسْتِدَانَةِ وَالْحَوْرِ^(٣) ؛ تُنْفِقُ عَلَيْهِ وَتُحْسِنُ^(٤) ؛ فَإِنْ أَعْطَاكَ
الْمَلِكُ بَدْرَةً^(٥) مِنَ الدَّنَانِيرِ وَقَالَ : أَنْفِقْ عَلَى هَذَا الضَّيْفِ ، وَلَا تُقْتِرْ ،
وَأَحْسِنْ إِلَيْهِ ، وَلَا تُقَصِّرْ ، فَقَدْ اسْتَرَحْتَ . فَإِنْ كُنْتَ تَرَكَتَ
الضَّيْفَ ضَائِعًا ، وَتُنْفِقُ الدَّنَانِيرَ عَلَى أَهْلِكَ وَوَلَدِكَ فَقَدْ خُنْتَ
وَخَسِرْتَ .

فَالْمُؤْمِنُ أُعْطِيَ الْمَعْرِفَةَ وَقِيلَ لَهُ : تَبَحَّرْ فِي عِلْمِ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ ،
وَانظُرْ إِلَى مَا ظَهَرَ لَكَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَجَلَالِهِ وَمُلْكِهِ ؛ وَانظُرْ

(١) في أ : بعث .

(٢) الجهد : المشقة .

(٣) الحور : النقصان . وفي ب : الحور . (٤) في ب : وتحسبه .

(٥) البدرة : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم ، أو سبعة آلاف دينار

(القاموس) .

إلى تدبيره وحكمته وصنائه^(١) ، وانظر إلى مجده وإحسانه ،
فذهب بهذا النظر ، بما أعطى من النور ، إلى أشغال النفس وأمور
الدنيا ، فخاب وخسر .

وإن ذهب بهذا النظر إلى ما ذكرنا بما أظهر ربنا تبارك وتعالى
من أموره ازداد يقيناً وخشيةً وخوفاً وحياءً ، وازداد حُسنَ الظنِّ بالله
تعالى ، واستغنى به عن جميع خلقه ؛ ولذلك قال رسولُ الله صلى
الله عليه وسلم : إنَّ يوماً لا أزدادُ فيه علماً بقربى إلى الله تعالى لا بُورِكَ
لِي فِي طُلُوعِ شَمْسٍ ذَلِكَ الْيَوْمَ .

وروي لنا أن رجلاً جاء إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فقال :
يا رسولَ الله ، علّمتني غرائبَ العلمِ . قال : ما صنعتَ في رأسِ
العلمِ ؟ فقال^(٢) له : هل عرفتَ ربَّك ؟ قال : نعم ؟ فقال : ما
صنعتَ في حقِّه ؟ قال : ما شاء الله . قال : هل عرفتَ الموتَ ؟ قال :
نعم . قال : فما أعددتَ له ؟ قال : ما شاء الله . قال : فاذهب فتعلم
رأسَ العلمِ . ثم تعالَ حتى أُعلِّمك غرائبَ العلمِ .

فإنما دلَّه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على العلمِ بالله ، ليقومَ
بحقِّه .

ألا ترى أنه سأله عن حقِّه ؛ ليعلمَ أنَّ من ضيَّعَ حقِّه ، وجَهِلَ

(١) الصنعة : الإحسان ، وما اصطنعته من خير ، وجمعه صنائع .

(٢) هذا في أ ، ب .

حقه ، ثم ادعى علماً به فهو كاذبٌ في مقالته ؛ فإنما ذاك علمٌ سمعه بأذنه ، وأودعه حفظه ، وليس في قلبه منه إلا الإيمان به .
فهذه البدرة ^(١) التي أعطاك الملك لتنفق منها ، وأعطاك ربك جلَّ جلاله هذا الذهن والعقل ؛ فمن استعمل عقله في التفكير في أمر الله فقد وضع النفقة موضعها ، وقد أنفق على الضيف ؛ لأن المعرفة موضعها القلب ، وحولها بحور العلم بالله ؛ فذلك كله ثبات المعرفة واستقامتها ، لئلا تصير المعرفة زكرةً بينما أنك تعرف ربك بالجوود والكرم والوفاء ، ثم تصير معرفتك زكرةً فتتملق ^(٢) إلى عبده في النوائب ^(٣) ، وتعلق بهم ، وتتخذهم من دونه وكيلاً وولياً ؛ فتعرف ربك بالكفاية ، وتستظهر ^(٤) بمن دونه ، حتى تقع في آبار المهالك ، وتصير مداهناً ^(٥) ومتصنعاً ^(٦) ومرائياً ، تتزين لخلقهِ ، وترضاهم بالقبائح والمشايين ^(٧) فيما بينك وبين ربك . ونعوذُ بالله من ذلك .

(١) البدرة : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم ، أو سبعة آلاف دينار (القاموس) .

(٢) تملقه ، وتملق له تملقا : تودد إليه وتلطف له . والملق - محرکه : الود واللطف وأن تعطى باللسان ما ليس في القلب .

(٣) النائبة : النازلة ، والجمع النوائب . (٤) تستظهر : تستعين .

(٥) المداهنة : النفاق ، وإظهار خلاف ما تضرر . والغش .

(٦) المتصنع : التصنع : تكلف حسن السمات والترين .

(٧) المشايين : المعاييب (القاموس) .

مثل الايمان وصحته وسقمه

مثلُ الإِيْمَانِ وَصِحَّتِهِ وَسَقَمِهِ مِثْلُ رَجُلٍ يَرِيدُ أَنْ يَشْتَرِيَ عَبْدًا ،
فِيَتَخَيَّرُ مِنْ بَيْنِ الْعَبِيدِ مَنْ لَهُ زِيَادَةٌ بِسَطَّةٍ ^(١) فِي الْجِسْمِ ، غَلِيظِ
الرَّقْبَةِ ، يَقْدِرُ بِالأَحْمَالِ الثَّقِيلَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ ، وَسَبَقَ عَلَى الْعَبِيدِ
بِالشَّخْصِ ^(٢) وَالْبَطْشِ ، فَاشْتَرَاهُ بِالثَّمَنِ الْغَالِي ، وَأَقَامَهُ بِالْخِدْمَةِ
بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَصَيَّرَ لَهُ مَقَامًا مَعْلُومًا ، فَإِذَا يَكُونُ قَدْ سَقِمَ ^(٣) فَمَا
زَالَ السَّقَمُ حَتَّى أَثَّرَ فِي بَدَنِهِ ؛ فزَالَ عَنْهُ قُوَّةُ البَطْشِ وَالحَمَلِ ،
وَرَقَّ عَظْمُهُ ، وَصَارَتْ قَدَمَاهُ مِنَ الرَّعْشَةِ وَالرَّجْفَةِ ^(٤) حَتَّى عَجَزَ عَنِ
الْقِيَامِ بَيْنَ يَدَيْ سَيِّدِهِ ، وَعَجَزَ عَنِ الخِدْمَةِ ؛ فَتَرَأَجَعَتْ قِيَمَتُهُ ،
وَصَارَ أَمْرُهُ عَلَى خَطَرِ المَوْتِ .

فَالْمُؤْمِنُ لَمَّا جَاءَهُ نُورُ الْهَدَايَةِ اسْتَقَامَ قَلْبُهُ لِلَّهِ عِبُودَةً ^(٥) ، مُؤْمِنًا
بِقَلْبِهِ ، مُسْلِمًا بِأَرْكَانِهِ ، فَقَدْ اسْتَقَرَّتْ قَدَمَاهُ قَلْبِهِ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ
تَعَالَى لِلْخِدْمَةِ ، فَإِذَا جَاءَتْهُ الشَّهَوَاتُ مَعَ هَبُوبِ رِيحِهَا ، فَرَجَفَتْ
بِقَلْبِهِ ، وَمَا زَجَّتْ حَلَاوَةُ الشَّهَوَاتِ وَلذَاتُ الهَوَى حَلَاوَةَ الحُبِّ الَّذِي
الَّذِي فِي إِيمَانِهِ ، وَضَعُفَ قَلْبُهُ ، وَصَارَتْ تِلْكَ الحَلَاوَةُ وَاللَّذَّةُ الَّتِي

(١) بسطة : البسطة في الجسم : الطول والكمال (القاموس) .

(٢) الشخص : سواد الإنسان تراه من بعد ، ثم استعمل في ذاته .

(٣) سقم : طال مرضه .

(٤) رجفت يدها : ارتعشت من مرض أو كبر .

(٥) العبودة ، والعبودية : الطاعة .

جاءت من قِبَلِ الشَّهْوَةِ مَرَضًا لِلْقَلْبِ ؛ فَضَعُفَ الْقَلْبُ ؛ لِأَنَّ قُوَّتَهُ
كَانَتْ مِنْ حَرَارَةِ ذَلِكَ الْحُبِّ وَحَلَاوَتِهِ ، وَقُوَّةِ [٧٣] الْفَرَحِ الَّذِي فِي
ذَلِكَ الْحُبِّ ، فَرَجَفَتْ ^(١) قَدَمَاهُ وَارْتَعَشَتْ ، فَإِذَا جَاءَتْهُ الْمَكْرُوهَاتُ
ضَعُفَ قَدَمُهُ عَنْ أَحْتِمَالِهَا ، وَدَقَّتْ رَقَبَتَهُ ، وَذَهَبَتْ قُوَّةُ بَطْشِهِ بِقَلْبِهِ ،
وَعَجَزَ عَنِ الْقِيَامِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى ؛ لِأَنَّ هَوَاهُ وَشَهْوَاتِهِ تَرُدُّنِيهِ
إِلَى الْمُنَى .

فَالْإِيمَانُ هُوَ اسْتِقْرَارُ الْقَلْبِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَطُمَأْنِينَةُ
النَّفْسِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْعُبُودَةِ ^(٢) ؛ فَإِنَّمَا دَخَلَ عَلَيْهِ السَّقَمُ
مِنْ مُخَالَطَةِ حَلَاوَةِ الشَّهْوَاتِ وَلَذَّةِ الْهَوَى ، فَذَهَبَتْ قُوَّتُهُ ، فَلِذَلِكَ
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٣) : الْإِيمَانُ حُلُوٌّ نَزِهٌ فَتَزْهَوُوه .
فَحَلَاوَتُهُ مِنَ الْحُبِّ الَّذِي تَضَمَّنَهُ ، وَنَزَاهَتُهُ مِنْ نُورِ التَّوْحِيدِ .
فَإِذَا مَازَجَتْهُ حَلَاوَةُ الشَّهْوَاتِ مَرَّتَهُ ^(٤) ، وَإِذَا خَالَطَتْهُ أَسْبَابُ
الْهَوَى ذَهَبَتْ نَزَاهَتُهُ ؛ فَتَكْدُرُ الْإِيمَانُ وَتَدْنَسُ ^(٥) ، وَمِنْ كُدُورَتِهِ
وَدَنْسِهِ سَقَمَ الْقَلْبُ .

قال له قائل : وكيف يتدنس الإيمان ويتكدر ؟

(١) في ب : فرجت . ورجفت : اضطربت وارتعشت .

(٢) العبودة : الطاعة :

(٣) نزّه : بعيد عن القبائح . تزّهوه : نحوه ، وأبعدوه ، وقد سوه .

(٤) جعلته مرا .

(٥) تدنس : توسخ .

قال : إِنَّ الْإِيمَانَ عَطَاءُ اللَّهِ تَعَالَى ، وَهُوَ اسْتِقْرَارُ قَلْبِ الْعَبْدِ بِهِ ؛
فَإِذَا اسْتَقَرَّ قَلْبُهُ بِرَبِّهِ صَارَ عَارِفًا لَهُ مَطْمَئِنًّا إِلَيْهِ ؛ فَذَلِكَ مِنْهُ إِيمَانٌ
بِاللَّهِ تَعَالَى ، وَهُوَ عَطَاؤُهُ لِلْعَبْدِ ، يُقَالُ : آمَنَ يُؤْمِنُ إِيمَانًا .

وَأَمَّا النُّورُ الَّذِي مِنْهُ اسْتِقْرَارُ الْقَلْبِ فَهُوَ نُورُ الْإِيمَانِ ، فَيَجُوزُ
أَنْ يُسَمَّى إِيمَانًا فِي اللُّغَةِ ، كَمَا نَسَبْتَ الْبَيْتَ إِلَى الدَّارِ ، وَالدَّارَ إِلَى
الْبَيْتِ ، فَالدَّارُ تُسَمَّى دَارًا لِتَدْوِيرِ الْخِطَّةِ (١) ، وَالْبَيْتُ يُسَمَّى بَيْتًا
لِأَنَّهُ نَبِيتٌ فِيهِ .

مثل الايمان

مثلُ الْإِيمَانِ مِثْلُ الضَّيْفِ : بَعَثَ الْمَلِكُ إِلَيْكَ ضَيْفًا ، وَقَالَ :
أَحْسِنْ إِلَيْهِ ، فَإِنَّهُ ضَيْفٌ كَرِيمٌ ، وَهُوَ مِنْ خَاصَّتِي ، وَصْنَهُ صِيَانَةٌ
مِثْلُهُ ؛ فَلَوْ تَرَكَكَ عَلَى ذَلِكَ وَقَعْتَ فِي جَهْدٍ (٢) عَظِيمٍ وَاسْتِدَانَةٍ
وَمَوْوَنَةٍ (٣) عَظِيمَةٍ ؛ لِتُنْفِقَ عَلَيْهِ ، وَتُحَسِّنَ إِلَيْهِ فِي الْعَاقِبَةِ ، وَمَعَ
ذَلِكَ تَعْجِزُ عَنِ الصِّيَانَةِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ لِفَقْرِكَ وَخِيفَةِ ذَاتِ يَدِكَ ؛
فَإِنْ أَعْطَاكَ بَدْرَةً (٤) مِنَ الدَّرَاهِمِ لِتُنْفِقَ عَلَيْهِ فَقَدْ أَقْدَرَكَ عَلَى
الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ ، وَكُنْتَ وَاصِلًا إِلَى إِحْسَانِهِ عَلَى السَّعَةِ وَالْبَسْطَةِ ؛ لِسَعَةِ
الْمَالِ الَّذِي نَلْتَهُ .

(١) الخطة : الأرض التي تنزلها ولم ينزلها نازل قبلك ، وقد خطها لنفسه واختطها .

(٢) جهد : مشقة .

(٣) المئونة : الثقل .

(٤) البدرية : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم ، أو سبعة آلاف دينار .

والأولُ نالهُ التعبُ لضيقِ النفقةِ ، ولكنَّ أنتَ بعدُ في تعبٍ
من ذلك ؛ لأنك تحتاجُ إلى التقديرِ في كلِّ شيءٍ ، والتقديرُ تعبٌ ؛
لأنك تحتاجُ إلى محافظةِ المقاديرِ ، فإذا جاءتِ المحافظةُ على التقديرِ
ضاعَ بعضُ الإحسانِ لقلةِ العُدَّةِ ، فإذا بعثَ إليك بدرةً أُخرى مكانَ
الدرهمِ من الدنانيرِ ، وقال : أنقِ عليه - اتسعَ (١) في النفقةِ ،
وخرجَ عن تعبِ التقديرِ ومُحافظةِته ، فوصلَ إلى الإحسانِ كلِّه ، ومع
ذلك بقيَ شيءٌ من الإحسانِ لم يصلِ إليه .

قال له قائلٌ : وما تلكَ البقيةُ ؟

قال : بهاءٌ (٢) الإحسانِ وزينتهِ

قال : وبماذا يصلُ إلى ذلك ؟

قال : بأنَّ بعثَ إليه بدرةً أُخرى مكانَ الدنانيرِ من الجواهرِ ،
قيمةً كلِّ جوهرٍ منها بيوتٌ (٣) من الدنانيرِ ؛ قد اتسعَ الآنَ في النفقةِ
اتساعاً ، فحينئذٍ يصلُ إلى بهاءِ الإحسانِ وزينتهِ .

قال له قائلٌ : ضربتَ المثلَ ، فقابلِ الشيءَ بالشيءِ حتى نفهمه .

قال : نعم ، الملكُ ربُّكَ الأعلى ، والضيفُ الكريمُ وخاصتهُ

المعرفة ، الذي آمنتَ به ، فأوصاك بالإحسانِ إليه وصيانتهِ بقوله

(١) في ب : واتسع .

(٢) البهاء : الجمال والحسن .

(٣) في أ ، ب : بيوتاً - تحريف .

تعالى (١) : (وَاتَّقُوا اللَّهَ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) . وقال أيضاً
جَلَّ ذِكْرُهُ (٢) : (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى
التَّهْلُكَةِ ، وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (٣) .

قال له قائل : هذه الآية نزلت في الجهاد وفي النفقة فيه .

فقال : هذا الذي تحكيه تفسير العجم من الكتب الموضوعه لهم
على (الشايدبوز) ، أفترى ما أنزل الله في شأن قوم لم يعم الخلق
ذلك ؟ فقد نزلت آية الخمر (٤) وآية الربا (٥) في شأن قوم فعمت
الخلق كلهم ، ولم يقل أحد من المؤمنين إنما نزلت هذه في شأن

(١) سورة البقرة ، آية ١٩٤ .

(٢) سورة البقرة ، آية ١٩٥ .

(٣) سبيل الله : الجهاد . ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة : قال القرطبي (٢ - ٣٦١) :
الإلقاء باليد إلى التهلكة هو ترك الجهاد في سبيل الله ، والإقامة على الأحوال وإصلاحها
وترك الغزو .

وقيل معناه : لا تمسكوا بأيديكم عن الصدقة فتهلكوا ؛ أي لا تمسكوا عن النفقة
على الضعفاء ، فإنهم إذا تخلفوا عنكم غلبكم العدو فتهلكوا . ولا تلقوا بأيديكم :
بأنفسكم . وأحسنوا في الإنفاق في الطاعة ، وأحسنوا الظن بالله في إخلافه عليكم .
وقيل : أحسنوا في أعمالكم بامثال الطاعات .

(٤) آية الخمر في سورة المائدة ، آية ٩٠ : إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام

رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون .

(٥) سورة آل عمران ، آية ١٣٠ : يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً

كذبا وفي قوم كذا ، فهذا لهم دوننا ؛ فإذا قال الله تعالى : (اتَّقُوا اللَّهَ) فقد عمَّ الخلقَ كلَّهم أن يتَّقوه ، وعمَّ المواضعَ كلَّها ، فإذا قال : (واعلموا أن الله مع المتقين) فقد اقتضاهم كلَّهم أن يعلموا ذلك .

وقوله : وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ... الآية . فسبيلُ القلوبِ إلى العرشِ إلى مَظْهَرِهِ الذي ظَهَرَ للعباد ، وهناك سبيلُ الأركانِ والجوارحِ إلى أمرِهِ ونَهْيِهِ ، فالإنفاقُ في سبيلِ القلوبِ من هذه البَدْرَةِ التي كَنَزُها في الصدور ، والإنفاقُ في قلوبِ المؤمنين ، فالكنزُ في القلبِ ، ومَوْضِعُ الإنفاقِ على الضيفِ في الصدر ، والإنفاقُ في سبيلِ الأركانِ والجوارحِ من الأمرِ والنهيِ الذي رَسَمَهُ في التنزيلِ ، فَيَأْتِمِرُ بِأَمْرِهِ ، وَيَنْتَهِي عَنِ نَهْيِهِ ؛ فكلاهما في سبيلِ الله تعالى ، إِلَّا أَنْ أَحَدَ السَّبِيلَيْنِ ^(١) للقلبِ إلى العرشِ ، وسبيلِ آخرٍ للنفسِ إلى طاعةِ الله تعالى ، ثم إلى الجنة .

وإنما يستكملُ في سبيلِ الطاعةِ بالسبيلِ إلى العرشِ ، ثم قال : (وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) ؛ فَيَدْعُو مجاهدةَ النفسِ ، وردَّ الهوى من حيث جاءَ وبما جاءَ من بابِ النارِ ، ثم قال : (وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) ؛ أي أَحْسِنُوا مجاورةَ مَعْرِفَتِي في قلوبِكُمْ ، فَإِنَّ مَعْرِفَتِي وَعِلْمِي وَتَكَلُّمِي أَنوَارٌ لَا تَحْتَمِلُ الأَدْناسُ ، ومجاورةَ

(١) السبيل : الطريق .

الآنْتَانِ وَالْمَزَابِلِ ؛ وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ الْغِلَّ وَالْغِشَّ ، وَالْمَكْرَ وَالْحَسَدَ ،
وَحُبَّ الدُّنْيَا ، وَاتِّبَاعَ الْهَوَى - كُلُّهَا أَنْتَانُ وَمَزَابِلُ ، وَظُلْمَةٌ وَأَدْنَسُ ،
وَأَنْجَاسٌ وَأَرْجَاسٌ ؟

فَإِذَا وَجَدْتُمْ فِي صَدُورِكُمْ سُلْطَانَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ عَامِلًا^(١) فِيهَا فَكَيْفَ
يَكُونُ حَالُ هَذَا الضَّعِيفِ عِنْدَكُمْ ؟ وَأَيْنَ إِكْرَامِكُمْ إِيَّايَ ، وَوَصِيَّتِي
إِيَّاكُمْ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ .

ثُمَّ قَالَ : فِيمَا رُوِيَ عَنْهُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ : إِنِّي أَكْرِمُ مَنْ
أَكْرَمَنِي ، وَأَهِينُ مَنْ هَانَ عَلَيْهِ أَمْرِي .

فَإِكْرَامُ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ تُكْرِمَ مَعْرِفَتَهُ الَّتِي وَضَعَهَا فِيكَ ، وَتَصُونَهَا
مِنَ الْأَدْنَسِ وَالْآنْتَانِ وَالْمَزَابِلِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا .

وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : الْإِيمَانُ حُلُوٌّ نَزَهُ فَنَزَّهُهُ . فَحُلَاوَةُ الْإِيمَانِ
الْحُبُّ الَّذِي وَضَعَ فِيهِ ، وَنَزَاهَتُهُ أَنْ تَنْزَهُهُ عَنِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ .

ثُمَّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) ؛ أَيْ

أَحْسِنُوا إِلَى هَذَا الضَّعِيفِ ، وَأَحْسِنُوا مُجَاوِرَتَهُ ؛ فَإِذَا قَالَ : أَحْسِنُوا -
فَإِنَّمَا يَقَعُ الْإِحْسَانُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٢) : إِنْ
اللَّهُ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ^(٣) ،
وَلْيُجِدْ^(٤) أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ^(٥) .

(١) فِي الْأَصُولِ : عَامِلٌ - تَحْرِيفٌ . (٢) صَحِيحُ مُسْلِمٍ : ١٥٤٨ .

(٣) الْقِتْلَةُ : الْهَيْئَةُ وَالْحَالَةُ . (٤) أَحَدُ السَّكِينِ وَحَدْدُهَا وَاسْتِحْدَاها : شَحْدُهَا .

(٥) فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ : فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ ؛ أَيْ بِإِحْدَادِ السَّكِينِ وَتَعْجِيلِ إِمْرَارِهَا ،

وغير ذلك .

وقال جلّ ذكره^(١) : (وبالوالدّين إحساناً). وقال جلّ ذكره^(٢) :
(وَأَحْسِنُ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ). وقال الله عزّ وجلّ^(٣) : (إِنَّ
اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ).

فأحسن إلى من أحسن إليه ، وأعظم شأنه ، وأكرم مجاورته ،
وطهر مكانه [٧٤] ، وهو نور الله تعالى في قلب المؤمن .

وجه تشبيه القلب بالكعبة :

وقد عظم الله تعالى شأن الكعبة وطهرها وسماها بيته ، ولم
يملكها أحداً من خلقه ، وجعل حولها حرماً آمناً يلوذ به^(٤) الخائفون
ويمتنعون به من الآفات ، ويتطهرون بالطواف بهذا البيت من
أدناس^(٥) الذنوب ، ويرجعون في وقت الصدور^(٦) عنه
مغفورين ؛ فنور الله أعظم شأننا وحرمة من الكعبة .

وقلب المؤمن خزانة الله تعالى ، فيه كنوز المعرفة ، وكنوز
العلم بالآله^(٧) ، ولم يملكه أحداً ، ولم يطلع عليه أحداً ،
ولم يكله إلى أحد ؛ فهو في قبضته وبين إصبعين من أصابع الرحمن
يقلبه كيف يشاء .

كذا روى لنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمى بهذا
الاسم : ياء قلب القلوب والأبصار ؛ ثبت قلبي على طاعتك .

(١) سورة الإسراء ، آية ٢٣
(٢) سورة القصص ، آية ٧٧
(٣) سورة النحل ، آية ١٢٨
(٤) يلوذ به : يلتجئ إليه .
(٥) الأدناس : جمع دنس ، وهو الوسخ .
(٦) الصدور : الرجوع .
(٧) الآله : نعمه .

وكان هذا الاسم هجيري^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وكان عامة دعائه بهذا الاسم ، وعامة حاجته في الثبات ؛ قالت^(٢)
عائشة رضي الله عنها : قلت : يا رسول الله ، إنك لتكثر هذا الدعاء :
يا مقلب القلوب والأبصار ، ثبت قلبي على طاعتك^(٣) . فقال
لي : يا عائشة ، إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن
يقلبها كيف شاء . ثم قرأ قول الله سبحانه^(٤) : (رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا
بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ)^(٥) .
الروايات لهذا الحديث من غير وجه واحد ولا اثنين ولا أربعة
ولا خمسة ، كلهم يروون هذا الحديث عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فجعل الله قلب المؤمن خزانته ، وفيها كنوزه ، وهو
ممسكه ، وجعل صدره حرماً .

فإذا كان الحرم له من الحرم أنه لا يصاد صيده ، ولا يقطع
شجره ، ولا تلتقط لقطته^(٦) ، ولا يخاف من دخله ، وصيره مأمناً ،
ومهيبط رحمته ، وموضع نظره من بين جميع الأرض ، فقلب

(١) هجيري رسول الله : دأبه وشأنه .

(٢) تفسير القرطبي : ٤ - ٢٠

(٣) في القرطبي : على دينك . (٤) سورة آل عمران ، آية ٨

(٥) إزاعة القلب : فساد وميل عن الدين .

من لذنك : من عندك . ومعنى الآية : هب لنا نعيماً صادراً عن الرحمة .

(٦) اللقطة : اسم الشيء الذي تجده ملئاً فتأخذه .

المؤمن أعظم شأنًا من الحرم ، وما فيه أعظم من الكعبة ؛ فإن كانت الكعبة بيته ؛ فهذا نوره في خزانته ، وإن كانت الكعبة لا يملكها غيره ، فهذا القلب أيضا في قبضته لا يملكه غيره ، وإن كان ما حوله حرماً ؛ فالصدر حول القلب حرم لهذه الخزانة ولما فيها ، فكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أحدث في الحرم حدثاً أو آوى (١) مُحدثاً (٢) فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه صرفٌ ولا عدلٌ (٣) .

فهذا المُحدث هو خارجي يخرج بالجوْر والباطل على إمام عدلٍ مُحقِّقٍ ؛ فهو المُحدثُ ومن أعانهُ أو آواه فقد استوجب اللعنة . فكذلك من أحدث في هذا الصدر حدثاً من هوى أو بدعة استوجب اللعنة ولم يقبل منه صرفٌ ولا عدلٌ ولا توبة ؛ لأنه خرب الدين ، ورآم (٤) أن يأخذ ولاية القلب بالتوحيد ؛ فإن القلب أمير على النفس ، والأمر بالكنوز والجنود حتى يمضي سلطانه على الجوارح في الأمر والنهي ، وقوة كنوز المعرفة ، وعلم التوحيد ؛ فهو لاء

(١) آوى محدثاً : ضمه إليه وحماه ، ونصره ، وحال بينه وبين أن يقتص منه .

(٢) محدثاً : جانيا .

(٣) الصرف : التوبة . والعدل : الفدية ، وقيل الفريضة .

(٤) رام : طلب .

الجبرية^(١) والقدرية^(٢) والمرجئة^(٣) والمجسمة والمعطلة عليهم لعائن^(٤) الله تترى^(٥) قد أحدثوا في الحرم على خزانه الله أكثر وأعظم ممن أحدث في الحرم على بيت الله .

وكما لا يُصَاد صيدُ الحرم فكذلك ماتطير في الصدر من الخواطر من صفات الله تعالى ؛ فليس تصاد تلك الخواطر ، فيدخل قلبه مداخل الفكر لكيفيته ؛ فإنه ليس لتلك الصفات كيفية ولا منتهى ولا ملاحظة ، فاستغفر الله كما تكفر^(٦) أول صيد تأخذه .

ثم قال الله تعالى^(٧) : (وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ) ؛ أى يعاقبه . وحذر الكفر ، فإنه ينتقم منك إذا اتبعت الخواطر ففكرت .

(١) الجبرية : الذين يقولون أجبر الله العباد على الذنوب ؛ أى أكرههم ، ومعاذ الله أن يكره أحدا على معصيته . وقيل للجبرية جبرية لأنهم نسبوا إلى القول بالجبر (اللسان جبر) .

(٢) القدرية : فى التهذيب : قوم ينسبون إلى التكذيب بما قدر الله من الأشياء . وفى اللسان : القدرية قوم يجحدون القدر .

(٣) المرجئة : صنف من المسلمين يقولون : الإيمان قول بلا عمل ؛ كأنهم قدموا القول وأرجئوا العمل ؛ أى أخروه ؛ لأنهم يرون أنهم لو لم يصلوا ولم يصوموا لنجاهم إيمانهم .

وقال ابن الأثير : المرجئة : فرقة من فرق الإسلام يعتقدون أنه لا يضر مع الإيمان معصية كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة ؛ سموا مرجئة لأن الله أرجأ تعذيبهم على المعاصى أى أخره عنهم . (٤) لعائن : لعنات الله . (٥) تترى : تتابع .

(٦) تكفر : تسر . (٧) سورة المائدة ، آية ٩٥

وقال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : تفكروا في خلقه ،
ولا تفكروا فيه .

وكما لا تُقَطَّعُ أشجارُ الحَرَمِ فتذهب نزهته وخضرته لا تسقط
حرمةُ أشجاره أيضا لأنها في المأمن .

وروى عن رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم أنه قال : ما صيد من
مصيد ، ولا قُطِعَت شجرةٌ إلا لغفلة عن التسبيح .

وروى عن أبي بكر الصديق رضي اللهُ عنه أنه أتى بغيراب (١)
وافر الجناحين ، فمسحه بيده ، وقال : الحمد لله رب العالمين ؛
سمعتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يقول : ما صيد من مصيد ولا
قُطِعَت شجرةٌ إلا لغفلة عن الصلاة والتسبيح .

فإذا كانت الأشجارُ إنما يُسلطُ الأدميُّ عليها في وقت غفلتها
عن التسبيح ؛ لأنها على قطعها صارت معاقبةً بترك التسبيح ،
وجعلت شجرةً للأدميين ، فيكون تسبيحها مكان تسبيح الممتنعين
عن التسبيح بشرئهم وكفرهم ، لتماسك الأرض بتسبيح المسبحين
الموحدين ، ومن لحق تسبيحهم من الجبال والأشجار ، والخلق
والخليقة ؛ فإنما يُسلطُ على قطعها بتركها التسبيح وغفلتها ،
فإذا كانت الشجرةُ في الحَرَمِ فهي في المأمن مأمن بيت الله تعالى .

(١) وافر الجناحين : طويل الجناحين .

وقال الله تعالى^(١) : (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا)^(٢) .
وإن غفلت عن التسبيح لم تصل إليها عقوبة القطع ، فمنع
الخلق عن قطعها ، فإن قطعها قاطع فتلك جناية . فإن غرم في الدنيا
كان قد افتدى نفسه بتلك الغرامة والصدقة على المساكين بقيمتها ،
وأدى إلى الحرم حقه ، وخرج من جنايته على شجر الحرم ، وإن
لم يغرّم في الدنيا موحّد كان أو مشرك فلا فوت على الله من أخذ
حقه لحقه وحقّ حرّمه ؛ فإذا كان هذا شأن أشجار الحرم فما
ظنك بمن قطع أشجار حرم القلب التي في الصدر ؟

قال : تدبير الله تعالى في إبراز أسمائه ، وعلم أسمائه ، وما خرج
من أسمائه إلى الخلق ؛ فخرج باسم العرش ، وباسم الكرسي ،
وباسم الجنة ، وباسم النار ، وباسم الملائكة ، وباسم آدم عليه
السلام والآدميين ، وباسم المسخرين^(٣) ، وباسم الليل والنهار ،
وباسم الذي ختم الأسماء محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فهذه الأسماء
كلها تدبيره . وهذا الخلق الذي منه خرج تدبيره ؛ فهذه أشجار ؛
فمن اعترض تدبيره ، فعارض أسما باستخفاف^(٤) أو جهالة

(١) سورة البقرة ، آية ١٢٥

(٢) جعلنا : صيرنا . البيت : يعنى الكعبة . مثابة : مرجعا يرجع إليه . أو معناه

يثابون هناك .

(٣) سخرته في العمل : استعملته مجانا . وسخر الله الإبل : ذللها وسهلها .

(٤) استخفاف : استهانة .

فقد قطع شجرة ، ومن اعترض تدبيره فعارض حقا من حقوقه في خلقه فقد قطع أغصان الشجرة ، وأصل الشجرة باق ؛ فإن تاب وأرضى الخلق عادت الأغصان اليابسة رطبة .

فإذا كانت أشجار الحرم حرم الكعبة هذا محل صاحبها وهذا شأنها فكيف بأشجار حرم الصدر ؟ ما ظنك بمن عارض تدبير الله تعالى ؟ أليس هو مناصب^(١) لله عز وجل من حيث لا يعلم استبدادا وتورعا^(٢) عن أشياء [٧٥] على المراعاة^(٣) ، وتماوتا^(٤) عند الخلق ، وتخشعا بخشوع النفاق ، وجوفه ممتلى من الحسد والحقد ، والرغبة والشح والبخل ، والأمل وسوء الظن ، والغل والغش والمكر ، وأنواع الخيانات ، والاستخفاف^(٥) بأهل ملته ، وقلة الرحمة والعطف ، وقطيعة الرحم ، والتعزز^(٦) والتكبر ، والتجبر^(٧) والمراعاة والتزين والتصنع ، والمداهنة^(٨) وتعظيم الدنيا ، والعون في غير ذات الله تعالى على الضر والنفع ، والبطر^(٩) بأنعم الله تعالى ، والكبرياء على عباد الله تعالى ، والفخر في عطية الله تعالى ، وخوف الفقر ، والفرح بالدنيا وبأحوال

(١) ناصبه العدا : أظهره له (القاموس) .

(٢) استبد بالأمر : انفراد به من غير مشاركة له فيه . والتورع : الكف والامتناع .

(٣) المراى : الذى يظهر غير ما يضم .

(٤) التماوت : فى القاموس (مات) : التماوت : الناسك المرأى .

(٥) استخف به : استهان . (٦) عز وتعزز : صار عزيزا . (٧) تجبر : تكبر .

(٨) المداهنة : إظهار خلاف ما يضم . (٩) البطر : الكفر بالنعمة وعدم شكرها .

النفس ، والحزن على فوتها ، والتملك في أمر الله ، والاقتدار
والسخط للمقدور ، وقلة الأمن للرزق ، والاستبداد في أمر الله
تعالى ، والتهاون بالمؤمن - فقد حشا جوفه وزوايا بيته من هذه
الأشياء ، وملاً صدره من دُخانها وظلمتها وأنتانها وأدناسها ؛
لأن هذا كله من أغصان الكفر والشرك ، والخروج على الله ،
والمضاهاة^(١) بطلب عزه وكبره في أرضه بدنياً دنيّة ، وشهوة
ردية ، ويتجبر في حقوقه ، ويتزين لعبيده ، كمن لا يؤمن بالله ،
ويداهن في أمره ، كمن لا يعرف ربه ، ويعظم دنياه التي حقرها ، كمن
يناصب ربه ، ويعين في غير ذاته ، كمن يريد خراب ما عمره الله
تعالى ، ويبطر بأنعمه ، كمن لا يبالي بها ، ولا يستحي من المنعم ،
ويسخط في مقدوره ، ويتجبر في أموره ، كأنه هو المدبر للأمور ،
فأية حرمة بقيت لهذا الحرم ؛ وأية معرفة بقيت لصاحب هذا ،
وقد أغار العدو على كنوزه ، فبددها^(٢) وطمسها^(٣) بما جاء به
من هذه الأشياء ، وهزم العقل حتى انكمن^(٤) في رأسه وحتى ذهب
علمه وإشراقه في الصدر .

قال له قائل : قد ذكرت أنه لا تلتقط لقطته فايش^(٥)

لقطته ؟

(١) المضاهاة : المشاكلة ، والمباراة والمعارضة .

(٢) بدد الشيء : فرقه .

(٣) طمس الشيء : محوته .

(٤) انكمن : تواري واستخفي .

(٥) ماتكون لقطته ؟

قال : سرُّ القَدَرِ ، والعلوم التي حجب الخلق عن إدراكها ،
فذلك لُقِطَتُهُ ، لا يُعْرَفُ بَيْتُهَا وَلَا وَلِيُّهَا ، ولا يملكها أحدٌ سواه ،
وهي موضوعةٌ في طريق التوحيد ، ومدرجة (١) العقول إلى التوحيد
بَلَوَى (٢) للعباد ؛ فَأَهْلُ الزَّيْغِ (٣) طالبون لها ، وباحثون عنها ،
ويفتشون لها ، ولن يزدادوا بذلك التفتيش إلا غمًّا وحيرة ؛ لأنه
عِلْمٌ لا يدرك منتهاه ؛ بمنزلة بحر عميق مظلم لا يدرك حده ولا نهايته ؛
فالسابح فيه كمن سبح في البحر ؛ فلا بدُّ له من الغرق والهلك (٤) .

فهذه اللقطة في الصِّدْرِ حَرَمِ القَلْبِ ، فلا تلتقط لحرمة التوحيد ؛
لأنَّ مِنْ شَرَطِ التَّوْحِيدِ أَلَّا تَطْمَعَ للعباد فيما توحد الله تعالى به
وتفرد .

ويحقُّ على العاقل أَنْ يَعْقِلَ ، فيقول : إذا قلت : اللهُ وَاحِدٌ
أَحَدٌ فَرْدٌ ، فَأَيُّ عِلْمٍ فِي الْأَحَدِيَّةِ وَالْفَرْدِيَّةِ ؟ إنما العلم في الصفات
صفات القُدْرَةِ ، فإذا انتهيت إلى أَحَدِيَّتِهِ وَفَرْدِيَّتِهِ ، فَأَيُّ عِلْمٍ
هناك تطمع في معرفته ، وقد انقطعت الصفات ؟ وكيف تصف
عِلْمًا وَلَا صِفَةً لَهُ ؟

١ مدرجة : الطريق ، أو الطريق المنعطف .

(٢) بلوى : اختبار .

(٣) الزيغ : الشك والخور عن الحق .

(٤) الهلك : الهلاك .

وقوله : لا يخاف أمنها ، فالحق إذا وجد في القلب والنفس مأمنا فقد اعتزل الخيانة ، وظهر مكانه الأمن ؛ فصار صاحبه محققا ، فعندها يكون الحق مستعمله (١) . وإذا لم يجد في الصدر مأمنا فقد نفر ؛ فلم يأمّن خيانة النفس ، وميل القلب ؛ فصاحبه في طلبه وهو ماضٍ عنه .

وقولنا : مهبط رحمته وموضع نظره فهي معروفة ؛ فإذا كانت الكعبة مهبط الرحمة فكذلك قلب المؤمن مهبط حب الله تعالى ورأفته ، ومهبط جوده وكرمه ، وعين الله ترعاه ، وموضع نظره أيضا .

الخبر : إن (٢) الله تعالى لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم (٣) ولكن ينظر إلى قلوبكم ونياتكم ، فمن كان له قلب صالح تحنن الله تعالى عليه ، فإذا تحنن (٤) عليه رعاه وصيرده في قبضته .

الخبر الذي قال : كنت سمعه . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) : ألا إن التقوى هاهنا - ثلاثا - وأشار إلى الصدر في كل مرة .

(١) مستعمله : عمله . (٢) صحيح مسلم : ١٩٢٧

(٣) في هامش ا ، ب : صوابه : لا ينظر إلى صدوركم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ، كذا هو في الصحيح . وفي صحيح مسلم : ولا إلى أموالكم . وتامه فيه : ولكن ينظر إلى قلوبكم - وأشار بأصابعه إلى صدره . (٤) تحنن : رحم .

(٥) صحيح مسلم : ١٩٧٦ ، ومعناه أن الأعمال الظاهرة لا تحصل بها التقوى ، وإنما تحصل بما يقع في القلب من عظمة الله وخشيته ومراقبته .

وَأَعْظَمُ التَّقْوَى مَا اتَّقَى فِي الْحَرَمِ ، فَإِذَا اتَّقَى فَإِنَّمَا يَتَّقَى عَلَى
الصَّيْدِ وَالشَّجَرِ وَاللَّقَطَّةِ ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَالتَّقْوَى الَّتِي أُشَارَ
إِلَيْهَا صَاحِبُ الشَّرْعِ ؛ فَهِيَ عَلَى كُنُوزِ الْمَعْرِفَةِ وَعَلَى أَشْجَارِهَا فِي
الصُّدْرِ وَعَلَى لِقَطَّتِهَا ، وَعَلَى مَنْ التَّجَأَ إِلَيْهِ مَأْمِنًا ؛ فَأَوْفَرَ النَّاسُ
حِطًّا فِي الْكَعْبَةِ مِنْ عَظَمِ شَأْنِهَا ، وَاتَّقَى عَلَى حَرَمِهَا ، وَأَكْثَرَ الطَّوَافَ
بِهَا ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْ شَمِّ رَائِحَةِ الْكَعْبَةِ ، وَنَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنِ
الصُّحَّةِ لَا بِعَيْنِ السَّقَمِ ؛ مِنْ قَلْبٍ لاسْتَقَمَ فِيهِ مِنْ شَهْوَاتِ النَّفْسِ
وَإِرَادَاتِ الْهَوَى ؛ فَنَظَرَ بِعَيْنِ ذَلِكَ الْقَلْبِ إِلَى بَهَاءِ (١) الْكَعْبَةِ ،
وَإِلَى ذَلِكَ الشَّيْءِ الَّذِي بِهِ صَارَتِ الْكَعْبَةُ كَعْبَةً ، لَا إِلَى تِلْكَ الْأَحْجَارِ ؛
لَأَنَّهَا قَدْ كَانَتْ كَعْبَةً وَلَا أَحْجَارًا ؛ وَكَانَتْ الْمَلَائِكَةُ وَالْأَنْبِيَاءُ صَلَوَاتُ
اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ تَحُجُّهَا فِيمَا بَيْنَ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ
وَلَا أَحْجَارَ ثَمَّةَ (٢) .

فَأَوْفَرَ النَّاسُ حِطًّا مِنْ خِزَانَةِ اللَّهِ الَّتِي فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ مِنْ عَظَمِ
شَأْنِهَا ، وَاتَّقَى عَلَى صَدْرِهِ ، وَأَكْثَرَ الطَّوَافَ حَوْلَ الْخِزَانَةِ ، حَتَّى
يُدْرَ عَلَيْهِ وَلِيَّ الْخِزَانَةِ مِنَ الْكُنُوزِ ، كَمَا يُدْرِ الضَّرْعُ عَلَى حَالِبِهِ مِنَ
اللَّبَنِ ؛ فَإِنَّ الْبَقْرَةَ وَالشَّاةَ تَدْرُ مِنْ ضَرْعِهَا عَلَى وَلَدَيْهَا لِتَرْضِعَهُمَا
بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ الَّتِي وَضِعَتْ فِيهَا ، وَلَوْلَا تِلْكَ الرَّحْمَةُ لَوَلَدَهَا
مَادَرَّ لَبْنُهَا .

(٢) ثَمَّة : هُنَاكَ .

(١) بَهَاءُ : جَمَالٌ .

أَلَا تَرَى أَنَّ الْحَالِبَ يُقَدِّمُ عِنْدَ الْحَلْبِ وَلَدَهَا إِلَيْهَا أَوَّلًا حَتَّى تُرْسَلَ اللَّبَنَ ، ثُمَّ يَفْطِمُ وَلَدَهَا عَنْهَا وَيَحْلِبُهَا ، وَلَوْ مَاتَ وَلَدُهَا مِثْلَ مَا مِثَالٌ وَلَدَهَا بَأَنَّ يُحْشَى جِلْدُ وَلَدِهَا تَبْنًا ، وَيُوضَعُ بَيْنَ يَدَيْهَا لِتَنْخَدِعَ بِذَلِكَ ، فَتَدْرُ لَبْنَهَا .

فَأَرَاكَ هَذَا رَبُّ الْبَقْرَةِ مِنْ خَلْقِهِ ، وَعَرَّفَكَ أَنَّ الَّذِي تُصِيبُ مِنْ عِنْدِي فَتَدْرُ عَلَيْكَ رَحْمَتِي .

قال له قائل : وما يُدرُّ عليه من الخزانة من تلك الكنوز ؟
قال : يدرُّ بالرحمة - كما وصفت من شأن الضرع والدر -
من الكنوز وعلم المعرفة .
علم المعرفة :

قال له القائل : وما علم المعرفة ؟
قال : عرفت الرب ؟ قال : نعم . قال : بأي شيء عرفتَه ؟
فانقطع ^(١) . قال : عرفني نفسه من الصفات . قال : فما احتظيت ^(٢)
من هذه الصفات ؟ قال : الإيمان به . فكان ذلك حظك منها ؟ أم
علم مشرق مستنير ؟ أم مطالعة ببصائر الهدى ؛ فإن علم المعرفة
للعمامة الإيمان به ، وهو الظالم لنفسه ، ما زال يظلم نفسه باتباع
الهوى والشهوات ، حتى احتجبت المعرفة عنه ؛ فصاحبه عالم جاهل
مؤمن به ، يعثر مرة في طريقه ، ويقوم أخرى ، ويزل ^(٣) مرة ،

(١) انقطع : عجز وسكت . (٢) احتظى : كان له حظوة ، وحظ .

(٣) يزل : يسقط .

وَيُنْعَشُ^(١) أُخْرَى ؛ فَهُوَ بَيْنَ طَاعَةِ وَمَعْصِيَةٍ ، حَتَّى يَقْدَمَ عَلَى رَبِّهِ
هَذِهِ الْحَالَةَ .

وَعِلْمُ الْمَعْرِفَةِ لِلصَّادِقِينَ مُشْرِقٌ نَيْرٌ وَاضِحٌ ، وَهُوَ الْمُقْتَصِدُ ؛
يُشِيرُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَدْرَجَةٍ^(٢) الصِّدْقِ فِي الْفِعْلِ^(٣) جَهْدًا وَحَذَرًا
وَحِرَاسَةً [٧٦] ، بِأَكْبَارٍ عَلَى نَفْسِهِ ، يَقْتَضِي مِنْهَا الصِّدْقَ فِي الْفِعْلِ^(٤)
جَهْدًا فِي كُلِّ حَرَكَةٍ وَفِعْلٍ وَقَوْلٍ .

وَعِلْمُ الْمَعْرِفَةِ لِلصِّدِّيقِينَ مَطَالَعَةُ الْبِرَازِينِ^(٥) ، وَمَشَاهِدَةُ الْمَعَادِنِ ،
وَدَلِّكَ بِالْيَقِينِ ، وَهُوَ عِلْمُ السَّابِقِينَ الْمُقَرَّبِينَ ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ
ذِكْرُهُ^(٦) : (كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ . لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ)^(٧) .

فَبِعِلْمِ الْيَقِينِ ، وَبِقُوَّةِ نُورِهِ ، يَرَى عَيْنُ الْيَقِينِ^(٨) بِالْبِرَازِينِ^(٥)

(١) نَعَشَهُ اللَّهُ ، وَأَنْعَشَهُ : أَقَامَهُ .

(٢) الْمُقْتَصِدُ : الَّذِي يُعْطَى الدُّنْيَا حَقِّهَا وَالْآخِرَةَ حَقِّهَا (الْقُرْطُبِيُّ : ١٤ - ٣٤٨) .

(٣) مَدْرَجَةٌ : طَرِيقٌ . (٤) فِي ب : الْعَقْلُ .

(٥) الْبِرَازُونُ : الدَّابَّةُ ، وَهِيَ بَهَاءٌ ، وَالْجَمْعُ بِرَازِينُ (الْقَامُوسُ) . وَفِي الْأَصُولِ :

الْبِرَازِينُ ، وَفِي تَاجِ الْعُرُوسِ : الْبِرَازِينُ : كَوْزٌ يَحْمَلُ بِهِ الشَّرَابَ مِنَ الْحَاطِيَةِ ، وَالْمَعْنَى غَيْرُ

وَاضِحٌ عَلَى كُلِّ . (٦) سُورَةُ التَّكْوِينِ ، آيَةُ ٥ ، ٦ .

(٧) الْيَقِينُ : الْعِلْمُ الْمُتَيَقَّنُ . وَقِيلَ : الْيَقِينُ الْمَوْتُ . وَقِيلَ الْبَعْثُ . وَالْمَعْنَى : لَوْ

تَعْلَمُونَ الْيَوْمَ مِنَ الْبَعْثِ مَا تَعْلَمُونَهُ إِذَا جَاءَتْكُمْ نَفْخَةُ الصُّورِ وَانْشَقَّتِ اللَّحُودُ عَنْ جِشْكِمَ

وَكَيْفَ يَكُونُ حَشْرَكُمْ - لَوْ تَعْلَمُونَ ذَلِكَ لَشَغَلَكُمْ ذَلِكَ عَنِ التَّكْوِينِ بِالدُّنْيَا :

لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ فِي الْآخِرَةِ . وَالْحَطَابُ لِلْكَفَّارِ الَّذِينَ وَجِبَتْ لَهُمُ النَّارُ .

(٨) عَيْنُ الْيَقِينِ : مَشَاهِدَةٌ .

وَالْمَعَادِنِ الَّتِي تَظْهَرُ مِنْهَا الصِّفَاتُ وَرَبُوبِيَّةِ الرَّبِّ .

فذلك العلمُ النافذُ ببصرِ قلبه إلى نورِ روحه ، المتوقِّدُ في عينه
! الظاهرة التي في رأسه ؛ فإذا نظر إلى الأشياء أبصر آية القدرة في
الأشياء كلها ، وآثار الربوبية ؛ فلا تقدر زينة الأشياء وبهجتها
وحلاوتها أن تغرّد عن الله حتى يتعلّق قلبه بشيءٍ دون الله تعالى ،
فيحجبه عن الله تعالى ، فيصير فتنةً عليه ، فيعمى ببصرِ قلبه ،
ويبقى في ظلمات النفس ، وحبّ الشهوات ؛ ويتكدر روحه ،
ويسلب قلبه الإِمرّة ، ويغلب الخارجى .

فإذالم يكن له هذا العلمُ في صدره على صفة السابق المقرب ، وإنما
كان علمه على صفة المقتصد^(١) فهو مشغولٌ يقينه بوهج الحروب
ومحاربة الأبطال حيث التقيا ؛ فمرة منصور ، ومرة مخذول ؛
فمتى يقدر أن يلاحظ آثار القدرة والربوبية ، وليس لبصره نورٌ أن
ينفذ إلى رؤية ذلك ، وهو بعيد منه ؟

ومن كان علمه علم الظالم لنفسه فذلك علم اللسان ، قد
تلقنه من أفواه الرجال سمعا ، ومن الكتب نظرا ، فأودعه حفظه
حتى يبرزه الحفظ من صدره في وقت الحاجة ، وليس له قوة
ما يجاهد به نفسه فيحاربها ويهزمها .

(١) السابق : التقي . وقد سبق تفسير المقتصد في الصفحة السابقة .

وتلك حجة الله تعالى عليه ، يقول ويهدى الناس إليه ؛ فإذا صار إلى إقامته بنفسه صار أضلّ من الأنعام ؛ يغلبه الهوى في الشهوات . قال الله جلّ ذكره (١) : (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ) (٢) ؛ أَى في وقت محمد صلى الله عليه وسلم .

العلم علمان :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : العلمُ علمان : علمٌ في القلب ، فذاك العلمُ النافع ، وعلمٌ في اللسان ، فذاك حجة الله تعالى على ابن آدم .

فالعلمُ النافع هو علمُ السابق (٣) وعلمُ الحجّة الذي يخنق صاحبه في البرزخ (٤) وفي المحشر ، هو علمُ الظالم لنفسه (٥) ؛ أعاذنا الله وإياكم برحمته .

قال له قائلٌ : فهذا الملك الذي بعث الضيف ومعه نفقة ، وقد تفاوتت النفقات ؛ فنفقة هي دراهم ، ونفقة هي دنانير ، ونفقة هي جواهر ، ما هذا ؟

(١) سورة المائدة ، آية ٦٨

(٢) أَى لستم على شيء من الدين حتى تعملوا بما في الكتابين من الإيمان بمحمد عليه السلام ، والعمل بما يوجبه ذلك فيهما .

(٣) انظر هامش رقم ١ صفحة ٢١٦ في تفسير السابق .

(٤) البرزخ : الحاجز بين الشيتين . ومن وقت الموت إلى القيامة ، ومن مات

دخله (القاموس) . (٥) الظالم لنفسه : الكافر ، أو المذنب .

قال : فالذي ذكرنا من النفقات الثلاث من الأصناف هي العلوم ، وهو علم واحد صارت علوما ، والعلم لا يدركه القلب إلا بالحياة ؛ لأن هذا كله علم الغيب ؛ ألا ترى أن النفس إذا نامت أو ماتت ذهبت حياتها ، وذهب علم القلب ؛ فهو ميت لا يدري ، وحي نائم لا يدري شيئا .

فقد بان لك من أن علم الظاهر قد غاب عنه بالنوم والموت لزوال الحياة فيهما ، فكذا إذا ذهبت حياة القلب بالله فقد غاب عنه علم الغيوب ، فإذا أُعطي القلب حياة العلم بالله عرف ربه وعلمه . وقد قال جل ذكره ^(١) : (أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ^(٢)) وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ، كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) .

فهذا كان قلبا ميتا عن الله تعالى أعطاه نور العقل والعلم ، فعرف ربه ، وإنما عقل العلم بنور الحياة ، فلما عرفه اطمأن إليه ، وأسلم نفسه إليه عبودة ^(٣) ، فلزمه الأسمان : مؤمن ، ومسلم ، الإيمان من إجهة استقرار القلب ، والإسلام من جهة تسليم النفس إليه عبودة بالأمر والنهي ؛ فهما في عقد واحد ؛ عرف ربا فاطمان إليه ، وعرف نفسه عنده ، فسلم إليه نفسه ؛ فهذه معرفة واحدة ؛

(١) سورة الأنعام ، آية ١٢٢

(٢) ميتا بالجهل فأحياه بالعلم .

(٣) عبودة : طاعة .

إِذَا لَخِطَ إِلَى رَبِّهِ عَرَفَهُ رَبًّا ، وَإِذَا لَحِظَ إِلَى نَفْسِهِ عَرَفَهُ عَبْدًا ؛ وَإِنَّمَا
يَعْرِفُ هَذَا بِحَيَاةِ الْقَلْبِ ؛ أَدْرَكَ بِهَا هَذِهِ الْمَعْرِفَةَ ، ثُمَّ دَعَاهُ إِلَى
الْعِبَادَةِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، فَجَاءَتْهُ الشَّهَوَاتُ الْمَوْضُوعَةُ فِي نَفْسِهِ ،
فثَقَلَتْهُ وَجَمَحَتْ بِهِ فِي نَهْيِهِ ؛ فَإِذَا جَاهَدَ فِي ذَاتِ اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ شَكَرَ
اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ ، وَزَادَهُ فِي الْحَيَاةِ ، لِيُخَفِّفَ أَوْامِرَهُ ، وَيُكَبِّحَ بَلَجَامَهُ فِي
وَقْتِ جُمُوحِهِ فِي الْمَنَاهِي ؛ وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ^(١) : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) ^(٢) .
فَاعْلَمْهُ بَعْدَ حَيَاةِ الْإِيمَانِ أَنَّ يُحْيِيَهُ بِالطَّاعَاتِ ؛ فَإِذَا أَطَاعَ اللَّهَ فِي
الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ شَكَرَ لَهُ ذَلِكَ ؛ فَزَادَهُ حَيَاةً ، لِيَقْطَعَ قَلْبَهُ عَنِ الْعَلَائِقِ
وَهَوَى النَّفْسِ شُكْرًا لَهُ ؛ وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ^(٣) : (وَاللَّهُ شُكُورٌ حَلِيمٌ) .
وَقَدْ قَالَ مَالِكٌ ^(٤) بِنِ دِينَارِ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَجَدْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ :
إِنَّ سَرَّكَ أَنْ تَحْيَا وَتَبْلُغَ الْيَقِينَ فَاحْتَلْ فِي كُلِّ خَيْرٍ أَنْ تَغْلِبَ
شَهَوَاتِ الدُّنْيَا ، فَإِنَّهُ مِنْ يَغْلِبُ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا يَفْرُقُ ^(٥) الشَّيْطَانَ
مِنْ ظَلَمِهِ

(١) سورة الأنفال ، آية ٢٤

(٢) الاستجابة : الإجابة ؛ أَيْ أَجِيبُوا . وَالْمَعْنَى : اسْتَجِيبُوا إِلَى مَا يَحْيِي دِينَكُمْ
وَيَعْلَمُكُمْ . أَوْ إِلَى مَا يَحْيِي قُلُوبَكُمْ فَتُوحِدُوهُ ، وَقِيلَ : اسْتَجِيبُوا لِلطَّاعَةِ وَمَاتُضْمَنَهُ
الْقُرْآنُ مِنْ أَوْامِرٍ وَنَوَاهِي ، فَفِيهِ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ وَالنَّعْمَةُ السَّرْمَدِيَّةُ .

(٣) سورة التغابن ، آية ١٧

(٤) هو مالك بن دينار الزاهد ، رَوَى عَنْ أَنَسٍ وَغَيْرِهِ ، قِيلَ إِنَّهُ مَاتَ سَنَةَ سَبْعٍ

وَعِشْرِينَ وَمِائَةَ (تَهْدِيبُ التَّهْدِيبِ) . (٥) يَفْرُقُ : يَخَافُ .

فإذا حَيِيَ القلبُ حياةً تَبْلُغُ عِلْمَ اليقينِ صارَ مِنَ السابقينَ
المُقَرَّبِينَ ؛ فهناك يَحْيَا بالله ؛ فَعَايَنَ يَبْصُرِ قلبه آثارَ القُدرةِ ،
وآثارَ الرُّبوبيَّةِ ، وبهاءِ الدينِ ، وزينةِ العبوديةِ ، وبهجةِ المِنَّةِ (١) ،
وتربُّط بلحظه إلى مَجَالِسِ النَّجْوَى وبهجةِ المَرَعَى بين يَدَيْهِ ؛
فحياةُ الأَوَّلِ حياةُ الفضةِ ، وحياةُ الثَّانِي حياةُ الذهبِ ، وحياةُ الثَّالِثِ
حياةُ الجواهرِ .

والفضةُ إِنَّمَا بَرِيْقُهَا مِنْ حَيَاتِهَا ، وَبَرِيْقُ الذَّهَبِ مِنْ حَيَاتِهِ أَقْوَى
مِنَ الفضةِ وَأَشَدُّ بَرِيْقًا ؛ وَبَرِيْقُ الجواهرِ مِنْ حَيَاتِهِ ، وَهِيَ أَقْوَى
مِنَ الذَّهَبِ ؛ فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الأَشْيَاءِ قَدْ احْتَضَى (٢) مِنَ الحَيَاةِ ؛
وَلَكِنْ كُلُّ وَاحِدٍ أَقْوَى مِنَ الأَخرِ .

فالجواهرُ يَضِيءُ البَيْتُ مِنْ نورهِ ، وَالذَّهَبُ وَالفِضَّةُ لَيْسَ لهُمَا
ذَلِكَ ؛ فَمَنْ كَانَتْ نَفَقَتُهُ فِي ضِيَاةِ المَعْرِفَةِ مِنَ الدَّرَاهِمِ فَصِيَانَتُهَا
وَالإِحْسَانُ إِلَيْهَا لَا تَخْلُو مِنَ الدَّنَسِ وَالأَوْسَاحِ وَالتَّضْيِيعِ وَالتَّفْرِيطِ .
وَمَنْ كَانَتْ نَفْسُهُ فِي ضِيَاةِ المَعْرِفَةِ مِنَ الدَّنَانِيرِ يَسْلَمُ مِنَ
الأَوْسَاحِ وَالأَدْنَسِ ، وَلَكِنْ لَا يَخْلُو مِنَ الغُبَارِ .

وَمَنْ كَانَتْ نَفَقَتُهُ فِي ضِيَاةِ المَعْرِفَةِ مِنَ الجَوْهَرِ سَلِمَ مِنَ الغُبَارِ
وَجميعِ مَا يَتَّقَى مِنْهُ وَيُصَانُ عَنْهُ ، وَلَمْ يَزَلْ طَرِيًّا نَقِيًّا ؛ لِأَنَّ قَلْبَهُ

(١) المنة : النعمة .

(٢) احتضى : حظى ، وكان له حظوة وحظ .

حَيِّىَ بِاللَّهِ بِحَيَاةِ الْجَوْهَرِ ؛ فَذَلِكَ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
الإيمان حلو نزه ، فنز هوه .
أحب القلوب الى الله :

وعنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى أَوَانِي فِي الْأَرْضِ ، الْأَوْهِيَّ
الْقُلُوبِ ، وَأَحَبُّ الْقُلُوبِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَصْفَاهَا وَأَرْقُفَهَا وَأَصْلَبُهَا .
فَأَصْفَاهَا لِلَّهِ تَعَالَى ، وَأَصْلَبُهَا فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى [٧٧] ، وَأَرْقُفَهَا
لِلْإِخْوَانِ .

وَقَالَ فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : وَلَسْتُ أُسْكِنُ الْبُيُوتَ ،
وَأَيُّ بَيْتٍ يَسْعُنِي ، وَالسَّمَوَاتُ حَشْوُ كُرْسِيِّ ، وَإِنِّي فِي قَلْبِ الْوَادِعِ
الضَّعِيفِ لَيِّنِ الْقَلْبِ .

فَحَيَاةُ الْقَلْبِ مِنْ هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ : إِنِّي فِي ذَلِكَ الْقَلْبِ .

مثل التقوى

مَثَلُ التَّقْوَى مَثَلُ رَجُلٍ أَصَابَ جَوْهَرَةً نَفِيسَةً قِيمَتُهَا بَيْوتٌ مِنَ
الدُّنَانِيرِ ؛ أَوْ ثَوْبًا قِيمَتُهُ أَلْفُ دِينَارٍ ، أَوْ جَارِيَةً لَهَا ثَمَنٌ غَالٍ ،
شَخَّصَتْ إِلَيْهَا الْأَبْصَارُ مَنَظَرًا وَمَخْبِرًا ؛ أَوْ صُرَّةَ مِسْكِ ذَكِيِّ (١)
الرِّيحِ ؛ أَوْ بَازِيٍّ (٢) طَيْرٍ أَبْيَضٍ تَامَّ الْجِثَّةَ مَقْدَارَ الدَّرْهَمِ التَّامِّ
أَهْدَاهُ إِلَيْهِ مَلِكٌ عَالٍ .

فَأَنْتَ تَبْقَى عَلَى الْجَوْهَرَةِ مَخَافَةَ السَّرَاقِ (٣) ، وَلَا تَعْرِضُهَا إِلَّا عَلَى

(١) مسك ذكى : ساطع ريحه (القاموس) .

(٢) البازى : ضرب من الصقور (القاموس) . (٣) السراق : جمع سارق .

مَنْ عِنْدَهُ مِنْ فَنُونِ الْأَمْوَالِ ، مَخَافَةَ أَنْ يُدَلِّسَهَا ^(١) فَيَقْبِضَ مِنْهُ الْجَوْهَرَةَ ،
وَيَبَدِّلَهَا بِالزَّجَاجِ شَبْهَةً ، وَلَا يَعْرِفُ هُوَ الْجَوْهَرَ مِنَ الزَّجَاجِ ، فَهِيَ
عِنْدَكَ مَكْنُونَةٌ فِي اللَّفَائِفِ وَالْحَقَّةِ ^(٢) وَالدَّرَجِ ^(٣) ، وَتَقِيهَا مِنَ
الْغُبَارِ وَمِنْ كُلِّ آفَةٍ وَنَحْوِهَا .

وَكَذَا تَتَّقِي عَلَى الثَّوْبِ اتِّقَاءَ مِثْلِهِ مِنَ اللَّفِّ وَالطِّيِّ ، وَوَضَعَهُ فِي
الصَّنَدُوقِ ، وَرَبَطَهُ فِيمَا بَيْنَ اللُّوْحَيْنِ .

وَتَتَّقِي عَلَى صُرَّةِ الْمَسْكِ فَلَا تَفْتَحُهَا لِئَلَّا يَذْهَبَ رِيحُهَا ،
وَلَا يَصِلَ إِلَيْهَا غَدَارٌ ، فَتَعَوَّضَ مِنْ كِبْدِ الضَّانِ وَغَيْرِهِ .

وَتَتَّقِي عَلَى الْجَارِيَةِ ، فَتَحْبِسُهَا ، وَتَضْمُونُهَا ، وَتَلْبِسُهَا لِبَاسٍ
مِثْلَهَا ، وَتُطْعِمُهَا طَعَامَ مِثْلِهَا ، وَتَمْنَعُهَا عَنِ الْخُرُوجِ وَالْبُرُوزِ ^(٤)
لِئَلَّا يَطَّلَعَ عَلَيْهَا أَحَدٌ ، أَوْ يَحْبِبَّهَا ظَالِمٌ ، فَيُخْرِجُهَا مِنْ يَدِكَ ،
وَيَبْقَى قَلْبُكَ مُعَلَّقًا بِهَا مَعَ الصَّرَاخِ وَالْعَوِيلِ .

وَتَتَّقِي عَلَى الْبَازِيِّ مِنْ كُلِّ آفَةٍ لِئَلَّا يَنْكَسِرَ جَنَاحُهُ ، فَيَعْجِزَ عَنِ
الطَّيْرَانِ ، وَإِنْ قَصَّرَتْ فِي بَعْضِ تَرْبِيَّتِهِ وَمُدَارَاتِهِ لَا يَأْلَفُ ، وَتَرْكُ
الْإِلْفِ ، وَيَطِيرُ وَيَتْرُكُ خَالِيًا ، فَلَا تَرَاهُ أَبَدًا .

(١) مكانها كلمة غير مقروءة في (ب) .

(٢) الحققة : وعاء من خشب .

(٣) الدرَج : ما يحفظ فيه الشيء : السفط .

(٤) البروز : الظهور .

فانظر كيف تتقى على الأشياء ، وكيف حذرَكَ وحرَّاسَتِكَ لهذه
الأشياء ، وتلطَّفِكَ بها ، وصيَّانَتِكَ لما تخوِّف عليهم ^(١) من الآفات ،
وضيَّعت حراسةَ أعظمِ الأشياءِ قَدْرًا ، وأنفَسَها خَطَرًا ^(٢) ، وهو
مُخُّ التَّقْوَى ^(٣) ، فقد عَظُمَت حِجَّةُ اللَّهِ عَلَيْكَ ؛ لِأَنَّ هَذَا الْقَلْبَ
خِزَانَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَضَعَ فِيهَا جَوْهَرًا نَفِيسًا لَا يُحَاطُ بِمَبْلَغِ ثَمَنِهِ ، وَهِيَ
المعرفة .

فَإِنْ نَظَرْتَ إِلَى نَفَاسَتِهَا وَقَدْرِهَا لَمْ تَقْدِرْ أَنْ تُحِيطَ بِثَمَنِهَا
عِلْمًا ، وَلَا ائْتَمَنْتَ عَلَيْهَا أَحَدًا .

وَإِنْ نَظَرْتَ إِلَى بَهَائِهَا ^(٤) وَنُورِهَا اتَّقَيْتَ عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ دُخَانٍ
مِنَ الشَّهَوَاتِ لِثَلَايِلِجٍ ^(٥) الْخِزَانَةَ فَيَدْنُسُهَا .

وَإِنْ نَظَرْتَ إِلَى رِقَّتِهَا اتَّقَيْتَ عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ صَدْمَةٍ مِنْ قِبَلِ
النَّفْسِ أَنْ تَصْدِمَهَا .

وَإِنْ نَظَرْتَ إِلَى طِيبِ رِيحِهَا اتَّقَيْتَ عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنَ
المعاصي .

وَإِنْ نَظَرْتَ إِلَى اصْطِبَارِهَا الطَّاعَاتِ فَتَشْتَى ^(٦) قُلُوبِهِم بِالِدَعَاءِ

إِلَى اللَّهِ تَعَالَى اتَّقَيْتَ عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ تَضْيِيعٍ ، تَرْبِيئِهَا وَتَعَاهِدِهَا بِمَا

(٢) أنفَسَها : أغلاها . خطرا : قدرا .

(١) هذا بالأصول

(٤) البهاء : الجمال .

(٣) المخ : خالص كل شيء .

(٦) اشتأى : سبق .

(٥) يلج : يدخل .

يَتَعَاهَدُ مِثْلَهَا تَرْبِيَةً مِثْلَهَا ، لِثَلَا تَطِيرَ عَنْكَ ، فَلَا يَبْقَى مَعَكَ سِوَى
مَعْرِفَةِ الْفِطْرَةِ ، مَعْرِفَةِ الْكُفَّارِ .

فَمَنْ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُوَحِّدِينَ بِمِنَّةٍ (١) عَظِيمَةٍ أَنْ أُعْطَاهُمْ
نُورَ الْهُدَايَةِ حَتَّى وَجَدُوهُ ، وَنَطَقُوا بِكَلِمَةِ الشَّهَادَةِ ، وَأَمْرَهُمْ بِأَنْ
يَتَّقُوهُ عَلَى مَا أُعْطَاهُمْ ؛ وَهُوَ النُّورُ الَّذِي أَشْرَقَ فِي قُلُوبِهِمْ ، ثُمَّ مِنْ
قُلُوبِهِمْ إِلَى صُدُورِهِمْ ، فَيَجْعَلُونَهُ فِي وَقَايَةِ الْحِرَاسَةِ ، لِثَلَا يَصِلَ
إِلَيْهِ مَا يُسِيسُ لَهُ بِأَهْلٍ ، فَإِنَّ الْمَعْرِفَةَ قَدْ أُيِّدَتْ بِالْعَقْلِ وَالْعِلْمِ ، وَالْفَهْمِ
وَالْفِطْنَةِ ، وَالْحِفْظِ وَالذِّكْرَ وَالذَّهْنَ ..

فَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ حَوْلَهَا ، قَطَعَ اللَّهُ بِذَلِكَ أَلْسِنَةَ الْآدَمِيِّينَ عَنْ
نَفْسِهِ ، لِثَلَا يَكُونَ لِأَحَدٍ عَلَيْهِ حُجَّةٌ لِإِتْيَانِ مَعَاصِيهِ أَوْ سُوءِ مَا يَأْتِيهِ ؛
فَبِقُوَّةِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ يَحْرُسُ مَعْرِفَتَهُ ، وَيَذَبُ (٢) عَنْهَا مَكْرَ النَّفْسِ
وَدَوَاهِيهَا ، وَكَيْدَ الْعَدُوِّ حَتَّى تَصِيرَ الْمَعْرِفَةُ فِي وَقَايَةِ مِنْهَا .

وَأَمْرٌ بِالتَّقْوَى لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (٣) : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (٤) .

(١) منة : نعمة .

(٢) يذب : يدفع .

(٣) سورة آل عمران ، آية ١٠٢

(٤) روى البخارى ، عن مرة ، عن عبد الله ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم : حق تقاته ، أن يطاع فلا يعصى ، وإن يذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا
يكفر .

التقوى على سبع جوارح :

فَفَهَّمُوا بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ أَنَّ التَّقْوَى عَلَى سَبْعِ جَوَارِحٍ : الْعَيْنَانِ ،
وَالْأُذُنَانِ ، وَالْيَدُ ، وَاللِّسَانِ ، وَالرِّجْلُ ، وَالْبَطْنُ ، وَالْفَرْجُ ؛ فَلَا
يَسْتَعْمَلُ وَاحِدًا مِنْهُم ^(١) إِلَّا بِمَا أُطْلِقَ لَهُ ، وَأُذِنَ لَهُ فِيهِ .

فَأَقْبَلُوا إِلَى حِفْظِهَا ، فَوَجَدُوا أَنْفُسَهُمْ بَيْنَ أَمْرَيْنِ : بَيْنَ أَمْرٍ
هُوَ طَاعَةٌ ، وَبَيْنَ أَمْرٍ هُوَ مَعْصِيَةٌ ، وَفِيهِ عَيْبٌ ؛ لِأَنَّهُ عَمَلٌ عَلَى غَفْلَةٍ
فِيمَا لَمْ يُؤذَنَ لَهُ فِيهِ ، فَلَهُ فِيهِ عُقُوبَةٌ . وَلَوْ أَتَى بِمَا أُذِنَ لَهُ وَلَكِنْ
عَلَى غَفْلَةٍ بِلا حِسْبَةٍ وَلَا نِيَّةٍ رُمِيَ بِهَا عَلَى وَجْهِهِ ، وَخَابَ عَنْ ثَوَابِهِ
وَجَزَائِهِ .

وَقَدْ أَمَرَ بِأَنْ يَتَّقَى حَقَّ تَقَاتِهِ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٢) : (يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ) ، فَفَهَّمَهُمُ الْعِبَادَةَ عَنْهُ أَنَّ حَقَّ تَقَاتِهِ
أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلَا يَعْصِي ، وَيَتَّقَى عَنِ الْمَعَاصِي ، وَعَنْ كُلِّ عَمَلٍ عَلَى
غَفْلَةٍ بِلا حِسْبَةٍ وَلَا نِيَّةٍ ؛ فَصَارَ التَّقْوَى عَلَى ضَرْبٍ بَيْنَ : ضَرْبٍ مِنْهَا
التَّقْوَى عَنِ الْمَعَاصِي ، وَضَرْبٍ مِنْهَا التَّقْوَى عَنِ عَمَلٍ عَلَى غَفْلَةٍ
بِلا حِسْبَةٍ وَلَا نِيَّةٍ ؛ فَذَا تَقْوَى الظَّاهِرِ ، وَذِي تَقْوَى البَاطِنِ ؛ فَالْعِبَادَةُ
أَكْثَرُهُمْ أَقْبَلُوا عَلَى تَقْوَى الظَّاهِرِ حَتَّى أَحْكَمُوهُ ، وَكَفُّوا جَوَارِحَهُمْ
عَنِ الْمَنَاهِي ، فَلَمَّا صَارُوا إِلَى تَقْوَى البَاطِنِ - وَهُوَ أَلَّا يَعْمَلُوا شَيْئًا - مِمَّا
أُذِنَ لَهُمْ فِيهِ عَلَى غَفْلَةٍ حَتَّى يَكُونَ لَهُمْ نِيَّةٌ وَحِسْبَةٌ اشْتَدَّ عَلَيْهِمْ
ذَلِكَ وَعَجَزُوا عَنْهُ ؛ لِأَنَّهُمْ فِي غَطَاءٍ عَنِ ذَلِكَ .

(٢) سورة آل عمران ، آية ١٠٢

(١) هذا بالأصول .

وقد قال الله تعالى (١) : (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، وَاسْمَعُوا
وَأَطِيعُوا ، وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ) (٢) . أى فى الفرائض ،
فبقيت العامة على هذا التقوى الظاهر - وهو حفظ الجوارح السبع ،
وعمله الذى أذن له فيه فى غفلة ؛ فى كل عمل عيوب موجودة ،
وزينة الأعمال مفقودة ، ومع فقد الزينة العيوب موجودة .
ووجدت (٣) طائفة من العامة وجدًا شديدًا أن رأوا عامة أعمارهم
من الأكل والشرب واللبس ، والكلام ، والسكوت ، والمشى
والذهاب ، والنظر والاستماع ، بلا نية ولا حسبة ، فلا يجدون
غداً فى ميزان الحق منه شيئاً فيثابون عليه ؛ ولذلك قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم (٤) : الأعمال بالنيات .

(١) سورة التغان ، آية ١٦

(٢) قال القرطبي (١٨ - ١٤٥) : لاختلاف بين السلف من أهل العلم بتأويل
القرآن أن هذه الآيات نزلت بسبب قوم كفار تأخروا عن الهجرة من دار الشرك إلى
دار الإسلام بتثييط أولادهم إياهم عن ذلك .

والمعنى : فاتقوا الله أيها الناس ، وراقبوه فيما جعل فتنة لكم من أموالكم
وأولادكم أن تغلبكم فتنهم وتصدمكم عن الواجب لله عليكم من الهجرة من أرض الكفر
إلى أرض الإسلام ؛ فتركوا الهجرة ، ما استطعتم ، يعنى وأنتم للهجرة مستطيعون .

واسمعوا وأطيعوا : اسمعوا ماتو عظون به ، وأطيعوا فيما تؤمرون به وتهنون عنه .

وأنفقوا : قيل : هو الزكاة . وقيل : هو النفقة فى النقل . وقيل : هو النفقة فى

الجهاد . وقال الحسن : هو نفقة الرجل لنفسه . (٣) وجدت : غضبت .

(٤) صحيح مسلم : ١٥١٥ ، وروايته فيه : إنما الأعمال بالنية ، وإنما لكل امرئ

مانوى ؛ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت

هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يزوجها فهجرته إلى ماهاجر إليه .

وقال أيضا : لا عمَل لمن لا نية له ، ولا أجر لمن لا حسبة له ،
فحزن المؤمنون على تعطيل العمر على هذا الوجه ، فرحمهم الله على
ذلك ، فقال جل ذكره ^(١) : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ
يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ، وَاللَّهُ ذُو
الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ^(٢)) .

فقال أهل التفسير : أي مخرجًا ، ولكن هذه كلمة مبهمّة ،
ولم يفسروا ما المخرج ؟ من أين ؟ وإلى أين ؟ وإنما المخرج من
ظلمة ودخان الشهوات بالأنوار التي يعطى .

وقال جل ذكره في موضع آخر ^(٣) : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا
اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا . وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا . هُوَ الَّذِي يُصَلِّي
عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ [٧٨] لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ

= وقال في شرحه : أجمع المسلمون على عظم موقع هذا الحديث وكثرة فوائده
وصحته . قال الشافعي وآخرون : هو ثلث الإسلام .

(١) سورة الأنفال ، آية ٢٩

(٢) فرقانا : فصلا بين الحق والباطل .

والمعنى : إذا أتى العبد ربه ، وذلك باتباع أوامره واجتناب نواهيه ، وترك
الشبهات مخافة الوقوع في المحرمات ، وشحن قلبه بالنية الخالصة ، وجوارحه بالأعمال
الصالحة ، وتحفظ من شوائب الشرك الخفى والظاهر بمراعاة غير الله في الأعمال
والركون إلى الدنيا ، وبالعفة عن المال - جعل له بين الحق والباطل فرقانا ، ورأفة
فيما يريد من الخير إمكانا . (٣) سورة الأحزاب ، آية ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣

وكانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (١) .

ولما أقبلوا على التَّقْوَى الظاهر ، وهو حِفْظُ الجوارح (٢)
عن المناهى ، وَأَحْكَمُوا هذه التَّقْوَى ، ثم ذكروا ذِكْرًا كثيرًا عند
كل نعمة وبؤس ، وسبحوه بكرةً وأصيلاً ، ليعمروا ما خرب منهم ،
وليتداركوا بذلك التسبيح أدناس العيوب ، ويتطهروا ، وصلت
عليهم الملائكة ؛ وصلاة الملائكة أن تستغفر لهم من العيوب ، وصلّى
عليهم الربُّ جلَّ وعلاً ، وجعل لهم مخرجاً .

فأما صلاة الربِّ جلَّ جلاله فإن يسأل لهم بنفسه من نفسه
نور الفرقان حتى أوجب لهم ذلك ، وهو نور الفرقان ؛ فعندها
أخرجهم من ظلمات النفس إلى نور الله تعالى ؛ وإنما سمي نور
الفرقان بهذا ، لأنه نور يفرق بين الحقِّ والباطل ، وقد ذهبت
الغفلة ، وإنما الغفلة حجاب أصله من شهوات النفس ، وهى

(١) اذكروا الله : أمر الله تعالى عباده بأن يذكروه ويشكروه ، ويكثرُوا من ذلك على ما أنعم به عليهم ، وجعل تعالى ذلك دون حد لسهولته على العبد ، ولعظم الأجر فيه .

وسبحوه بكرةً وأصيلاً : اشغلوا ألسنتكم فى معظم أحوالكم بالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير .

هو الذى يصلّى عليكم : الصلاة من الله على العبد هى رحمته له وبركته لديه .
وصلاة الملائكة دعائهم للمؤمنين واستغفارهم لهم .

ليخرجكم من الظلمات إلى النور : من الضلالة إلى الهدى .

(٢) الجوارح : الأعضاء .

كَالدُّخَانِ فِي الصَّدْرِ ؛ فَهِيَ ظُلُمَاتٌ تَحْجُبُ عَيْنِي الْفُؤَادِ عَنْ مُعَايِنَةِ
الْحَقِّ ، حَتَّى يَنْفِي الْبَاطِلَ الَّذِي يَجِيءُ مِنَ النَّفْسِ إِلَى الصَّدْرِ ،
فِيْتَرَاءَى لِعَيْنِي الْفُؤَادِ ، يُرِيدُ أَنْ يُمِدَّهُ بِذَلِكَ إِلَى نَفْسِهِ ، فَإِذَا هُوَ
بَاطِلٌ لَا يَثَابُ عَلَيْهِ غَدَا ، فَإِذَا أَخْرَجَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ هَذِهِ الظُّلُمَاتِ
بِصَلَاتِهِ عَلَيْهِ وَإِجَابِهِ لَهُ هَذَا النُّورِ ، وَاسْتِغْفَرَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ لِتِلْكَ
الْعُيُوبِ ، حَتَّى إِذَا وُلِّجَ (١) هَذَا النُّورِ ، فَوَجَدَ مَكَانًا طَاهِرًا مُقَدَّسًا ،
فَأَشْرَقَ النُّورُ ، وَاسْتَقَرَّ فِي الصَّدْرِ - فَعِنْدَهَا اسْتَوَى لَهُ الْأَمْرَانِ ،
وَنَالَ كَلَا التَّقْوِيَيْنِ : الظَّاهِرِ ، وَالبَاطِنِ ؛ فَلَا يَعْمَلُ شَيْئًا إِلَّا عَلَيَّ
ذِكْرٍ وَنِيَّةٍ وَحِسْبَةٍ ، دَقَّ ذَلِكَ الشَّيْءُ أَوْ جَلَّ (٢) ؛ فَأَدْرَكَ ذَلِكَ النُّورُ
الْقَلْبَ مِنَ الصَّدْرِ فِي أَسْرَعِ مِنَ اللَّحْظَةِ ، لِعِظَمِ ذَلِكَ النُّورِ ، حَتَّى
يَرْتَقِي مِنَ الْقَلْبِ إِلَى مَحَلِّهِ مِنَ الْعُلْيَاءِ ، حَتَّى تَصِيرُ الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا لَهُ
وَبِهِ ، وَهُمْ أَصْحَابُ الْقَبْضَةِ ، فَبِهِ يَنْطِقُ ، وَبِهِ يَبْصُرُ ، وَبِهِ يَسْمَعُ ،
وَبِهِ يَبْطِشُ ، وَبِهِ يَعْقِلُ ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرَهُ (٣) : (أَلَا إِنَّ
أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (٤) .

(١) ونج : دخل . (٢) قل أو كثر . (٣) سورة يونس ، آية ٦٢

(٤) لاخوف عليهم في الآخرة ، ولا هم يحزنون لفقد الدنيا . وقيل : لاخوف
عليهم ولا هم يحزنون ؛ أي من تولاه الله تعالى وتولى حفظه وحياطته ورضى عنه فلا
يخاف يوم القيامة ولا يحزن .

قال عمر بن الخطاب في هذه الآية : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
إن من عباد الله عبادا ما هم بأَنْبياء ولا شُهَداء ، تغبطهم الملائكة والشهداء يوم القيامة .
لمكانهم من الله تعالى . قيل : يا رسول الله ، خبرنا من هم ؟ وما أعمالهم فلعلنا نحبهم .

ثم وصفهم من هم ، وما عملوا ؛ فقال ^(١) : (الذين آمنوا
وكانوا يتقون) ^(٢) .

فهؤلاء طبقة آمنوا به حقاً ، فاطمأنت قلوبهم بأحكامه عليهم
من المحبوب والمكروه ؛ رضوا به رباً ، ورضوا بأحكامه عليهم حكماً ،
وذللوا لربوبيته خشعاً ، وآثروه ^(٣) على أنفسهم حياةً ، وبذلوا له
نفوسهم جوداً وسمحاً ^(٤) ، وكان تقواهم على المشاهد كما ذكر في
أول الآية من قوله عز وجل ^(٥) : (وماتكون في شأن وما تتلو منه
من قرآن ولا تعملون من عملٍ إلا كنا عليكم شهوداً ؛ إذ تفيضون
فيه) ^(٦) ؛ فصارت شهادته عند كل عمل يفيضون فيه معاينة
القلب ، فهابوا الله هيبة ماتت لها نفوسهم موتاً ، وأحبوا الله حباً
حييت قلوبهم به حياةً وعبودةً في كل لحظة ؛ فصارت أنفاسهم
ولحظاتهم عبادةً ، وكل حركة منهم طاعةً ، ووجدوها غداً في

قال : هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطون بها ؛ فوالله إن
وجوههم لنور ، وإنهم على منابر من نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون
إذا حزن الناس . ثم قرأ : ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

(١) سورة يونس ، آية ٦٣ . (٢) أى يتقون الشرك والمعاصي .

(٣) آثروه : فضلوه .

(٤) سمحاً : سماحاً ، وجوداً ، وكرماً .

(٥) سورة يونس ، آية ٦١ .

(٦) كنا عليكم شهوداً ؛ أى لعلمه . تفيضون فيه : أى تأخذون فيه . يقال :

أفاض فلان في الحديث والعمل إذا اندفع فيه .

ميزان الحق ؛ فهذا تقوى الباطن تقوى الأولياء .

مثل عمال الله .

مثل عمال الله تعالى مثل ملك دعا خياطاً فقال له : اقطع هذا الثوب وخطه بين يدي ، فلم يأل هذا الخياط^(١) جهداً في إظهار حذقه^(٢) وخفة يده . فلما غاب عنه ترك خفة اليد ، وحسن الابتداء ، ووجازة^(٣) الفعل ؛ ولكن أحكم الخياطة وأتقنها وزينها ، لأنه ذاكر للعرض عليه .

والآخر رجل دعاه الملك فقال : اذهب بهذا الثوب فاقطعه وخطه ، وأنفذه إلى فلان الراعي ؛ فإذا غاب عنه رفع عنه بآله ، فكيفما قطعه وخطه جوزه ؛ لأنه لم يشعر برؤية الملك ، ولا ذكر العرض عليه ، وإنما به ارتفاع العمل ؛ فيقول : قد عملت . وأخذ الأجرة .

وإنما جرأه على ذلك غفلته^(٤) عن رؤية الملك وعن العرض عليه .

فكذا عمال الله تعالى على ثلاث طبقات : فعامل يعمل لله كأنه

(١) لم يقصر .

(٢) حذقه : مهارته . يقال : حذق الرجل في صنعته : مهر فيها ، وعرف غوامضها

ودقائقها .

(٣) سرعة الفعل .

(٤) في ب : غفلته عنه في رؤية الملك .

يَرَاهُ ، وَعَادِلٌ كَأَنَّهُ يَرَاهُ اللهُ ، وَهُوَ قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ سَأَلَهُ جَبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الْإِحْسَانِ . فَقَالَ : الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهُ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ .

فَقَالَ جَبْرِيْلُ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ : فَإِذَا فَعَلْتُ هَذَا فَأَنَا مُحْسِنٌ ؟
قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : صَدَقْتَ فِيهِ دَرَجَةُ الْمُحْسِنِينَ .

فَالأَوَّلُ يَعْمَلُ لِلَّهِ كَأَنَّهُ يَرَى رَبَّهُ مُشَاهِدَةً ، وَالآخِرُ يَعْمَلُ كَأَنَّهُ يَرَاهُ رَبَّهُ .

فَالأَوَّلُ قَدْ أَخَذَتْهُ رُؤْيَتْهُ رَبَّهُ . وَالثَّانِي قَدْ أَخَذَتْهُ رُؤْيَا رَبِّهِ إِيَّاهُ .
فَالأَوَّلُ أَعْلَى مِنَ الثَّانِي ، لِأَنَّهُ قَدْ كُشِفَ لَهُ الْغِطَاءُ ، وَرُفِعَ الْحِجَابُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حِينَ كَلَّمَهُ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِي الطَّوَّافِ فَلَمْ يُجِبْهُ إِلَى أَنْ قَالَ مَا قَالَ . فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ : إِنَّكَ قَدْ كَلَّمْتَنِي وَإِنَّا كُنَّا نَتَخَايَلُ^(١) اللهُ بَيْنَ أَعْيُنِنَا .

وَرَوَى عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ قَالَ : مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ : يَا ابْنَ آدَمَ لَا تَعْجِزَنَّ أَنْ تَقُومَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي صَلَاتِكَ يَا كَيَّا ، فَإِنِّي أَنَا اللهُ الَّذِي اقْتَرَبْتُ لِقَلْبِكَ ، وَبِالْغَيْبِ رَأَيْتَ نُورِي .
فَهَذَا لِمَنْ رَفَعَ لَهُ الْحِجَابَ حَتَّى رَأَى نُورَهُ وَهُوَ أَعْلَى .

(١) نتخايل : نتخيل .

والثاني زُفِعَ الحجابُ له بقَدْرِ ما رأى أَنه ينظرُ إليه ويراه ولم

يعد.

وَأَمَّا سِوَى الرُّوِيَةِ وهو قوله صلى الله عليه وسلم : فَإِنْ لَمْ تَكُنْ
تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ - فهذا الثاني يَعْمَلُ وَقَلْبُهُ إِلَى العَرَضِ الأَكْبَرِ ؛ وهو
قوله تعالى (١) : (يَوْمَئِذٍ تَعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ (٢)) .
فيجهد هذه وليس له زِينَةُ العَمَلِ ؛ إِنَّمَا لَهُ إِحْكَامُهُ ؛ فهذا صَادِقٌ ،
وَالأَوَّلُ صَدِيقٌ ؛ هذا محجوب ، والأول من وراء الحجاب ، قد
انكشف له الغطاءُ فيه يعمل .

من يعمل على الغفلة :

وعامل ثالث يعمل على الغفلة ، ليس على قلبه ذكرُ المشاهدة ،
ولا ذكر العَرَضِ ؛ إِنَّمَا هِيَ عَادَةُ النَّفْسِ تَعْمَلُ بِأَعْمَالِ البِرِّ على
العادة والجُزَافِ (٣) ، وعلى تَرَائِي الثَّوَابِ مِنْ غَيْرِ تَصْحِيحٍ وَلَا طَهَارَةِ
القلب ، وَلَا تَتَوَقَّى ؛ فَأَعْمَالُهُ تُوضَعُ فِي الخِزَانِ لِیُحْصَلَ (٤) مافي

(١) سورة الحاقة : آية ١٨

(٢) يومئذ تعرضون : أي على الله . لا تخفى منكم خافية ؛ أي هو العالم بكل شيء

من أعمالكم .

(٣) أصل الجُزَافِ : بيع الشيء لا يعلم كيلاه ولا وزنه . ويقال لمن يرسل كلامه

إرسالاً من غير قانون : جازف في كلامه ، فأقيم نهج الصواب مقام الكيل والوزن .

والمراد يعمل من غير هدف ، ولا دفع ؛ وإنما عمله بطبيعته .

(٤) حصل مافي صدره : مير ما فيها من خير وشر .

أو هي يحصل -- بضم الصاد : أي يظهر .

صدره يوم العرض ؛ فإن الله تعالى كان شاهداً عليه في وقت عمله ،
لا يخفى عليه شيء ؛ فقد قال الله جل ذكره (١) : (يعلم خائنة
الأعين وما تخفي الصدور . والله يقضي بالحق والذين يدعون من
دونه لا يقضون بشيء ؛ إن الله هو السميع البصير) (٢) .

والصادق يعرض على الله تعالى حين ينظر إليه ، فإذا وقعت
نظرته إليه أشرق لنظرته نور العمل ؛ فازداد نوراً ، وازداد قلب
العامل في الأرض نوراً ؛ لأن الأعمال ترفع إلى الله تعالى ، والنية فيه
باقية ، وهي أصل العمل التي منها بدأ العمل ؛ فمضى العمل إلى
الله تعالى .

وأصل العمل باق في القلب متصل بالعمل [٧٩] ، فإذا وقعت
نظرة الله على العمل فأشرق وازداد نوراً خالصاً ، وتآدى ذلك إلى
هذا الأصل فأشرق القلب بما تآدى من النور وهي النية - فهذا
شأن الصديقين والصادقين ، وهذا تفسير القبول .

(١) سورة غافر : آية ١٩ ، ٢٠

(٢) خائنة الأعين : الأعين الخائنة . قال ابن عباس : هو الرجل يكون جالسا مع
القوم فتمر المرأة فيسارقهم النظر . وما تخفي الصدور : وماتكنه وتضمه . والله يقضي
بالحق : يجازى من غض بصره عن المحارم ومن نظر إليها ؛ ومن عزم على الواقعة
الفواحش إذا قدر عليها . والذين يدعون من دونه : يعنى الأوثان . لا يقضون بشيء ؛
لأنها لا تعلم شيئاً ولا تقدر عليه ولا تملك .

وإنما قيل قبول ؛ لأنه عُرِضَ عَلَى اللَّهِ فَيَكُونُ فِي قُبَالَةٍ (١)
وَجْهَهُ الْكَرِيمِ حَيْثُ نَظَرَ إِلَيْهِ ، وَمَا لَمْ يُعْرَضْ عَلَيْهِ وَوُضِعَ فِي الْخَزَائِنِ
فَذَلِكَ لِتَخْلِيْطِ فِيهِ حَتَّى يُحْصَلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَإِنَّمَا يَظْهَرُ قَبُولُهُ
وَرَدُّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ وَهَذَا الَّذِي عُرِضَ قُبَالَةً وَجْهَهُ ظَهَرَ قَبُولُهُ فِي
الْحَالِ .

مثل الواعظ

مَثَلُ الْوَاعِظِ مِثْلُ رَجُلٍ يَنْفِخُ فِي كَبِيرٍ (٢) لَهُ ، فَعَلَى قَدْرِ قُوَّةِ
الْمِنْفِخِ (٣) وَقُوَّةِ الرِّيحِ الَّتِي فِيهِ تَصِلُ النَّفْخَةُ إِلَى تِلْكَ الْجَمْرَاتِ
حَتَّى تَتَوَقَّدَ تِلْكَ النَّارُ ، وَتُحْمَى جُدْرَانُهُ مِنْ حَوْلِ تِلْكَ النَّارِ ، وَيَتَلَطَّى (٤)
وَيُضِيءُ ذَلِكَ الْبَيْتَ ، وَيَذُوبُ مَا فِي الْكُورِ (٥) ذَهَبًا كَانَ أَوْ فِضَّةً
أَوْ نَحَاسًا أَوْ حَدِيدًا حَتَّى يَزُولَ عَنْهُ خَبْثُهُ (٦) ، وَتَبْقَى صَفْوَتُهُ (٧) ،

(١) قبالة - بضم القاف : تجاهه (القاموس) .

(٢) الكبير : زق الحداد الذي ينفخ به ، ويكون من جلد غليظ ، وله حافات ،
وجمه كبيرة وأكيار .

(٣) المنفخ : المنفاخ ، آلة النفخ .

(٤) يتلظى : يتوقد ، ويتلهب .

(٥) في الأصول كلها : الكير ونراه تحريفاً . والكور : مجمرة الحداد وقد سبق
معنى الكير .

(٦) خبث الحديد والفضة : مانفاه الكير إذا أذيبا ، وهو ما لا خير فيه (اللسان -

خبث) .

(٧) صفوته : خالصه .

فإن كانت المنفخة^(١) صغيرة لم يكن لنفخه قُوَّةٌ تؤدِّي إلى الجَمْرَةِ ،
فالجَمْرَةُ بحالها مع الرَّمَادِ والخُمُودِ ؛ وإن كانت المنفخة كبيرة ولكن
فيها خُرُوقٌ ، فكلما مدَّها حتى تَمْتَلئَ من الرِّيحِ ، فإذا عصرها خرجت
الرِّيحُ من تلك الخُرُوقِ ولم يتَّادَ إلى الجَمْرَةِ منه إلا قليلٌ ، فهي
بحالها جامِدةٌ ، ذاتُ رَمَادٍ ، لا تتلظى^(٢) ولا تُضيئُ البيتَ ، فإذا
لم يكن بها خُرُوقٌ ، والمنفخة كبيرةً ، والنافخُ ذاقوةً وصلت المنفخةُ
إلى الجَمْرَةِ فتوقَّدتْ وأضاءت البيتَ ، وحميت الجدرانَ ، واستحَرَ^(٣)
الوقودَ ، واستمدَّ ، وذابَ ما في الكورِ^(٤) ، ورمى بخبثه ، وصفى
الباقى - الذهبَ والفضةَ ؛ فصارت نُقْرَةً صافيةً تصلحُ للدِّراهمِ
والدنانيرِ ؛ فإذا ضربت كلَّ شَيْءٍ يَروِجُ في الأسواقِ .

فالوا عِظُ إذا وعِظَ مِنْ قَلْبِ عَالِمٍ لَكِنْ لَمْ يَكُنْ لِعِلْمِهِ سُلْطَانٌ
لَمْ تَصِلْ إِلَى الْقُلُوبِ نَفْخَتُهُ ، وَالْإِيْمَانُ فِي الْقُلُوبِ مِثْلُ الْجَمْرَةِ ،
وَالجَمْرَةُ إِذَا بَقِيَتْ فِي الشَّهَوَاتِ عَلاهَا غُبَارُ الشَّهَوَاتِ وَرَمَادُهَا ، فَإِذَا
لَمْ يَصِلْ إِلَى الْقَلْبِ نَفْخَةُ سُلْطَانِ الوَعِظِ - مِثْلَ النَّفْخِ إِذَا لَمْ يَصِلْ
إِلَى الْجَمْرَةِ بَقِيَتْ - ذَاتَ رَمَادٍ وَلَمْ تَتوقَّدِ ، وَإِنَّمَا يَسْتَمِعُ إِلَى

(١) المنفخة : آلة النفخ .

(٢) لا تتلظى : لا تتقد ولا تتوهج .

(٣) استحَرَ : اشتد .

(٤) في الأصول كليهما : الكير ، ونراه تحريفاً . والكور : محجمة الحداد . وقد

سبق معنى الكور في الصفحة السابقة .

ذلك أُذُنُ القَلْبِ ، وَاتَّعَظَ بِهِ سَاعَةً مِنَ النِّهَارِ ، ثُمَّ يَدْرُسُ (١)
ذِكْرَهُ وَيُعْطَى ؛ لِأَنَّ القَلْبَ لَمْ يَعْهِ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ سُلْطَانٌ ، فَتَنْفَذَ
الأُذُنُ إِلَى بَاطِنِهِ ، فَتَمْتَرُجُ بِنُورِ الإِيمَانِ ، فَيَشْتَمِلُ عَلَيْهِ الإِيمَانُ ،
فَذَاكَ وَعَاءُ القَلْبِ لِلْمَوْعِظَةِ .

فَإِذَا كَانَ لِعَلِمِهِ سُلْطَانٌ وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ لِقَلْبِهِ سُلْطَانٌ فَوَعِظَ بِهِ ،
وَنَظَرَ إِلَى نَفْسِهِ فِي ذَلِكَ الوَعِظِ ، فَرَأَى نَفْسَهُ فَوَعِظَهَا بِمَنْزِلَةِ المِنْفَخِ
الْكَبِيرِ الَّذِي فِيهِ خُرُوقٌ ، فَخَرَجَ الرِّيحُ مِنْ تِلْكَ الخُرُوقِ ، وَلَا يَصِلُ
إِلَى الجَمْرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُ ، وَالعِبَارُ وَالرَّمَادُ بَاقٍ عَلَى الجَمْرَةِ وَالبَيْتِ
مَظْلَمٌ ، وَلَا تَحْمَى الجُدْرَانُ ، وَلَا يَذُوبُ مَا فِي الكُورِ ، فَلَا يُزَايِلُ (٢)
الخَبَثُ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ .

فَإِذَا كَانَ عِلْمُ الوَاعِظِ ذَا سُلْطَانٍ وَعَنْ قَلْبِ ذِي سُلْطَانٍ ، نَاطِرًا
بِنُورِ ذَلِكَ السُّلْطَانِ إِلَى جَلَالِ اللَّهِ الَّذِي مِنْهُ بَدَأَ (٣) ذَلِكَ السُّلْطَانِ فِي
قَلْبِهِ طَارَتْ عَنْ عَيْنِي فَوَادِهِ رُؤْيَا نَفْسِهِ ، وَقَطَعَهُ شُغْلُهُ بِجَلَالِ اللَّهِ
عَنِ الِاتِّفَاتِ إِلَى النَّفْسِ ، وَزِينَتِهَا فِي ذَلِكَ يَقِينُهَا ، فَادَّتْ ذَلِكَ
الْوَعِظَ مَعَ سُلْطَانِهِ إِلَى القُلُوبِ ، وَرَمَى كُلَّ غُبَارٍ وَرَمَادٍ عَلَى جَمْرَةِ
الإِيمَانِ ؛ لِأَنَّ الشَّهَوَاتِ لِابْقَاءِهَا مَعَ السُّلْطَانِ .

(١) يدرس : يمحي .

(٢) يزاييل : يفارق .

(٣) بدا : ظهر .

وَإِذَا أَوْرَدَ الْقَلْبُ سُلْطَانَهُ عَلَى الصِّدْرِ خَافَتِ النَّفْسُ فَسَكَنَتْ عَنْ تَلْظِيهَا ، فَانْقَطَعَ دُخَانُهَا ، وَانْكَشَفَتِ الْجَمْرَةُ عَنْ غَطَائِهَا وَغُبَارِهَا ، فَتَلَطَّتْ ، وَأَضَاءَ الصِّدْرُ ، وَاسْتَحَرَّ الْقَلْبُ ، فَأَبْصَرَتْ أَعْيُنُ فُؤَادِ السَّامِعِينَ الَّذِينَ خَلَصَتْ إِلَى قُلُوبِهِمُ النَّفْخَةُ - صُورَةٌ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي وَصَفَهَا الْوَاعِظُ ؛ فَصَارَتْ أُمُورُ الْآخِرَةِ مُعَايِنَةً عَلَى تِلْكَ الْقُلُوبِ ، فَأَجَابَتِ الْقُلُوبُ مِنْهُمْ وَالنَّفُوسُ إِلَى مَا دَعَوْا إِلَيْهِ ، مِنَ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ لِلَّهِ تَعَالَى ؛ فَمَا دَامَ الْوَاعِظُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَاجَابَةُ الْقُلُوبِ لَهُ خَوْفًا وَإِلْقَاءً بِالْيَدَيْنِ سَلْمًا ؛ لِأَنَّهُ وَصَلَ إِلَى قُلُوبِهِمْ خَوْفُ السُّلْطَانِ الَّذِي كَانَ فِي قَلْبِ الْوَاعِظِ ، فَصَارَ كَالنَّافِخِ بِالْكَبِيرِ بِالْمِنْفَخِ الْكَبِيرِ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ خَرُوقٌ ، وَلَكِنْ مَعَ هَذَا لَا يُؤْمَنُ عَلَيْهِمُ الْارْتِدَادُ عَلَى الْعَقَبِينَ ، وَالرَّجُوعُ عَنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ إِلَى إِجَابَةِ النَّفُوسِ ، إِذَا سَكَنَ عَنْهُمْ الْخَوْفُ دَعَتْهُمْ إِلَى فِتْنَةٍ تَعْرِضُ لَهُمْ مِنَ الشَّهَوَاتِ بِشَيْءٍ .

فَإِذَا انْتَقَلَ الْوَاعِظُ عَنْ هَذِهِ الدَّرَجَةِ إِلَى دَرَجَةٍ أَعْلَى مِنْ هَذِهِ حَتَّى وَلَجَ ^(١) مَنَازِلَ الْمُحِبِّينَ ، وَوَصَلَ إِلَى الْمَلِكِ ، وَاحْتَضَى ^(٢) مِنْ مَجَالِسِ مَلِكِ الْمَلِكِ ، وَشَرِبَ مِنَ الْكَأْسِ الْأَوْفَى ^(٣) مِنْ شَرَابِ خَالِقِهِ ، وَهُوَ شَرَابُ الْمَحَبَّةِ ؛ وَهُوَ حُبُّ اللَّهِ لَهُ ، لِاحِبِّهِ لِلَّهِ ، صَارَ عِلْمُهُ

(١) ولج : دخل .

(٢) احتضى : حظى ، ونال الحظوة ، والحظ .

(٣) الأوفى : الكامل .

ذَا سَلْطَانَ ؛ لِأَنَّهُ يُعَايِنُ بِفُؤَادِهِ عَمَّا يَنْطِقُ بِهِ ؛ فَتَلِكَ الْأَنْوَارُ سَلْطَانَ
عَلَيْهَا ، فَإِذَا وَعَظَ كَانَ وَعْظُهُ رِيَّاحَ مَنَافِيحِهِ ^(١) مِنْ مَلِكِ الْأَلْوَاهَةِ ، وَمِنْ
مَلِكِ الْحَبِّ ، وَمِنْ مَلِكِ اللَّهِ .

وَإِذَا وَصَلَتْ إِلَى الْقُلُوبِ صَارَتْ مَوْعِظَتُهُ قَيْدًا لِلْقُلُوبِ ؛ وَلَيْسَ
هَذَا الْعَبْدُ التَّفَاتُ إِلَى النَّفْسِ ، وَلَا لِلنَّفْسِ مَهْرَبٌ أَيْضًا .

فَالْأَوَّلُ رِيَّاحُ مَنَافِيحِهِ ^(١) مِنْ مَلِكِ الْجَلَالِ ؛ فَخَافَتْ الْقُلُوبُ ،
وَوَجِلَتْ ^(٢) ، وَخَمَدَتْ شَهْوَاتُ النَّفْسِ مِنَ الْخَوْفِ .

فَإِذَا كَانَ حَدَثٌ أَوْ فِتْرَةٌ ^(٣) دَرَسَ ^(٤) هَوْلُ الْخَوْفِ ؛ فَأَظْلَعَتْ
النَّفْسُ رَأْسَهَا ؛ لِأَنَّ الْخَوْفَ يَسْكُنُ النَّفْسَ ، وَيُخَمِّدُ الشَّهْوَاتِ ،
وَلَا يَقِيدُ .

وَالْحَبُّ يَقِيدُ الشَّهْوَاتِ عَنِ طِبَائِعِهَا ؛ فَتَضَاعَفُ كُلُّ شَهْوَةٍ مِنَ
اللَّذَةِ أَوْ ضَعُفًا بِحَلَاوَةِ الْحَبِّ ، فَيَتَعَلَقُ الْقَلْبُ بِتَلِكِ الْحَلَاوَةِ ، وَيَشْتَمِلُ
عَلَيْهِ ، وَالتَّرَقُّتُ النَّفْسُ بِالْقَلْبِ لِمَا وَجَدَتْ مِنَ اللَّذَّةِ ، وَمَا يُحِيطُ بِهِ
مِنْ نُورِ الْعِظْمَةِ حَارِسًا لِلْحَبِّ ، حَتَّى لَا يَحْدُثَ مِنَ النَّفْسِ ، فَتَتْرَكَ
الْأَدَبَ ؛ وَصَارَ الْقَلْبُ مَقِيدًا بِحَلَاوَةِ الْمَحَبَّةِ .

(١) منافع : جمع منفخة ، آلة النفخ .

(٢) وجلت : خافت .

(٣) فترة : ضعف ولين أو انقطاع .

(٤) درس : امحى .

مثل المدعو الى دار السلام

مثل^(١) المدعو إلى دار السلام فأجاب مثل رجل دعى إلى عرس فأجاب ، فلما نظر إلى نفسه رأى في نفسه هيئة ، فعلم أن ليس له مع هذه الهيئة مكان في ذلك العرس ، ولا يترك للدخول ثمّة^(٢) ؛ لأنه نظر إلى شعر وسخ دلتف برأسه ، ولحيته غيرها الدخان حتى اصفرّت ؛ وإلى أظفير قد طالت ، وبراجم^(٣) قد توسّخت ؛ ودرنت^(٤) ، وثياب دنسة ، وخلقمان^(٥) ، ورائحة منكّرة ؛ ومع هذا كله قد بات في المزابل ؛ فأنقطع طمعه من أن يترك للدخول في تلك الدار بهذه الهيئة ؛ فكيف يطمع أن يدخل دار السلام ودار الجلال مع أوساخ الذنوب وادناس العيوب ، ودرن الخطايا ،

(١) في سورة يونس ، آية ٢٥ : والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم . ودار السلام : الجنة . وقال قتادة والحسن : السلام : هو الله ، وداره الجنة .

وسميت الجنة دار السلام ؛ لأن من دخلها سلم من الآفات . وقيل : دار السلام هي دار السلامة ، فالسلام والسلامة بمعنى . وقال يحيى بن معاذ : يابن آدم ، دعاك الله إلى دار السلام فانظر من أين تجيبه ؟ فإن أجبت من دنياك دخلتها ، وإن أجبت من قبرك منعها .

(٢) ثمّة : هناك .

(٣) البراجم : رعوس عظام الأصابع من ظهر الكف ، إذا قبض الشخص كفه

ارتفعت .

(٤) درن الثوب : وسخه .

(٥) خلق الثوب : إذا بلى ، فهو خلق .

وَتَن [٨٠] المعاصي ، وأقذار السيئات ؛ وهو يعلم أنه حين يدعى إلى عرس الدنيا أنه يأخذ من شعره ، وينقى من درنه ، ويغسل رأسه ولحيته ، ويقلّم أظفيره ، ويغسل ثيابه ، ويتطيب ويتزين ؛ فإذا نظروا إليه مع هذه الهيئة أخذوا بيده ، وأدخلوه ، وأجلسوه على الصدر ، ورقوا^(١) به على معالي الوسائد^(٢) ؛ وصاحب العرس عالم بما كان فيه من هيئة بالأمس ، فيعلم أن هذا إنما هيا^(٣) لعرسه ، فيكرمه غاية الكرامة .

فهذا مثل عبد تائب قد أزال عن نفسه الفضول من كل شيء ، لم يطلق له الشرع^(٤) . وهي المعاصي ؛ وتآدب بأدب الإسلام ، وتزين بالزهادة^(٥) والتقوى ، وتطيب بصدق الباطن من صحة النية ، وإخلاص العبودية ، وبذل النفس لله ، ومحاسن الأخلاق ؛ وكان ولياً من أولياء الله تعالى ، فقدم على ربه وقد سبقت هذه المحامد مذموماته ؛ فغفر له مغفرةً لا يبدي^(٦) له شيئاً من سالف^(٧)

(١) رقوا به : ارتفعوا .

(٢) معالي الوسائد : الوسائد العالية .

(٣) في ١ : هنا .

(٤) الشرع : جمع شراع .

(٥) الزهادة : الزهد .

(٦) لا يبدي : لا يظهر .

(٧) سالف : سابق .

سَيِّئَاتِهِ ، وَجَادَ عَلَيْهِ بِفَضْلِهِ الَّذِي سَهَّلَ لَهُ سَبِيلَ الشَّفَاعَةِ فِي عَدَدٍ كَثِيرٍ
مِنْ خَلْقِهِ .

فَالَّذِي صَارَ إِلَى ذَلِكَ الْعُرْسِ بِتِلْكَ الْهَيْئَةِ الْقَبِيحَةِ مُنْعَ فِي الطَّرِيقِ
عَنْ أَنْ يَأْتِيَ الْبَابَ ، وَجَلَسَ هُنَا لِكَ لِيَأْخُذَ مِنْ شَعْرِهِ وَنَشْرَهُ (١) ،
وَكَلَّ فُضُولَ أُتِيَ بِهِ ، فَإِذَا أَزَالَ مِنْ نَفْسِهِ تِلْكَ الْفُضُولَ أُتِيَ بِهِ
بَعْدَهُ فِي الْمَجْلِسِ وَالْمَائِدَةِ ؛ فَالَّذِي صَارَ إِلَى الْعَرَضَةِ مَعَ هَذِهِ الْهَيْئَةِ السَّيِّئَةِ
مُنْعَ عَنْ دَارِ السَّلَامِ ، وَبَقِيَ فِي مَجْلِسِ الصِّرَاطِ ، حَتَّى تَأْخُذَ النَّارُ مِنْ
شَعْرِهِ وَنَشْرِهِ أَكْلًا أَكْلًا ، وَحَرَقًا حَرَقًا ، كَلَّمَا احْتَرَقَ عَادَ كَمَا
يُرَى لَهُ حَتَّى يَأْخُذَ الْحَقُّ مِنْهُ مَا وَجِبَ لَهُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ تُدْرِكُهُ الرَّحْمَةُ
مِنْ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ ، فَيَتَخَلَّصُ فَيُكْسَى وَيُطَيَّبُ ، فَيَذْهَبُ إِلَى
دَارِ السَّلَامِ .

مَثَلُ الَّذِي يَنْطِقُ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ وَيَدْعُوهُ بِهَا وَيَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ
وَلَيْسَ لَهُ نُورٌ تِلْكَ الْأَشْيَاءُ

مَثَلُ الَّذِي يَنْطِقُ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَيَدْعُوهُ بِهَا ، وَيَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ
تَعَالَى ، وَلَيْسَ لَهُ نُورٌ تِلْكَ الْأَشْيَاءُ فِي صَدْرِهِ ، كَمَثَلِ شَرَرِ الْحَدِيدَةِ
الْمُحْمَاةِ إِذَا ضُرِبَتْ بِالْمِطْرَقَتَيْنِ ، فَرَمَتْ بِالشَّرَرِ ، ثُمَّ يَنْطَفِئُ مِنْ

(١) النشْر - مخرجة : المنتشر ، المتفرق .

ساعته ، وليس له لهبان^(١) ولا حرارة ولا ضوء يضي بها .

كذا الناطق بهذه الأسماء ، والتالى لكتاب الله تعالى إذا أخرج الكلمات من صدر تَلَطَّخَ^(٢) بالشهوات لا يكون لكلماته من النور ما ينفذ شعاعه فيسطع ضوءه .

فالناطق الذى له نور في قلبه كمثل نفاط^(٣) رمى بنفط ، وكحريق اشتعل ناراً ، فأحرق ما حوله ، ووسطع ضوءه ، فأضاء كل شىء . وإن لكل حرف من كلامه نورا ، وما أنزل على عبده فإنما أنزل مع النور ، فإذا دنا من الصدر استقبلته أدناس الشهوات ، وظلمة أهوى ، والحرص والرغبة ، والكبر والحمية^(٤) ، والحسد والبغى ، والتعجز والتعزز ، والتملق والافتقار ، والعلو والتيه والتعظيم - رجع النور كأنه يقول : هذا ليس بمكانى ، إنما أحل بصدر طهر عن هذه الظلمات والأقذار ، فهناك محله ، ومعدنى يقف خارجا يلتمس صدرا بريئا من هذه الأشياء ، فمن احتمل علم هذه الأشياء علم الحروف ، ثم أخذها بالصوت بكلمات ، فذاك العالم .

(١) اللهب : اللهب ، واشتعال النار إذا خلص من الدخان .

(٢) تلطخ : تلوث . ولطخه بسوء : رماه به .

(٣) النفط : ما توقد به النار ويضاء به . النفاط : من يرمى بالنفط .

(٤) الحمية : الأنفة ، والاستنكاف ، والاستكبار .

العلم علمان :

أترى مقاله عليه السلام : العلم علمان ؛ فعلم على اللسان ،
وذلك حجة الله تعالى على خلقه . وعلم على القلب ، فذلك العلم
النافع .

فمن احتل في صدره علم هذه الأشياء بلا نور فهذا علم
الذهن تلقاه تعلمًا وتحفظًا ؛ فهو على لسانه ، ولطائف الحروف
ومعانيها هو محجوب عنها ومستورة عنه ؛ فإذا لفظتها^(١) شفتاه ، وهو
الحروف ، فهو كالشرر يخمد وينطفئ من ساعته فلا يرتفع ،
ولا يضيء الصدور ، ولا يحرق الشهوات ، ولا رين^(٢) الذنوب من
خوفه ؛ والذي راض نفسه حتى تطهر من تلك الأدناس ، وزايلته^(٣)
تلك الظلمات ، فخلا صدره من ذلك ، فطاب وطرب وطهر ؛ فجاء
النور فوجد مكانا قد طاب وطهر ؛ وطهارته من تقواه من هذه
الأشياء في تقواه ، وطيبه من حياة القربة ؛ وذلك أن العبد كلما ازداد
طهارة من هذه الأشياء ازداد قربة ، وكلما ازداد قربة ازداد حياة
قلبه ؛ لأنه إنما يحيا قلبه بالحى الذى لا يموت .

فصاحب هذا إذا وجد ذلك النور مثل هذا الصدر وكج^(٤) فيه

(١) لفظتها : تلفظت بها . وفي الأصول كلها : شفتيه ، ونراه تحريفا .

(٢) الرين : الدنس ، وإن ذنبه على قلبه رينا : غلب (القاموس) .

(٣) زايلته . فارقته .

(٤) وكج : دخل .

نور ذلك الكلام ؛ فإذا نطق به خرج منه الشعاع الساطع^(١) ،
فأحرق ما في الجوف ، فأضاء البيت ؛ بمنزلة ذلك الحريق الذي
أحرق ما حوله . وأضاء الفضاء ؛ فذاك العلم النافع الذي قاله صلى
الله عليه وسلم .

آدم لما أهبط الى الأرض :

وروي في الحديث أن آدم صلوات الله عليه لما أهبط إلى الأرض
ابتلى بالحرق والنسج ؛ فقال : يارب ، شغلتنى بهذا ، وقد كنت
أسمع تسبيح الملائكة ومحامدهم ؛ فأوحى الله تعالى إليه أن قل
الحمد لله حمداً يوافق نعمة ، ويكافى مزيده ؛ فإنك إذا قلت هذا
غلبت جميع الخلق في المحامد والتسبيح .

دواوين ثلاثة :

وإنما غلب الخلق لأن العبد في أثقال النعم ، ولا ينفك منها
إلا بالحمد ، فيحتاج لكل نعمة إلى حمد ليتخلص منها .
وديون النعم غير ، وديون الحساب غير ، وديون السيئات
غير ، وديون مظالم العباد غير ؛ فينشر على العبد يوم الحساب
دواوين ثلاثة ، كذا جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فكان العبد محتاجاً عند كل نعمة إلى حمد ، فتفضل الله عليه ،
وأعطاه كلمة جامعة تتشعب تلك الكلمة وتتجزأ عدد كل نعمة

(١) الساطع : المرتفع .

لله عليه حتى تذهب إلى كل نعمة فتلتزمها : حتى إذا وقف غداً بين
يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَيَنْشُرُ عَلَيْهِ دِيْوَانَ النِّعْمَةِ ، وَجَدَ عِنْدَ كُلِّ نِعْمَةٍ
نُورًا قَدْ لَزِمَهَا ؛ وَذَلِكَ نُورُ الشُّكْرِ ، نَطَقَ بِحَمْدِهِ هَاهُنَا جَمَلَةٌ ، فَتَوَزَّعَ
وَانْقَسَمَ بِأَجْزَائِهَا عَلَى جَمِيعِ النِّعَمِ ؛ فَكَأَنَّهُ يَقُولُ جَلَّ ذِكْرُهُ عَلَى
وَجْهِ الْمُبَاهَاةِ (١) : مَلَائِكَتِي ، هَذَا عَبْدٌ خَلَقْتَهُ مِنْ تُرَابٍ ، فَبَلَغَ مِنْ
مَعْرِفَتِهِ إِيَّايَ أَنْ شَكَرَنِي عَلَى كُلِّ نِعْمَةٍ ؛ فِيرَى الْمَلَائِكَةُ نِعْمَتَهُ ، مَعَ
كُلِّ نِعْمَةٍ نُورٌ قَدْ لَزِمَهَا ؛ وَهُوَ نُورُ شُكْرِ الْعَبْدِ مِنْ تِلْكَ النِّعْمَةِ الَّتِي
قَدْ نَطَقَ بِهَا ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : فَهَذَا لِلنِّعْمَةِ الَّتِي وَجَّهْتُ إِلَى عَبْدِي ،
وَهَذَا النُّورُ الَّذِي وَجَّهْتُ عَبْدِي إِلَيَّ لَمَّا تَوَجَّهْتُ إِلَيْهِ ، فَعَلِمُوا بِذَلِكَ
لِلْعَبْدِ عَلَى رُغُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَئِذٍ بِتِلْكَ الْمُبَاهَاةِ ؛ لِأَنَّهُ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ
حَمْدًا يُؤَافِي نِعْمَتَهُ ، وَيُكَافِي مَزِيدَهُ ، أَوْفَى (٢) حَمْدُهُ نِعْمَتَهُ ، فَلَقِيَ
كُلَّ نِعْمَةٍ جِزْءٌ مِنْ ذَلِكَ الْحَمْدِ ، وَبَقِيَ لِلْمَزِيدِ أَجْزَاؤُهُ حَتَّى يَكْفِيَتْهَا بِهَا
يَوْمَ الْمَزِيدِ وَالزِّيَادَةِ ؛ فَإِذَا لَقِيَ الْعَبْدُ لَقِيَ مِنْ نُورِهِ ، وَكَذَا لَقِيَ الْحَمْدَ
وَلَقِيَهِ بِأَجْزَاءِ الْمَكْفَاةِ ، وَهُوَ حُبُّهُ ؛ لِأَنَّ الْعَبْدَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يُكَافِيَ
رَبَّهُ [٨١] عَنْ رُؤْيَيْتِهِ وَالنَّظَرَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ إِلَّا بِحُبِّهِ إِيَّاهُ ؛ فَإِنَّمَا حَمْدُهُ
الْعَبْدُ بِهَذَا الْحَمْدِ الَّذِي لَهُ مِنْ نُورِ الْحُبِّ مَا يَتَجَزَّأُ ، فَيَلْحَقُ كُلَّ جِزْءٍ
مِنْهُ كُلَّ نِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ فَتَلْزِمُهَا ، وَيَلْحَقُ أَجْزَاءَ الْمَزِيدِ فَيَقُومُ ،

(١) يباهى : يفاخر .

(٢) أوفى : عدل وساوى .

حتى إذا برز للخلق يوم الزيادة ؛ ولقيته العبد بحبه مكافئاً لما صنع
الرب من رفع الحجاب ، وإظهار جلاله على عبده ؛ فهذه كلمة
قد ملأت الدنيا والآخرة ؛ فلذلك قال لآدم عليه السلام : إذا قلت
هذا فقد غلبت جميع ما خلقت ؛ فإنما عظم ذلك ، لأن الكلام حين
جاءه جاء مع النور ، وولج^(١) صدره مع نور الكلام ، فلما نطق به
خرج من النور والشعاع ما وسع النعم أجزاءه ، وبقي المكافأة يوم
المزيد ما يكون كفاؤه^(٢) ، والذي لم يتطهر من هذه الأدناس
فإنما في صدره من علم الحروف المؤلفة ؛ فتلك الكلمة والصوت
الذي يبرزها^(٣) به فإنه قوة لتلك الحروف ، حتى تتجزأ ؛ فيلحق
كل نعمة ويلزمها ؛ وإنما ثبات العبد على النطق ؛ فإنه قد أعمل
العبد جوارحه^(٤) في الطاعات ، وأثقال النعم والشكر باقية عليه .

نشر ديوان النعم :

فإذا وقف بين يدي الله تعالى ، ونشر ديوان النعم وجدت النعم
نخالية من أنوار الشكر ، فاستحي من لهوه وغفلته وبطالته^(٥) ؛
فيبقى في شكر النعمة ، والنعمة تقتضي شكره ، فحينئذ إما معذب

(١) ولج : دخل .

(٢) كفاؤه : ما يكون مكافئاً له .

(٣) يبرزها . : يظهرها .

(٤) جوارحه : أعضائه .

(٥) يقال بطل الأجير من العمل فهو بطل بين البطالة .

وإِذَا مَغْفُورٌ ؛ فَأَعْطَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ جُمْلَةَ الْكَلَامِ ، وَأَعْطَاهُمْ شُكْرَ
النَّعْمِ كَلِمَةً ؛ فَلَحِقَ نَوْرُهَا جَمِيعَ النَّعْمِ بِأَجْزَائِهَا ؛ فَصَارَتْ كُلُّ
كَلِمَةٍ مَقْرُونَةٌ بِهَا شُكْرَ الْعَبْدِ .

كَلِمَاتُ أَعْطَاهَا اللَّهُ الْعَبْدَ :

فَأَعْطَاهُمْ لِنَفْيِ الشَّكِّ كَلِمَةً صَارَتْ مَقْرُونَةٌ بِكُلِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ
تَعَالَى لِلْعِبَادِ ، نَافِيَةٌ لِلشَّكِّ عَنْهُ ؛ وَهِيَ كَلِمَةُ الشَّهَادَةِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ .

وَأَعْطَاهُمْ لِتَنْزِيهِهِ كَلِمَةً : سُبْحَانَ اللَّهِ ، فَصَارَتْ مَقْرُونَةٌ بِكُلِّ
مَدِيحٍ إِلَيْهِ ، فَإِذَا سَبَّحَهُ بِحَمْدِهِ فَقَدْ أَتَى بِجَمِيعِ الْمَحَامِدِ .

وَأَعْطَاهُمْ لِذِلَّةِ الْعِبُودَةِ ^(١) كَلِمَةً ؛ وَهِيَ قَوْلُ : اللَّهُ أَكْبَرُ ؛
فَإِذَا كَبَّرَهُ فَقَدْ تَوَاضَعَ ، وَأَلْقَى بِيَدَيْهِ سَلْمًا .

وَأَعْطَاهُمْ لِلقُوَّةِ عَلَى هَذِهِ الْأَشْيَاءِ كَلِمَةً ؛ وَهِيَ قَوْلُ الْعَبْدِ :
لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ؛ فَإِنَّمَا تَخْرُجُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مِنَ الْعَبْدِ مَعَ
نُورِ الْكَلِمَةِ حَتَّى يَعْمَلَ بِعَمَلِهَا ، وَيَبْلُغَ مَبْلَغَهَا ؛ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ :
الْحَمْدُ لِلَّهِ - فَإِنَّمَا هِيَ كَلِمَةٌ جَمْلَةٌ ؛ فَإِذَا شَرَطَ وَأَشَارَ إِلَى شَيْءٍ مَوْصُوفٍ
فَقَالَ : حَمْدًا يُؤَافِي ^(٢) نَعْمَهُ - خَرَجَتْ الْكَلِمَةُ بِنُورِهَا .

(١) الْعِبُودَةُ : الطَّاعَةُ .

(٢) يُؤَافِي : يَعَادِلُ وَيَسَاوِي .

فمن كان له ذلك النور ، فتوزعت وانقسمت على جميع نعم الله تعالى ، فلحقت كل نعمة قسطها ^(١) فلزمتها ، فيتخلص من أثقال النعم ؛ لأن الله تعالى قال في تنزيله ^(٢) : (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) .

فإذا عجز العبد عن عد النعم لم يخصها ، فعلمه كلمة تلحق بأجزائها كل نعمة على حدتها ، فوافقها حتى اقترنا : كل نعمة وشكر العبد مقرون بها لما نطق بهذه الكلمة .

وهذا الكلام إنما يخرج من هذه الأفواه حروفا مؤلفة ، والأنوار كسوتها معها نزلت للعباد من السماء ، والعباد متفاوتون في النطق بهذه الكلمة كالشأن في الأنوار .

مثل ذلك مثل الخواتيم :

ومثل ذلك مثل الخواتيم ^(٣) ، فليس بين خواتيم الناس كثير تفاوت ؛ فإن أكثرها فيما بين مثقال ومثقالين ؛ فعامة أوزانها بهذا القدر من الفضة أو من الذهب ، إنما الشأن في الفصوص التي تباينت ^(٤) جواهرها : فرب جوهر فص لخاتم لا يساوي درهما ،

(١) القسط : الحظ والنصيب .

(٢) سورة إبراهيم ، آية ٣٤

(٣) جمع خاتم ؛ وهي حلى للإصبع .

(٤) تباينت : اختلفت .

وَرُبَّ فَصٍّ تَبْلُغُ قِيَمَتَهُ آلاَفاً مِنَ الدَّرَاهِمِ وَالذَّنَانِيرِ . فَكَذَا النُّطْقُ^(١)
هَذِهِ الْكَلِمَاتِ مُتَّفَاوِتٌ فِي إِبْرَازِهَا لَفْظاً وَقِرَاءَةً وَدُعَاءً ؛ وَلَكِنِ التَّفَاوِتُ
فِي الْمَعَادِنِ الَّتِي فِيهَا هَذِهِ الْأَنْوَارُ ، وَعَلِمَ هَذَا الْكَلَامُ .
وَتَفَاوِتٌ هَذَا أَكْثَرُ مِنْ تَفَاوِتِ الْفُصُوصِ أَضْعَافاً ؛ فَكَلِمَةٌ
تَخْرُجُ مِنْ قَلْبٍ ، مَعْدِنُ ذَلِكَ الْقَلْبِ الدُّنْيَا ، فَذَلِكَ يَبْغِي بِهِ الثَّوَابَ .
وَكَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ قَلْبٍ ، مَعْدِنُ ذَلِكَ الْقَلْبِ الْعُقْبِيُّ^(٢) . وَكَلِمَةٌ تَخْرُجُ
قَلْبٍ ، مَعْدِنُ ذَلِكَ الْقَلْبِ الْمَلَكُوتِ . وَكَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ قَلْبٍ ، مَعْدِنُ
ذَلِكَ الْقَلْبِ مَالِكُ الْمَلِكِ بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ فَإِنَّمَا اسْتِنَارَ قَلْبُهُ بِذَلِكَ النُّورِ ،
وَكَلُّ كَلَامٍ يَخْرُجُ مِنْهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ .

مَثَلُ الْغَافِلِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى

مَثَلُ الْغَافِلِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى مَثَلُ رَجُلٍ أَخَذَ الْمَلِكُ بِيَدِهِ ، فَطَافَ
بِهِ فِي قَصُورِهِ وَبِسَاتِينِهِ وَمُنْتَزَهَاتِهِ حَتَّى عَايَنَ مَا فِيهَا ، ثُمَّ أَدْخَلَهُ فِي
خَزَائِنَتِهِ ؛ فَطَافَ بِهِ ، فَأَرَاهُ جَمِيعَ مَا فِي خَزَائِنَتِهِ ، ثُمَّ أَفْشَى إِلَيْهِ
أَسْرَارَهُ الَّتِي تَكُونُ فِي عِدَادِ الثَّوَابِ وَالدرجاتِ وَأَسْرَارِ تَدْبِيرِ الْمَلِكِ ،
أَرَادَ بِذَلِكَ أَنْ يَتَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِهِ ، وَتَطْمَئِنَّ إِلَيْهِ نَفْسُهُ ، وَيَكُونَ مِنْ
خَوَاصِّ خَدَمِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، لَا يَبْرُحُ مِنَ الْخِدْمَةِ ؛ فَتَعَلَّقَ بِهِ قَلْبُهُ ،
وَأَنْدَسَ فِي أُمُورِهِ ، وَلَزِمَ بَابَ الْمَلِكِ . وَنَسِيَ أَحْوَالَ نَفْسِهِ ، فَلَوْ وَسَّعَ

(١) فِي ١ : الْمَنْطِقُ .

(٢) الْعُقْبِيُّ : الْخِزْيَانِيُّ .

عليه بعد ذلك ، أو ضيق ، أو بره أو منعه بره ، لم يبرح الباب ،
لما طلع عليه من أسراره ؛ لأنه عرفه معرفة لا تتهمه (١) في المنع
والضيق .

وآخر فتح له الباب ، فوقف به على الباب ولم يطف به ولا أطلعه
على أسراره ، وبقي على الباب ليس له دخول على الملك ولا معه سر
ولا شيء ؛ فإذا هذا الشيء أحله هذا المحل ، خرج من الباب ، وقام
مع ذلك الذي لا يؤذن لهم بهذه الكرامات ، فأعجب العقلاء من
فعل هذا - أن الملك اختارك من الجميع ، وعطف عليك ، وأظهر
عليك محبته ، وعليك بسط رأفته وشفقته ، وآثرك (٢) على هذا
الملا (٣) الكثير ؛ فأخذ بيدك من جملة من جملتهم ، واستخرجك وخلصك
من بينهم ليطوف بك في قصوره ، وليطلعك على أسراره ، واختارك
لكشف أسراره عليك في تدبير المملكة ؛ فتركت ما هنالك ، ووليت
معرضاً لم تر شيئاً ، وأقبلت على فهم نفسك تتشبه في سيرتك
وآدابك وأعمالك بهذا المخدول المطرود المحروم على الباب الذي
لم يعبأ به ، كأن جميع ذلك عندك لا شيء ؛ وتركهم كأنهم في مفازة
حيارى ، ثم لم يزلوا في أعمالهم حتى أوقعهم في أرض شاكة (٤)

(١) في ا : لاتهم . وفي ب : تهمه .

(٢) آترك : فضلك .

(٣) الملا : الجماعة .

(٤) شاكة : كثيرة الشوك .

مَلْتَفَّةً أَشْجَارَهَا ، حَدِيدَةً شَوْكَهَا ؛ فَهَمُ فِي فَيَافٍ ^(١) جِيَاعِ عِطَاشٍ
جَرَحِيٍّ مِنْ ذَلِكَ الشَّوْكِ وَالْحَسَكِ ^(٢) ؛ فَمَا الَّذِي يُؤْمِنُكَ أَنْ يَرْمِيَ
بِكَ الْمَلِكُ لَتَشْبِيهِكَ بِهِمْ فِي آدَابِهِمْ وَسِيرَتِهِمْ ، فَيُنَحِّيكَ ^(٣) إِلَى الْبَابِ ،
وَيَسُدَّهُ عَنْكَ ، حَتَّى تَقَعَ فِي مَفَازَةِ الْحَيْرَةِ وَالْأَرْضِ الشَّاكَةِ .

فَرَبَّنَا جَلَّ جَلَالُهُ خَلَقَ دَارًا ، فَحَشَاهَا بِالرَّحْمَةِ ، وَمَلَأَهَا بِسَاتِينَ
وَنَعِيمًا وَرِيَاضًا ^(٤) ، وَقُصُورًا ، وَأَعَدَّهَا لِعِبَادِهِ ، وَخَلَقَ سِجْنًا ،
فَحَشَاهَا بِسُلْطَانِهِ وَغَضَبِهِ ، وَمَلَأَهَا بِعَذَابِهِ ، وَأَعَدَّهَا لِلذَّاهِبِينَ
يُرْقَابِهِمْ ، وَأَظْهَرَ مِنْ مُلْكِهِ فِي مَلَكُوتِ عَرْشِهِ ، وَلَا حَاجَةَ لَهُ إِلَى
شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ؛ إِنَّمَا فَعَلَ هَذَا كُلَّهُ مِنْ أَجْلِ الْآدَمِيِّينَ مِنْهُ ، [٨٢]
فَاخْتَارَ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ مِنْ عِبَادِهِ وَاحِدًا ، فَفَتَحَ الْبَابَ لَهُ حَتَّى عَايَنَ
هَذِهِ الْأَشْيَاءَ ، وَتَرَكَ الْبَاقِينَ فِي مَفَازَةِ الْحَيْرَةِ الشَّاكَةِ وَهِيَ الْمَعَاصِي ؛
فَتَرَدُّوا ^(٥) فِي آبَارِ الْكِبَائِرِ وَجُرْفِ الْجَبَابِرَةِ ، وَيَرْتَعُونَ فِي الْقَاذِرَاتِ
وَالْكُنَّاسَاتِ ، فَإِذَا كَانَ هَذَا الْوَاحِدُ الْمَخْتَارُ الْمَفْتُوحَ لَهُ الْبَابَ ،
وَالْمَقْبُولُ فِي الدَّارِ ، وَالْمُطَّلِعُ عَلَى الْخَزَائِنِ وَالْأَسْرَارِ - أَحْمَقَ لَهَا عَنْ

(١) الفيافي : جمع فيفاء ؛ الصحارى . والمكان المستوى ، والمفازة لاماء فيها .

(٢) الحسك - محركة : نبات تتعلق ثمرته بصوف الغنم ، وورقه كورق الرجلة
وأدق ، وعند ورقه شوك صلب ذو ثلاث شعب .

(٣) ينحيك : يبعدك . (٤) رياض : جمع روضة : الحديقة .

(٥) تردى : سقط .

فَتَحَّ البَابَ وَعَمَّا اطَّلَعَ عَلَيْهِ وَرَجَا فِيهِ - خَرَجَ مِنَ الدَّارِ ، وَأَقْبَلَ
عَلَى ظُلْمَاتِ نَفْسِهِ الخَائِنَةِ ، وَغَرَّهُ العَدُوُّ ، وَأَخْرَجَهُ رُوَيْدًا رُوَيْدًا (١)
مِنَ البَابِ الِذِي فَتَحَ لَهُ ، فَوَلَّجَهُ (٢) فَأَبْصَرَهُ بِالاسْتِلْدَاذِ وَقَضَاءِ
النَّهْمَاتِ (٣) وَالْأَمَانِي الكَاذِبَةِ نَفْسِيَّةٍ وَشَهْوَانِيَّةٍ ، قَدْ أَجْلَبَ لَهُ حَتَّى
تَأَشَرَ نَفْسُهُ . وَتَبَطَّرَ (٤) ، وَيَمْتَلِي مِنَ لَذَّتِهَا وَالفَرَحِ بِهَا ، فَيُورِثُهُ
الْأَشْرَ وَالبَطَرَ حَتَّى يَخْرُجَهُ إِلَى مَالِهِ يُطْلَقُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّوعِ الِذِي أُحِلَّ
لَهُ ، وَيَتَعَدَّى حُدُودَ اللَّهِ فِيهِ حَتَّى أَشْرَ وَبَطَرَ ، وَتَعَدَّى حُدُودَ اللَّهِ فِيهَا
وَتَجَاوَزَهَا ، فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ، حَتَّى يَصِيرَ عَادِيًّا يَسْتَرِيقُ مِنَ اللَّهِ
نَفْسَهُ وَجَوَارِحَهُ وَيَعْدُو هَارِبًا ، فَسَمَاءٌ عَادِيًّا فِي تَنْزِيلِهِ بِفِعْلِهِ ، قَالَ
اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى (٥) : (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ . إِلَّا عَلَى
أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ . فَمَنْ ابْتَغَى
وَرَاءَ ذَلِكَ فَاُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٦)) .

(١) رويدا رويدا : شيئاً فشيئاً .

(٢) ولجه : دخله .

(٣) النهيمات : جمع نهمة : الحاجة ، والشهوة .

(٤) الأشروالبطر : كفر النعمة وعدم شكرها .

(٥) سورة المؤمنون ، آية : ٥ ، ٦ ، ٧

(٦) الذين هم لأزواجهم حافظون : خطاب للرجال خاصة دون الزوجات ،

بدليل قوله : إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم . إلا على أزواجهم : أى

أزواجهم اللاتي أحل الله لهم ، لا يجاوزون . فأولئك هم العادون : سمي من نكح

من لا تحل له - عادياً ، وأوجب عليه الحد لعدوانه .

فلا يزال العدو يسوقه في مفاوز^(١) الحياة حتى يرمى به إلى
النار سوق الحمار الدبر^(٢) ، الجوال في أفنية^(٣) الدور ، يرتعى
في كناسهم^(٤) حتى يرمى به إلى الشاكة الملتفة أشجارها وشوكها ،
فسجنه فيها حتى لا يقدر أن يخرج منها ، كلما اضطرب لزمته
حدة الشوك ، وأوجعته جراحاتها ؛ وهي الكبائر من الدماء والأموال
والبغى^(٥) والعلو ، والجرأة على الله تعالى .

فكل ما ذكرنا عاين في تلك الفسحة ، والتفت إليها ، التفت
من بعد ؛ وذلك لبعد قلبه ؛ فعاين ذلك كالجبال من البعد الذي
تباعد ؛ فالقلب قلب الموحدين ، واللسان لسان الموحدين ، والنفس
نفس الكافرين بما تشبه بهم في الأعمال والسيرة .

وهذا جزاء من رفع الله لقلبه علماً فأعرض عنه ، وهذا جزاء من
أقبل على نفسه بعد كرامة الله تعالى إياه ، حتى يبقى في العذاب
غداً ، وفي دار الهوان دهرًا ، لا يدري كم أمد^(٦) ذلك الدهر .

(١) مفاوز : جمع مفازة ؛ وهي الموضع المهلك .

(٢) الدبر - بالتحريك : قرحة الدابة ، والجمع دبر وأدبار ؛ دبر - كفرح ،
وأدبر فهو دبر .

(٣) أفنية : جمع فناء ، وهو من الدار : ما اتسع من أمامها .

(٤) الكناس : ما يستتر به .

(٥) البغى : الظلم .

(٦) الأمد : الغاية .

المرارات :

فذاق مرارة الحياة ، وذاق مرارة الموت ، وذاق مرارة القبر ،
وذاق مرارة فتان^(١) القبر ، وذاق مرارة عرض المعاصي والسؤال
والنشور^(٢) ، وضيق المقام ، والصراط والصحف ، ووزن
الأعمال ، حتى تدركه رحمته يوماً ؛ أو يكون رجلاً قد غلب عليه
الشقاء لكفرانه نعم الله تعالى .

فمن فتح له الباب ، فكفر النعمة ، واستخف المنة^(٣) ،
وآثر^(٤) الشهوة ومرضاة النفس ؛ فبدل نعمة الله كفرة ، فأحل
قومه دار البوار^(٥) ، جهنم يصلونها فبئس القرار^(٦) .

فانقلب فيه منكوساً ، وسلب ما أعطى ، وأخرج من الباب
إلى الآبار المتردية^(٧) المنكوسة فيها بلا يد ولا رجل ، فبقى فيها
أبدًا ؛ فلا داعي ولا مجيب ، لا يدعو الله أبدًا إلى نفسه ، ولا يجيبه
إن دعاه .

(١) فتانا القبر : منكر ونكير (القاموس) .

(٢) نشر الله الموتى : أحياهم .

(٣) المنة : النعمة .

(٤) آثر : فضل .

(٥) أحل قومهم : أنزلهم . قومهم : الذين اتبعوه . دار البوار : البوار : الهلاك

(مفردات الراغب) ؛ وقيل جهنم .

(٦) القرار : المستقر .

(٧) المتردية : تردى في مهواة : سقط فيها .

اعتماد العقل :

وَمَنْ رُزِقَ عَقْلاً فَاعْتَمَلْ عَقْلَهُ فِيمَا فُتِحَ لَهُ مِنَ الْبَابِ ، فَعَقِدْ قَلْبَهُ عَلَى طَاعَةِ النَّاصِحِ الرَّشِيدِ ، وَهُوَ الْعَقْلُ الدَّالُّ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَعَلَى مَرَأَشِدِ^(١) أُمُورِهِ ، فَلَمْ يَزَلِ الْعَقْلُ يَمَهِّدُهُ لَهُ ، وَيُزَيِّنُ لَهُ ، وَيُدَبِّرُهُ بِالْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ ، وَالْأَعْمَالِ السَّنِيَّةِ^(٢) ، وَالْأَفْعَالِ الْمَرْضِيَّةِ ، وَالْأَقْوَالِ الْبَهِيَّةِ^(٣) ، وَالْإِشَارَاتِ الشَّهِيَّةِ ، وَالْمَرَاتِبِ الْعَلِيَّةِ ، حَتَّى وَقَفَهُ عَلَى حَدِّ الْأَمَانَةِ ؛ فَصَارَ أَمِينًا لِلَّهِ تَعَالَى فِي أَرْضِهِ ؛ بَلَغَ سِرَّهُ ، وَمَحَلَّ نَجْوَاهُ^(٤) ، وَمَعْدِنَ^(٥) حِكْمَتِهِ ؛ وَخَزَانَةَ جَوْهَرِهِ عَلَتْ فِي الْمَرْتَبَةِ ، وَأَقَامَ بِالْبَابِ يُلَازِمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ، وَلَا يَبْرَحُ مَكَانَهُ ، وَأَخَذَ مِنَ الْحِظْوِظِ حِظًّا ضَارًّا عِنْدَ الْمَلِكِ وَجِيهًا^(٦) ، كَلِمًا شَاءَ دَخَلَ عَلَيْهِ بِلا إِذْنٍ ، وَأَيْنَمَا شَاءَ قَعَدَ فِي مَجَالِسِهِ مِنَ الْاِقْتِرَابِ وَالِدُنُوِّ^(٧) ، فَاتَّيَبَتْ عَلَيْهِ خِزَانَتُهُ ، وَوَضِعَ عِنْدَهُ تَدْبِيرَهُ وَأَسْرَارَهُ ، وَنَفَذَ حُكْمَهُ فِي مُلْكِهِ ، فَيُقَسِّمُ عَلَيْهِ فَيُبْرِ^(٨) قَسَمَهُ ، وَيَتَمَنَّى

(١) الرشد : الصلاح . وإصابة الصواب .

(٢) السنية : الرفيعة .

(٣) البهاء : الجمال .

(٤) ناجاه نجوا ونجوى : ساره . والنجوى : السر (القاموس) .

(٥) معدن كل شيء : حيث يكون أصله .

(٦) وجه وجاهة فهو وجيه ؛ إذا كان له حظ ورتبة .

(٧) الدنو : القرب .

(٨) برب قسمه : يمتضيه على الصدق .

فِيُسَعِّفُهُ بِمَنَاهُ ، وَيَشَاءُ وَيُرِيدُ فَيُمِضِي (١) مَشِيئَاتِهِ وَإِرَادَاتِهِ ،
وَهَذَا فِي دَارِ الدُّنْيَا ، حَتَّى إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِ فَيَالَهُ مِنْ مَقْدَمِ لَا يُحَاطُ
بِوَصْفِهِ : مِنْ سُرُورِهِ بِلِقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَتَمَكُّنِهِ مِنْ مَعَالَى الدَّرَجَاتِ ،
وَالْمَصِيرِ إِلَيْهِ فِي الْفِرْدَوْسِ (٢) الْأَعْلَى ، زَائِرًا لَا يُحْجَبُ فِي النَّظَرِ ،
وَلَا يُؤَخَّرُ ، وَلِهَذَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا يَعْجِبُنَاكُمْ
إِسْلَامٌ أَحَدٍ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا عَقْدَةُ عَقْلِهِ ، فَالْإِسْلَامُ ظَاهِرٌ ، وَعَقْدُهُ
الْعَقْلُ بَاطِنٌ مُسْتَوْرٌ عَنِ الْخَلْقِ ، فَمَنْ اعْتَبَرَ بِمَا رَأَى مِنْ ظَاهِرِ الْإِسْلَامِ
مِنْ نَفْسِهِ أَوْ مِنْ غَيْرِهِ ، فَهُوَ مَغْبُونٌ (٣) ، حَتَّى يَعْلَمَ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ
عَقْدَةُ (٤) الْعَقْلِ ، فَوَاحِدٌ قَدْ فَتَحَ لَهُ الْبَابَ ، وَرَزَقَهُ الْعَقْلَ ، فَاطَّلَعَ
مَطَّلَعَهُ ، وَقَبْلَ مَا عَرَضَ عَلَيْهِ ثُمَّ وَلَا يَظْهَرُهُ ، وَأَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ مُكْبًا
عَلَى وَجْهِهِ لِقَضَاءِ الشَّهَوَاتِ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا ، فَصَارَتْ عَقْدَةُ عَقْلِهِ
طَلَبُ النَّهْمَاتِ وَأَحْوَالِ النِّفْسِ ، يَخَادِعُ اللَّهَ وَيَعْمَلُ فِي الْعِبُودَةِ (٥)
بِالْجُرَافِ وَالْغَفْلَةِ « وَالشَّايِذِبُودِ » عَلَى التَّجْوِيزِ ، وَيَتَمَنَّى الْكِرَامَاتِ
عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَمَعَالَى الدَّرَجَاتِ ، وَيَعُدُّ تِلْكَ الْأَمَانِي مِنْ نَفْسِهِ رَجَاءً ،

(١) أمضيت الشيء : نفذته .

(٢) أصل الفردوس : البستان يجمع كل ما يكون في البساتين والمراد به الجنة .

(٣) مغبون : منقوص .

(٤) عقدة : عزم .

(٥) العبودة : الطاعة .

ويقول : أَرْجُو رَبِّي وَأُحْسِنِ الظَّنَّ بِهِ ، وَإِنَّمَا ^(١) هُوَ أَمَانِي وَلَيْسَ
بِرَجَائِي ؛ وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ ^(٢) : (لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ
الْكِتَابِ . مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا
وَلَا نَصِيرًا) ^(٣) .

مثل معرفة العامة

مثل معرفة العامة مثل رجلٍ في يديه جوهرة ، فهو متحيرٌ في
شأنها ، لا يدري ما قيمتها ؛ فمرةٌ يخيلُ إليه أنها لا تساوي إلاَّ
درهماً ، فلا يجد في قلبه كبيرَ فرح ، ولا في نفسه غناءً ^(٤) ،
ومرةً يأملُ أكثرَ من ذلك ، فإذا قيل له : إنَّ هذه جوهرةٌ مما يصابُ
بها وقرٌّ ^(٥) من الدنانير امتلاً سروراً وفرحاً ، وانبسبت جوارحه ،
واستغنت نفسه ، حتى وجد قوةً بالغناء ^(٤) في جميع جسده من

(١) هذا بالأصول .

(٢) سورة النساء ، آية ١٢٣ .

(٣) قالت اليهود والنصارى : لن يدخل الجنة إلا من كان منا ، وقالت قريش :
لن نبعث . فأنزل الله : ليس بأمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب .

من يعمل سوءاً يجزيه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يجزي به في الدنيا
أو في الآخرة .

(٤) الغناء : الاكتفاء (اختار) .

(٥) الوقر - بكسر الواو : حمل البغل أو الحمار ، ويستعمل في البعير . وفي الأصول

كلها : وقرا ، وأراد تحريفها .

قَبْلَ أَنْ يَمْلِكَ الدنانير ، وَمِنْ قَبْلِ أَنْ يَنْكَشِفَ لَهُ الْغِطَاءُ عَنْ شَأْنِهَا :
مَاذَا يُصِيبُ بِهَا ؟ كَانَ فِي قَلْبِهِ تَحِيرٌ ، وَفِي نَفْسِهِ غَائِلَةٌ ، وَجَوَارِحُهُ
مُنْقَبِضَةٌ .

قلوب العامة في معرفة ربهم

فكذا قلوب العامة في معرفة ربهم ؛ يزعمون أنهم يعرفون
ربهم ، وتلك معرفة التوحيد ، يوحدونه ولا يشركون به شيئاً ،
وهم في عمى من وراء ذلك ؛ ولذلك قدر الشيطان أن يهزمهم هزاً عن
الاستقامة في أحوال النفوس ؛ ولهبوا عن الواحد الذي وحدوه
رباً .

وَمَنْ عَرَفَهُ مَعْرِفَةَ الْآلَاءِ (١) ، وَمَعْرِفَةَ الْمَعْرُوفَاتِ ، امْتَلَأَ قَلْبُهُ
فَرِحًا وَنَفْسُهُ غَنِيًّا ، بِمَنْزِلَةِ مَنْ دَخَلَ بَيْتًا مُظْلِمًا مُمْتَلَأًا دنانير ؛ فَهُوَ
فِي تِلْكَ الظُّلْمَةِ مُتَحِيرٌ ضَعِيفٌ ، فَلَمَّا أَضَاءَ الْبَيْتُ أَبْصَرَ تِلْكَ الدنانيرَ
التي فِي الْبَيْتِ ، وَاسْتغْنَى اسْتِغْنَاءً بِحَيْثُ لَا يَضُرُّهُ مَافَاتُهُ [٨٣] وَمَا
أُصِيبَ مِنْهُ مِنَ الضَّرْرِ وَالْمَصَائِبِ .
قَالَ لَهُ قَائِلٌ : وَمَا مَعْرُوفَاتُهُ ؟

مَعْرُوفَاتُ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ :

قَالَ : جَلَالُهُ (٢) وَجَمَالُهُ ، وَعَظَمَتُهُ وَبِهَآؤُهُ (٣) ، وَبِهَجَّتُهُ

(١) الْآلَاءُ : النعم .

(٢) الْجَلَالُ : العظمة .

(٣) بِهَآؤُهُ : جماله .

وَرَحْمَتُهُ ، وَسُلْطَانُهُ وَمَجْدُهُ ، وَمِنْهُ ^(١) وَعَظْفُهُ ، وَغِنَاهُ وَسَعَتُهُ ،
وَكَرَمُهُ وَرَأْفَتُهُ ؛ فَمَنْ عَرَفَ رَبَّهُ بِهَذِهِ الْمَعْرِفَةِ امْتَلَأَ قَلْبُهُ فَرَجًا ، وَنَفْسُهُ
غِنَىً ، وَقَوِيَّتُ جَوَارِحُهُ ، وَفَسَحَ ^(٢) أَمَلُهُ ، وَعَظُمَ رَجَاؤُهُ ، وَاسْتَغْنَى
بِغِنَى اللَّهِ ، وَتَوَسَّعَ فِي سَعَةِ اللَّهِ ، وَاجْتَمَعَتْ هَمَمُهُ ، وَصَلَّبَ إِيمَانُهُ ،
وَاسْتَقَامَ هُدَاهُ ، وَثَبَتَ رُكْنُهُ ، وَوَفَّى ^(٣) إِسْلَامَهُ ، وَصَدَقَتْ
عِبُودَتُهُ ^(٤) ، وَشَرَّفَ ذِكْرُهُ فِي الْعُلَا ، وَنَبَّلَ جَاهَهُ ، وَكَانَ مِنَ
الْمَخْتَصِّينَ بِرَحْمَتِهِ ، الْمَهْدِيِّينَ بِوِلَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى .

وهذه المعروفات كلها في حظ النفس ، فمتى لم تعرف النفس
ربها بهذا الصفات فهي متحيرة فقيرة خاملة مغتررة ذابلة .

مثل موت واحد من المؤمنين

مِثْلُ مَوْتِ وَاحِدٍ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ مِثْلُ شُهُودِ شَهِدُوا عِنْدَ الْحَاكِمِ
فَنَقَصَ مِنْ عَدَدِهِمْ وَاحِدًا ، وَإِمَّا بِرُجُوعِ أَوْ بِغَيْبَةِ مِنْهَا ، وَإِمَّا بِرُجُوعِهِ
عَنْهَا ، فَكُلَّمَا نَقَصَ مِنْهُمْ وَاحِدًا زَادَ الْوَهْنُ ^(٥) فِي ذَلِكَ الْأَمْرِ ؛ وَذَلِكَ
أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ اسْمُهُ خَلَقَ الْآدَمِيَّ ، وَأَحَلَّهُ مَحَلًّا لَمْ يَحَلَّهُ لِأَحَدٍ مِنْ

(١) منه : نعمه .

(٢) فسح أمله : اتسع وقوى .

(٣) وفى إسلامه : كمل وتم .

(٤) عبودته : طاعته .

(٥) الوهن : الضعف .

خَلَقَهُ ، وَسَخَّرَ لَهُ ^(١) مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، وَسَمَّاهُمْ
بِأَسْمَائِنِ فِي تَنْزِيلِهِ ، دَلَّ الْأَسْمَانِ عَلَى مَحَلِّهِ ؛ أَحَدُهُمَا الْأَدَمِيُّ ، وَالْآخَرُ
حَبِيبٌ .

فَأَمَّا آدَمُ فَهُوَ الْوَصِيلُ ، يُقَالُ فِي اللُّغَةِ : آدَمَنِي أَي وَصَلَنِي ،
وَكَذَا سُمِّيَ الْإِدَامُ إِدَامًا ، أَي يُوصِلُ ذَلِكَ الْخُبْزَ .

وَرُوي أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ كِسْرَةَ ^(٢) خُبْزٍ بِيَمِينِهِ
وَتَمَرًا بِشِمَالِهِ ، فَأَكَلَهُمَا ، وَقَالَ : هَذِهِ إِدَامٌ هَذِهِ ؛ أَي هَذِهِ التَّمْرَةُ
وَصَلَةٌ هَذِهِ الْكِسْرَةُ .

فَأَدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَلَقَهُ اللَّهُ بِيَدِهِ ، وَقَرَّبَهُ بِبَاءِ الْوَصْلَةِ ، فَقَالَ :
خُلِقْتَ بِيَدِي - وَالْبَاءُ لِلْوَصْلِ ، وَسَمَّاهُ آدَمَ فِي تَنْزِيلِهِ ، وَسُمِّيَ
أَوْلَادُهُ آدَمِيِّينَ بِهَذَا الْأَسْمِ ، فَقَالَ ^(٣) : (يَا بَنِي آدَمَ) ؛ ثُمَّ سَمَّاهُ
إِنْسَانًا ، وَسُمِّيَ أَوْلَادُهُ النَّاسَ ، فَقَالَ ^(٤) : (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ) ،
لَأَنَّهُ لَمَّا خُلِقَ مِنَ الطِّينِ أَنْسَ ^(٥) بِهِ وَبِقُرْبِهِ ، فَبَقِيَتْ تِلْكَ
الْإِنْسِيَّةُ فِينَا ، فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَوْلَادِهِ - بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ - إِلَّا يَأْنَسُ

(١) سخر له ما في السموات والأرض : ذلله وأخضعه (معجم ألفاظ القرآن) .

(٢) الكسرة من الخبز : القطعة منه .

(٣) سورة الأعراف ، آية ٢٦ وغيرها .

(٤) الحجر ، آية ٢٦ ، وفي غيرها .

(٥) أنس به : إذا سكن إليه القلب ولم ينفر (المصباح) .

بربِّه في المنافع والمضار ، وإليه يَلْجَأُ ، وإليه يَفْزَعُ (١) ، ويذِكرُه
يَأْنَسُ في جميع أحواله وأموره ، إلا أنه إذا وَجَدَ بُغْيَتَهُ (٢) ،
وَأَدْرَكَ نَهْمَتَهُ (٣) من حاله ، اشتغل بالحاجة والبُغْيَةَ ، وَلَهَا عَنْهُ
إِلَّا عَصَابَةً (٤) من الموحِّدين .

أولياء الله تعالى :

وهم أولياء الله الذين عجن طينتهم بحبه ، فَأَشْرَبَتْ قُلُوبَهُمْ (٥)
حَبَّهُ ؛ فهم الذين بُغِيَتْهُمْ في الدارين مولاهم وخالقهم ومليكنهم ،
قد ملك حبه قلوبهم ، ولا يقدرُ شَيْءٌ دُونَهُ أَنْ يَمْلِكَهُمْ .

طائفة أخرى :

فَأَمَّا مَنْ (٦) دُونَهُمْ من المؤمنين فطائفةٌ منهم أَقْرَبَتْ بتوحيده ،
وَقَبِلَتْ الْعِبُودَةَ (٧) صِدْقًا من قلوبهم ؛ ثم ملكتهم نفوسهم الشهوانية
حتى خَلَطُوا الْعِبُودَةَ ؛ فَمَرَّةً (٨) تَزِلُّ قَدَمَهُ ، ومرةً تَثْبُتُ ؛ فتراه في
جميع أمره مرةً مُطِيعًا ، ومرةً عاصيًا ؛ مرةً لاهيًا ، ومرةً مُتَّبِلًا .

(١) يَفْزَعُ : يَلْجَأُ .

(٢) بُغْيَتُهُ : طَلْبَتُهُ .

(٣) نَهْمَتُهُ : حَاجَتُهُ وَمَا يَشْتَبِيهِ .

(٤) عَصَابَةٌ : جَمَاعَةٌ .

(٥) أَشْرَبَتْ قُلُوبَهُمْ حَبَّهُ : خَالَطَ حُبَّ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ .

(٦) مَنْ دُونَهُمْ : مَنْ هُمْ أَقْلُ مِنْهُمْ .

(٧) الْعِبُودَةُ : الطَّاعَةُ .

(٨) تَزِلُّ قَدَمَهُ : لَا تَثْبُتُ .

وطائفة نافرة :

وطائفة منهم نفرت نفرة منكرة ، وأدبرت^(١) عن عبادته ،
وأقبلت على عبادة من دونه ؛ من الشمس والقمر وسائر^(٢)
المخلوقين ؛ وأشركوا بالله تعالى في ملكه .

الثابت على التوحيد :

فمن ثبت على توحيدهِ ، وقبل ما جاء به الرسول عليه السلام ،
سماه مؤمناً ومسلماً ، وتائباً وعابداً ، وحامداً وصائماً ، وراكعاً
وساجداً ، وشاكراً وصابراً ، ومحتسباً^(٣) ، وخالصاً وولياً .

المدير الذى ركب بعض شهواته :

ومن أدبر بالكلية سماء مفسداً وكافراً .

ومن ركب بعض شهواته وقلبه معه ، سماء ظالماً لنفسه
مخلطاً^(٤) ؛ ثم ذكر في تنزيله : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ؛ وَيُحِبُّ
الْمُتَطَهِّرِينَ . وَيُحِبُّ الْمُتَّقِينَ . وَيُحِبُّ الشَّاكِرِينَ ، وَيُحِبُّ الصَّابِرِينَ ؛
وَيُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ . وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ .

(١) أدبرت : رجعت ، وانصرفت .

(٢) سائر : باقى .

(٣) الاحتساب فى الأعمال الصالحة وعند المكروهات : هو البدار إلى طلب الأجر
وتحصيئه بالتسليم والصبر ، أو باستعمال أنواع البر والقيام بها على الوجه المرسوم طلباً
للثواب المرجو منها (النهاية) .

(٤) اخلط - بالكسر : الذى يخلط الأشياء فيلبسها على السامعين والناظرين ؛

وقال في حق المدبرين : إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ . لَا يُحِبُّ
الظَّالِمِينَ . لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ .

فسمانا في تنزيله أحياء مع جميع هذه الأسماء التي هي محاسن
الأخلاق منا . فخلق هذا الخلق كله علواً وسفلاً ، وخلقنا من
قبضة من تراب ، فوضعنا فيما بين هذين سبعة أطباق من فوق ،
وسبعة أطباق من تحت ؛ والأطباق المرفوعة من فوق معلقة بالرحمة ،
والأطباق من تحت موضوعة على الهباء (١) .

في بيان الهباء :

قال له قائل : ما الهباء ؟ قال : غبار الثرى (٢) .

وجعل الطبقة الأعلى الذي نحن عليه لنا بساطاً ، وزين لنا
هذا البساط بألوان الزينة من الذهب والفضة ، من الجبال والجواهر ،
والبحار والنبات ، من القفار ؛ ذات ألوان من المطاعم والمشارب ،
والملابس والمشام ، وسائر المنافع ، والدواب وسائر الحيوان ؛ ثم
بسط على هذا البساط بساط العبادة (٣) ، من الذكر والقيام ،
والركوع والسجود ، والصيام والصدقة . والحج والجهاد ،
وسائر أعمال البر والطاعات ، ثم بسط على هذين البساطين بساطاً

(١) الهباء : دقاق التراب ، والشئ المنبث الذي يرى في ضوء الشمس .

(٢) الثرى : التراب ، أو التراب الندى .

(٣) العبادة : الطاعة والعبودية .

آخر ؛ وهو بساطُ الربوبية والتدبير ؛ ثم أقامنا معاشرَ ولدِ آدمِ على
بساطِ الهباءِ ، ودعانا إلى دارِ ملكه ، ودارِ السلامِ في جوارِه ، ودارِ
القرارِ ، ودارِ السكونِ ، ودارِ السرورِ ؛ وقد نشرِ بساطَ العبودةِ على
بساطِ الزينةِ ؛ فكلما قطعنا من بساطِ العبودةِ شبرًا ، وتخطَّيناها ،
وطويناها حتى ننتهي إلى الأجلِ الذي أُجِّلَ (١) لنا ، والوقتِ الذي
وُقِّتَ لنا ، فدعانا اسمًا اسمًا دعوةً لا يقدرُ أحدٌ منا أنْ يمتنعَ من
الإجابةِ ، وقد طوى من بساطِ العبودةِ ما طوى ، فنلقَى اللهُ تعالى به
في تلكَ العرصةِ يومَ الموقفِ بينَ يديه .

من أراد الله به خيرا :

فمن أراد اللهُ به خيرا قذفَ في قلبه نورًا أحيأ قلبه به ، ففتح
عينَ فؤاده في صدره ، ثم أشرقَ فيه نورُ التوحيدِ حتى أنارَ قلبه
وأضاء ، ثم أعطاه نورَ العقلِ حتى بانَ له أمرُ العبودةِ ، فقبلها
عن ربه ، إنما يَأْتِمُرُ (٢) بجميعِ ما يَأْتِيهِ عن الله ، وينتهي عن
جميعِ ما نهاه اللهُ تعالى عنه ، ثم اقتضاه الوفاءَ بذلك ؛ فوقعَ العبدُ في
كدٍّ ومجاهدةِ النفسِ الشهوانيةِ ، والعدوِّ الحاسدِ ، والهوى المردى (٣) ؛
فلم يزل العبدُ يتشمَّرُ (٤) لذلك ويجهدُ ، ويدأومُ على ذلك ،

(١) أجل الشيء : جعل له أجلا ومدة ووقتاً .

(٢) أمرته فأتمر : أى سمع وأطاع (المصباح) .

(٣) المردى : المهلك .

(٤) شمَّر في العبادة : إذا اجتهد وبالغ .

وَيُقَاسِي غَمُومَهُ وَعُسْرَهُ ، وَيَتَضَرَّعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَيَسْتَغِيثُ بِهِ حَتَّى يَرْحَمَهُ ، فَأَجَابَ دَعْوَتَهُ ، فَايَدَهُ بِرُوحٍ مِنْهُ .

فَلَمَّا جَاءَتْ تِلْكَ الْأَنْوَارُ عَلَى قَلْبِهِ سَقَطَ عَنْهُ الْجَهْدُ ، وَاسْتَرَاحَ مِنَ الْمُجَاهَدَةِ ؛ وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ^(١) : (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ) ^(٢) .

فَجَعَلَهُ وَلِيًّا مِنْ أَوْلِيَائِهِ ، وَخَلِيفَةً مِنْ خُلَفَاءِ أَرْضِهِ ، وَإِمَامًا مِنْ أُمَّةِ الْمُهْدَى ، وَحَبِيبًا مِنْ أَحْبَائِهِ ؛ وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ^(٣) : (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَرَحِمَ رَبِّي) ^(٤) .

فَالْمَرْحُومُ صِفَتُهُ مَا ذَكَرْنَا ، وَمَنْ سَقَطَ عَنْ هَذِهِ الصِّفَةِ فَهُوَ مَرْحُومٌ أَيْضًا بِالتَّوْحِيدِ ، حَيْثُ أَنْقَذَهُ مِنَ الشِّرْكِ ، وَمَنْ عَلَيْهِ مَهْدَايَةُ التَّوْحِيدِ . وَقَالَ ^(٥) : (يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ) .

(١) سورة النمل ، آية ٦٢

(٢) المضطر : هو ذو الضرورة المحجود . يكشف السوء : يزيل الضر والجور . ويجعلكم خلفاء الأرض : أي سكانها ؛ يهلك قوماً وينشئ آخرين .

(٣) سورة يوسف ، آية ٥٣

(٤) أمارة بالسوء : مشهية له . إلا ما رحم ربي : إلا من رحم ربي ، فما بمعنى من . قال القرطبي (٩ - ٢١٠) : وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ماتقولون في صاحب لكم إن أنتم أكرمتموه وأطعتموه وكسوتموه أفضى بكم إلى شر غاية ، وإن أهنتموه وأعريتموه وأجعتموه أفضى بكم إلى خير غاية ؟ قالوا : يا رسول الله ؛ هذا شر صاحب في الله . قال : فوالذي نفسي بيده إنها لنفوسكم التي بين جنوبكم .

(٥) سورة النور ، آية ٣٥

فلما خلق الله تعالى [٨٤] هذا الخلق ، وابتدأ خلق هذه القبضة من تراب ، شهد بنفسه لنفسه أنه لا إله إلا هو ، وشهدت الملائكة بذلك ، وشهد أولو العلم من الآدميين بذلك ، ثم أنار شهادته في قلوب الموحدين حتى شهدوا على شهادته ، عالمين بالشهادة موقنين به ، عالمين بالمشهود له ؛ وذلك قوله تعالى (١) : (إِيَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) . فهم بأجمعهم أهل رحمته ، وأهل رأفته وأحبابه ، سابقهم ومقتصدهم وظالمهم (٢) .

السابق والمقتصد والظالم :

فَمَنْ مَاتَ مِنْهُمْ ظَالِمًا كَانَ أَوْ مُقْتَصِدًا أَوْ سَابِقًا فَكُلُّهُمْ حَبِيبٌ لِلَّهِ وَمَأْتُورُهُ ، وَمُخْتَارُهُ وَمَرْحُومُهُ ، وَمَرْءُوفُهُ وَمَوْحِدُهُ ، وَشَاهِدُهُ فِي الْأَرْضِ (٣) ؛ فمات واحد منهم فقد نقص من أهل شهادته

(١) سورة الزخرف ، آية ٨٦

(٢) الظالم لنفسه : الكافر أو الفاسق . والمقتصد : المؤمن العاصي ، أو الذي يعطى

الدنيا حقها والآخرة حقها . والسابق : التقى .

وانظر في معنى هذه الكلمات الثلاثة القرطبي : ١٤ - ٣٤٨

وفي معجم ألفاظ القرآن :

ظالم : مجاوز للحق . مقتصد : معتدل لا ينحرف نحو الإفراط ولا نحو التفريط .

سابق : متقدم .

(٣) في القرطبي (١٤ - ٣٤٦) : قرأ عمر بن الخطاب الآية ٣٢ من سورة فاطر :

« ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق

بالخيرات بإذن الله . ذلك هو الفضل الكبير » ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم : سابقنا سابق ، ومقتصدنا ناج ، وظالمنا مغفور له .

شاهدٌ فقد حلَّ بعُقْدَةِ الوَهْنِ ^(١) في أهل السموات والأرض ،
والجبال والبحار ، والشجر والدواب ، والخلق والخلقة ؛ والكلُّ
إنما استقرَّ على الأرض بتوحيد الموحدين ؛ وذلك قول الله تعالى ^(٢) :
(ولولا دفعُ اللهِ النَّاسَ بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، ولكنَّ اللهُ
ذو فضلٍ على العالمين) ^(٣) .

وروي في الخبر أنَّ الله تعالى قال : ياموسى ؛ لولا من يوحدنى
لسيلت جهنم على الكافرين سيلا .

وإنما دخل الوهن عليهم ؛ لأنَّ كلَّ مؤمنٍ رُفِعَ من الأرض
انقطعت حصته من الرحمة ، وانقطع مدده من البركة .
فإذا افتقدت السموات والأرض الرحمة الدارة من العلى إلى

(١) الوهن : الضعف .

(٢) سورة البقرة ، آية ٢٥١

(٣) لولا أن يدفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض وهلكت . قال سائر
المفسرين : ولولا دفاع المؤمنين الأبرار عن الفجار والكفار لفسدت الأرض وهلكت .
وذكر الثعلبي حديثاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله يدفع العذاب بمن يصلى
من أمى عن لا يصلى وبمن يزكى عن لا يزكى وبمن يصوم عن لا يصوم وبمن يحج
عن لا يحج وبمن يجاهد عن لا يجاهد . ولو اجتمعوا على ترك هذه الأشياء ما أنظرهم
طرفه عين ؛ ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولادفع الله الناس بعضهم ببعض
لفسدت الأرض » .

ولكن الله ذو فضل على العالمين : بين سبحانه أن دفعه بالمؤمنين شر الكافرين
فضل منه ونعمة .

العبد ، والبركة المنتشرة في أحوال العبد وأموره - بكت السموات والأرض .

وإذا افتقدت العبودة السموات والأرض ومن عبده على وجه الأرض ، وأنوار الطاعات المنتشرة من العبد إلى الله تعالى في جو السماء بكتا لفقده .

مثل المتكل على ماله

مثل المتكِّل على ماله مثل عبدٍ أعطاه مَوْلَاهُ رَأْسَ مالٍ ليتصرف ويتجر ، والربح للعبد ؛ فضرب العبد بهذا المال يمينا وشمالا ، وتصرف في أنواع التجارات والبضائع ، فباع واشترى ؛ فصار هذا المال كله نسيئة^(١) . وإذا نظر في الديوان^(٢) رأى أن على فلان كذا وعلى فلان كذا ، وعلى فلان كذا ؛ فتجمع أُلوفٌ أضعاف رأس المال . كلُّها نسيئة ؛ فإذا كان أحمق^(٣) طابت نفسه بالآلاف التي يخصيها واتكل عليها ، ولا ينظر إلى ما تحصل له في يده ، فكم من غريم^(٤) بايعته على الوفاء ، وهو عندك ملي^(٥) ؛ فإذا أتى

(١) نساءه : آخره .

(٢) الديوان : مجتمع الصحف . يريد الدفتر الذي يقيد فيه ما على الناس من دين .

(٣) الحمق : فساد في العقل .

(٤) غريم : مدين .

(٥) ملي : غني متمول .

على ذلك مدة ظهر إفلاسه ، ولوى^(١) ماعليه ؛ فلم يحصل له منه
إلا كتابة أسمه في ديوانك ، وتقدير ماعليه حسابا ؛ وربما يحصل
منه شيء وذهب بشيء فأنت على غير ثقة من غرمائك حتى تقبض
منه ، وتنقد بعد القبض وتستيقن بأنها خيار تنفق^(٢) في كل
سوق إلا في سوق الوضح^(٣) التي لا تباع ولا تشتري إلا بالدرهم
الوضح^(٤) .

فالعبد المؤمن قد أعطاه الله تعالى رأس المال ، وهو الإيمان
والتوحيد ، وأمره أن يتجر بأنواع من الطاعات وأعمال البر ،
والأرباح لك ، لتنفق على نفسك يوم فقرك ؛ فإذا اتجر وربح من
الصوم والصلاة والزكاة والحج وسائر^(٥) أعمال البر ؛ فهذه
الأعمال كلها كأولئك الغرماء الذين يرجو أرباحهم التي ربح على
رأس ماله ، أى أعمال الطاعات كلها ؛ ربح التوحيد ، والتوحيد
رأس المال لا يقبل عمل إلا به ، ومنه يخرج ربح المؤمن ؛ لأنه
لم يتبين القبول فهو على غرر^(٦) منه ، فإذا اتكل على هذه ،

(١) لواه ماعليه : أنكره .

(٢) تنفق : تروج .

(٣) الوضح : حلى من الفضة .

(٤) الوضح : الدرهم الصحيح .

(٥) سائر : باقى .

(٦) الغرر : ما كان له ظاهر يغر المشتري وباطن مجهول .

وَحُسِبَ يَوْمَ الْحِسَابِ ، وَحَصَلَ مَا فِي الصُّدُورِ ^(١) ، وَطُولِبَ بِالصَّدَقِ
وَالْإِخْلَاصِ مِنْهَا ، فَلَمْ يَوْجَدْ فِي كَثِيرٍ مِنْهَا الصَّدَقُ وَالْإِخْلَاصُ ،
فَرَضِيَ بِذَلِكَ الْعَمَلِ ؛ فَكَانَ كَهَذَا الْغَرِيمِ الَّذِي ظَهَرَ هَاهُنَا إِفْلَاسُهُ ،
فَلَمْ يَنْلُ مِنْهُ رِبْحًا ، وَنَحِيفَ عَلَى رَأْسِ مَالِهِ أَيْضًا ؛ لِأَنَّهُ عَمِلَ لغيرِ
اللَّهِ تَعَالَى ، وَاسْتَهْزَأَ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَآثَرَ ^(٢) دُنْيَاهُ وَهُوَ يَنْفُسِهِ عَلَى
مَحْبُوبِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَخْتَارِهِ ؛ فَهَذَا كَهَوْلَاءِ الْغُرَمَاءِ الَّذِينَ ظَهَرَ هَاهُنَا
إِفْلَاسُهُمْ ، فَلَمْ يَبْقَ فِي أَيْدِيهِمْ إِلَّا دِيْوَانُ الْكُتْبَةِ .

فَالْعَبْدُ إِنْ كَانَ كَيْسًا ^(٣) يَبِيعُ وَيَشْتَرِي نَقْدًا بِرِبْحٍ يَسِيرٍ ؛
لِأَنَّ الْيَسِيرَ مِنَ الرَّبْحِ مَعَ قِيَامِ رَأْسِ الْمَالِ خَيْرٌ مِنَ الرَّبْحِ الْكَثِيرِ
مَعَ هَلَاكِ رَأْسِ الْمَالِ ؛ أَوْ إِذَا بَاعَ نَسِيئَةً يَأْخُذُ بِالثَّقَةِ ، وَعَامَلَ
الْغُرَمَاءَ بِالْوَثَائِقِ ؛ إِمَّا الرَّهْنَ أَوِ الْكَفَالَةَ ^(٤) عَلَى مَلِيٍّ ^(٥) ؛ وَاسْتَقْصَى
النَّظَرَ ، ثُمَّ لَمْ يَقْنَعَهُ ذَلِكَ فَهُوَ أَبَدًا نَخَائِفٌ مِنْ أَنْ يَضِيعَ رَأْسُ الْمَالِ
وَرُبَّمَا غَرِقَ فِي الرَّبْحِ لِلنَّسِيئَةِ ؛ وَمَعَ ذَلِكَ الْخَطَرُ بَاقٍ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ
رُبَّمَا يَهْلِكُ الرَّهْنُ فِيهِلِكَ بِمَا فِيهِ مِنَ الدَّيْنِ ، أَوْ يَمُوتُ الْكَفِيلُ ،
أَوْ يَغِيبُ غَيْبَةً مَنْقُطَةً ؛ فِيهِلِكَ مَالُهُ .

(١) حصل ما في الصدور : ميز ما فيها من خير وشر .

(٢) آثر : فضل ، وقدم .

(٣) كيساً : عاقلاً .

(٤) الكفالة : الضمان .

(٥) ملي : غني .

فكذا مَنْ عامل في الطاعات ووقع في الأهواء ؛ مثل القَدَرِيَّة (١) ،
والجَبَرِيَّة ، والمعْطَلَّة ، والمشْبَهة ؛ فغرق رأسُ مالِهِم في أرباحهم ؛
فصارت كلُّها نسيئةً من غير ثقةٍ ولا ملاءٍ (٢) .

فالكيسُ لما رأى ذلك قال : إني لأبائع ولا أتاجرُ أحدًا إلاَّ
برهينةٍ وكفيل (٣) ووثائق ؛ فالقليلُ من الربح مع وفارةٍ رأسِ
المال خيرٌ من كثير الأرباح مع تضييع رأسِ المال ؛ فإذا المالُ
والأرباحُ قد ذهبت كلها ؛ لأنها صارت في غير ملاءةٍ ولا ثقةٍ ؛
فإنَّ هذه الأرباحَ كلها على خطر ؛ فينبغي أن يكونَ كفيلهُ ثقةً
مُجانِبَ الأهواءِ .

وكنْ على حذرٍ وتقوى من الاستماعِ إلى كلامِهِم ؛ فإنه كُلهُ
هَلَاكٌ وتوى (٤) ؛ والزَمُ السَّوَادَ (٥) الأعظم الذي أشار إليه صاحبُ
الشرعِ صلواتُ اللهِ عليه ، واتَّبِعْ سَبِيلَهُ (٦) ؛ فقد أمرنا اللهُ تعالى في

(١) ارجع إلى هامش رقم ١ صفحة ٢٠٦

(٢) الملاء : الأغنياء المتمولون ، أو الحسنو القضاء منهم ، الواحد مليء ،
وقد ملاء - كمنع وسمع . ملاءة وملاء .

(٣) كفيل : ضامن .

(٤) توى : هلاك (القاموس) .

(٥) السواد : جملة الناس ومعظمهم ، وقد أشار إليه الرسول في قوله : عليكم بالسواد
الأعظم ، أي جملة الناس ومعظمهم الذين يجتمعون على طاعة السلطان ، وسلوك النهج
القوم (النهاية) .

(٦) سبيله : طريقه .

تنزيله بذلك ؛ فقال جَلَّ ذِكْرُهُ (١) : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ
اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) (٢) .

فَالأُسْوَةُ الحَسَنَةُ اتَّبَاعُ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَسُنَنِ خُلَفَائِهِ الرَاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ الَّذِينَ قَضَوْا بِالْحَقِّ ،
وَبِهِ يَعْدِلُونَ (٣) .

وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خُطْبَتِهِ : إِنْكُمْ سَتَرُونَ مِنِّي بَعْدِي
اِخْتِلافاً كَثِيراً ، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ مِنِّي بَعْدِي ، عَضُّوا
عَلَيْهَا بِالنَّوْاجِدِ (٤) .

فَاتَّكَالُ الكَيْسِ (٥) عَلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي أَعْطَى مِنْهَا رَأْسَ
المَالِ ، فَتَلَكَ رَهِينَتُهُ وَوَثِيقَتُهُ ؛ وَحَسُنَ ظَنُّهُمْ بِاللَّهِ تَعَالَى كَفِيلُهُ ،
فَأَوْفَرَهُمْ مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِهِ أَقْوَاهُمْ كَفِيلًا ، وَأَمَلَوْهُمْ أَدَاءً وَمُقْتَضِيَهُ
مِنْ غَرْمَائِهِ دَعَوَاتِهِ وَتَضَرُّعِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .

(١) سورة الأحزاب ، آية ٢١

(٢) الأسوة : القدوة . وهذا عتاب للمتخلفين عن القتال ؛ أي كان لكم قدوة
في النبي صلى الله عليه وسلم حيث بذل نفسه لنصرة دين الله في خروجه إلى الخندق .
وقيل : الأسوة في جوع النبي صلى الله عليه وسلم . أو الأسوة في جميع أحواله ، فلقد شج
وجبه ، وكسرت ربايعته . وقتل عمه حمزة ، وجاع بطنه ، ولم يلف إلا صابراً محتسباً
وشاكراً راضياً .

(٣) وبه يعدلون ؛ أي في الحكم .

(٤) النواجذ من الأسنان : الضواحك التي تبدو عند الضحك . أو أقصى الأسنان .
ومعنى عضوا عليها بالنواجذ : تمسكوا بها كما يتمسك العاض بجميع أضراسه (النهاية)
(٥) الكيس : العاقل .

فعليك بِحِفْظِ الرَّهْنِ لئلا يَهْلِكَ فَتُذْهِبَ بِدَيْنِكَ ؛ واحْبِسِ
الكفيلَ لئلا يَغِيبَ فيذْهَبَ بما عليه ؛ وعليك بالتقاضي ^(١) كلَّ
يومٍ بالدُّعاءِ والتضرُّعِ والبُكاءِ بالنيَّاتِ الخالصةِ لِتُجَابَ .

مثل حركات المؤمن

مثلُ حركاتِ المؤمنِ مع الحَفَظَةِ مثلُ رجلٍ له حُرُفَاءُ ^(٢) في
السُّوقِ ، يَنْفِقُ مالهَ فيما يَظْهَرُ فيه حاجةٌ من السُّوقِ ، يأخُذُ من
الخبَّازِ الخَبْزَ ، ومن القَصَّابِ ^(٣) اللَّحْمَ ، ومن البَقَّالِ الحَوَائِجَ ،
ومن الآخِرِ الفواكهَ [٨٥] ، ومن البَزَّازِ ^(٤) ما يَحْتَاجُ إليه ؛
فهم يَكتَبونَ حِسَابَهُمْ ، فإذا أَهَلَّ ^(٥) الهِلَالَ ، وَأَخْرَجُوا عليه
حساباً جَمًّا ^(٦) وديواناً ^(٧) طَوِيلاً ، فإن قَضَى ^(٨) ما عليه
على رَأْسِ كُلِّ شَهْرٍ تَخِفُّ عليه المِثُونَةُ ^(٩) ، وَهِنَتْ لَهُ النُّعْمَةُ ؛ وَإِنْ

(١) في أ : بالتقاض !

(٢) حرفاء : جمع حريف ، وهو المعامل .

(٣) القصاب : الخزار .

(٤) البزاز : بائع البز ، وهو نوع من الثياب .

(٥) أهل الهلال : ظهر .

(٦) جمًّا : كثيراً .

(٧) الديوان : مجتمع الصحف ، يريد أوراقاً طويلة كتب فيها حسابه وديونه .

(٨) قضى : أدى .

(٩) المئونة : الثقل .

تَغَافَلَ عَنْ ذَلِكَ حَتَّى تَوَالَّتْ عَلَيْهِ وَظَائِفٌ^(١) الشُّهُورِ وَالسَّنِينَ غَرِقَ فِي
الدِّينِ .

كَذَا الْعَبْدُ بَيْنَ نِعَمٍ كَثِيرَةٍ ، وَدِيُونٍ كَثِيرَةٍ ، وَالْحَقُّ يَقْتَضِيهِ
شُكْرُ كُلِّ نِعْمَةٍ ، وَالْعَدْلُ يَقْتَضِيهِ الْاسْتِغْفَارَ وَالْإِنَابَةَ^(٢) مِنْ كُلِّ
خَطِيئَةٍ . فَإِذَا كَانَ الْعَبْدُ مُنْتَبِهَا حَيًّا الْقَلْبُ أَخَذَ لِكُلِّ نِعْمَةٍ حَمْدًا ،
وَلِكُلِّ خَطِيئَةٍ تَوْبَةً وَاسْتِغْفَارًا ، حَتَّى تَخِفَّ عَنْهُ السَّيِّئَاتُ وَأَثْقَالُ
النُّعَمِ ، وَيَمْحَى مَا فِي الدِّيْوَانِ .

وَإِنْ تَغَافَلَ عَنْ ذَلِكَ ، وَحَمِدَ حَمْدَ الْغَافِلِينَ ، وَاسْتِغْفَرَ اسْتِغْفَارَ
السَّكَارَى عَلَى الْعَادَةِ - خَرَجَ الْحَمْدُ وَالْاسْتِغْفَارُ مِنْهُ ، وَلَمْ يَجِدْ
مَسَاغًا^(٣) ، لِأَنَّهُ لَيْسَ بِقَلْبِهِ طَرِيقٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَالطَّرِيقُ مَسْدُودٌ
بِالْهَوَى وَالشَّهَوَاتِ - رَجَعَ الْحَمْدُ وَالْاسْتِغْفَارُ إِلَى فَمِهِ ، وَتَرَكَتْ
أَثْقَالُ النُّعَمِ وَأَدْنَسَ الذَّنُوبُ عَلَى الْقَلْبِ فَغَرِقَتْهُ ، فَصَارَ الْقَلْبُ
غَرِيقًا فِي الذَّنُوبِ كَالَّذِي ضَرَبْنَا لَهُ فِي الْمَثَلِ ، وَكَالَّذِي يَغْرُقُ فِي الْمَاءِ وَلَمْ
يَجِدْ مُتَعَلِّقًا بِهِ وَلَا تَخْلُصًا يَحْصِلُ بِهِ الْخُلَاصَ فَيَغْرُقُ وَيَهْلِكُ فَيَرْجِعُ
إِلَى أَنْفَاسِهِ لَا يَجِدُ مُتَنَفِّسًا فَيَمُوتُ غَرَقًا . وَمَنْ كَانَ لِقَلْبِهِ طَرِيقٌ إِلَى
اللَّهِ تَعَالَى وَجَدَ حَمْدَهُ وَاسْتِغْفَارَهُ مَسَاغًا إِلَى مَحَلِّ الْحَمْدِ وَالْاسْتِغْفَارِ ؛

(١) الوظيفة : ما يقدر من عمل ورزق وطعام وغير ذلك (المصباح) .

(٢) أناب إلى الله : رجع .

(٣) مساغاً : قبولاً ، وسهولة .

فوقعت في محله ومرتبته ؛ فخفت عليه الأثقال ، وصار كنهراً وجد
مساغاً ؛ فجرى بسلاسة ، وإن لم يجد مساغاً تراجع الماء فصار
بحراً يغرق فيه صاحبه .

مثل العمال بطاعة الله

مثلُ العمال بطاعة الله تعالى مثلُ ملك له عبيد اختارهم للخدمة
بين يديه على مرأى العين ، فمن استحلّ منهم خدمته يظهر ذلك
في حايته وكسوته ، فواحد بين يديه في قرطق^(١) واحد ومنطقة^(٢) ،
وغيره يدرج^(٣) بين يديه على قدميه .

وآخر مع قراطق كثيرة ، بعضها على بعض ، من بين ديباج
وحرير وساج^(٤) وكتان ، لون على لون ، ومنطقة ذهب فيها
أفصوص وجواهر ، كل فص له ثمن نفيس وإكليل كمثلها ،
وبيده ضبائر^(٥) الریحان من كل لون من الورد والبان والياسمين ،
يفوح منه ريح المسك .

فعين هذا الملك على مثل هذا الخادم ؛ فإذا سار بين يديه
سار على موكبه بحرسه ولوائه .

(١) القرطق : لبس . وقرطقه فتقرط : ألبسته إياه فلبسه . وجمعه قراطق .

(القاموس) .

(٢) المنطقة : كل ما شد به الوسط (اللسان - نطق) .

(٣) يدرج : يتشى .

(٤) الساج : الطيلسان الأخضر ، أو الأسود (القاموس) .

(٥) ضبائر : مجموعات .

فإنما نال هذه الرتبة والمحل والتمكين ؛ لأنه استحل صورته
وخلقته ، وهيئته وخدمته ، وأدبه وكياسته ، وظرفه ، ومحاسن
أفعاله ، وطهارة خلقه ، ولو كان دميما في خلقته ، سمجا (١)
أبله (٢) في أخلاقه ، سيئ الخلق ، كسلان الخدمة ، لم ينل
من هذه المرتبة شيئا إلا ما يقيه من الحر والبرد ، ويستتر عورته ،
ويشبع بطنه .

فكذا العمال بطاعة الله تعالى إنما يعملون بإذن ربهم ؛ فمن
كان طاهر الخلق ، كيس الذهن ، فطن (٣) الفهم ، عاقل اللب (٤) ،
ذا حظ (٥) من الحكمة كان الإذن له بين يدي الملك أوسع وأكبر ،
وكان كالعبد الذي تلونت كسوته وزينته بين يدي الملك ؛
فإنما كساه الملك بهذه الألوان ، لأنه وجده بحيث يليق به هذه
الألوان كلها ، وأعطاه ضبائر الرياحان لنزاهته (٦) وطيبه وكياسته ؛
فهذا العبد بطهارة خلقه ، وصفاء قلبه ، ووفارة (٧) عقله ،

(١) سمج : قبح ، والسماجة : القبح .

(٢) بله : ضعف عقله ، وهو أبله ، وهي بلهاء . وفي الأصول : أبلها .

(٣) الفطن : الحاذق العارف بالشيء حق المعرفة .

(٤) اللب : العقل .

(٥) الحظ : النصيب .

(٦) نزه الرجل : تباعد عن كل مكروه ، ورجل نزه الخلق ونازه النفس : عفيف .

متكرم .

(٧) وفارة : تمام .

وإدراك حكمته - سقاه الملك الأعلى شربةً من كأسِ حبه حتى سكر
عقله عن جميع أحوال النفس ، حتى صار كلُّ أمره من المحبوب
والمكروه عنده حلواً ، يجدُ ثمرةَ الحبِّ ، فبِكياسةِ ذهنه أدركَ
دقائقَ الحكمة ، وبِفهمه وفِطنته بلغ محلَّ الخدمة ، وعرفَ أوقاتَ
الملكِ وأوقاتَ الأشياءِ ؛ فإنَّ الخدمةَ ذاتُ ألوانٍ وفنونٍ ؛ وبِعقله
وَلبِّه عَظَمَ أمرها وِصانها ، وبِحكمته أمسكها اللهُ تعالى ؛ فهذا
الكيسُ الفِطِنُ الذي إذا نالَ الحكمةَ نظرَ إلى عملٍ من أعمالِ البرِّ ،
فيقول : ما هذا ؟ ففهم أنَّ هذا محبوبُ اللهِ تعالى - قام إلى ذلك
مُحتَسِباً (١)

قال له قائل : بين واحدًا من هذا (٢) حتى نفهم .

قال : إنَّ الله تعالى أمرنا بالصلاة والصوم وغيرهما ، فإذا
نظر الكيسُ بنور الحكمة أنَّ في الصلاة أمره (٣) ، وفيها قيامٌ بين
يديه ، ودلُّه عليه علمٌ بفهمه وحكمته ، أنها محبوبُ اللهِ تعالى ؛
فهل أحبُّ قيامي بين يديه إلا من أجل أنه أحبُّني ، فبِحبه إياي
أعطاني موطنَ القيامِ بين يديه ، فاطَّلَعَ بفهمه على أمرٍ عظيمٍ ،
يَسْتَدِلُّ بذلك على أنه حبيبُه . ومن حبه له أحبُّ كونه بين يديه ؛

(١) احتسب الأجر على الله : ادخره عنده لا يرجو ثواب الدنيا .

(٢) هذا بالأصول .

(٣) أمره : أمر الله .

فإذافهم هذا كانت صَلَاتُهُ قُرَّةَ عَيْنِهِ ، وخروجه عنها مصيبة عظيمة ،
وكذا في كل نوع من أنواع البرِّ هذا .

مثل الثناء والتسبيح

مثل الثناء والتسبيح لله تعالى مثل ملك بين يديه نخدم ، استقبله
أمرٌ ، فوجههم إلى عملٍ لا ينفك في ذلك العمل (١) ؛ فوجه عبده
وعسكره إلى ذلك الأمر ، فذهبوا عجلاً (٢) فاتموا ذلك الأمر ،
ورجعوا إلى مقام الخدمة منتصبين ؛ فما من أحد منهم رجع عن
طريقه الا أخذ من غبار الطريق .

ولما أرادوا الدخول بين يدي الملك فأولاً نفضوا الغبار عن
رؤوسهم وثيابهم حتى يدخلوا على الملك على هيئتهم التي كانت لهم
قبل ذلك بين يديه ، مع الطراوة (٣) والنقاوة (٤) .

فكذا العباد المؤمنون إذا مارسوا أمور الدنيا ، وخالطوا الخلق
لم يدخلوا من الغبار والأدناس الذي حل بهم ، وإن اجتهدوا في الصدق
والتقوى والتدبير ؛ فيرجعون إلى ربهم بالثناء والتسبيح ليكون
ذلك نفضاً لما لحقهم من الأدناس ، ونالهم من الغبار والدخان ،
ليتطهروا ؛ فيصيرون أهلاً للدخول بين يدي مليكهم .

(١) في ب : العلم .

(٢) عجلاً : مسرعين .

(٣) الطرى : الغض .

(٤) النقاوة : النظافة .

مثل المجتمعين على ذكر الله بكرة وعيشا

مثل المجتمعين على ذكر الله بكرة وعشية ، فذكروه ، ثم
رفعوا إليه أيديهم مرتقبين ^(١) ، فسألوه الرغائب ^(٢) مثل قوم
من الفقراء والمساكين لهم « وارنبد » بالأعجمية ، كلهم على عصى
اجتمعوا ، وأخذ كل واحد منهم بيد صاحبه حتى صاروا كلهم
كواحد ، ثم اجتمعوا على باب وباب وباب ، منهم من يركض
برجله ركضاً ^(٣) ، ومنهم برأسه هزاً ، ومنهم بالأيدي شداً ،
ومنهم بالألسن لحناً ، وبالأصوات لحناً ^(٤) وغناءً ، وبالعيون
لحظاً ؛ فلهم دنو ^(٥) من كل باب على تلك الحال ، فيخرج لهم
من كل باب شيء ^(٦) ؛ فمن باب ثياب ، ومن باب طعام ، ومن باب
شراب ، ومن باب فواكه ، ومن باب لحم ، ومن باب إدام ^(٧) .

فكذا المجتمعون على ذكر الله إذا طاب ذكركم ، وسقوا بالكأس
الأوفى ؛ فطربوا وملكتهم بهجة الحبيب ، ودب فيهم سكر الكأس ،

(١) مرتقبين : منتظرين .

(٢) الرغائب : الرغبات .

(٣) ركضاً : جرياً .

(٤) لحن في قراءته : طرب فيها .

(٥) دنو : قرب .

(٦) في أ ، ب : شيئاً ، تحريف .

(٧) الإدام : ما يؤتدم به .

وطارت عقولهم إلى ولي الكأس ، فسقوا هناك [٨٦] صرفاً (١)
فاعتماد أولهم وقائدهم على محلّ النجوى ، وتحفة (٢) التحية ؛ لهم
دوران وطواف على الأبواب لاسيما ولهم من كل باب اسم تحفة ونوال
على قدر حظّه من ذلك الاسم ، وعلى ما تضمن ذلك الاسم .

مثل أسماء الله تعالى

مثل أسماء الله تعالى مثل ملك له بستان أحاطه بحائط ، وله
غرس وأشجار ذات ألوان من الفواكه وفنون (٣) النعم ، فساق إلى
عبيده : كلوا من هذه الثمار ، واشربوا من هذه الأنهار ؛ فهذا
معاشكم وماواكم ، ولكن شأنكم مرمّة (٤) هذا البستان ؛ من جرى
النهر ، وحفظ البساتين من منابت السوء ؛ فإنكم لو قصرتم في هذا
الأمر فعن قريب انكبس (٥) النهر ، ويبست الأشجار ، ونبتت
منابت السوء من القت (٦) وغيرها ؛ فتغير الألوان ، ولا تتورد .

فانظروا إلى نزاهة هذه الثمار والأوراد والرياحين ، فمن لم
يسمن على أكل هذه الثمار ، وشرب هذا الماء فعلى أي شيء يسمن ؟

(١) صرفاً : خالصاً .

(٢) تحفة : هدية ، فالتحفة : ما أتحت به غيرك .

(٣) فنون : أنواع .

(٤) مرمّة : إصلاح .

(٥) كبس البئر والنهر يكبسهما : طمها بالتراب .

(٦) القت : حب برى لا ينبتة الأدمى (المصباح) .

فالماء أَضْلَهُ واحِدٌ في الصِّفَاءِ والعُدُوبَةِ ، فإِذَا نَظَرْتَ إِلَى ثَمَرَةٍ كُلِّ شَجَرَةٍ وَجَدْتَ إِحْدَاهَا حُلُوءًا ، وَأُخْرَى حَامِضًا ، وَأُخْرَى مَرًّا ، وَأُخْرَى بَارِدًا ، وَأُخْرَى حَارًّا ، وَأُخْرَى بَيْنَ الحَمُوضَةِ والحَلَاوَةِ ؛ فَكُلُّ شَيْءٍ لَهُ نَفْعٌ دُونَ صَاحِبِهِ .

فكَذَا اللهُ تَعَالَى هَيَّأَ لِعِبَادِهِ بُسْتَانًا ، وَأَحَاطَ لَهُ حَائِطًا ، وَشَقَّ نَهْرًا ، وَأَجْرَى المَاءَ ، وَأَنْبَتَ الأشْجَارَ ، وَأَخْرَجَ مِنْ كُلِّ شَجَرَةٍ لَوْنًا مِنَ الثَّمَرَةِ ؛ فَالْحَائِطُ مِلْكُهُ ، وَالنَّهْرُ لِصِقِهِ ^(١) ، وَالْمَاءُ مَاءُ الحَيَاةِ - أَجْرَى مَاءَ الحَيَاةِ فِي نَهْرِ اللِّطْفِ إِلَى هَذِهِ الأشْجَارِ ، وَهُوَ أَسْمَاؤُهُ الحُسْنَى ، وَأَجْرَى إِلَى العِبَادِ كُلِّ اسْمٍ حُلُوءًا وَحَامِضًا ، وَعَذْبًا وَمَرًّا ، وَبَارِدًا وَحَارًّا ، فَمِنْ اسْمِهِ الرِّزَاقُ رِزْقَهُمْ ، وَمِنْ اسْمِهِ التَّوَابُ تَابَ عَلَيْهِمْ ، وَمِنْ اسْمِهِ الغَفَّارُ غَفَّرَ لَهُمْ ، وَمِنْ اسْمِهِ العَزِيزُ جَادَ عَلَيْهِمْ ، وَمِنْ اسْمِهِ الرَّءُوفُ رَوَّفَ بِهِمْ ، وَمِنْ اسْمِهِ الرَّحْمَنُ رَحِمَهُمْ فِي دِينِهِمْ ، وَمِنْ اسْمِهِ الرَّحِيمُ رَحِمَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمِنْ اسْمِهِ الوَكِيلُ تَوَكَّلَ بِهِمْ ، وَمِنْ اسْمِهِ الكَفِيلُ تَكْفَّلَ لَهُمْ ، وَمِنْ اسْمِهِ العَظِيمُ أَغْنَاهُمْ ، وَمِنْ اسْمِهِ الجَلِيلُ أَعَزَّهُمْ ، وَمِنْ اسْمِهِ الكَرِيمُ أَكْرَمَهُمْ ، وَمِنْ اسْمِهِ المَنَّانُ مَنْ عَلَيْهِمُ بِالرَّحْمَةِ العُظْمَى ؛ فَهَدَاهُمْ . وَمِنْ اسْمِهِ « اللهُ » اجْتَبَاهُمْ ^(٢) وَوَلَّاهُمْ ^(٣) قُلُوبَهُمْ وَعَلَّقَ ؛ فَمِنْ كُلِّ اسْمٍ أَهْدَى إِلَيْهِمْ

(١) لَصِقَ الشَّيْءُ بغيرِهِ لَصِقًا وَلِصُوقًا : لَزِقَ . وَهُوَ لَصِقُهُ : بِجَانِبِهِ .

(٢) اجْتَبَاهُمْ : اخْتَارَهُمْ . (٣) الوَلَّى : شَدَّةُ الحُبِّ .

ما وُضِعَ في ذلك الاسم ؛ لأنه من أجلهم أخرج الأسماء إليهم ؛ فمن كان أشدَّ محافظةً لهم ، وإكباباً عليهم ، وأدوم قياماً على نفسه ، كانت فوهة نهره أوسع ، والماء فيه أكثر ، ووجدنا أن هذه الثمرة إنما يسيغها آكلها بالماء الذي في قبو حنكه ، ويجد لذة الأشياء بذلك في ذلك الموضع ، فبتلك القوة ينتفع بهذه الثمار .

فكذا القلب إذا لم تكن فيه تلك المحبة اللذيذة التي يجد حلاوتها في قلبه لم يجد حلاوة هذه الأسماء ؛ فبالحب ينال طعم ما في هذه الأسماء من هذه المعاني التي في الاسم ، فلكل اسم بما فيه من معناه أكلا يسمن عليه ، كما يسمن صاحب الأشجار من أكل تلك الثمار التي أثمرت هذه الأشجار ؛ فالأسماء ثمرتها معانيها ، وسقيها ماء الحياة ، فإذا لم يكن القلب حياً لم تكن له تلك المحبة التي من الحياة العطائية ؛ فإذا هذه الأسماء له كالأشجار التي قد انقطع ماؤها فلم تثمر ، ولم تتورق ، ولم تتورد ، ويبست الأشجار فلا تصلح إلا للحرق .

وإذا أجرى ماء الحياة ، وانتبه القلب ، وحيى بالله جاءت المحبة .

فبحلاوة المحبة تحلو الأسماء ، ويجد القلب لذة تلك الحلاوة ،

ويرطب بذلك اللطف^(١) ؛ لأنَّ في الأسماءِ صفاتِ المحبوبِ
ولطفه^(١) ، والآءه^(٢) ، وأخلاقه ، وكرمه ، ورحمته ،
وأفضاله ؛ فعلى قدرِ محبته له يجدُ حلاوةَ الصفاتِ ، واللطفِ ،
والآلاءِ ، والأخلاقِ ، والعطفِ ، والكرمِ ؛ وتَعْظُمُ أفعاله عندك ،
ويأخذُ من قلبك سلطانَ ذلك الفعلِ ؛ فإذا أثنى على ربِّه ، أو مدحه ،
أو دعاه باسم من أسمائه ، فإنه يُخْرِجُ كلمته من فيه على قدرِ
سلطانه من القلبِ ، ومملكة القلب من الحياة والمحبة .

مثل من يردد ذكر الله في قلبه

مثل من يرددُ ذكرَ الله في قلبه ولسانه مثل ماءٍ راكداً في موضعٍ
قد أحاط به زبدٌ وغطاءٌ^(٣) ، فإذا هاجت الرياحُ فضربت الماءَ يذهب
ذلك الغطاءُ والزبدُ إلى ناحية من الماءِ ، ويبقى الماءُ صافياً ، فكلما ازدادَ
هيجانُ الرياحِ ازدادَ اضطرابُ الماءِ ، فازدادت صفوةُ الماءِ ، حتى يأتي
بمخضٍ^(٤) الماءِ الذي في وسطه .

فكذا كلما ترددَ الذكرُ ، وتتابَعَ ، ازدادَ قوةً في قلبه ، وصفوةً
في ذكره ، حتى تملأ من نورِ ذكره السمواتُ والأرضُ .

(١) لطف الله بنا لطفاً : رفق بنا ، فهو لطيف بنا (المختار) .

(٢) آلاؤه : نعمه .

(٣) الزبد من البحر وغيره : كالرغوة . والغطاء : البالي من ورق الشجر المخالط

زبد السيل .

(٤) مخض الماء : خالصه وصابيه .

و كذا جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ مَلَأَ نُورُهُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ . وَإِذَا قَالَهَا ثَانِيًا مَلَأَ مَا بَيْنَ الْعَرْشِ إِلَى الثَّرَى (١) .

ففي أول دفعة قالها صَفَّتِ الْمَجْرَى ، وَذَهَبَ الْغُثَاءُ الْمَحِيطُ عَلَى الصَّدْرِ ، فَظَهَرَ الصَّفَاءُ ، فَإِذَا قَالَهَا ثَانِيًا فَإِنَّمَا قَالَهَا مِنْ صَفَاءِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ ، فَازْدَادَ طَرِيقُ مَجْرَاهَا صَفَاءً ، فَأَخْرَجَهَا مِنْ مَحْضِ الْقَلْبِ عَنْ عَيْشٍ (٢) الْحَمْدِ ؛ لِأَنَّ عِلْمَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ فِي قَلْبِهِ ؛ فَكَلِمًا انْكَشَفَ الْغِطَاءُ عَنِ الْعِلْمِ كَانَ أَصْفَى وَأَنُورَ ، وَأَعْظَمَ أَجْرًا ، حَتَّى مَلَأَ مَا بَيْنَ الْخَافِقَيْنِ (٣) وَمِنَ الْعَرْشِ إِلَى الثَّرَى مِنْ نُورِ الْكَلِمَةِ مِنْ فِيهِ .

مثل من يعبد الله بلا علم .

مَثَلٌ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ بِإِلْمٍ مِثْلُ مَنْ يَتَجَرَّبُ بِإِلْمٍ بَصَرٍ فِي السَّلْعِ (٤) ، وَلَا عِلْمٍ بِأَسْعَارِهَا وَلَا بِجَوَاهِرِهَا وَلَا بِقِيمَتِهَا ، وَلَا بِنَقْدِ الْأَثْمَانِ ، فَإِذَا اشْتَرَى اشْتَرَى بِغَلَاءٍ ، وَإِنْ بَاعَ بَاعَ بِوَكْسٍ (٥) ، وَإِنْ اقْتَضَى زِيوفًا (٦) وَبَهْرَجَةً (٧) عَلَى عَمَى وَدُلْسَةٍ (٧) .

(١) الثرى : التراب ، أو التراب الندى . ويريد الأرض .

(٢) في ١ : عيش . (٣) الخافقين : المشرق والمغرب .

(٤) السلعة : البضاعة ؛ وجمعها سلع (المصباح) .

(٥) وكس : نقصان . (٦) زافت الدراهم : ردأت .

(٧) البهرج : الردى من الشيء . ودرهم بهرج : ردى الفضة . وفي أ ، ب :

ونبهرجة !

(٨) الدلسة : الخديعة . ودلس البائع تدليساً : كتم عيب السلعة من المشتري وأخفاه .

ويقال أيضاً : دلس دلساً — مثل ضرب ضرباً . والتشديد أشهر (المصباح) .

مثل من يتعلم العلم ولا يعمل به ولا يعلمه الناس

مَثَلُ مَنْ يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ وَلَا يَعْلَمُهُ النَّاسُ مَثَلُ رَجُلٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا كَثِيرًا فَكَنَزَهُ تَحْتَ الْأَرْضِ ، فَلَا يَنْفِقُ مِنْهُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَلَا يَصِلُ النَّاسَ بِهِ ؛ فَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ هُوَ وَلَا غَيْرُهُ ، وَصَارَ وَبَالًا ^(١) عَلَيْهِ فِي الْمَعَادِ .

وَمِثْلُهُ أَيْضًا مَثَلُ الْكَلْبِ اتَّخَذَ مَأْوَى ^(٢) فِي مَعْلَفٍ ^(٣) فِيهِ تِبْنٌ كَثِيرٌ ؛ لَا يَعْتَلِفُ هُوَ ، وَلَا يَدَعُ غَيْرَهُ لِيَعْلِفَ بِهِ دَوَابَّهُ ؛ فَكُلُّ مَنْ قَصَدَ ذَلِكَ نَبَحَ وَدَفَعَهُ ^(٤) عَنْهُ .

فَهَذَا أَيْضًا لَا يَعْمَلُ بِهِ فَيَنْفَعُهُ فِي الدَّارَيْنِ ، وَلَا يَعْلَمُ غَيْرُهُ ، لَا يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْجَنَّةِ هُوَ بِنَفْسِهِ ، وَلَا يُرْشِدُ غَيْرَهُ .

مثل من يتعلم العلم ويعمل به ولا يعلم غيره

وَمِثْلُ الَّذِي يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ فَيَعْمَلُ بِهِ وَلَا يَعْلَمُ غَيْرَهُ مَثَلُ رَجُلٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا جَمًّا ^(٥) ، فَانْتَفَعَ بِهِ ، وَتَنَعَّمَ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَلَا يَعْطِفُ بِشَيْءٍ مِنْهُ عَلَى الْجِيرَانِ وَالْأَقْرَابِ وَالْمُسْلِمِينَ .

مثل من يتعلم العلم ويعمل به

وَمِثْلُ مَنْ يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ فَيَعْمَلُ بِهِ مَثَلُ رَجُلٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا

(١) الوبال : الضرر والمكروه يلحق المرء .

(٢) المأوى لكل حيوان : سكنه .

(٣) المعلف : موضع العلف . والعلف : ماتا كلة الدابة .

(٤) دفعه : رده ومنعه .

(٥) جمًّا : كثيرًا .

طَيِّبًا ، فانتفع به وتنعم به ، وأنفق على الجيران والأقارب والمسلمين .

مثل من يتعلم العلم ولا يعمل به ويعلمه الناس

ومثل من يتعلم العلم ولا يعمل به ويعلمه الناس مثل رجل [٨٧]
رزقه الله مالا كثيرا فكل من أخذ منه أو سرق منه لا يبالي به ،
ولا ينفق على نفسه وعلى عياله شيئا^(١) ، وتموت عياله جوعا وعريا^(٢)
وهو أيضا في بؤس وفاقة^(٣) من المطعم والمشرب ، لا يطيق أن
يأكل منه شيئا^(١) بنفسه ، أو ينفق على عياله ؛ فقد خسر هو
في الدنيا والآخرة .

ومثل من يتعلم العلم ولا يعمل به ويبدله للناس للمباهاة^(٤)
والرفعة في الدنيا مثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه .
ومثله أيضا مثل رجل وضع السراج على طرف سطحه فانتفع
به المارون ، وهو في بيت مظلم لم ينتفع به ، وهو محتاج لذلك .
ومثل من يطلب العلوم الكثيرة وجمعها ، ولم يعمل بها ، ولا
يرى أثر ذلك عليه ، فيجمع العلوم والكتب دائما ولا يشبع من
طلبها مثل من يجمع كل يوم ساعة طعاما كثيرا في بيته من
فنون الأطعمة والأشربة والفواكه والطير مما يتسارع إليه الفساد ،

(١) في الأصول : شيء - تحريف .

(٢) في ب : عري - تحريف .

(٣) فاقة : فقر .

(٤) المباهاة : المفاخرة .

ولا يطعم منه شيئاً وهو جائع غرثان^(١) ؛ فكلُّ يومٍ يأكلُ مقدارَ
رَغِيفٍ مِنْ ذَلِكَ مِمَّا قَدِيبَسَ وَتَكَرَّجَ^(٢) ، وَيَنْظُرُ إِلَى أَلْوَانِ الْأَشْيَاءِ ،
وَيَبْخُلُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْ جَمْعِهِ كُلِّ يَوْمٍ ، إِلَى يَوْمِ مَوْتِهِ ،
فَيَنْتَنُ بَيْتَهُ ، وَفَسَدَتِ الْأَشْيَاءُ : فَتُلْقَى^(٣) ، وَلَا يَأْكُلُهَا أَحَدٌ .
وقد مضى .

مثل من يبتغى نزول الرحمة قبل التوبة

مَثَلٌ مَنْ يَبْتَغِي^(٤) نُزُولَ الرَّحْمَةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى قَبْلَ التَّوْبَةِ مَثَلٌ
سَاكِنٌ فِي بَيْتٍ قَدْ آذَاهُ الْحَرُّ وَالْغَمُّ وَالذَّبَّانُ^(٥) ، فَكَلَّمَا دَخَلَهُ
يَتَصَبَّبُ فِيهِ عَرَقًا ، وَيَتَقَلَّبُ فِي غَمِّهِ ، وَيَتَأَذَى بِالذَّبَّانِ ؛ فَإِذَا أَرَادَ
أَنْ يَتَزَوَّجَ فِيهِ ، وَيَتَنَعَّمَ بِالْجُلُوسِ وَالنَّوْمِ وَالْقَرَارِ ، فَأَوَّلًا يَنْبَغِي
أَنْ يُخْرِجَ مَا فِي الْبَيْتِ مِنَ الْقَمَاشَاتِ^(٦) وَالْأَطْعَمَةِ الَّتِي فِيهَا مَجْمَعُ
الذَّبَّانِ ، فَذَهَبَ فَاحْتَالَ لَهُ فَرَشُّهُ ، فَلَا يَزَالُ يُدِيمُ الرَّشَّ بِالْمَاءِ حَتَّى
يَبْرُدَ ، وَيَبْرُدَ الْمَاءُ ؛ فَكَلَّمَا دَخَلَهُ اسْتَقْبَلَهُ رَوْحٌ^(٧) ذَلِكَ الرَّشُّ ،
وَطِيبُ ذَلِكَ الرَّوْحِ ، فَأَوَّلُ فِعْلِهِ أَنْ يَبْتَدِيَءَ فِي كَنْسِهِ ؛ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ

(١) غرثان : جوعان (القاموس) . وفي ب : عريان .

(٢) تكرر الحيز : فسد وعلته خضرة .

(٣) تلقى : ترمى .

(٤) يبتغى : يطلب .

(٥) الذبان : الذباب .

(٦) القماش : ما على وجه الأرض من فتات الأشياء .

(٧) الروح - بالفتح : نسيم الريح ، والراحة (القاموس) .

البيت قماش ونثار (١) الطعام ، ومجمع الذبان (٢) ، وثفل (٣)
الفواكه ، وما يرمى به ؛ فليس من شأن هذا الذي يريد روجه أن
يترك هذا البيت شبه كناسة ، ويرشه بالماء ليروح عنه (٤) مغتمه ،
فإن هذا يزيد رائحة منكراً ونتناً ، ولكن يكنسه مرة ثم أخرى
بالمكنسة الثقيلة ، ثم يكنسه بالمكنسة اللينة ، ثم يرشه بالماء
رشاً بعد رش ، فإذا دخله وجد روح ذلك الرش ؛ فإن في الماء رطوبة
وبرودة ؛ فيرش الماء في كل مرة حتى تنشف (٥) الأرض الماء ؛
ويكنسه أخرى ، ويرش الماء ، ثم يبسط الحصى حتى يطيب ،
وتزول عنه الرائحة المنكرة ، فإذا انتشفت الأرض رطوبة الماء بقي
روح البرودة هناك ، وذهبت الحرارة والغمة (٦) ؛ فحينئذ إذا
دخل يجد الروح والراحة ، فافترق الذبان .
فكذلك صدر الآدمي وقلبه ؛ فإن الشهوات في قلبه ؛ فنفس
الآدمي كالآتون (٧) الذي يتلظى (٨) لهب ناره من الشهوات والهوى ،

(١) القماش : ما على وجه الأرض من فتات الأشياء . ونثر الشيء : رماه متفرقاً .
والنثار : ما تناثر منه (القاموس) .

(٢) الذبان : الذباب .

(٣) الثفل : جثالة الشيء ؛ وهو التخين الذي يبقى أسفل الصافي .

(٤) في ب : عند . (٥) تنشف الأرض الماء : تشربه .

(٦) غم اليوم والساء غما ، وأغم - بالألف : جاء بغم من تكاثف حر أو غيم .

(٧) وتشدد ياؤه أيضاً : الكانون .

(٨) يتلظى : يتوقد .

وَشُعْلَهَا مُتَادِيَةً إِلَى جَوَارِحِهِ ؛ فَشُعْلَةٌ مِنْهَا تَتَادَى إِلَى الْعَيْنِ ، فَكَلِمَا
رَمَى بِبَصَرِهِ بِقُوَّةِ تِلْكَ الشُّعْلَةِ إِلَى شَيْءٍ مِنْ زِينَةِ الدُّنْيَا رَجَعَتْ إِلَى
النَّفْسِ بِلَذَّةِ يَسْكَرُ عَقْلُهُ بِهَا ؛ لِأَنَّ تِلْكَ اللَّذَّةَ سَرَى حُبُّهَا فِي نَفْسِهِ ،
فَتَادَى بِذَلِكَ الْحُبِّ إِلَى الصَّدْرِ . فَسَكَرَ الْعَقْلُ مِنْ ذَلِكَ وَتَدَنَّسَ ،
فَانْكَمَنَ فِي الدِّمَاغِ ، وَامْتَنَعَ مِنَ الْإِشْرَاقِ ، وَافْتَقَدَ الصَّدْرُ شُعَاعَهُ
الَّذِي كَانَ يَرْمِي إِلَى الصَّدْرِ فَيُشْرِقُ عَلَى الصَّدْرِ ، وَيَسْتَنِيرُ مِنْهُ ؛
بِمَنْزِلَةِ شَمْسٍ شُعَاعُهَا تُضِيءُ بِهِ الْأَرْضَ ، فَيَحْوِلُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَرْضِ
سَحَابَةٌ سَوْدَاءُ قَامَتْ بِإِزَائِهَا ^(١) ، فَذَهَبَ ضَوْؤُهَا ، فَيَصِيرُ الْبَيْتُ
مُظْلَمًا كَاللَّيْلِ أَوْ شَبِيهَهُ .

وَشُعْلَةٌ مِنْهَا تَتَادَى إِلَى السَّمْعِ ، فَكَلِمَا أَلْقَى سَمْعَهُ إِلَى شَيْءٍ تَلْدُذُّ بِهِ
السَّمْعُ ، فَتَادَتْ اللَّذَّةُ إِلَى النَّفْسِ ، فَتَارَ دُخَانُهَا إِلَى الصَّدْرِ .
وَشُعْلَةٌ مِنْهَا تَتَادَى إِلَى اللِّسَانِ . وَشُعْلَةٌ إِلَى الْحَلْقِ . وَشُعْلَةٌ إِلَى
الْفَرْجِ . وَشُعْلَةٌ إِلَى الْيَدِ لِلْبَطْشِ وَالتَّنَاوُلِ وَالْبَذْلِ ؛ وَشُعْلَةٌ إِلَى
الرِّجْلِ .

فَهَذَا الصَّدْرُ كَمَرْبَلَةٍ ، وَفِيهِ فَوْرَانٌ هَذِهِ الشَّهَوَاتِ ؛ وَالْبَطْنُ
كَالْأَتُونِ الَّذِي يُطْبَخُ فِيهِ اللَّبَنُ قَدْ احْتَدَّتْ حَرَارَتُهُ وَحَمِيَانُهُ ، فَصَارَ
اللَّبَنُ فِيهِ أَجْزَاءً ^(٢) ، يُقَالُ بِالْأَعْجَمِيَّةِ (بِخْتِهِ) ؛ فَلَا يَزَالُ يَمْضِرُ ^(٣)

(١) إِزَاءُهَا : مَحَاذِيَةٌ لَهَا .

(٢) نَى ب : آجْرًا .

(٣) مَضْرُ اللَّبَنِ : حَمَضٌ وَابْيَضٌ .

اللَّبَنُ وَيَذُوبُ حَتَّى يَصِيرَ كزُبْرَةٍ^(١) الْحَدِيدِ ؛ فَكَذَا الشَّهَوَاتُ فِي
الْبَطْنِ ، حَتَّى صَارَتْ بِتِلْكَ الصِّفَةِ ، فَمَتَى يُفْلِحُ هَذَا ؟ وَكَيْفَ
يَعْبُدُ رَبَّهُ ؟

تطهير الصدور

قال الإمام أبو عبد الله^(٢) رحمه الله : فَمَنْ شَأْنُهُ أَنْ يَبْتَدِيَ
فِي كَنْسِ هَذَا الصَّدْرِ أَنْ يَقْمَهُ^(٣) حَتَّى يُخْلِيَ صَدْرَهُ مِنْ كُنَاسَةِ
الذُّنُوبِ ، وَقُمَاشَاتِ الْعُيُوبِ وَالْفُضُولِ الَّتِي فِيهَا ؛ فَإِذَا جَاهَدَ فِي
هَذَا حَقَّ جِهَادِهِ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي تَنْزِيلِهِ^(٤) : (جَاهِدُوا فِي اللَّهِ
حَقَّ جِهَادِهِ)^(٥) - فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَحِينَئِذٍ أَمَطَرَ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ مَطَرَ
الرَّحْمَةِ ، فَرَشَّ صَدْرَهُ بِمَاءِ الرَّحْمَةِ ، فَثَارَتْ الْبُرُودَةُ إِلَى الْجَوْفِ ،
فَأَطْفَأَتْ نِيرَانَ الشَّهَوَاتِ ، فَبَرَدَ الْأَتُونُ ، وَصَارَ الصَّدْرُ مَرُوحًا
بِبَرْدِ الرَّحْمَةِ الَّتِي أَمَطَرَتْ عَلَيْهِ .

فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَعَرَّفَ هَذَا مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلْ وَصَلَ إِلَيْهِ مَطَرُ
الرَّحْمَةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذِهِ الشَّهَوَاتِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا الَّتِي فِي جَوْفِهِ ، هَلْ

(١) الزبيرة : انقطعة من الحديد .

(٢) الإمام أبو عبد الله : هو المؤلف .

(٣) قمه : كنسه .

(٤) سورة الحج ، آية ٧٨ ، والآية : وجاهدوا . . .

(٥) حق جهاده : قيل : هو إشارة إلى امتثال جميع ما أمر الله به ، والانتهاز عن كل

مانه عنده : أي جاهدوا أنفسكم في طاعة الله وردّها عن الهوى ، وجاهدوا الشيطان في رد
وسوسته ، والظلمة في رد ظلمهم ، والكافرين في رد كفرهم : (القرطبي : ١٢-٩٩) .

سَكَنَ تَلْظِيهَا ^(١) ، وانقطعَ لُبُّهَا عن الجَوَارِحِ ؟ وهل سَكَنْتَ
حِدَةً بِصَرِّهِ بِالنَّظَرِ ، وَحِدَةً سَمِعَهُ بِالِاسْتِمَاعِ ، وَحِدَةً حَلَقَهُ عِنْدَ
المَضْغِ وَالتَّلْمِظِ ^(٢) ، وَحِدَةً لِسَانَهُ ، حَتَّى يَنْطِقَ فِي وَقْتِ دَوْرَانِ
العَرَقِينَ بِذَلِكَ اللِّسَانِ ، وَحِدَةً يَدِهِ حِينَ تَنَاوَلَ ، وَحِدَةً وَرِكَيَهُ
حِينَ يَضْطَرِّبَانِ بِاخْتِلَافِ القَدَمِينَ وَتَخَطُّي الرِّكْبَتَيْنِ ؛ فَإِذَا افْتَقَدَ
الحِدَّةَ فِي هَذِهِ المَوَاضِعِ فَقَدْ اسْتَيْقَنَ أَنَّ التَّلْظِيَّ قَدْ سَكَنَ فِي الجَوْفِ ،
وَ أَنَّ القُوَّةَ - قُوَّةَ الشَّهْوَةِ - قَدْ ضَعُفَتْ ؛ فَعِنْدَهَا يَعْلَمُ أَنَّ مَطَرَ الرَّحْمَةِ
مِنَ المَاجِدِ الكَرِيمِ ، العَزِيزِ الوَهَّابِ ، قَدْ حَلَّتْ بِهِ ، وَأَمْطَرَتْ عَلَى
صَدْرِهِ وَقَلْبِهِ حَتَّى طَفِئَتْ ^(٣) نَارُ الشَّهْوَاتِ فِي نَفْسِهِ ، وَبَرَدَ
الأَثْوُونُ .

فَالكَيْسُ ^(٤) هَاهُنَا فَهَمَّ وَأَدْرَكَ أَمْرَهُ ، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : لِمَ
يَزَلُّ رَبِّي مَاجِدًا رَحِيمًا جَوَادًا ، فَكَيْفَ احْتَبَسْتُ عَنِّي رَحْمَتَهُ حَتَّى
عَمِلْتُ هَذِهِ النِّيرَانَ فِي جَوْفِي مَا عَمِلْتُ ، حَتَّى فَضَحَنِي عِنْدَ رَبِّي وَعِنْدَ
مَلَائِكَتِهِ الكَتَبَةِ ، وَعِنْدَ سَمَائِهِ وَأَرْضِهِ ؛ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى عَقْلِهِ فَبَصَّرَهُ ^(٥)
عَقْلُهُ أَنَّ هَذِهِ الرَّحْمَةَ امْتَنَعَتْ عِنْدَكَ ؛ لِأَنَّكَ تَحْتَاجُ إِلَى غَسْلِ بَيْتِكَ

(١) تَلْظِيهَا : تَوَقَّدَهَا .

(٢) تَلْمِظٌ : أَخْرَجَ لِسَانَهُ فَمَسَحَ شَفْتَيْهِ . أَوْ تَتَّبَعِ الطَّعْمَ وَتَذَوَّقْ (القَامُوسُ) .

(٣) طَفِئَتْ النَّارُ - كَسَمِعَ : ذَهَبَ لُبُّهَا . (القَامُوسُ) .

(٤) الكَيْسُ : العَاقِلُ .

(٥) بَصَّرَهُ : عَرَفَهُ .

حتى تُطَهَّرَهُ مِنَ الْأَدْنَسِ وَالْأَوْسَاخِ ، فَأَقْبَلَ إِلَى الْأَزْدِيَادِ كَنَسًا بَعْدَ
كَنَسٍ ، حَتَّى صَارَ بَهِيئَةً مِنْ كَثْرَةِ تَفَقُّدِهِ أَلَّا تَسْخُوَ (١) نَفْسُهُ أَنْ
يَتْرَكَ فِيهَا تَبِنَةً أَوْ أَدَقَّ (٢) مِنَ التَّبِنَةِ فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ حَتَّى يَرْفَعَهَا [٨٨] ،
فَكَلَّمَا أَزْدَادَ مِنْ ذَلِكَ تَوْقِيًّا وَتَفَقُّدًا أَزْدَادَ رَوْحِ قَلْبٍ ، وَطَيَّبَ نَفْسَ
لِلرُّوحِ وَالْقَلْبِ ؛ فَالْنَفْسُ الدُّنْيَا (٣) إِذَا شَعَرَتْ بِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى ،
وَعَلِمَتْ بِذَلِكَ ، تَنَزَّهَتْ فِي سَاحَاتِ رِيَاضِهَا ، وَمَرَّحَتْ فِي جَنَّانِهَا (٤)
وَأَشْرَتْ وَبَطَّرَتْ (٥) ؛ فَإِذَا كَانَ الْقَلْبُ أَبْلَهُ (٦) غَتْمًا (٧) ، وَأَعْطَى
عِلْمَ الرَّحْمَةِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَحِيمٌ ، نَقَلَ ذَلِكَ الْعِلْمَ إِلَى النَّفْسِ حَتَّى
تَأْشُرَ (٨) وَتَبَطَّرَ ، وَتَسْتَرُوحَ ، وَتَرْكُضَ فِي فُسْحَةِ اللَّذَاتِ ، وَتَسْتَرُوحَ
إِلَى ذَلِكَ الْعَنَمِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رُءُوفٌ رَحِيمٌ ، يَتَرَدَّى (٩) بِذَلِكَ فِي آبَارِ
الْهَلَاكِ .

فَإِذَا كَانَ الْقَلْبُ كَيْسًا نَقَلَ ذَلِكَ الْعِلْمَ إِلَى الْعَقْلِ ، فَيُبْصِرُ

(١) تسخو نفسه : ترضى .

(٢) أدق : أصغر .

(٣) الدنيا : الوضيعة .

(٤) جنان : جمع جنة ؛ وهى الروضة والبستان .

(٥) الأشر والبطر : كفران النعمة ، وعدم الشكر عليها .

(٦) فى أ ، ب : أبلها .

(٧) غتم - كتعب ، فهو غتم : لا يفصح شيئاً .

(٨) فى ب : نشر .

(٩) يتردى : يسقط .

العقل ، وقال له : هل يستحق الموصوف بالرحمة أن تبذل نفسك .
وتقوم له بأمره على أشفار عينيك ، وتضع أموره على رأسك من
التعظيم ؛ فإن الرحمة مديحة ، والممدوح بالرحمة من عبده في دار
الدنيا تسمو إليه الأبصار ، وتهتش^(١) إليه النفوس بهذه الخصلة
الموجودة فيه .

وكذا كل خصلة من خصال الكرم من الحسن والبهاء تجدها
في عبد من عبده ، فإذا عرفته بتلك الخصلة أحبته عليها حبا
يأخذ بقلبك ، ويسبى^(٢) نفسك ؛ فربك الممدوح بهذه المدائح
الموصوف بهذه الصفات أحق وأقمن^(٣) أن تأخذ مدائحه قلبك
وتسبى نفسك ؛ فإذا علمت أنه رحيم فزد في تعظيمه وتوقيره
بأنبيائه وأحبابه وشغوفنا بكلامه ، ونصائحه ومواعظه لك شفقة
عليك ورأفة بك .

فهذا العقل يدل هذا القلب الكيس على هذا .

فإذا كان أبله مال إلى النفس ، وقارنها بالفرح بهذه الرحمة
أن ربنا ملك كريم رحيم ، فتعال حتى نركض في هذه الشهوات
والنهمات^(٤) ننتظر بها ، ونستقصي في نهماتنا ؛ فإذا علمه في

(١) تهتش : ترتاح وتنشط .

(٢) يسبى : يأسر .

(٣) أقمن : أحق وأجدر .

(٤) النهمة : الحاجة والشهوة .

هذا بأن ربنا رحيم ، قد سود وجهه ، وأحرق جسده ، ونكس قلبه ؛ ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ دبر^(١) كل صلاة : اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، وقلب لا يخشع ، ودعاء لا يسمع ؛ لأنه قلب أبله^(٢) جاهل بربه ، فهو وإن علم أن ربّه رءوف رحيم فهو جاهل بالرحمة ، لا يدري ما الرحمة إلا علم اللسان ؛ فعلمه بالرحمة مقدار ما أن يقول في نفسه : إنه إذا رحم فقد نجا من النار ، ولا يعلم بجهله بنفسه وبربه أن لله تعالى نجمات وسطوات يتمنى العبد أن يصرف به إلى النار .

العار والخزي بين يدي الله

حدثني أحمد بن مخلد ، حدثني محمد بن أبي بكر المقدمي^(٣) ، عن المعتمر بن سليمان ، عن خاله فضل بن مؤمل الرقاشي^(٤) ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفس محمد بيده ، إن العار والتخزية ليبلغان بالعبد في الموقف بين يدي الله تعالى ما يتمنى أن ينصرف به ، وقد علم أنما ينصرف به إلى النار .

(١) دبر كل صلاة : بعد كل صلاة .

(٢) أبله : ضعيف العقل .

(٣) والتقريب .

(٤) واللباب .

فالعار والخزي بين يدي الله تعالى وجعه على الأكباد والقلوب ،
وعلى الأرواح ، ووجع الأرواح والقلوب والأكباد يضعف^(١) على
وجع الأجساد أضعافاً لا تحصى ؛ لأن الروح بحياته يألم ، والجسد
بالروح يجد الألم ؛ فإذا خلص إلى الجسد شيء ألم^(٢) الروح منه ،
وإذا خلص إلى الروح شيء تضايف الألم للحياة التي في الروح
وشدة شعوره بالألم .

المعذب من الموحدين

فالمعذب من الموحدين إذا ألقى في النار أميت إماتة حتى تحرق
النار جسده ، ثم يحيا بعد ذلك ؛ هكذا روى لنا عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى^(٣) :
(فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا) . قال : أما الذين هم أهلها
فإنهم لا يموتون ولا يحيون^(٤) . وأما الذين ليسوا من أهلها فإن
النار تميتهم إماتة ثم يقوم ويشفع .

معناه عندنا أن الذين لا يموتون فيها ولا يحيون ، ليست لهم

(١) ضعفهم : كثرهم ؛ أي يزيد .

(٢) ألم : تألم .

(٣) سورة طه ، آية ٧٤

(٤) قال القرطبي : هذه صفة الكافر المكذب الجاحد ، فلا ينتفع بحياته ولا

يستريح بموته .

تلك الحياة التي في الجنة ؛ لأنَّ حياة أهل الجنة من قُدس الحياة
تحت العرش ، فَبِنَسِيمِهَا يَحْيَا أَهْلُ الْجَنَّةِ .

حياة اهل النار

وحياة أهل النار من غُسَالَةٍ (١) أهل الجنة حين يشربون من
ماء الحياة على باب الجنة حتى تزول عنهم أدناس (٢) الآدمية ،
وَأَسْقَامُهَا ، وَأَثْقَالُهَا وَأَذَاهَا ؛ فتجرى تلك الغسالة إلى باب النار
فتسقى أهل النار حتى يحيوا بتلك الغسالة ؛ ولا يتهنون بها ؛
فتلك حياة يجدون بها ألم الحياة ولا يجدون طيب الحياة ؛ فلا
حياة ولا موت ؛ فهذا الموقف بين يدي الله تعالى في العار والتخزية (٣)
أشدُّ عذاباً في ذلك الخوف والهول والحياء من الذي أميت في
النار ، والنار تحرق جسده ؛ والرحمة من الله تعالى محيطة به ،
لا يزال يقتضى بها نجاته وخلّصه حتى يخلّصه الله تعالى ، ثم يرمى
به إلى الجنة طاهراً .

مثل من يحشر في الموقف على تلون الأحوال

مثل من يحشر إلى الموقف غداً على تلون الأحوال مثل عسكر
نودى فيهم بالرحيل حين انفجار الصبح ، ففتح باب المدينة ،
فخرجوا ؛ فراكب على هملاج (٤) بلغ المنزل (٥) ضحوة قبل أن

(١) الغسالة : ما غسلت به الشئ .

(٢) أدناس : أوساخ .

(٣) التخزية : الذل والإهانة .

(٤) الهملاج : من البراذن : المذلل المنقاد (القاموس) .

(٥) المنزل : المكان الذي تقرر أن ينزلوا فيه .

يناله حرَّ النَّهارِ ، فوجدَ المَنزِلَ خاليا فنزل على مُختارِهِ في اللَّطْفِ
مكانَ وأنزَهه وأكثَره مرفقا ، ووجدَ الأعلافَ مهيَّأَةً ، والسوقَ
مزيَّنًا خاليا ، والمياهَ صافية ، والمساقىَ نظيفة طيبة ؛ فينال من كل
شئٍ على منيته واختياره ، حتى إذا انتصفَ النَّهارُ جاءت الرُّكبانُ
على دوابِّ الحُمُرِ مع الأثقالِ ، وازدحموا على المنازلِ في المنازلِ ،
ومالوا على الأعلافِ والأسواقِ حتى تضايقت الأمكنةُ والأعلافُ ،
وأقبلوا على سقْيِ الدوابِ على الازدحامِ ؛ فإذا كان آخرَ النَّهارِ جاءت
أصحابُ الدَّوابِّ القُطفِ^(١) ، فوجدوا بقيةَ الماءِ والأعلافِ ، ولم
يجدوا مكانا في المنزلِ ، فنزلوا في الصحراءِ ، وهم بعدُ في ضوئِ
النَّهارِ يبصرونَ أن ينزلوا ويجدوا^(٢) شيئا من العلفِ والماءِ وما يحتاجون
إليه ، حتى إذا أمسوا جاءت الرِّجالُ^(٣) فنزلوا حولَ المنزلِ بالبعدِ
من المرافقِ ، ولم يجدوا شيئا من المياهِ والأعلافِ إلا بقية ، ومن
المساقىَ الماءَ مع الكدورةِ والطَّينِ ، حتى إذا جنَّ^(٤) الليلُ جاءت
الرِّجالُ الزَّمنى^(٥) والأعرَّجونَ والعُميانَ ونحوهم يتخبَّطونَ الطريقَ

(١) قطفت الدابة : ضاق مشيها ، ودابة قطوف .

(٢) في أ ، ب : أن ينزلون ويجدون - وأراه تحريفاً .

(٣) الرِّجالُ : الذين يسرون على أرجلهم .

(٤) جن الليل : ستر ، يريد أظلمت الدنيا .

(٥) الزَّمنى : المرضى .

ولا يجدون موضع نزولٍ إلا في الخرابات والأرض الشاكة (١)
والكناسات والمتغوط (٢) ، في ظلمة الليل وهجوم البرد والرياح
والأنداء من الثلوج وغيرها ، فلا مكان ولا علف [٨٩] ولا مرفق
ولا كين (٣) ولا مستقر ، فهم يتمنون انكشاف (٤) الليل وانفجار
الصبح ، ولاصبح .

فهذا مثل أهل الحشر غدا إلى الله تعالى ، وذلك قول الله تعالى (٥) :
(ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا (٦) . وقال الله جل جلاله (٧) :
(ونفخ في الصور فإذا هم من الأجدات إلى ربهم ينسلون (٨) .

يحشر الناس ركبانا ورجالة وعلى وجوههم

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يحشر الناس أثلاثا :
ثلث ركبانا ، وثلث رجالة ، وثلث على وجوههم . ركبناهم قول

(١) التي فيها الشوك .

(٢) المتغوط : مكان الغائط .

(٣) الكن : الستر .

(٤) في ب : انكشاف .

(٥) سورة الكهف ، آية ٩٩

(٦) فجمعناهم جمعا : يعنى الجن والإنس في عرصات القيامة .

(٧) سورة يس ، آية ٥١

(٨) الصور : القرن . الأجدات : القبور . ينسلون : يخرجون .

اللَّهِ تَعَالَى (١) : (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (٢) . قَالَ
عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَجَائِب (٣) .

وَإِنَّمَا تَلَوْنَ حَشْرَهُمْ لِأَنَّ الْمَرَاقِبَ مُتَفَاوِتَةً كَمَا ضَرَبْنَا فِي الْمَثَلِ :
مِنْ فَارِسٍ ، وَرَاكِبِ حِمَارٍ ، وَصَاحِبِ قَطُوفٍ ، ، وَرَاجِلٍ ، وَمَنْ
دُونَهُ مِنَ الزَّمَنِ وَغَيْرِهِمْ ؛ فَيَصِلُ إِلَى الْمَوْقِفِ عَلَى قَدْرِ مَرْكَبِهِ ، وَمَرْكَبُهُ
مَعْرِفَةُ اللَّهِ تَعَالَى ؛ فَذَلِكَ مَرْكَبُ قَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِقَدْرِ مَعْرِفَتِهِ لِلَّهِ
تَعَالَى وَعِلْمِهِ بِاللَّهِ تَعَالَى ، يَصِلُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِنِيَّتِهِ فِي الْأَعْمَالِ ؛
فَفُرْسَانِهِمُ السَّابِقُونَ الْمُقَرَّبُونَ ؛ وَتَفَاوُتُ سَبَقِهِمْ فِي الْأَعْمَالِ بِتِلْكَ
الْقُلُوبِ الْفَوَّارِسِ عَلَى قَدْرِ تَفَاوُتِ مَرَاقِبِهِمْ ، كَتَفَاوُتِ الْخِيُولِ
هَاهُنَا فِي دَارِ الدُّنْيَا ؛ فَرُبَّ فَرَسٍ تَبْلُغُ قِيَمَتُهُ وَثْمَنُهُ أَلْفًا (٤) مِنْ
الدَّرَاهِمِ ، وَرُبَّ فَرَسٍ أَلْفٍ مِنَ الدَّنَانِيرِ ؛ ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِمُ الْمُقْتَصِدُونَ
وَهُمْ عَلَى قُطْفٍ (٥) الدَّوَابِّ وَالْأَثْقَالِ وَالْحَمُولَاتِ ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِمْ
أَصْحَابُ الْحُمْرِ يَفْتُرُونَ (٦) مَرَّةً وَيَقُومُونَ أُخْرَى ، مَرَّةً رُكْبَانًا ،
وَمَرَّةً مَشَاةً ، يَسُوقُونَ حُمُرَهُمْ بِالْعَنَاءِ وَالْعَجْزِ ، حَتَّى يَبْلُغُوا الْمَنْزِلَ ؛

(١) سُوْرَةُ مَرْيَمَ ، آيَةُ ٨٥

(٢) وَفْدًا : رُكْبَانًا عَلَى نَجَائِبِ طَاعَتِهِمْ .

(٣) وَالْقُرْطَبِيُّ : ١١ - ١٥١

(٤) فِي أ ، ب : أَلْفٌ ، وَأَرَاهُ تَحْرِيفًا .

(٥) قُطْفٌ : جَمْعُ قَطُوفٍ : وَهِيَ مِنَ الدَّوَابِّ وَغَيْرِهَا : الْبَطْيُ .

(٦) فَتْرَ عَنْ الْعَمَلِ فَتُورًا : انْكَسَرَتْ حَدَّتُهُ وَلَانَ بَعْدَ شِدَّتِهِ .

ثم من بعدهم الرجالة حُفَاةٌ وَأَصْحَابُ كَارَاتٍ (١) على ظهورهم
وَأَعْنَاقِهِمْ ، قَدِ حَفِيَتْ أَقْدَامُهُمْ ، وَنَكَبَتْ (٢) أَكْتَافُهُمْ ، وَانْعَقَرَتْ (٣)
من الحمولات التي على أعناقهم ومن تلك الكارات ؛ فهم رجالة
الدين ؛ ليس لهم نيات ولا تقوى ولا تقيّة ، يَخْتَبِطُونَ الطَّرِيقَ فِي
الدين تَخْبِطًا عَلَى الْعَادَةِ «وَالشَّايِذِبُودُ» ، يَعْمَلُونَ عَلَى الْعَادَةِ وَالتَّجْوِيزِ ؛
فَهُؤُلَاءِ هُمُ أَهْلُ الْعَامَّةِ فِي أَسْوَاقِهِمْ ، يَسْتَتِرُونَ بِالْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ ،
وَالصَّوْمِ ، وَالصَّدَقَةِ ، وَالشَّرَائِعِ ؛ وَقُلُوبُهُمْ مَشْحُونَةٌ بِحُبِّ الدُّنْيَا ،
وَمُفْتُونَةٌ بِالشَّهَوَاتِ ، قَدْ ضَيَّعُوا أَحْكَامَ الْفَرَائِضِ ، وَتَوَثَّبُوا (٤) فِي
الحدود ، وَيَعْمَلُونَ أَعْمَالَ الْبِرِّ عَلَى الْعَادَةِ بِالْجُزَافِ (٥) وَالتَّخْبِطِ ،
قَدْ نَسُوا الْمَعَادَ ، وَخَلَوْا مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَخَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي السِّرِّ ،
وَأَهْمَلُوا الْوَرَعَ ؛ فَهُمْ سَرَّاقُ الْأَسْوَاقِ فِي مَكَايِلِهِمْ وَمَوَازِينِهِمْ ،
وَتَضْيِيعُ أَمَانَاتِهِمْ .

ثم من بعدهم هؤلاء الْمُتَهَوِّكُونَ (٦) الْمُفْتُونُونَ فِي الدُّنْيَا

(١) الكارة من الثياب : ما يجمع ويشد ، والجمع كارات (المصباح) .

(٢) النكب : داء في الكتف ؛ وفي ب : نكدت - بالدال .

(٣) عقره عقراً : جرحه .

(٤) يقال : توثب في ضيعة : استولى عليها ظلماً . أي ضيعوا الحدود ، ولم

يقفوا دونها .

(٥) أصل الجزاف : بيع الشيء لا يعلم كيله ولا وزنه . والجزاف أيضاً : المساهلة .

(٦) المتهوكون : والمتهوك الساقط في هوة الردى .

حِيَارَى سَكَارَى ، فَهَمَّ عُرْجٌ وَزَمْنَى ^(١) وَعُمَى ، لَا يَصِلُونَ إِلَى
الْمَنْزَلِ إِلَّا بَعْدَ أَهْوَالٍ وَشِدَائِدٍ وَعَجَائِبٍ ، ثُمَّ بَقُوا فِي ظُلْمَةِ الصَّرَاطِ ،
وَنَفَخَاتِ النَّارِ ، وَدُخَانِ الْحَرِيقِ .

صفة فارس من السابقين :

قال له قائل : صِفْ لَنَا فَارِسًا مِنَ السَّابِقِينَ مَا صِفْتَهُ ؟

قال : ذَاكَ فَارِسٌ رَكِبَ مَرْكَبًا مِنْ مَرَآكِبِ الْمَعْرِفَةِ يَطِيرُ قَلْبُهُ
إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ وَقْتٍ وَأَمْرٍ وَحُكْمٍ ، حَتَّى لَوْ اسْتَقْبَلْتَهُ نِعْمَةٌ
طَارَ قَلْبُهُ إِلَى الْمُنْعَمِ ، وَلَهَا عَنِ النِّعْمَةِ ، وَإِذَا اسْتَقْبَلْتَهُ شِدَّةٌ طَارَ
قَلْبُهُ إِلَى الْمَقْدَرِ ، وَوَقَفَ بِبَابِ الْقُدْرَةِ يَنْظُرُ إِلَى تَقْدِيرِهِ لَهُ ذَلِكَ قَبْلَ
الْبُلُوحِ وَالْقَلَمِ ، وَخَلَقِ الْعَرْشِ وَالْكَرْسِيِّ ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَهَابَ
أَنْ يَلَاحِظَ غَيْرَ ذَلِكَ الَّذِي قَدَّرَتْ لَهُ نَفْسَهُ بِشَهَوَاتِهَا وَأَمْنِيَّتِهَا ،
وَإِنْ ذَكَرَ الرِّزْقَ طَارَ قَلْبُهُ إِلَيْهِ ، وَإِنْ ذَكَرَ أَمْرَ الرِّزْقِ طَارَ قَلْبُهُ إِلَى
الرَّازِقِ ، فَوَجَدَ الْأَمْرَ مَفْرُوعًا مِنْهُ ، وَأَنَّه قَدْ ضَمِنَ لَهُ ذَلِكَ ، وَأُبْرَزَ
ضِمَانَهُ فِي اللَّوْحِ ؛ وَإِنْ نَابَتْهُ نَائِبَةٌ طَارَ قَلْبُهُ إِلَى مَا نَابَهُ عَنْهُ ، فَنَزَلَ
مَنَازِلَ الْوَائِقِينَ بِكَرَمِهِ ، وَأَحْسَنَ الظَّنِّ بِهِ ، وَوَثِقَ بِهِ ، وَسَكَنَ فِي
مَحَلِّهِ لِرَبِّهِ ، مَطْمَئِنًّا الْقَلْبَ وَالنَّفْسَ ؛ وَإِنْ أَعْوَزَهُ ^(٢) أَمْرٌ وَأَزْعَجَهُ ،
طَارَ قَلْبُهُ إِلَى الْمُدَبِّرِ ، فَتَعَلَّقَ بِهِ مُضْطَرًّا إِلَيْهِ مُفْتَقِرًا إِلَى مَا أَمَّلَهُ

(١) عرج : جمع أعرج . زمنى : مرضى .

(٢) أعوزه أمر : أحوجه أمر .

وَرَجَاهُ ؛ فَهَذَا رَاكِبٌ نَالَ مَرْكَبًا سَرِيًّا بَهِيًّا هَنِيًّا ^(١) ، مَا أَسْرَعَ مَا يَبْلُغُ بِهِ يَوْمَ الْمَحْشَرِ إِذَا بُعِثَ مِنْ قَبْرِهِ فَيَجِدُ مَكَانًا فِي ظِلِّ الْعَرْشِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَجِيءَ الرَّحْمَةُ ، وَقَدْ نَالَ أَهْلُ الْمَحْشَرِ فِي الْمَوْقِفِ مِنَ الْعَطَشِ وَالْجُوعِ وَالْحَرِّ .

حدثني محمد بن يحيى بن أكرم بن حزم القطعي ^(٢) ، حدثني بشر بن عمر الزهراني ، حدثني ابن لهيعة ، عن خالد بن أبي عمران ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة رضي الله عنها ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : طوبى ^(٣) للسابقين إلى ظل الله تعالى . قيل : مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قال : الَّذِينَ إِذَا أُعْطُوا الْحَقَّ قَبِلُوهُ ، وَإِذَا سُئِلُوا بِذَلْوِهِ ، وَالَّذِينَ يَحْكُمُونَ لِلنَّاسِ بِحُكْمِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ . فصاحب هذه الصفة قلبه حى بالله ، ونفسه سخية منقادة لله ، قد ذلت بحدثة الحياة لله واقفاً عقله بعدل الله ، يحكم لخلقه بحكمه لنفسه ، فمر كبه من أعلى المراكب ، وأجود الحيوان .

مثل العامل يعمل أعمال البر

مَثَلُ الْعَامِلِ الَّذِي يَعْمَلُ أَعْمَالَ الْبِرِّ عَلَى طَرِيقِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ مَثَلُ نَهْرٍ اجْتَمَعَ فِي مَوْضِعٍ فِيهِ مِنَ الْبَرْدِيِّ وَالْحَطْبِ ، وَأُصُولِ الْأَبْيَاءِ ^(٤) وَنَحْوِهَا ، فَخَاضَ فِيهِ إِنْسَانٌ ؛ فَنَفِيَ كُلَّ مَوْضِعٍ وَصَلَتْ

(١) سرياً : من خيار المراكب . بهياً : جميلاً .

(٢) والتقريب . (٣) طوبى : اسم الجنة وقيل هى شجرة فيها .

(٤) الأبياء - كسحاب : البردية أو الأجمة ، أو هى من الحلفاء والقصب (القاموس)

يَدُهُ يَقَعُ فِي يَدِهِ شَيْءٌ مِنْ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ ، وَبَعْضُهَا عَلَى ظَهْرِهِ وَرَأْسِهِ
وَبَطْنِهِ ، فَيُخْرِجُ مِنَ النَّهْرِ مَتَلَوِّثَاتِهَا .

فَأَهْلُ الْغَفْلَةِ يَجْمَعُونَ حَرَكَاتِ الْجَوَارِحِ بِأَعْمَالِ الْبِرِّ ، وَلَيْسَ
لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا الظَّاهِرُ فِي مَقَاصِدِهِمْ وَنِيَّاتِهِمْ إِلَّا الثَّوَابَ الَّذِي وَعَدَ
اللَّهُ لِعَمَالِهِ بِذَلِكَ ، فَعَلَى قَدْرِ طَهَارَتِهِمْ وَصِدْقِهِمْ يَثَابُونَ مِنَ الْجَنَّةِ
أَجُورَ عَمَالَتِهِمْ ، وَتَعَبَ أَجْسَادِهِمْ ، وَتِلْكَ الطَّاعَةُ تُنَالُ مِنْ أَنْوَارِ
الْإِيمَانِ ، وَتِلْكَ نِيَّاتِ أَنْوَارِ الْإِيمَانِ الَّتِي اعْتَقَدُوهُ فَقَط .

فَأَمَّا أَهْلُ الْإِنْتِبَاهِ فَيَعْمَلُونَ الْأَعْمَالَ عُبُودَةً (١) لِلَّهِ ، عَارِفِينَ
مُوقِنِينَ عَالِمِينَ بِاللَّهِ ، فَمَثَلُهُمْ كَمَثَلِ مَنْ يَغُوصُ فِي الْبَحْرِ وَالْأَنْهَارِ ،
فَيَضْرِبُ بِيَدِهِ فِي غَوْصِهِ ، فَيَبْلُغُ فِي يَدِهِ جَوْهَرَةً لَا يُحِيطُ بِثَمَنِهَا عِلْمٌ
مِنْ نَفَاسَتِهَا (٢) وَصَفَائِهَا ، فَهَمَّ يَدْخُلُونَ فِي الطَّاعَاتِ بِحَرَكَاتِ
الْجَوَارِحِ ، وَلَكِنْ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْعَجَائِبِ مَا تَعْجَبُ الْمَلَائِكَةُ إِذَا رَفَعَتْ
إِلَى اللَّهِ تِلْكَ الْحَرَكَاتُ فِي حَشْوِهَا مِنَ الْأَنْوَارِ مَا يَمَلَأُ الْأَفُقَ الْأَعْلَى .

وَأَهْلُ الْغَفْلَةِ حَشَوْ حَرَكَاتِهِمْ فِي الطَّاعَاتِ أَنْوَارُ نِيَّاتِهِمْ وَمَقَاصِدِهِمْ ،
وَتِلْكَ مِنْ نُورِ الْإِيمَانِ الَّتِي اعْتَقَدُوهُ .

وَأَهْلُ الْإِنْتِبَاهِ حَشَوْ حَرَكَاتِهِمْ فِي الطَّاعَاتِ ؛ لِأَنَّ فِي حَرَكَاتِ
جَوَارِحِهِمْ نُورَ الْحُبِّ ، وَنُورَ الْحَيَاءِ ، وَنُورَ الشُّوقِ وَالْحَنِينِ ،

(١) عبودية : طاعة .

(٢) نفس الشيء نفاسة : يرغب ويتنافس فيه .

والتضرُّع ، والقلق ، والسُرور والبَهْجَة ، والشكر ، والذُّكْر
الصافي [٩٠] ، والإقبال على الله ، والإنابة ، والخشية ، والخضوع
والتسليم ، ورؤية المنَّة (١) ، والتَّبرُّى من الحَوْل (٢) والقوَّة ؛ فهؤلاء
غَوَّاصُونَ يَغُوصُونَ فِي كُلِّ حَرَكَةٍ فِي بُحُورِ الْمَعْرِفَةِ فِي وَقْتِ مَرُورِهِمْ
فِي اسْتِعْمَالِ الْجَوَّارِحِ وَمُضِيِّهِمْ فِيهَا بِقُلُوبِهِمْ ؛ وَيَسْتَخْرِجُونَ مِنْ
غَوْصِهِمُ الدَّرَّ الْيَتِيمَ (٣) ، وَالْجَوْهَرَ النَّفِيسَ ؛ لِأَنَّ الْقَلْبَ خَزَانَةَ
اللَّهِ تَعَالَى ، وَفِيهَا نُورٌ ؛ فَإِذَا طَهَّرَ الْعَبْدُ سَاحَةَ الْخَزَانَةِ ، وَهِيَ الصَّدْرُ -
ظَهَرَتْ فِي تِلْكَ السَّاحَةِ مِنْ بَابِ الْخَزَائِنِ فِي وَقْتِ عَمَلِ يَعْمَلُهُ -
عَجَائِبٌ لَا تُوصَفُ مِنْ هَذِهِ الْجَوَاهِرِ وَالذَّرِّ ، وَحَرَكَاتِ الطَّاعَاتِ
ذَاتِ صُورٍ ؛ فَكُلُّ طَاعَةٍ لَهَا صُورَةٌ وَمِثَالٌ ، وَفِي كُلِّ صُورَةٍ يَعْمَلُهَا
ثَوَابٌ (٤) فَيَرَأَى بِهَا رَبَّهُ ، وَيَتَزَيَّنُ الْعَبْدُ بِتِلْكَ الصُّورَةِ لِمَا فِيهَا مِنْ
الْجَوَاهِرِ لِمَعْبُودِهِ ؛ فَهَذَا عَبْدٌ يَتَزَيَّنُ بِجَوَاهِرِهِ مِنْ كَنْوَزِهِ ، حَتَّى إِذَا
جَازَ هَذِهِ الْخَطَّةَ ، وَوَصَلَ إِلَى فَرْدِيَّتِهِ (٥) ، فَكَانَ هَذَا عَبْدًا (٦) تَزَيَّنَ
لِلَّهِ بِاللَّهِ ، وَكَانَ اللَّهُ مُسْتَعْمَلَهُ فِي قَبْضَتِهِ ، وَهِيَ دَعْوَةٌ أَجَلَ الْعِبَادِ ،

(١) المنَّة : النعمة .

(٢) الحَوْل : القدرة على التصرف (القاموس) .

(٣) درة يتيمة : لانظر لها (المصباح) .

(٤) فِي أ ب : ثَوَابًا ، وَنَرَاهُ تَحْرِيفًا .

(٥) فَرْدِيَّتِهِ : وَحْدَانِيَّتِهِ .

(٦) فِي ب : عَبْدٌ .

واحد من السبعة الذين لقيهم يونس صلواتُ الله عليه ، وكان يدَعُو
ويقول : اللهم بك أتزِينُ فأجعل اليقين شعارى ، والصبر
دثارى ^(١) ، فهذا عبدٌ تزِينُ بالله الله .

مثل من وثق بالله فى ضمان رزقه

مَثَلُ مَنْ وَثِقَ بِاللَّهِ فِي ضَمَانِهِ فِي رِزْقِهِ وَكَفَايَتِهِ وَمَوَاعِيدِهِ مَثَلُ
مَثَلِ مَنْ ضَافَ ^(٢) مَلَكًا مِنَ الْمَلُوكِ ، فَدَعَاهُ الْمَلِكُ ، فَخَافَ مِنْ
دَعْوَتِهِ ، وَامْتَنَعَ وَاحْتَالَ لِنَفْسِهِ هَرَبًا وَامْتَنَاعًا لِقَلَّةِ ثِقَّتِهِ بِهِ ؛ لِأَنَّهُ
لَا يَدْرِي مَا لَهُ عِنْدَ الْمَلِكِ فِي الْغَيْبِ ؛ فَعَلِمَ الْمَلِكُ بِحَالِهِ ، فَوَجَّهَ
إِلَيْهِ وَلَدًا مِنْ أَوْلَادِهِ رَهِينًا ^(٣) عِنْدَهُ ، وَقَالَ : هَذَا وَلَدِي عِنْدَكَ
وَثِيْقَةٌ ، فَاحْضُرْ إِلَيَّ ، فَإِنِّي أَنِى لَكَ بِالْأَمَانِ وَالْوَفَاءِ بِكُلِّ مَا وَعَدْتُكَ .
فَسَكَنَ الْخَائِفُ بِذَلِكَ الرَّهِينِ ، وَاطْمَأَنَّتْ نَفْسُهُ ، وَعَلِمَ أَنَّ
الرَّهَانَ ^(٣) لَطْمَأْنِينَةَ الْقَلْبِ وَالْأَمَانَ ، وَلَا مَحَالَةَ يَفِى لَهُ بِذَلِكَ .
فَالْمُؤْمِنُ وَضَعَ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَلْبِهِ نُوْرَهُ ، ثُمَّ ضَمِنَ لَهُ الرِّزْقَ
وَالْكَفَايَةَ ، وَأَمَرَهُ بِالْعُبُودَةِ ^(٤) ، وَدَعَاهُ إِلَى طَاعَتِهِ ، وَوَعَدَهُ حُسْنَ

(١) الشعار - بالكسر : ماولى الحسد من الثياب . والدثار : ما يتدثر به الإنسان ،
أى يتلفف به ؛ وهو ما يلقيه عليه من كساء أو غيره فوق الشعار .

(٢) ضاف ملكا : نزل به ، وصار ضيفا عنده .

(٣) الرهن : ما وضع عندك لينوب مناب ما أخذ منك . والرهن : كل ما احتبس

به شىء .

(٤) العبودة : الطاعة .

المآب^(١) ؛ فكلّما نظر المؤمن إلى هذا الرهين الذي عنده اطمأن ،
وحسن ظنه به ، وقال في نفسه : لو لم يرد بي خيراً ما وضع مثل
هذا الجوهر النفيس في وثيقة ورهناً ، فبذل نفسه له ، وألقى^(٢)
بيده ، وارتفعت التهمة^(٣) وسوء الظن وخوف الرزق .

مثل أهل الثبات في الأعمال

مثل أهل الثبات في الأعمال مثل ملك له ثلاثة أعبد^(٤) ، فأعطى
كل واحد منهم قضيب^(٥) كرم ليغرسه ويعمره ويثمره ، ويحمل
شراب عصيره إليه ؛ فعمد^(٦) أحدهم إلى كرمه فجعله مربى^(٧)
له ، وقام بعمارته في السقي ، وتقلب الأرض ، يكريه^(٨)
ويسرقنه^(٩) ويشده وما يصلح^(١٠) لها ، حتى أدرك وأثمر ؛
فإذا جاء أوان عصيره فعصره فملاً زقاً صافياً صرفاً^(١١)
من العصير .

(١) المآب : المرجع .

(٢) ألقى بيده : سلم .

(٣) التهمة - بسكون الهاء وفتحها : الشك والريبة .

(٤) جمع عبد .

(٥) القضيب : الغصن المقطوع .

(٦) عمد إليه : قصد .

(٧) مربى له : مكان يربى فيه وينمى .

(٨) كريت النهر كرياً : حفرت فيه حفرة جديدة .

(٩) السرقين : الزبل .

(١٠) هذا بالأصول كلها .

(١١) صرفاً : خالصاً .

وَعَمَدَ الْآخِرُ إِلَى قَضِيْبِهِ فَسَقَاهُ سَقِيًّا دُونَ سَقَى (١) ، وَلَمْ يَثْمِرُهُ ، وَلَمْ يَقُمْ بِعِمَارَتِهِ مِثْلَ الْأَوَّلِ ؛ فَأَدْرَكَ الْكَرْمُ ، وَلَكِنْ لَيْسَ لِشَجَرِهِ نَزَاهَةٌ وَطَرَاوَةٌ ، وَلَا لِعِنَبِهِ مِنَ الْحَلَاوَةِ مَا يَكُونُ لِمِثْلِهِ ، فَعَصَرَ وَمَلَأَ زِقَّهُ مَمْرُوجًا بِالْمَاءِ .

وَعَمَدَ الثَّلَاثُ إِلَى قَضِيْبِهِ فَسَقَاهُ وَاحِدَةً ، وَلَهَا عَنْهُ ، وَلَمْ يَثْمِرْهُ ، وَلَمْ يَقُمْ بِعِمَارَتِهِ بِشَيْءٍ ، حَتَّى أَدْرَكَ عِنَبُهُ ، كُلَّهُ حَامِضٌ ، لَيْسَ فِيهِ مِنَ الطَّرَاوَةِ وَالْمَاءِ شَيْءٌ ، فَعَصَرَهُ كَذَلِكَ ، فَلَمْ يَمَلَأْ الزَّقُّ ، فَفَنَفَخَ فِيهِ حَتَّى امْتَلَأَ رِيحًا ، فَصَارَ فِي رَأْيِ الْعَيْنِ كَالْمَمْتَلِئِ .

يَحْمِلُ كُلُّ وَاحِدٍ زِقَّهُ إِلَى الْمَلِكِ فَرَأَى الْمَلِكُ كُلَّهَا ، فِي رَأْيِ عَيْنِهِ مَمْتَلِئًا ؛ فَحَلَّ مِنَ الْأَوَّلِ وَكَاءَهُ (٢) فَذَاقَهُ ، فَرَأَاهُ شَرَابًا صَرَفًا لَذِيذًا ، فَأَعْجَبَ الْمَلِكُ بِذَلِكَ وَقَبِلَهُ وَاسْتَحْلَاهُ ، وَوَأَفَقَهُ وَأَعَدَلَهُ جَزِيلاً (٣) ، وَأَكْرَمَهُ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةً (٤) بَهِيَّةً (٥) ؛ فَحَلَّ وَكَاءَهُ الثَّانِي فَذَاقَهُ فَوَجَدَهُ مَمْرُوجًا بِالْمَاءِ ، وَلَمْ يَجِدْ لَهُ كَثِيرَ حَلَاوَةٍ ؛ فَرَمَى بِهِ وَجْهَهُ ، وَأَخْرَجَهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ .

فَلَمَّا حَلَّ وَكَاءَهُ الثَّلَاثُ خَرَجَتْ الرِّيحُ ، فَبَقِيَ فِي الزَّقِّ شَيْءٌ قَلِيلٌ ،

(١) أى لم يواظب على سقيه .

(٢) الوكاء : أصله جبل يشد به رأس القربة . وأوكيت السقاء : شددت فيه بالوكاء

(٣) جزيلًا : عطاء كثيرًا .

(٤) الخلعة - بالكسر : ما يعطيه الإنسان غيره من الثياب منحة .

(٥) بهية : جميلة .

فلما ذاقه وجده حامضاً غير مُدرك^(١) ، فضرب بالزق على رأسه ،
وأخرجه من بين يديه ، وسقطت الجلدة بين يديه .

عمال الله تعالى على ثلاثة أصناف

فعمالُ الله تعالى ثلاثة أصناف : فعامل تصدُرُ أعمالِ برِّه من
قلبٍ سقيم ، فصدُرُه مغيمٌ بسقمِ قلبِه من أمراضِ الذُّنوبِ ، وغيمُه
من دُخانِ الشَّهواتِ وقضاءِ المنى^(٢) ؛ فقوَّةُ عمله إنما هي^(٣) من نورِ
التوحيدِ فقط ، فإذا خرج عمله حشو نورِه الذي بدر من التوحيد ،
فالأعمالُ قوالبٌ ، وحشوها الأنوارُ . فصاحبُ هذه الصِّفةِ كصاحبِ
زقٍّ^(٤) منفوخ فيه حين حلِّ وكأوه خرجت الريحُ ، وبقي في
أسفله شيءٌ يسيرٌ قليلٌ ، وتساقط الزقُّ ؛ فإذا رُفِعَ عملُ هذا إلى الله
تعالى لم يظهر منه من النورِ إلا بمقدارِ النورِ الذي ذكرنا ، وسائرُها
حركات^(٥) الجوارح بلا نور .

والثاني خرج عمله إلى الله تعالى ممتلئاً نوراً ممزوجاً بنورِ الرِّجاءِ
والنَّوالِ^(٦) من الله تعالى ؛ فطمع نوالِه أذهب حلاوة عمله .

والثالث خرج عمله إلى الله تعالى ممتلئاً نوراً من نورِ القُرْبَةِ ،

(١) غير مدرك : غير ناضج .

(٢) المنى : ما يتمناه .

(٣) في ب : إنما هو . . .

(٤) الزق : السقاء ، أو جلد يجز ولا ينتف للشراب وغيره .

(٥) سائرُها : باقيها .

(٦) النوال : العطاء .

حَسَنُوا ذَلِكَ النُّورَ حُبُّ اللَّهِ تَعَالَى ، لَمْ يَبْتَغِ (١) بِهِ غَيْرَ وَجْهِهِ الْكَرِيمِ
مَنْ غَيْرَ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَى نَفْسٍ وَلَا طَمَعٍ ؛ فَلَمَّا رُفِعَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ظَهَرَ
مِنْهُ مِنَ النُّورِ مَا أَحَاطَ بِالْمَعْرُضِ مِنَ الْعَرْشِ ، وَانْتَشَرَ فِي جَوَانِيهِ ،
وَمَلَأَ الْخَزَائِنَ ؛ فَهَذَا عَمَلُ الْمُقْرَبِينَ وَالثَّانِي عَمَلُ الْمُقْتَصِدِينَ .
وَالثَّلَاثُ عَمَلُ الْمُخْلِصِينَ الظَّالِمِينَ لَأَنْفُسِهِمْ .

مثل الطاعات في الزينة

مِثْلُ الطَّاعَاتِ فِي الزَّيْنَةِ مِثْلُ زِينَةِ الثَّوْبِ الْمَسْجُوجِ الْمَنْقُوشِ
بِالْوَانِ الْمَنْقُوشِ ؛ فَكُلُّ مَنْ نَظَرَ إِلَيْهِ فِي هَذِهِ الزَّيْنَةِ ذَهَلَ عَقْلُهُ مِنْ
حُسْنِهِ وَبِهَائِهِ (٢) ، وَسَبَى (٣) قَلْبَهُ بِهَجْتِهِ ؛ فَالْمُنَاطِرُونَ إِلَى زِينَةِ
الْأَعْمَالِ أَحَقُّ أَنْ تَسْبِيَ مِنْهُمْ قُلُوبَهُمْ بِزِينَتِهَا وَبِهَائِهَا وَبِهَجْتِهَا .
قَالَ لَهُ قَائِلٌ : مَا زِينَةُ الْأَعْمَالِ ؟

قَالَ : زِينَتُهَا فِي لَبَقِهَا (٤) ؛ فَمَنْ احْتَضَى مِنَ اللَّبَقِ زَيْنَهَا ؛ فَزِينَةُ
الْثِيَابِ إِنَّمَا أَزْدَادَتْ بِاجْتِمَاعِ الْأَلْوَانِ الْمَسْجُوجَةِ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ ،
فَإِذَا تَلَوَّنَتْ عَلَى الْعَيُونِ عَلَى اخْتِلَافِ أَلْوَانِهَا وَنَقُوشِهَا التَّدَّتْ
بِتَأْلِيفِهَا ، فَزِينَةُ الْأَعْمَالِ فِي لَبَقِهَا ، فَمَنْ احْتَضَى مِنَ اللَّبَقِ
رَأْيَ زِينَتِهَا .

(١) يبتغي : يطلب .

(٢) البهاء : الجمال .

(٣) سبى : أسر .

(٤) لبق به الثوب : لاق به .

قال له قائل: ضربت المثل بشيء فأفهمنا به، فبين لنا نوعاً^(١) من ذلك نفهم.

قال: فانظر إلى الصلاة فإنما هي قيام، ثم انتصاب، ثم تكبير، ثم وقوف، ثم ثناء^(٢)، ثم تلاوة، ثم ركوع، ثم سجود، ثم جثو^(٣)، ثم ارتغاب^(٤) ثم تسليم؛ فهذه أفعال مختلفة، وأقوال متباينة؛ ولكل فعل زينة، ولكل زينة بهاء؛ وبهائه من أصله الذي منه بدأ وإليه يعود.

فإذا اجتمعت هذه الأنواع على التفاوت بعضها في بعض تلونت [٩١]، وازدانت، والتدت القلوب بتلك الأفعال والأقوال؛ ثم الملتذون بها على درجاتهم في الترائي؛ فطائفة منهم تلحظ في أعمالهم إلى حركاتهم فيها على الخضوع والذلة؛ يتذللون لمليكهم بتلك الحركات عبوداً وأسراً.

وطائفة تلحظ إلى حركاتهم فيها إلى فرح الله بفعل العبيد؛ فهم يتقلبون ويتصرفون فيها التذاذاً بفرح الله تعالى ومسراته بتلك الأفعال، وقوله لعيسى عليه السلام: يا عيسى، تحر^(٥) مسرتي؛

(١) في ب: نوع - تحريف.

(٢) الثناء: المدح.

(٣) جثا: جلس على ركبتيه، (المصباح).

(٤) ارتغاب: ابتهل، وتضرع.

(٥) تحراه: تعمده، وطلب ما هو أحرى بالاستعمال (القاموس).

وهو قوله صلى الله عليه وسلم (١) : لَلَّهِ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ مِنْ أَنْ
يَضِلَّ أَحَدَكُمْ رَاحِلَتَهُ (٢) فِي أَرْضٍ فَلَآةٍ (٣) ، عَلَيْهَا زَادُهُ وَمَتَاعُهُ ،
فِيضْرِبُ يَمِينًا وَشِمَالًا فَلَا يَجِدُ ، فَيَقُولُ فِي نَفْسِهِ : أَرْجِعْ إِلَى
ذَلِكَ الْمَوْضِعِ فَأَمُوتَ فِيهِ ، فَوَطَّنَ نَفْسَهُ (٤) عَلَى ذَلِكَ ؛ فَإِذَا رَجَعَ إِلَى
ذَلِكَ الْمَوْضِعِ وَجَدَ رَاحِلَتَهُ قَائِمَةً هُنَاكَ عَلَيْهَا زَادُهُ وَشَرَابُهُ وَمَتَاعُهُ .
وَكَذَلِكَ الصَّوْمُ إِنَّمَا هُوَ دَعْوَةٌ الْقَلْبِ النَّفْسَ إِلَى تَرْكِ الشَّهَوَاتِ
لِيَوْمِهِ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يُصْبِحَ فِيهِ ، وَالنَّفْسُ تُتَثَاقَلُ وَتَنْفَرُ عَنْ ذَلِكَ
النَّفْرَةَ الَّتِي تَنْفَرُ ، وَتَتَثَاقَلُ عَنْ تَرْكِهَا حَتَّى إِذَا أَجَابَتْ الْقَلْبَ إِلَى
ذَلِكَ ارْتَحَلَ الْقَلْبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِانْقِيَادِ النَّفْسِ لَهُ وَمُتَابَعَتِهَا إِيَّاهُ ،
وَقَبُولِ الْقَلْبِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ذَلِكَ التَّرْكَ وَالْكَفَّ عَنْ الشَّهَوَاتِ مِنَ
الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالنِّسَاءِ ، وَالْحَفِظَ لِلسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَاللِّسَانِ عَمَّا
لَا يَحِلُّ ، ثُمَّ إِلَى النَّفْسِ عَازِمًا ؛ فَذَلِكَ الْارْتِجَاعُ زِينَةُ عَمَلِهِ فِي
الْعَزِيمَةِ عِنْدَ الرَّجُوعِ إِلَى النَّفْسِ وَقَبُولِهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ؛ فَجَاءَ بِذَلِكَ
الْقَبُولِ ، فَأَحَاطَ بِالنَّفْسِ ؛ فَتَلَّكَ الْإِحَاطَةُ عَزِيمَةُ الْقَلْبِ ، وَانْقِيَادُ
النَّفْسِ وَثَاقَهُ (٥) إِيَّاهَا ، فَرَبِضَتْ النَّفْسُ سَاكِنَةً .

(١) صحيح مسلم : ٢١٠٣

(٢) الراحلة : المركب من الإبل .

(٣) فلاة : أرض لا ماء فيها .

(٤) في صحيح مسلم : فوضع رأسه على ساعده يموت . ووطن نفسه على الأمر

توطئياً : مهدها لفعله وذلها .

(٥) هذا في الأصول .

هذا مُبتدأٌ (١) الصَّوْمُ ؛ فَمِنْ مُبتدأٍ هذا اليومِ إلى آخره في صدره خواطرٌ ، وعلى ظاهر جوارحه عوارضٌ تحتاجُ النَّفْسُ إلى أن تتجرَّعَ مرارةَ تلكَ الشهواتِ خاطرةً (٢) كانت أو عارضةً ؛ فكلما خطر بباله في صدره بين عيني فؤاده خطرةٌ هاج البالُ ، واشتتت النفوسُ لتلك الشهوة ، وسكَّنها القلبُ فريضةً (٣) ، كان لها بكل خاطرة وعارضة تتجرَّعُ النَّفْسُ مرارةَ التَّركِ جزاءً عند الله تعالى ، فمن يُحصي هذه الخطراتِ والعوارضِ إلا الله تعالى .

ولذلك قال : الصَّوْمُ لِي . وَأَنَا أَجْزِي (٤) به ؛ لِأَنَّ النَّفْسَ تَجَرَّعَتْ مرارةَ التَّركِ لله تعالى ، وَالْقَلْبُ وَفِي بِمَا قَبِلَ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى ؛ فَالثَّوَابُ بِتَجَرُّعِ المرارةِ ، وَالْجَزَاءُ لِلْقَلْبِ بِالْوَفَاءِ .

فطبقةٌ منهم في هذه الخطراتِ والعوارضِ في درجةٍ ملاحظةٍ الثوابِ والعقابِ .

وطائفةٌ منهم في درجةٍ ملاحظةٍ حُبِّ اللَّهِ تَعَالَى فتلاشتِ المَراراتِ بِحَلَاوَةِ حُبِّهِ .

وطبقةٌ منهم في درجةٍ ملاحظةٍ مَسَرَّاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَقُرَّةِ الْعَيْنِ ،

(١) مبتدأ : أول .

(٢) الخاطرة : ما يخطر في القلب من تدبير أمر .

(٣) رِيضت : ذلت .

(٤) أَجْزِي به : أثيب به وأكافئ .

فِيْفْتَقِدُونَ^(١) المَرَارَاتِ لِابْتِهَاجِ نَفُوسِهِمْ بِمِصْرَاتِ اللَّهِ تَعَالَى .

مِثْلُ الْمَعْرِفَةِ الَّتِي لَمْ تُضَيَّ

مِثْلُ الْمَعْرِفَةِ الَّتِي لَمْ تُضَيَّ مِثْلُ لَوْلُؤَةٍ بِيضَاءٍ صَافِيَةٍ نَقِيَّةٍ ، ثُمَّ تَجِدُهَا قَدْ دَخَلَتْهَا صُفْرَةٌ بِطُولِ اسْتِعْمَالِهَا مِنَ الْعَرَقِ وَالْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَأَدْنَاسِ^(٢) الْجَسَدِ وَغَيْرِهَا ، وَتَرَى يَا قُوتَةَ أَيْضًا بِمَائِهَا وَصَفَاءِ لَوْنِهَا قَدْ ذَهَبَ صَفَاؤُهَا وَتَغَيَّرَ لَوْنُهَا بِطُولِ لُبْسِهَا ؛ فَأَصْحَابُ الْجَوَاهِرِ أَبْصَرُ بِمَا يَغْسِلُونَ تِلْكَ اللَّوْلُؤَةَ لِتَرْوَلَ صُفْرَتُهَا وَتَعُودَ إِلَى خَالِهَا .

وَكَذَا الْيَاقُوتَةُ تُعَالَجُ حَتَّى تَعُودَ إِلَى مَائِهَا وَصَفَاءِهَا .

فَكَذَا الْمَعْرِفَةُ تَجِدُهَا حُلُوهً نَزْهَةً نَيْرَةً ، فَعَلَى طُولِ مُجَاوَرَتِهَا بِشَهَوَاتِ النَّفْسِ وَمُلَامَسَتِهَا إِيَّاهَا تَجِدُهَا مُتَغَيِّرَةً قَدْ افْتَقَدَتْ حَلَاوَتَهَا وَنَزَاهَتَهَا وَطِيبَهَا ؛ لِأَنَّهَا قَدْ تَدَنَسَتْ^(٣) بِأَدْنَاسِ الشَّهَوَاتِ ، فَيَجِبُ أَنْ يُحْتَالَ لِأَمْرِهَا حَتَّى تَعُودَ كَمَا كَانَتْ .

قَالَ لَهُ قَائِلٌ : فَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ ؟

قَالَ : أَلَيْسَ هَذِهِ^(٤) الْيَاقُوتَةُ ، وَاللَّوْلُؤَةُ - جَوْهَرُهَا^(٥) قَائِمٌ ! وَإِنَّمَا افْتَقَدَ صَفَاؤُهَا وَمَاؤُهَا لِمَا لَزِقَ بِهَا مِنَ الدَّنَسِ ، وَتَغَيَّبَ عَنْهَا

(١) افْتَقَدَ الشَّيْءُ : فَقَدَهُ (الْمِصْبَاحُ) .

(٢) أَدْنَسَ : أَوْسَاخَ .

(٣) تَدَنَسَتْ : تَوَسَّخَتْ .

(٤) فِي ١ : هَذَا .

(٥) جَوْهَرُ كُلِّ شَيْءٍ : مَا خَلَقَتْ عَلَيْهِ جِبَلَتَهُ .

صفاؤها ؛ فبالمعالجة زال عنها ما كان لزق بها ، وعادت إلى حالها ،
وظهر صفاؤها ؟ فكذا المعرفة قائمة إلا أن أدناس الشهوات حجبت
عنك إشراقها لما حلت في عين فؤادك في صدرك ، فصارت كشمس
انكسفت ، فذهب ضوءها وإشراقها ، فإذا انجلت عن الكسوف عاد
إليها مضيئا .

فكذا المعرفة إذا غشيتها ^(١) الكبائر فقد انكسفت شمسك ،
فصرت في ليل دامس ^(٢) ، فلو اجتنبت الكبائر دون الصغائر وهي
السيئات ، فأنت في نهارك في سحاب وغيوم ؛ فلو دام هذا الغيم
والسحاب لم ينعقد لك حبة من حبوب الأرض ، ولا نضجت ثمرة
من أثمار أشجارك ؛ ووجدت الآدمي مقسوما على ثلاثة أجزاء :

قلب بما فيه من الإيمان ، وروح بما فيه من الطاعة ، ونفس
بما فيها من الشهوة . والقلب يقتضى الإيمان . والروح تقتضى
الطاعة . والنفس تقتضى شكر النعم ؛ والعبد مقصر في الثلاث كلها ؛
فحبه لربه يوفى تقصيراته ، فكلما كان حبه أوفر كان أثره لتوفير
تقصيراته ؛ لأن أصل المعرفة قائمة ، لكنها متغيمة ، فإذا أحببت
كلها عملت بلا تقصير ؛ فلا تحتاج إلى التوفير .

(١) غشيتها : أتها أو غطتها .

(٢) دامس : مظلم .

ومثل ذلك مثل عبدين لك اقتضيتهما الإقرار لك بالعبودية^(١)
والاستقامة بين يديك ، واقتضيتهما ماوظفت^(٢) عليهما من
الخراج ، واقتضيتهما شكرك ، فقصرنا في جميع ذلك ؛ وكان
أحدهما أظهر حباً لك من الآخر ؛ فإن كان أحدهما أكثر عملاً
والآخر أقل ، فنظرت إلى قلته ، وقلت في نفسك : وهذا يحبنا
فنحن نقبل منه بحبه إيانا موفراً .

مثل الائتمار بأمر الله

عن زيد بن أسلم رحمه الله أنه قال لي : حديثان أحدث
بهما إذا خلوت :

مثل الائتمار بأمر الله تعالى ومثل القلوب مثل أمير ولي على
كورة^(٣) فوردتها ، فوجد الكورة غياضاً ومروجاً وآجاماً^(٤) ، فيها
الخنازير والسباع ومياه النز^(٥) ، فلما نظر إليها رجع ناكصاً على
عقبه^(٦) ، فقال : ليس مع هذا النز قوام ، ولا مع هذه الخنازير
عيش ولا إمرة .

(١) العبادة : الطاعة .

(٢) ماوظفت : ما قدرت .

(٣) الكورة : الناحية ، وتطلق على المدينة .

(٤) الغياض : جمع غيضة ، وهي الشجر الملتف . والمروج جمع مرج ، وهو

الأرض ذات نبات ومرعى . والأحمة : الشجر الملتف .

(٥) النز : ما يتحلب من الأرض من الماء .

(٦) نكص على عقبه : رجع .

وَوَلَّى آخِرُ عَلَى كُورَةِ أُخْرَى ، فوجدها ذات قُصُورٍ وَبَسَاتِينٍ ،
وَأَنْهَارٍ جَارِيَةٍ وَأَشْجَارٍ ، وَمَسَاكِنَ نَزْهَةٍ ، وَسُكَّانَ كَثِيرَةً ، وَأَسْوَاقَ
مَزِينَةً ، فِيهَا أَلْوَانُ الْمَتَجَرِّ ؛ فَحَلَّ بِهِمْ ، وَاسْتَقَرَّ قَرَارُهُ ، وَمَلَكَهُمْ
وَتَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ ؛ فَفَتَحَ بَابَ خَزَائِنِهِ ، وَقَسَمَ كُنُوزَهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ [٩٢]
حَتَّى أَغْنَاهُمْ وَقَوَّاهُمْ .

فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِأُمُورٍ ، وَنَهَاَهُمْ عَنْ أَشْيَاءَ ، لِالْجَرِّ نَفْعٍ
وَلَا لِدَفْعِ ضَرٍّ ، لَكِن رَحْمَةً مِنْهُ عَلَيْهِمْ ، وَرَأْفَةً بِهِمْ ؛ فَمَنْ وَاوَاهُ (١)
أَمْرُهُ فَوَجَدَ صَدْرَهُ مَشْغُونًا بِأَشْغَالِ أَحْوَالِ النَّفْسِ ، وَقَلْبَهُ مَشْغُوفًا (٢)
بِحُبِّ الدُّنْيَا ، وَنَفْسَهُ مَفْتُونَةً بِالشَّهَوَاتِ وَالْمُنَى (٣) ، وَعَقْلَهُ مَعْتُوها (٤)
بِالْهُوَى رَجَعَ الْأَمِيرُ قَهْقَرَى ، وَلَا يَجِدُ مَحَلًّا وَلَا مُسْتَقْرًا ؛ لِأَنَّ فِي
هَذَا الْقَلْبِ مِنَ الْعَتَاهَةِ (٤) ، وَفِي هَذِهِ النَّفْسِ مِنَ النَّهْمَاتِ (٥)
وَالشَّهَوَاتِ ، وَفِي هَذَا الصَّدْرِ مِنَ الْأَمَانِي وَالْفِتَنِ ، وَالْمَكْرِ وَالْغِلِّ ،
وَالْحَسَدِ وَالْخِيَانَةِ ، وَأَشْغَالٍ وَسُوَّاسٍ (٦) الْعَبْدُ مَا هُوَ أَقْبَحُ ؛ لِأَنَّ
هَذِهِ الْأَشْيَاءَ أَقْبَحُ مِنَ الْخِزَابِ ؛ وَمِنْ الْهُوَى مَا هُوَ أَكْثَرُ ضَرَرًا مِنَ
النَّزْرِ ، فَكَيْفَ يَقْدِرُ الْأَمِيرُ أَنْ يَمْلِكَ هَذَا الْقَلْبَ ، وَيَحُلَّ بِهَذَا الصَّدْرِ ،

(١) وَاوَاهُ : أَتَاهُ .

(٢) مَشْغُوفًا : مَحْبَبًا ، مُتَعَلِّقًا .

(٣) الْمُنَى : الْأَمَانِي .

(٤) الْعَتَاهَةُ ، وَالْعَتَاهَةُ : نَقْصُ الْعَقْلِ مِنْ غَيْرِ جُنُونٍ .

(٥) النَّهْمَاتُ : الشَّهَوَاتُ وَالْحَاجَاتُ .

(٦) الْوَسْوَاسُ : مَرَضٌ يَخْتَلِطُ مَعَهُ الذَّهْنُ .

ويتملك على هذه النفس؟ وكيف يقتضى العقل القيام بها؟
ومن وافي أمرته فوجد قلباً مشحوناً بحب الله تعالى ، وصدرًا
مشرقًا بنور الله تعالى ، ونفسًا مزيّنة بنزهة بساتين الله تعالى ،
وعقلًا مشحونًا بنور وجه الله تعالى حلّ به الأمير فشرب القلب حلاوة
الأمر ، وطعمت النفس لبابه^(١) ، وازداد العقل بالرافة التي
تضمنت الأمر ، وظهر العمل على الأركان على حسب ما وصفنا من
الباطن .

وهذا لما ذكرنا أن الله تعالى لم يأمر عباده أمرًا لجر منفعة ؛
ولأنهم لدفع مضرة ؛ ولكن أمرهم رافة بهم ورحمة عليهم ؛
ولما فيه مصالحهم ؛ ودفع المضار عنهم .

أمر الله على نوعين :

فأمره على نوعين : فأمر منه موافق طبعه ، كقوله : كلوا
واشربوا^(٢) ... الآية . فتهتس^(٣) إليه النفس ، وتسربه .

وأمر يتشاكل عليه ويتباطأ . كقوله : صم عن الأكل والشرب ،
فمن ساكن قلبه حب الله تعالى وعظمته وجلالته ، فشرب قلبه حلاوة
الأمر ؛ لأن حلاوة الحب تحليه ، وعظمته تغطمه ، وجلاله يجعله^(٤) ،

(١) طعم الشيء : ذاقه . ولباب كل شيء : خالصه .

(٢) في ١ : كل واشرب : الآية - تحريف . والآية في سورة الأعراف (٣١) :

يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد واكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين .

(٣) تهتس : ترتاح .

(٤) يجعله : يعظمه .

فتعمل الأركان على ما في الصدر والقلب ؛ فإن كان هذا الأمر محبوباً فهذه صفته ، وإن كان مكروهاً لاحظت عين فؤاده رحمة الله ورأفته عليه ؛ فمر في ذلك الأمر كالسهم ، وهانت عليه أثقالها ، ورأى أن أباه إذا أقعده بين يدي الختان ليختنه ، أو بين يدي الحجام ليحجمه ، أو بين يدي الطبيب ليشربه دواءً من الأدوية المرة البشعة ^(١) ، فلم يخل من وجع وألم وأذى ، ولكن لم يتهم والده في ذلك لما علم من رأفته وشفقته عليه ، فكذا لما رأى من رأفة الله ورحمته وشفقته عليه لا يتهمه بهذا الأمر ، وإن كان غير موافق طبعه ؛ فقبله مسرعاً ، وقام به على الاهتاش ^(٢) .

فهذا أمير وافي قلباً غنياً ، وصدرًا عامراً ، ونفساً طيبة نزهة ، ومن كان بخلاف تلك الصفة فقد وافي أمره قلباً خرباً ، وصدرًا ذامرًا وخنزير ، ونفساً بطالة ^(٣) شرهة ، وعقلًا معتوهاً بالهوى ، فأمر الله جل وعلا على هذه الأركان كما كان أمر الله على المنافقين الذين كانوا مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم ؛ لهم مقارنة معهم في مغازيه ، ومجمع الصلاة والصيام والجمع والأعياد ، وقلوبهم حزبة ، فقد مضت تلك الصفة ، ولا يزال في

(١) طعام بشع : فيه كراهة .

(٢) الاهتاش : الارتياح .

(٣) رجل بطال : ذو باطل (القاموس) .

كُلُّ قَرْنٍ مِنْهُمْ يَزْدَادُ وَيَكْثُرُ حَتَّى امْتَلَأَتِ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ، وَغَلَبَتِ ،
وَقَالَ أَهْلُ الصُّدُقِ .

وَكَذَلِكَ رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : يَأْتِي
عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَى مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا اسْمُهُ ، وَمِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا
رَسْمُهُ ، وَمَسَاجِدِهِمْ عَامِرَةٌ مِنْ أَبْدَانِهِمْ ، وَقُلُوبُهُمْ حَزْبَةٌ مِنَ الْهُدَى ؛
أُولَئِكَ شَرٌّ مَنْ تَظِلُّ السَّمَاءُ ؛ مِنْهُمْ تَخْرُجُ الْفِتْنَةُ ، وَعَلَيْهِمْ تَعُودُ .

الأجساد قوالب :

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَنَا ؛ فَجَعَلَ أَجْسَادَنَا قَوَالِبَ لِلْقُلُوبِ ،
وَنُفُوسَنَا مَعْدِنًا لِلشَّهَوَاتِ ، وَرُءُوسَنَا مَعْدِنًا لِلْعَقْلِ ، وَصُدُورَنَا مَعْدِنًا
لِلْعِلْمِ ، وَقُلُوبَنَا مَعْدِنًا لِكُنُوزِ الْمَعْرِفَةِ ، وَأَكْبَادَنَا مَوْضِعًا لِلْقُوَّةِ ،
وَمَجْمَعًا لِلْعُرُوقِ الَّتِي تَجْرِي فِيهَا الْقُوَّةُ مَعَ الدَّمِ ، وَطِحَالَنَا مَعْدِنَ
الرَّأْفَةِ ، وَجَعَلَ فِيْنَا رُوحًا حَيًّا اشْتَمَلَ عَلَى الْجَمِيعِ مِنَّا ؛ فَظَهَرَتِ
الْحَرَكَاتُ بِتِلْكَ الْحَيَاةِ فِي جَمِيعِنَا ، وَأَشْرَقَ فِي قُلُوبِنَا نُورُ الْمَحَبَّةِ
لِتَحْيَا قُلُوبُنَا بِاللَّهِ ، وَكُنْتُمْ فِيهَا نُورًا هَادِيَةً لِنَهْتَدِي فِي تِلْكَ الْحَرَكَاتِ
بِهُدَى اللَّهِ الَّذِي هَدَى بِهِ أَحِبَّاءَهُ ؛ وَجَعَلَ الْمَعْرِفَةَ أَمِيرًا عَلَى الْعَقْلِ ،
وَخَلَقَ الْهَوَى وَجَعَلَهُ قَرِينَ الْعَدُوِّ ، وَجَعَلَ لِهَٰمَا سَبِيلًا إِلَيْهِ حَتَّى يُوسَّوسَ
الْعَدُوِّ ، وَجَعَلَ لِلْهَوَى سُلْطَانًا حَتَّى يَقْهَرَ ^(١) بِسُلْطَانِهِ الْعَقْلَ ،
وَيَطْمَسَ الْعِلْمَ ، وَيَحْسِمُ بَابَ الْكِبَرِ ، وَيَغْلِبُ الرُّوحَ ، وَيَخْدَعُ

(١) يقهر : يغلب .

النَّفْسَ ، ويجعلها أميرا ، فإذا ذاقَت النفسُ طَعْمَ الإِمَارَةِ وَعِزِّهَا ،
انخدعتُ ومَرَّتْ معه ، فتظاهرا ^(١) وخرجا على القلبِ ، فأخذه ،
بمنزلة خارجي متغلب خرج على والي الكورة ، فأخذه وقيده
وسجنه وأوثقه ^(٢) ، وأغار على كنوزه ، وفرق جنوده ، وقعد
أميرا ، فخرَّب الكورة ، وأفسد الرعية .

فأمرنا ربُّنا جلَّ وعلا بأمورٍ ، ونهانا عما يفسد تدبيره فينا ،
وهو المعاصي ؛ وذلك دواؤنا وشفائونا ، وصحة النفس من الأسقام ؛
أسقام الدين .

ثم ينصحننا كما ينصح الطبيب الرفيق بشفاء الدوائ .

ثم حذرك عن أشياء ، وأمرك بالحماية عنها ، فحذرننا ربُّنا
اتباع الهوى ، وزينة الدنيا ، ومكايده العدو وإجابة دعوته ،
وأيدك بالعلم والعقل والمعرفة والحفظ والذهن والفطنة ، وأيدك
بكلامه المهيم على الكتب نورا وشفاء لما في الصدور ، وهدى
ورحمة ، وأيدك بأسمائه تسعة وتسعين .

الدعاء لم يكن لسائر الأمم

وفتح لك باب الدعاء ما لم يكن لسائر الأمم ، يقول الله

(١) تظاهرا : تعاونا .

(٢) أوثقه : قيده .

تعالى (١) : (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) (٢) .

وإنما كانت (٣) للأنبياء خاصة دونهم ، حتى إذا نأبهم نائبة فزِعُوا إلى الأنبياء ليدعُوا لهم ؛ فلذلك كثرت أنبياءهم لحاجتهم إلى ذلك ، حتى كان لكل (٤) محلة نبي ونبيان وثلاثة وأربعة وأكثر : لحاجة (٥) العبد في ذلك الموقف العظيم .

قال له ربه : أعطيتك ثلاثة من الأمراء ، مامن أمير إلا وله سلطان وجند ونفاذ أمر ؛ أفما كان لأمرائك من العدة والقوة ما يغلبون هوائك ؟ بلى ، قد كان ؛ ولكنك قدمت إلى هوائك ، ووضعت يدك في يده حتى أسرك . وضيعت أمراي ، والمحاربة للنفس مع أمرائي ، وقد أمرتكم بالمجاهدة ؛ وقلت : (٦) (وجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ) ، وأعطيتكم الأمراء مع الجنود لمجاهدة أنفسكم وهوائكم ، فمليت إلى

(١) سورة غافر ، آية ٦٠

(٢) قال القرطبي (١٥ - ٣٢٦) : الدعاء هو العبادة .

وكذا قال أكثر المفسرين ، والمعنى : وحدوني وابدوني أتقبل عبادتكم وأغفر لكم .
وقيل : هو الذكر والدعاء والسؤال : قال أنس : قال النبي صلى الله عليه وسلم : ليسأل أحدكم ربه حاجته حتى يسأله شسع نعله إذا انقطع . ويقال : الدعاء هو ترك الذنوب .

(٣) كانت : أي الدعوة .

(٤) المحلة : المكان ينزله القوم .

(٥) في ب : في حجة .

(٦) سورة الحج : آية ٧٨ .

النفسِ والهوى ، وأعرضت عن الأُمراءِ والجنود ، وألقيتَ نفسك
أسيراً بين يدي الهوى ، حتى وضعتَ في يدِ العدوِّ : وفضحك [٩٣] ،
فخرجتَ إلى هذا المجمعِ بين يدي الرحمنِ والأنبياءِ ، والأولياءِ
والملائكةِ ؛ مع هذه الأعمالِ القبيحةِ والفضائحِ : اللسانُ لسانُ الأولياءِ
والأعمالُ أعمالُ الأعداءِ ؛ أفُ لعبدٍ أحمقٍ ، وزبونٍ ^(١) أبلهٍ ؛ أين
كان علمك حتى تبلهتَ ^(٢) ؟ وأين كان عقلك حتى تحمقتَ ؟
وأين كان ذهنك حتى أعرضتَ عن الله تعالى ، وأقبلتَ على نفسك ؛
وتصاممتَ عن أدبِ الله تعالى وكلامه ومواعظه ، وأصغيتَ إلى
وساوسِ شيطانك ؟ اتهمتَ مصالحَ الله ، وانخدعتَ لعدوك ؛
وعدك عدوك الفقرَ ، وأمرك بالفحشاءِ ، واللهُ وعدك مغفرةً منه
وفضلاً ^(٣) ؛ فآثرتَ ^(٤) وعده وأمره على وعدِ ربِّك ومغفرتهِ
وفضله ؛ وإنما أوتيتُ العبدُ هذا من قبلِ رِقِّ النفسِ ؛ لأنَّ النفسَ إذا
ملكها الهوى صارت رقيقاً للهوى مملوكةً ذليلةً ، تنقادُ للهوى
حيثما قادها ، حتى ^(٥) يهوى بها في النار التي منها خرج إلى النفسِ .

(١) الزبون : الحريف ، والمعامل .

(٢) تبه : صار قليل الفطنة .

(٣) يقتبس من الآية الكريمة : الشيطان يعدكم الفقر . ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم

مغفرة منه وفضلاً ، والله واسع عليم (سورة البقرة ، آية ٢٦٨) .

(٤) آثرت : فضلت .

(٥) يهوى : يسقط .

فَالْهُوَى هُوَ نَفْسُ النَّارِ ، فَإِذَا تَنَفَّسَتْ فَإِنَّمَا هِيَ لَهَبَانٌ وَنَفْسَانٌ :
نَفْسٌ مِنَ السَّمُومِ ، وَنَفْسٌ مِنَ الزَّمْهِيرِ (١) ؛ فَكِلَاهُمَا فِي الْهُوَى :
بَرْدُ الزَّمْهِيرِ (١) ، وَحَرَارَةُ السَّمُومِ ؛ فَإِذَا خَلَصَ إِلَى الْقَلْبِ بَرْدُ
زَمْهِيرِ الْهُوَى ، خَمَدَتْ حَرَارَةُ حَيَاةِ الْقَلْبِ ؛ فَإِذَا ذَهَبَتْ الْحَرَارَةُ
مَاتَ الْقَلْبُ ، وَجَمَدَ الدَّمُ .

أَلَا تَرَى إِذَا خَرَجَ الرُّوحُ جَمَدَ الدَّمِ ، ثُمَّ النَّفْسُ ، وَبَقِيَ دَمٌ
العروق على حاله ؛ وَتَمَلَّكَ دِمَاءُ الطَّبِيعَةِ .

فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ حَيَاتَانِ :

فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ حَيَاتَانِ : حَيَاةُ الرِّيحِ ، وَحَيَاةُ الْمَعْرِفَةِ ؛ وَفِيهِمَا
الْحَرَارَةُ ؛ فَإِذَا جَاءَ الْهُوَى بِبَرْدِهِ خَمَدَتْ الْحَرَارَةُ الَّتِي فِي الْقَلْبِ ، فَبَرَدَ
الْقَلْبُ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَنْ دَارِ الْآخِرَةِ ، وَجَاءَ الْعَدُوُّ بِزِينَةِ الدُّنْيَا
عَلَى أَثَرِ الدُّنْيَا حَتَّى سَبَى (٢) قَلْبَهُ بِتِلْكَ الزَّيْنَةِ ، وَيُغْوِيهِ عَنْ أَمْرِ
اللَّهِ تَعَالَى ؛ وَالغَى حَوْلَ (٣) الْقَلْبِ عَنِ الرَّشْدِ ، وَبِالرُّشْدِ لَازِمَتِ الْمَعْرِفَةُ
الْقَلْبَ ، فَهِيَ مِلَازِمَتُهُ أَبَدًا ، وَبِالرُّشْدِ ثَبَاتُ الْمَعْرِفَةِ ؛ وَالغَى ضِدُّ
الرُّشْدِ .

الرُّشْدُ سِرُّ اللَّهِ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ :

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي تَنْزِيلِهِ حَيْثُ بَعَثَ رَسُولَهُ (٤) : (قَدْ تَبَيَّنَ

(١) الزمهير : شدة البرد .

(٢) سبي قلبه : أسره وملكه .

(٣) في : حال .

(٤) سورة البقرة ، آية ٢٥٦

الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ). والرُّشْدُ : سِرُّ اللَّهِ تَعَالَى فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ، لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَالْأَوْلِيَاءُ فَمَنْ دُونَهُمْ عَجَزُوا عَنْ مَعْرِفَةِ كُنْهِهِ ^(١) ، فَالرُّقُّ بَرْدُ الْقَلْبِ وَخَمُودُهُ عَنْ حَرَارَةِ حَيَاةِ الْقَلْبِ بِاللَّهِ تَعَالَى ، وَمَوْتُ الْقَلْبِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَبَرْدُ النَّفْسِ وَخَمُودُهَا عَنِ التَّحَلُّلِ لِلْأَرْكَانِ فِي أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَظَهَرَ عَلَى الْقَلْبِ الْجَمُودُ وَالْعَجْزُ ، وَعَلَى النَّفْسِ الْقَهْرُ وَذَهَابُ الْقُوَّةِ وَالْكَسَلُ .

فَكُلُّ مَنْ مَلَكَهُ هَوَاهُ فَقَلْبُهُ مَقْهُورٌ ذَلِيلٌ لَا يَعْتَزُّ بِأَمْرِ اللَّهِ ، وَلَا يَهْتَزُّ لَهُ ؛ لِأَنَّ أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى مَلَكَهُ وَسُلْطَانُهُ ، وَزِينَتُهُ وَبِهَائُوهُ وَحَلَاوَتُهُ ، فَإِذَا وَافَى قَلْبًا مَأْسُورًا وَصَدْرًا مَظْلَمًا بِأَشْغَالِ الدُّنْيَا ، قَدْ خَرَّبَهُ الْهَوَى ، وَصَيَّرَ صَدْرَهُ مُرُوجًا وَغِيَاضًا وَآجَامًا ، يَخْوَضُ فِيهَا الْخَنَازِيرُ ، وَتَتَرَدَّدُ فِيهَا الذُّنَابُ وَالسَّبَّاعُ ، وَالْأَسَدُ وَالثَّعَالِبُ ، لَمْ يَبْقَ هُنَاكَ لِلْأَمِيرِ سُلْطَانٌ ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْأَمِيرِ مَمْلَكَةٌ وَلَا سُلْطَانٌ فَلَمْ تَبْرَزْ زِينَتُهُ وَبِهَائُوهُ ، وَلَمْ تَوْجَدْ حَلَاوَتَهُ ؛ فَلِذَلِكَ لَا يَجِدُ صَاحِبُ الْهَوَى طَعْمَ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَحَلَاوَتَهُ ، وَلَا يَرَى بِهَاءَهُ وَسِنَاءَهُ وَزِينَتَهُ ؛ فَإِذَا عَمِلَ ذَلِكَ الْأَمْرُ كَانَ كَالْمُكْرَهِ الَّذِي لَا يَجِدُ بُدًّا ، أَوْ كَالَّذِي يُجْرُّ بِرَجْلَيْهِ عَلَى مَوَائِدِ النَّعْمِ وَبَسَاتِينِ النَّزْهَةِ ، كَمَا تَجْرُّ جِيْفٌ ^(٢) الْمَيْتَةَ لِتُرْمَى ، وَلَا يَجِدُ طَعْمَ مَا حَلَّ بِالْمَوَائِدِ ، وَلَا يَشْمُ رِيَّاحِينَ الْبَسَاتِينِ وَلَا يَلْتَذُّ بِنُزْهَتِهَا .

(١) كُنْهِهِ : حَقِيقَتُهُ .

(٢) الْجِيْفُ : الْحَيْفَةُ : الْمَيْتَةُ مِنَ الدَّوَابِّ وَالْمَوَاشِي إِذَا أَنْتَتِ ، وَالْجَمْعُ جِيْفٌ .

ومن خلص من رِقِّ الهوى فيوسم سِمةً (١) الأحرار قعد على
موائد النعم ونزهة السنن ، فكانت الأعمال موائد غراسه ، والذكر
بسائتته ونزهته ، فالرق يدنس القلب ويقهره (٢) ، فإذا صار حراً
تطهر القلب من الأدناس ، وخرج من قهر الهوى ، فاعتز بالله ،
واستغنى بالله .

مثل أعمال البر في الجسد

مثل أعمال البر في الجسد مثل أيام الربيع إذا هاج الحر من
تحت الأرض ، وذهب البرد من الجو ، فإذا غشى الحر بزور
الأرض ، وعروق الأشجار ، انفطرت (٣) الأرض ، واهتزت
وربت (٤) ، وتوردت الأشجار والأورادا ، واخضرت الزروع والنبات
في الأودية والجبال والبراري ، فهاجت ريح كل شيء ، فطاب
الهواء ، فإذا طاب الهواء من انفطار هذه الأشياء ، ووصل نسيم
الأوراد (٥) والرياحين إلى الخياشيم ، فصارت شفاءً لأجسامهم ،
وصلاحاً لطبائعهم ، ومرومة لأعضائهم ، وذهبت عنهم زهومة (٦)
الشتاء والدخان والأدناس .

(١) السمة : العلامة . (٢) يقهره : يغلبه .

(٣) انفطرت : انشقت .

(٤) اهتزت : تحركت ، والأرض تهتز بالنبات ، لأن النبات لا يخرج منها حتى

يزيل بعضها من بعض . ربت : ارتفعت وزادت . وقيل : انتفخت .

(٥) الأوراد : جمع ورد .

(٦) الزهومة : أصلها ريح لحم سمين منتن .

فَكَذَا الْأَعْمَالُ السَّيِّئَةُ كَثُرَتْ أَحْوَالُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَدَنَسَتْ
جَوَارِحَهُمْ ، وَثَقَلَتْ أَرْكَانَهُمْ ، وَوَهْنَتْ ^(١) أَعْضَاءَهُمْ ؛ فَإِذَا
خَالَطَتْهَا الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ صَارَتْ شِفَاءً لِلْقُلُوبِ ، وَقُوَّةً لِلأَرْكَانِ ؛
كَأَيَّامِ الرَّبِيعِ ، وَطِيبِ الْمَوَاقِدِ لِلْأَجْسَادِ الَّتِي وَصَفْنَا ؛ وَحَيَّتِ الْقُلُوبُ
بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي مَاتَتْ مِنْ تَعَاطِي الشَّهَوَاتِ ، كَالأَرْضِ
حَيَّتْ بِالْأَمْطَارِ فِي الرَّبِيعِ مِنْ مِيَاهِ الْحَيَاةِ ، وَكَذَا قَالَ جَلَّ جَلَالُهُ ^(٢) :
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) ^(٣) ؛
أَيُّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى دَعَاكُمْ إِلَى طَاعَتِهِ فَأَجِيبُوهُ ، وَوَفُّوا لَهُ بِمَا دَعَاكُمْ إِلَيْهِ
تَحْيِ قُلُوبَكُمْ بِهِ .

مثل القلب والنفس

مَثَلُ الْقَلْبِ وَالنَّفْسِ مَثَلُ الْقَوْسِ أَعْلَاهَا أَوْسَعُ مِنْ أَسْفَلِهَا ؛
فَإِذَا غَفَلَ عَنْهَا صَاحِبُهَا أَخَذَ الْبَيْتَ الْأَسْفَلَ مِنَ الْبَيْتِ الْأَعْلَى قَلِيلًا
قَلِيلًا حَتَّى يَصِيرَ الْأَعْلَى ضَيْقًا وَالْأَسْفَلَ وَاسِعًا ؛ فَلَا تَخْرُجُ الرَّمِيَّةُ
عَنْ قُوَّةٍ ، وَلَا تَبْلُغُ الْمَقْصِدَ .

فَكَذَلِكَ الْقَلْبُ ؛ هُوَ فِي غِنَاهُ وَسَعَتِهِ وَقُوَّتِهِ مَتَمَكِّنٌ فِي التَّدْبِيرِ ،

(١) وهنت : أضعفت .

(٢) سورة الأنفال ، آية ٢٤

(٣) الاستجابة : الإجابة ، فمعنى استجيبوا أجيبوا . ما يحييكم : أي يحيي دينكم

ويعلمكم . وقيل : إلى ما يحيي قلوبكم فتوحده . وقال الجمهور : المعنى استجيبوا
للطاعة وما تضمنه القرآن من الأوامر والنواهي ففيه الحياة الأبدية ، والنعمة السرمدية .

وهذه الجوارح والنفس في ضيقها وفقرها وحاجتها ، فلا تزال تأخذ من سعة القلب ومن قوته حتى يضعف القلب ، ويقل غناه ، ويضيق ؛ فلا تخرج رميته مستوية ، ولا عن قوة ؛ فلا يصل إلى المقصود .

قال له قائل : ما الرمية ؟

قال : النية الصادقة ؛ فالنية من القلب إذا خالطه علائق^(١) النفس ضعفت النية ، وخرج الفعل غير مستورا ولا صاف .

قيل : مثل ماذا ؟

قال بيانه : رجل أخرج شطراً^(٢) ماله ليتصدق به ابتغاء وجه الله تعالى ؛ فهذه نية صادقة خرجت من قلب صاف صادق ، ثم قال : أين أضعها ؟ فحدثته نفسه أن ضعها في غريمك^(٣) فلان ، لك عليه دراهم ليرد عليك قضاءك^(٤) عليه ، أو ضعها في تابعي من خدمك ؛ فهذه علائق خالطت الصدق الذي ادعى أنه يريد به وجه الله تعالى ، أراد به غير [٩٤] وجه الله تعالى ، عرضاً من عرض^(٥) الدنيا ؛ فزاع^(٦) قلبه عن الاستواء إلى الميل إلى شيء عن اليمين إلى

(١) العلاقة - بفتح العين ويكسر : الحب اللازم للقلب ، وجمعه علائق .

(٢) شطر ماله : نصف ماله .

(٣) الغريم : الدائن . (٤) في ب : عمالك .

(٥) العرض : متاع الدنيا .

(٦) زاع : مال .

الشمال ، وعن الأعلى إلى الأسفل ؛ كالقوس إذا جعلت بيت أسفله
أعلاه ، وأعلاه أسفله ؛ فإذا وجدت النفس إلى ذلك سبيلا
اعتادت ذلك ، فمرة أخرى أخذت القوة من القلب .

ثم أخرج من ماله شطراً آخر لينفقه في سبيل الله تعالى ؛ فقال :
أين أضعه ؟ فطمعت نفسه أن يتصدق به على ملاء (١) من الناس ،
فتحمدك الناس على ذلك ، ويقال : إنه سخى خيراً ؛ فقد زال عن
الاستواء إلى أن بطلت رميته حتى خرجت من القوس ، فسقطت
بالأرض ، ولم يصل إلى مقصوده من الرمية .

ثم أخرج درهماً آخر ، فقال : أين أضعه ؟ فذهب فوضعه
في معصية ، فهذه رمية لم يعمل القوس فيها ، فالقوس معطلة ،
والوتر منقطع ، والسهم معوج ، والرمية غير مسددة .

مثل المحق والمبطل

مثل المحق والمبطل مثل رجل بيده اليمنى كوزاً مملوئاً من ماء
عذب بارد صافٍ هنيئاً مريئاً ، يجد عذوبته في لثاته (٢) ، وبرده
في فيه ، وحلاوته في حلقه ، وهنائه ومرآته في جوفه ؛ وبيده
اليُسرى كوزاً فيه بولٌ قذرٌ منتنٌ ، وتراه يؤثر (٣) هذا على الماء

(١) الملاء : الجماعة .

(٢) اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى الفم .

(٣) يؤثر : يفضل .

الصافي العذب ، ويشربُ من هذا الرَّجْسِ (١) ، فَمَنْ نَظَرَ إِلَى فِعْلِهِ
أَلَيْسَ يُقْضَى عَلَيْهِ بِأَحَدِ الْحَالِينَ : إما جنون ، أو سكر ؟

قال : فَإِنَّمَا مَثَلْتُهُمَا بِكُوزَيْنِ ، لِأَنَّ الْكُوزَ وَعَاءٌ لِلْمَاءِ ، وَالْأَعْمَالُ
وَعَاءُ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ، فَعَمَلٌ رَضِيَ اللَّهُ بِهِ ، وَأَمْرٌ بِهِ ، وَأَحَبُّهُ ،
فَالْحَقُّ فِيهِ ، وَذَلِكَ الْعَمَلُ وَعَاءُ ذَلِكَ الْحَقِّ ؛ فَأَيُّ مَاءٍ أَعَذِبٌ وَأَبْرَدُ
وَأَصْفَى وَأَهْنَأُ وَأَمْرِي مِنَ الْحَقِّ !

وَفِعْلٌ آخَرَ زَجَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَسَخِطَهُ وَأَبْغَضَهُ (٢) ، وَنَهَاكَ
عَنْهُ ، وَمَقَّتَ (٣) فَاعِلَهُ ، فَالْبَاطِلُ فِيهِ ، وَذَلِكَ وَعَاءُ ذَلِكَ الْبَاطِلِ ؛
فَمَثَلُهُمَا كَمَثَلِ الْكُوزَيْنِ فِي يَدِي ذَلِكَ عَلَى مَا وَصَفْنَا ، أَخَذَهُمَا رَجُلٌ
بِيَدِهِ عَلَى مَا وَصَفْنَا ؛ فَمِنْ آثَرِ كُوزِ الْبَوْلِ عَلَى كُوزِ الْمَاءِ الْعَذْبِ
الْهَنِيِّ الْمَرِيِّ لَمْ يُوضَعْ أَمْرُهُ إِلَّا عَلَى الْجَنُونَ أَوْ السَّكْر ؛ فَمِنْ آثَرِ (٤)
الْبَاطِلِ عَلَى الْحَقِّ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا (٥) أَوْ لِنَفْسٍ يَغْرُهَا وَيَبَاهِي بِهَا
فَإِنَّمَا هُوَ لِأَحَدٍ أَمْرَيْنِ : إِمَّا أَنْ تَكُونَ الْمَعْرِفَةُ قَدْ اخْتَبَأَتْ فِيهِ فَهُوَ

(١) الرجس : كل شيء يستقذر . والرجس : النجس . أو النجس القدر الخارج
من بدن الإنسان .

(٢) سخطه : لم يرض به . وأبغضه : كرهه .

(٣) مقته : أبغضه أشد البغض .

(٤) آثر : فضل .

(٥) يصيبها : ينالها .

مَنَافِقُ شَاكٌ فِي رَبِّهِ أَوْ مِمَّا يَشْرَبُ صِرْفًا (١) مِنْ حَلَاوَةِ حُبِّ الدُّنْيَا
فَأَسْكَرَتْهُ ، وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : حُبُّكَ الشَّيْءَ
يُعْمِي وَيُصِمُّ ، فَإِذَا أَصَمَّهُ وَأَعْمَاهُ نَافِقٌ ، فَإِذَا آثَرَ الْبَاطِلَ انْمَحَقَ
الْبَاطِلُ وَزَهَقَ (٢) ، وَإِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٣) ، وَتَلَاشَتْ الدُّنْيَا
عَنْهُ ، وَبَطَلَ مُلْكُهُ بِهَا ، وَانْتَقَلَتْ إِلَى غَيْرِهِ ، وَنَفَسَهُ الطَّالِبَةُ
لِلْعَزِّ وَالْجَاهِ عَادَتْ جِيْفَةً مُنْتِنَةً ، مَلَأَ بَطْنَهُ صَدِيدٌ وَدِيدَانٌ .

مثل العارف المنتبه

مِثْلُ الْعَارِفِ الْمُنْتَبِهِ قَبْلَ الْإِنْتِبَاهِ مِثْلُ عَبْدِهِ مَوْلَى (٤) ، وَلَكِنْ
لَا يَعْلَمُ مِنْ مَوْلَاهُ ، (٣) وَكَانَ فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ ، وَكُلُّهُمْ مَوَالِي الْعَبِيدِ ،
فَقَالَ : أَيُّهُمْ مَوْلَايَ مِنْ بَيْنِ هَؤُلَاءِ ؟ فَأَشَارُوا لَهُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ :
إِنَّ هَذَا مَوْلَاكَ وَسَيِّدُكَ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ بِعَيْنِ الرِّضَا ، فَوَجَدَهُ أَجْمَلَهُمْ
وَجَهًّا ، وَأَغْنَاهُمْ مَالًا ، وَأَحْسَنَهُمْ خُلُقًا ، وَأَطْهَرَهُمْ سِيرَةً ،
وَأَجْوَدَهُمْ كَفًّا ، وَأَحْلَاهُمْ مَنْطِقًا ، وَأَنْفَذَهُمْ قَوْلًا ، وَأَفْرَسَهُمْ
فَارِسًا ، وَأَعْلَمَهُمْ عِلْمًا ، وَأَبْهَاهُمْ زِينَةً ، وَأَرْفَعَهُمْ كِسْوَةً ، وَأَوْسَعَهُمْ
مُلْكًا ، وَأَعْظَمَهُمْ رَحْمَةً وَتَحَنُّنًا ، وَأَشْكَرَهُمْ لِعَبْدِهِ ، فَامْتَلَأَ هَذَا

(١) صرفاً : خالصاً .

(٢) زهق : زال وبطل .

(٣) في سورة الإسراء آية ٨١ : وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان

زهوقاً .

(٤) المولى : السيد .

العبدُ فَرِحًا لَمَّا وَجَدَ مولاهُ على هذه الصفة ؛ واستطال^(١) به على سائر^(٢) العبيدِ مِنْ نُظْرَائِهِ ، واختال وافتخر به ، ووجد القوةَ في ظَهْرِهِ كُلَّ الْقُوَّةِ ، والسرورَ في قلبه ؛ ورأى نَفْسَهُ لهذا المولى الذى وجدَهُ بهذه الصفات أنه ليس له كُفُوًا^(٣) من أشكاله من العبيدِ بما وَجَدَ مَوْلىً مِثْلَ هذا .

فهذا حالُ العارفِ إِذَا انتبه مِنْ رَقْدَتِهِ ، وَعَرَفَ أَنَّ لَهُ رَبًّا بتلك الصفات التى كانت له تسعةً وتسعين اسماً ، ووجد فى أسمائه تسعةً وتسعين صِفةً ، فكلُّ اسْمٍ إِذَا دَعَاهُ بِهِ عَرَفَ أَنَّ هَذَا اسْمُهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ لَا عَلَى الاستعارة ، وَعَلِمَ أَنَّ الصِّفَةَ مِنْ وِرائِ الاسمِ ، قد أَعَدَّهُ ما وَضَعَ مِنْ تلك الصفات لعبدِهِ ، فمتى يَسْمَعُ هذا العبدُ فى الدنْيا وفى العُقْبَى^(٤) متى وَجَدَ سَيِّدَهُ بهذه الصفات !

مثل العلم مثل الماء

مِثْلُ الْعِلْمِ مِثْلُ الْمَاءِ ؛ فَإِنَّ فِيهِ حَيَاةَ الْأَرْضِ ، فالْماءُ يَخْرُجُ بِهِ النِّبَاتُ ، وَيَشْتَدُّ نَبَاتُهَا بِالتُّرابِ الْمُلقَى^(٥) فِيهَا ؛ فِيهِ^(٦) تَتَقَوَّى

(١) استطال به : يريد أنه فخر به ، وتقوى .

(٢) سائر : باقى .

(٣) كفوا : مساوياً ونظيراً .

(٤) العقبى : يريد الآخرة .

(٥) فى ب : الملقاة فيها .

(٦) فى ب : فيها .

الأرض ، ويشتدُّ نباتُها ؛ فلو أنَّ رجلاً غرسَ أغراساً^(١) ، ثمَّ لها عنها ، فلم يلقِ فيها التُّرابَ ، ولم يسقها بالماءِ ، نسست الأغراسُ ، ويطلَّ عملُه .

فكذا العلمُ فيه حياةُ القلوبِ ؛ يحيا القلبُ بالعلمِ ، ويقوى شتدُّ باستعمالِ العلمِ بالعملِ .

فلو أنَّ رجلاً تعلمَ العلمَ ثمَّ لها عنه ، فلم يعمل في انكشافِ الغطاءِ عنه ، حتى يصيرَ العلمُ له مُعَايِنَةً ، ويتصوّر في صدره ؛ لأنَّ مرآته في صدره ؛ فالذي يسمعُ بأذني رأسه يتأدى^(٢) إلى أُذنِ فؤاده وبصرِ فؤاده ، ففي أُذني فؤاده وقر^(٣) من رياحِ الشهواتِ وأهويتها ؛ فضلُ سمعه ، فتلاشي ما سمعَ بأذني الرأسِ ، وعمى بصرُ فؤاده عن صورةِ ما يتصوّر من ذلك العلمِ في قلبه ، فتراكم^(٤) دخانُ الشهواتِ وفورانِ حريقها المتأدى من جوفه إلى صدره ، فأظلم عليه إشراقُ نورِ شمسِ المعرفةِ عن صدره ، فبقى على لسانه كلامُ ذلك العلمِ ؛ وذلك الكلامُ وذاك عبارةُ العلمِ .

فأمَّا العلمُ فقد احتجب وغاب في ظلمةِ ذلك الدخانِ والفورانِ ،

(١) الأغراس : جمع غرس ، وهو المغروس المزروع .

(٢) يتأدى : يصل .

(٣) وقر : ثقل .

(٤) تراكم : اجتمع . وفي أ : راكم .

فذهب عنه استعماله ، فلم يبقَ عِلْمٌ ولا عَمَلٌ ، إنما بقيتُ عِبَارَةُ
اللِّسَانِ ، وتلك حِجَّةُ اللَّهِ عَلَى ابْنِ آدَمَ .

فهذا بمنزلة غَارِسٍ غَرَسَ أَشْجَارًا ثُمَّ لَهَا عَنْ سَقِيَّتِهَا وَتَرْبِيَّتِهَا
حَتَّى يَبْسُ وَيَبْطُلَ عَمَلُهُ ، وهو في الآخرة من الخاسرين .

مثل التائب

مَثَلُ التَّائِبِ مَثَلُ عَبْدٍ لِلْمَلِكِ أَبْقَى^(١) مِنْهُ ، فَصَارَ إِلَى بَلَدٍ مِنَ
الْبُلْدَانِ ، فَوَجَدَ الْمَلِكُ عَلَيْهِ وَجْدًا^(٢) شَدِيدًا بِكُفْرَانِهِ بِنِعِيمِهِ ،
وَذَهَابِهِ بِالرَّقَبَةِ ، وَإِيْثَارِهِ النَّهْمَةَ^(٣) عَلَى الْكَوْنِ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْخِدْمَةِ ،
وَسَقَطَ مِنْ عَيْنِهِ .

فَلَمَّا افْتَقَدَ^(٤) الْعَبْدُ عِزَّ الْقُرْبَةِ ، وَشَرَفَ الْخِدْمَةِ ، وَحِلَاوَةَ
الْقِيَامِ ، وَافْتَقَدَ مَرَافِقَهُ ، وَغَلَبَهُ الْعَجْزُ ، وَالشُّعُوْثَةُ ، وَالْكُدْرَةُ ،
وَالْعِنَاءُ^(٥) فِي طَلَبِ الْمَعِيشَةِ ، وَحَالَةُ الْبُؤْسِ وَالْفَقْرِ مِنْ تِلْكَ الْمَرَافِقِ ،
وَرَخَاءِ الْعَيْشِ - نَدِمَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ لِمَا حَلَّ بِهِ ، وَلَمْ يَدَعْ^(٦) شَقَاوَةَ
نَفْسِهِ أَنْ يَرْجِعَ بِنَفْسِهِ إِلَى مَوْلَاهُ .

(١) أبق العبد : هرب من سيده .

(٢) وجد عليه : غضب .

(٣) النهمة : الشهوة والرغبة .

(٤) افتقد : فقد .

(٥) العناء : المشقة أو الذل .

(٦) يدع : يترك .

وقد عَلِمَ الْمَلِكُ بِمَا أَصَابَهُ وَبِمَا نَدِمَ ؛ فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِكُسْوَةٍ
وَرَاحِلَةٍ^(١) وَكَتَبَ كِتَاباً أَنْ ارْجِعْ إِلَيْنَا ، فَلَكَ عِنْدَنَا مَا كَانَ لَكَ .

فَارْتَحَلَ عَنْ وَطَنِهِ ذَلِكَ رَاجِعاً إِلَى الْمَلِكِ ، فَكَلَّمَا مَرَّ بِمِصْرَ
وَقَرْيَةٍ فِيهَا نَزْهَةٌ مَكْتٌ أَيَّاماً ، وَقَضَى نَهْمَهُ [٩٥] . ثُمَّ يَرْتَحِلُ فِيهِجَمُ
عَلَى أُخْرَى مِثْلِهَا فَمَكْتٌ هُنَاكَ ؛ ثُمَّ يَرْتَحِلُ ، وَالْمَلِكُ يَنْتَظِرُ وَصُولَهُ
وَهُوَ يَتَبَاطَأُ إِلَى اقْتِضَاءِ الْأَوْطَارِ وَالْمُنَى .

فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ الْمَلِكُ قَاصِداً فَأَخَذَهُ وَقَيَّدَهُ وَسَجَّنَهُ
هُنَاكَ فِي بَعْضِ السُّجُونِ إِلَى يَوْمٍ يَدْعُوهُ لِلْمُعَاتَبَةِ وَالْحِسَابِ ؛ يَوْمَ
مَوَّقَتْ بِذَهَابِ الْعَلَّةِ .

وَعَبْدٌ آخَرٌ قِصَّتُهُ هَذِهِ الْقِصَّةُ ، فَلَمَّا ارْتَحَلَ مِنْ مَبْتَدَأِ أَمْرِهِ
لَا يُسْرِعُ إِلَّا إِلَى مَا لَا يَبْدَأُ لَهُ مِنْهُ ، وَقَطَعَ الْبُلْدَانَ وَالْمَفَاوِزَ^(٢) وَالْبُحُورَ
وَالجِبَالَ وَالْآكَامَ^(٣) ، لَا يَنَامُ وَلَا يَنِيمُ ، كَلَّمَا أَزْدَادَ قُرْباً بِحَضْرَةِ
الْمَلِكِ اِهْتِاجَ سَيْرًا وَجِدًّا ، حَتَّى وَصَلَ بَابَ الْمَلِكِ ، فَأُقِيمَ بِالْبَابِ فَنَزَلَ ،
وَأُشِيرَ لَهُ إِلَى مَكَانٍ يَحِطُّ رَحْلَهُ ؛ ففَعَلَ . وَبَقِيَ هُنَاكَ مَدَّةً لِيَتَزَيَّنَ
وَيَتَأَدَّبَ ، وَيَعْتَادُ وَيَتَوَقَّرُ ، وَلِتَزُولَ عَنْهُ الْخِيفَةُ وَالْاِسْتِبْدَادُ وَالْعَجَلَةُ ،
وَيَلْبَسَ أَثْوَابَ الْخَدَمِ ، وَيَتَهَيَّأَ لِلْخِدْمَةِ تَهَيُّؤًا يَصْلُحُ لَهُ بَيْنَ يَدَيِ

(١) الراحلة : المركب من الإبل .

(٢) المفاوز : جمع مفازة : أرض ليس فيها ماء .

(٣) الآكام : جمع أكمة ، والأكمة : الموضع يكون أشد ارتفاعاً مما حوله .

الملك ؛ فلا يزال هكذا في مُدَّة طَوِيلَةٍ حَتَّى يُرْفَعَ السُّرُّ ، وَيُؤَذَّنَ لَهُ
بِالدُّخُولِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَهُوَ مَا دَامَ يَفْكَرُ مَا فَعَلَ يَأْخُذُهُ بِمَا صَنَعَ
بِالإِبَاقِ ^(١) حَتَّى لَا يَدْرِي مَا يَصْنَعُ مِنَ الحَيَاءِ .

فَإِذَا عَلِمَ المَلِكُ مِنْ حَالِهِ أَنَّهُ يَسْتَحِي مِنْ ذَلِكَ بَسْطًا لَهُ بَسْطًا ،
وَبِرَّةً بَرًّا ، وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ شَيْئًا مِمَّا صَنَعَ ؛ وَقَبْلَهُ وَوَلَاءَهُ وَوَلَايَةَ سَنِيَّةً ،
وَنَخْلَعَ عَلَيْهِ خِلْعًا يَظْهَرُ عِنْدَهُ أَنَّ المَلِكَ مِمَّنْ قَدْ رَضِيَ عَنْهُ رِضًا لَا يَسْخَطُ
بَعْدَهُ ، وَعَادَ كَمَا كَانَ فِي مَحَلِّهِ وَمَرْتَبَتِهِ ؛ وَذَلِكَ قَوْلُ رَسولِ اللّهِ
صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَاحِبِ الشَّرْعِ : التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ
لَا ذَنْبَ لَهُ .

مثل الخاشي

مَثَلُ الخَاشِي ^(٢) مَثَلُ رَجُلٍ وَقَعَ فِي مَفَازَةٍ لَا يَرَى فِيهَا أَشْيَاءَ
وَلَا عُمُرَانَ وَلَا نَبَاتَ ، فَقَدْ امْتَلَأَ خَشِيَّةً مِنْ ضَلَالِ ^(٣) الطَّرِيقِ ،
وَمِنَ الظُّلْمَاءِ ، وَمِنْ قَلَّةِ القُوَّةِ .

وَكَمَثَلِ رَجُلٍ وَقَعَ فِي غِيَاضٍ ^(٤) وَمُرُوجٍ ، قَدْ سَبَقَ إِلَيْهِ العِلْمُ
بِأَنَّ المُرُوجَ مَوَاضِعُ الأُسْدِ ؛ فَالْخَشِيَّةُ مِنَ الأُسْدِ كَائِنَةٌ فِيهِ .

(١) الإباق : الهرب .

(٢) الخاشي : الخائف .

(٣) ضلال الطريق : عدم الاهتداء للطريق .

(٤) الغياض : جمع غيضة ؛ وهي الشجر الملتف .

مثل الخائف

ومثل الخائف كمثل رجل رأى في هذه المروج آثار خطاه وماواه
الذي يَأْوِي إلى أشباله (١) .

مثل العارف

ومثل العارف كمثل من عاين الأسد ، ونظر إلى شخصه في
ذلك المَرَج (٢) ، فأخذت هيبته الأسد بمجامع قلبه ، ور كبت
أهواله نفسه ، وصار كثوبٍ بال وحِلْسٍ مُلَقَى (٣) من رَوْع (٤)
القلبِ وفزع النفس .

مثل أهل الإرادة

مثل أهل الإرادة في درجاتهم مثل خدام الملك كل واحد منهم
قد اتخذ على رأسه إكليلا وبارقة في يده ليَلْتَقِيَ بها الملك يوم العرض ،
فعمد (٥) أحدهم إلى الذهب الأحمر الصافي فصاغه ، ثم عمد (٥)
إلى جواهر ثمينة من اللآلئ والياقوت والزمرُّد فركَّبها فُصُوصا ،
فبلغت قيمة إكليله مائة ألف وزيادة .

وآخر عمد إلى ذهب معمول مغشوش فصاغه وركَّب فيه من

(١) الشبل : ولد الأسد وجمعه أشبال . والضمير للأسد .

(٢) المَرَج : أرض ذات نبات ومرعى ، وجمعه مروج .

(٣) الحِلْس : كساء يجعل على ظهر البعير تحت رحله . وبساط يبسط في البيت .

وفي ١ : حِلْسٍ مُلَقَاة .

(٤) الرَوْع : الخوف .

(٥) عمد : قصد .

الفصوص ما يُبَاعُ^(١) بثمن يسيرٍ من الأخراف^(٢) ونحوه ، وعظام
صدف ؛ فإذا كان يوم العرضِ ، ولقِيَهُمُ الملكُ فأنفذهم إلى سوقهِ
ليُعْطِيَ كلَّ واحدٍ منهم ثمنه من الخزانة ؛ فعندها يظهرُ الأسفُ
والندمُ على ما فرط في ذلك .

فعمَّالُ اللهِ تعالى في هذه المراتب على إرادتهم ؛ فمن عمل على
طريقِ الحُبِّ والتَّحَنُّنِ فعمله كتلك الجواهر الثمينة والذهب الخالص ،
فأوفَّروهم حبا له أعلاهم ثمنا لجوهره . وأصفى في ذهبه ؛ فالذهبُ
الخالصُ صدقه ، والفصوص المركبة حبه لمولاه .

فعمَّالُ اللهِ تعالى هكذا صِفَتُهُمْ ؛ فعاملٌ يخلط ويشوب^(٣) ؛
فهو كالذهبِ المعمولِ الذي شابه ذلك النحاسُ والصفرة^(٤) والأدوية
مع التخليط ؛ إذا صفت إرادته بجهدهِ لم يتفكَّرْ في العلاقة ، فعمله
مع طلبِ الثَّوَابِ والنَّجَاةِ مِنَ العقابِ ؛ فهذه فصوص ليس لها كثيرُ
أثمان ؛ لأنها ليست بجواهر ، وكيف تكونُ جواهرَ وقد شأنها^(٥)
طلبُ نَجَاةِ النفسِ وثَوابِها ، فبالِ النَّفْسِ قائمٌ بين يدي مولاه ،
وقلبه حجابٌ كثيفٌ يحجبه عن مولاه .

(١) في ب : ما يبلغ .

(٢) الخرف : الطين المعمول آنية قبل أن يطبخ . فاذا طبخ فهو الفخار .

(٣) يشوب : يخلط .

(٤) الصفرة : النحاس .

(٥) شأنها : عابها .

وأصحابُ الجواهر في أعمالهم ؛ مَنْ عَمِلَ لِربِّهِ بلاَ عِلاقة ،
وَصَدَّقَ اللهُ في ذلك العَمَلِ بالمُجاهدةِ بطلبِ الصِدقِ ، وخرج العَمَلُ
منه من نارِ الحَبِّ وفورانه ، فيصعدُ إلى اللهُ تعالى ؛ فلا ينتهي حتى
يُصيرَ إلى مَحَلِّ الحَبِّ ؛ فهناك يُعْرَضُ ، وهناك يُقْبَلُ ، وهناك يُثَاب .
وأعمالُ هؤلاءِ الآخِرِينَ مُنتَهَاهَا إلى العُرْضِ على العرشِ .

أعمال هذه الأمة على ثلاث مراتب

فصارت أعمالُ هذه الأُمَّةِ على ثلاثِ مراتبٍ : صِنْفٌ منهم
يُرفَعُ عَمَلُهُم إلى الخزائنِ ، وَيُرَبِّي^(١) هناك بالرحمة ، فيصير الواحدُ
عشرة ؛ وهو عَمَلُ المخلصين ، وذلك قولُ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ^(٢) :
(مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا) .

وصِنْفٌ آخر يُرفَعُ عَمَلُهُ إلى عِلِيِّينَ إلى السِّدْرَةِ التي أَصْلُهَا
في الجنةِ ورَأْسُهَا ببابِ اللهِ ، فيُرَبِّي هناك بالرأفة ، فيصير الواحدُ
سبعمئة ؛ وهو عَمَلُ الصادقين ؛ وذلك قولُ اللهُ تعالى جَلَّ ذِكْرُهُ^(٣) :
(مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ
سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنبَلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ)^(٤) .

(١) يربِّي : ينمي ويزاد .

(٢) سورة الأنعام ، آية ١٦٠

(٣) سورة البقرة ، آية ٢٦١

(٤) الحبة : اسم لكل ما يزرعه ابن آدم ويقتاته ، وأشهر ذلك البر ، فكثيرا ما يراد

وصنّف يُرْفَعُ عَمَلُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى يُقْبَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَيَنْظُرُ
اللَّهُ إِلَيْهِ فَرَبَّاهُ هُنَاكَ بِنُصْرَتِهِ ، فَيَصِيرُ الْوَاحِدُ آلَافَ أَلْفٍ ، وَلَا يُحْصَى
عَدَدُهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى (١) : (فِيضَاعِفُهُ لَهُ
أَضْعَافًا كَثِيرَةً) .

وَإِنَّمَا كَانَ كَذَلِكَ لِأَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ أَبْرَزَتْ بِالْيَقِينِ ، فَاسْتَقَرَّتْ
قُلُوبُهُمْ إِلَى حُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَنْفَذَتْ إِلَى حُبِّ اللَّهِ تَعَالَى ، فَوَقَعَتْ
أَعْمَالُهُمْ فِي تَرْبِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى .

مثل العمال في إخلاصهم في العمل

مَثَلُ الْعَمَالِ فِي إِخْلَاصِهِمْ فِي الْعَمَلِ مَثَلُ عَبْدٍ دَفَعَ إِلَيْهِ مَوْلَاهُ
ثَوْبًا مَنْسُوجًا مَخْتَلِفَ السِّدَى (٢) ، فَطَاقَةٌ مِنْهُ كَتَّانٌ ، وَطَاقَةٌ مِنْهُ
صُوفٌ ، وَطَاقَةٌ مِنْهُ شَعْرٌ ، وَطَاقَةٌ مِنْهُ إِبْرَيْسَمٌ (٣) ؛ فَقَالَ مَوْلَاهُ فِي
ظُلْمَةِ اللَّيْلِ : اسْتَخْرَجُ طَاقَةَ الْإِبْرَيْسَمِ مِنْ هَذِهِ الطَّاقَاتِ ، لِيَمْتَحِنَ
حَذَاقَتَهُ (٤) ، فَيَاذَ قَدْرٍ عَلَى ذَلِكَ عَظْمٍ شَأْنُهُ عِنْدَ مَوْلَاهُ ، وَصَارَ أَمْرُهُ
بَيْنَ الْعَبِيدِ عَجَبًا .

فَكَذَا الْمُؤْمِنُ إِذَا أَخْلَصَ الطَّاعَةَ مِنْ بَيْنِ شَهَوَاتِ النَّفْسِ وَإِعْجَابِهَا
وَعَلَاتِقِهَا ، مِنَ الرَّغْبَةِ ، وَالرَّهْبَةِ ، وَالْحِرْصِ وَالشَّرِّهِ ، وَالغَدْرِ ،

(١) سورة البقرة : آية ٢٤٥

(٢) السدى : ما يمد طولاً في النسيج .

(٣) الإبريسم : الحرير .

(٤) الحذاقة : الحذق : والمهارة .

وَالْعُلُوُّ ، وَالْكِبْرُ ، وَالْحَسَدُ ، وَالغِلُّ ، وَالغِشُّ ، وَالْمَكْرُ ، وَالخِيَانَةُ ،
أَخْلَصَ طَاعَةً مِنْ بَيْنِ هَذِهِ الشَّهَوَاتِ الدُّنْيَا الرَّجِسَةَ ^(١) الدَّنَسَةَ ،
ثُمَّ خَرَجَ بِهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى عَظُمَ شَأْنُهُ ، وَصَارَ أَمْرُهُ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ
عَجَبًا ؛ كَيْفَ قَدَرَ عَلَى مِثْلِ هَذَا ؟ وَإِنَّمَا هُوَ لَحْمٌ وَدَمٌ وَطِينٌ وَتُرَابٌ ،
وَشَهَوَاتٌ ، وَلَا تَعْلَمُ الْمَلَائِكَةُ بِمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الْقُوَّةِ فِي سِرِّ أَسْرِهِ ^(٢)
مِنَ الْجَمِيعِ ، فَبِتِلْكَ قَدَرَ عَلَى مِثْلِ هَذَا .

مثل الأعمال في زينتها

مَثَلُ الْأَعْمَالِ فِي زِينَتِهَا وَبَهَائِهَا مِثْلُ الْأَثْوَابِ مِنَ الدِّيَابِيجِ ^(٣)
وَالْوَشَائِشِ ^(٤) ، فَالْوَشَائِشُ فِيهَا بِأَلْوَانٍ . وَالْأَعْمَالُ [٩٦] أَنْوَاعٌ ،
أَفْثُوبٌ مِنْهَا أَبْيَضٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْأَلْوَانِ وَالنَّقُوشِ ، وَمَعَ ذَلِكَ
نَخْشِنُ لَيْسَ بِجَوْهَرِيٍّ ، لِأَنَّهُ مَغْشُوشٌ فِي أَصْلِهِ ؛ فَهَذَا غَيْرُ ثَمِينٍ ؛
وَإِنْ كَانَ فِيكَوْنُ قَلِيلًا نَمُودَجَ شَيْءٌ مِنَ الثِّيَابِ ، فَلَا يَشْتَرِكُ الْإِبَاقُ ^(٥)
وَوَكْسُ الثَّمَنِ ؛ فَهَذَا عَمَلٌ مِنْ صَاحِبِ تَخْلِيْطٍ ، وَخُلِقَ سَيِّئًا
وَخُشُونَةً رُوحًا ، فَلَا يُعْبَأُ بِعَمَلِهِ بِشَيْءٍ .
وَتُوبٌ لَيْسَ لَهُ جَوْهَرٌ إِلَّا أَنَّهُ خَالِصٌ وَلَا نَقْشَ لَهُ ، فَهَذَا مِمَّا
يَشْتَرَى وَيُرْغَبُ فِيهِ .

(١) الرجسة : النجسة . (٢) أسره : أخفاه .

(٣) الديابيج : جمع ديباج .

(٤) الوشي : نقش الثوب .

(٥) الإباق : هروب العبد من سيده . وكس الثمن : النقص فيه .

فهذا الصادقُ المرِيدُ يَطْلُبُ مَرْضَاتِهِ ، الذي قد لانت جوارحه
للين نفسه ، وخشعة قلبه .

وثوب جوهري خالص كذلك ذو ألوان من النقوش ، ولكن
ليس له طراوة ؛ ولن تؤخذ العيون بحلاوته فهذا صديق صار إلى
الله بجهد ، فجهدته نصب عينيه كلما عمل عملاً رأى نفسه في ذلك
العمل ، فأعجبه ذلك ، فهو يعمل على التعظيم ، ويجتهد في العمل
ونيته ، ولكن ليس له لبق (١) .

وثوب جيد جوهري خالص الغزل من الإبريسم (٢) ، مُحْكَم
النسج ، ملون النقوش بفنون (٣) الأشياء ، من الأشجار والطيور ،
والتماثيل والتصاوير ؛ فيزداد بثمنه عشرة أضعاف ، كل مرة
تأخذه العيون بحلاوة لبقه .

فهذا عمل أهل المحبة ، وهم أهل اللبِقِ في أعمالهم ، قد
زايَلَتْهُمُ الأَهْوَاءُ والنفس ، والالتفاتُ إلى شئ سِوَى العُبُودَةِ (٤) ،
والفرح بشئ سِوَاهُ ؛ فأعمالهم بالسكينة والوقار ، والتعظيم
والإجلال ، وحشوها حبُّ الله تعالى .

مثل عمل الذي لا لبق له

فمثل عمل الذي لا لبق (١) له مثل تلك النقوش التي تُنقش

(١) اللبق : الحذق ، والظرف ، ولبق به الثوب : لاق .

(٢) الإبريسم : الحرير .

(٣) فنون : مختلف .

(٤) العبودة : الطاعة .

على الحيطان والعيدان بألوان النقوش ، ولا تلتذُّ العيون برؤيتها ،
ولا تذوق حلاوتها ، حتى تذهب بالذهب ؛ فحينئذ صار لها بريق
وإشراق ؛ فعندها تلتذُّ العيون بحلاوة زينتها .

فكذا الأعمال ؛ وإن صدرت لا لبق لها إلا بحلاوة لبقها ،
وهو حبُّ الله تعالى الذي هو أقوى الأنوار ، وأنورها وأعلاها
وأسناها ؛ فهو جوهرى مُحَكَّم ، وإن طال استعماله وابتدأه فهو
طرىُّ النقوش ، حسنُ الهيئة ، كالثوبِ الجوهريِّ المُحَكَّم على
ما وصفنا .

وإذا كان خشناً لاجوهر له فبقليل الابتدال والاستعمال
درست^(١) تلك النقوش وتهافتت^(٢) ، وبرزت قيمته إلى ثوب
أبيض خلق^(٣) .

فكذا العامل الذى قام به ، واجتهد فى طلبِ الصِّدْقِ ، مع خشونة
وأخلاقٍ سيئة لا تدعه ، فقد نقش عمله وزينه ، ولكن إذا طالت
المدة ، وكبرت سنه ، تهافتت عنه تلك النقوش والزينة ؛ لأنه
كلما كبر ازداد سوء خلقه ، وضيق صدره ، وخشونته ؛ فتعود
حاله وقدره عند الله تعالى كما عاد ذلك الثوب الذى قد درس ،

(١) درست النقوش : خفيت آثارها .

(٢) تهافتت : تساقطت شيئاً بعد شئ .

(٣) خلق : بال .

وصار ثوباً خلقاً لا نقوش فيه ، وتراجعت قيمته إلى قيمة ثوب أبيض خلق .

مثل من يجاوب الذاكرين

مثل من يجاوب الذاكرين والمؤذنين عند التهليل ^(١) على طريق المساعدة بلا روية ولا استعمال عمل - مثل رجل يلتقى في زرعه من التراب والعلف ليقويه ، ثم امتنع من سقيه ، فما يزيده ذلك إلا يبسا ^(٢) ، ويلقى عنه النبت ^(٣) . ومن سقاه سقياً مترادفاً ^(٤) مرتين أو ثلاثا استخرج الماء قوة ذلك الملقى ، فأدأها إلى الزرع ، فنبت وقوى واشتد ساقه ، وسنبل ^(٥) ، وتفرع ، حتى أدرك الزرع وقوى .

فكذا من جاوب المهلل بدون حياة القلب ولا يفعل ما يقول ، فذلك كالتراب الذي يلتقى في الزرع ، ومنع سقيه ، لم يزد إلا ثقلاً ؛ لأنه إنما اقتضى التهليل في جميع عمره مرة واحدة ، وهو الإقرار بتوحيده ، وما سواه تجديد الوكاه ؛ فهذه الكلمة إنما تقتضى منه وكاه القلب إليه ، فإذا لم يوكله قلبه إليه لم يقبل ذلك منه ؛ لأنه

(١) هلل : قال : لا اله إلا الله (القاموس) .

(٢) يبس : إذا جف بعد رطوبته .

(٣) في ا ، ب : ويبقى عن النبت .

(٤) مترادفاً : متتابعاً .

(٥) سنبل الزرع : أخرج السنابل .

لما آمن اطمأنت نفسه ، ووله بالواحد ، فكلما ذهب من ولة قلبه عنه إلى شيء غيره فإنما يذهب سهواً لا عمدًا ، فإذا سها عن ذكر الصانع ، واشتغل بالمصنوع ؛ لغلبة حلاوة المصنوع على قلبه ، وحدة شهوته له في نفسه ؛ فإذا بقي فيه خرب قلبه ، وأظلم صدره ؛ فإذا هلك فإنما يجدد الولة ، ويرجع إلى الله تعالى ؛ فيربط القلب ، وتعود النفس طرية .

فهذا المجاوبُ إذا سمع تهليله ، فجاوبه على طريق المساعدة والغفلة فهو كالتراب الملقى على ذلك الزرع بلا سقى ؛ فلا يزيده ذلك إلا ثقلاً ، كذا هذا المجاوبُ لا يزيده من ذلك إلا خساراً وحجة .

ومن نطق به على كشف الغطاء كان كمن سقى زرعه بعد إلقاء التراب فيه ، فرطب ذلك التراب ، وتادت قوته إلى الزرع ، فقوى واشتد ساقه ، وأعجب الزراع ليغيط به عدوه الكافر ، ووعد الله عز وجل أولئك بالمغفرة والأجر العظيم ؛ لقول الله سبحانه وتعالى (١) :
(وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرةً وأجرًا عظيمًا) (٢) .

(١) سورة الفتح ، آية ٢٩ : وقد أشار في قوله : وأعجب الزراع . . إلى جزء من هذه الآية ثم ختم فقرته هذه بأخر الآية .
(٢) الذين آمنوا : المؤمنون وأعمالهم صالحة . أجرًا عظيمًا : ثواباً لا ينقطع وهو الجنة .

مثل من يستمع قلبه الى حديث نفسه

مَثَلٌ مَنْ يَسْتَمِعُ قَلْبُهُ إِلَى حَدِيثِ نَفْسِهِ فَيَقْبَلُ مِنْهَا ، وَيَسْتَشِيرُهَا فِي أُمُورِهِ ، وَيَقْبَلُ مَا تُشِيرُ عَلَيْهِ - مَثَلٌ رَجُلٍ مَعْرُوفٍ بِالْعَقْلِ وَالْعِلْمِ ذِي خَطَرٍ ^(١) وَجَاهٍ ، يَسْتَشِيرُهُ النَّاسُ فِي أُمُورِهِمْ - أَقْبَلَ عَلَى صَبِيٍّ مَعَ خُلُقَانٍ وَأَدْنَسٍ ^(٢) ، وَبِزَاقٍ ^(٣) وَمُخَاطٍ ، يَلْعَبُ بِالتُّرَابِ لَعِبَ الصَّبِيَّانِ ، فَهُوَ يَسْتَشِيرُهُ فِي الْأُمُورِ ، وَيَسْتَمِعُ مَقَالَاتِهِ ، وَيَقْبَلُ مِنْهُ ، فَكُلٌّ مَنْ نَظَرَ إِلَيْهِ مِنَ الْعُقَلَاءِ تَحِيرًا فِي أَمْرِهِ ، وَتَعَجَّبَ مِنْ فِعْلِهِ . فَكَذَا النَّفْسُ فِي جَوْفِ الْآدَمِيِّ بِهَذِهِ الصِّفَةِ : نَهْمَتُهَا ^(٤) اللَّعِبُ وَالبَطَالَةُ ، مِنَ الشَّهَوَاتِ وَالنَّهْمَاتِ ، مَعَ خُلُقَانِ الْأَعْمَالِ وَأَدْنَسِ الذُّنُوبِ ، وَبِزَاقِ الْغَضَبِ ، وَمُخَاطِ الْبُكَاءِ ، جَزَعًا عَلَى فَوَاتِ الدُّنْيَا ، وَمَصَائِبِ أَحْوَالِهَا .

فَإِذَا ذَهَبَ الْقَلْبُ الَّذِي أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِمَعْرِفَتِهِ ، وَزَيْنِهِ بِالْعَقْلِ ، وَشَرَفِهِ بِعِلْمِ أَسْمَائِهِ وَعِلْمِ الْقُرْآنِ ، فَأَعْرَضَ عَنْ هَذِهِ الْعَطَايَا وَالْهُدَايَا ، وَأَقْبَلَ عَلَى حَدِيثِ النَّفْسِ وَإِشَارَاتِهَا ، وَإِلَى مَا تَدْعُو إِلَيْهِ ، فَاقْبَلَ مِنْهَا ، وَاسْتَفَادَ بِهَا ، فَهَذَا شَأْنٌ عَجِيبٌ ، وَمَنْ نَظَرَ إِلَيْهِ فِيهِ حَيْرَةٌ .

(١) خطر : قدر ومنزلة . وفي ا ، ب : ذا .

(٢) خلُقَان : ثياب بالية . وأدْنَس : أوساخ .

(٣) البِزَاق : البصاق .

(٤) نهْمَتُهَا : حاجتها وشهوتها .

مثل عمال الله تعالى على طريق الرجاء والثواب

مَثَلُ عَمَالِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى طَرِيقِ الرَّجَاءِ وَالثَّوَابِ مِثْلُ بَعِيرِ
الرَّحَا^(١) ، يَشْدُ عَلَى عَصَارِي حَجَرِ الرَّحَا وَأُخِذَ بَعَيْنِيهِ ، فَهُوَ يَدُورُ عَلَى
ذَلِكَ الْقُطْبِ^(٢) وَالْبَكْرَةَ فِي أَرْضِ عَشْرَةِ أَذْرَعٍ ، لَا يَبْرَحُ مِنْ تِلْكَ
الْبُقْعَةِ فِي شَهْرِهِ وَدَهْرِهِ ، وَلَا يَعْرِفُ سِوَى ذَلِكَ شَيْئًا ؛ فَالرَّحَا الْأَعْمَالُ
الثَّقَالُ ، وَتَعَبُ الْأَرْكَانِ فِيهَا . وَطِخْنُهَا^(٣) الَّذِي تَرْمِي بِهِ تِلْكَ
الْأَنْوَارُ الَّتِي تَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ مِنْ تِلْكَ الْأَعْمَالِ . وَالْقُطْبُ الَّذِي تَدُورُ
عَلَيْهِ أَعْمَالُهُمْ نِيَّاتُهُمْ وَمَقَاصِدُهُمْ يَبْتَغُونَ^(٤) بِهَا [٩٧] الثَّوَابَ
مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ؛ فَهَمُ الشَّهْرُ وَالدهْرُ مَشَاغِيلُ فِي الْأَعْمَالِ ؛ وَدَوْرَانُ
قُلُوبِهِمْ عَلَى طَلَبِ ذَلِكَ النَّوَالِ لَا يَبْتَغُونَ غَيْرَ ذَلِكَ .

مثل الصديقين العارفين في الأعمال

وَمِثْلُ الصَّدِيقِينَ الْعَارِفِينَ فِي الْأَعْمَالِ مِثْلُ أَرْحِيَةِ الْمَاءِ ؛ جَاءَ
الْمَاءُ مُنْحَدِرًا جِدًّا وَذَارَ الْقُطْبُ بِمَا فِيهِ مِنَ الْأَجْنَحَةِ ؛ فَالْمَاءُ عَلِمَهُمْ
بِتَدْبِيرِ اللَّهِ وَعِلْمِهِمْ بِاللَّهِ .

مثل خاص الأولياء

مِثْلُ خَاصِّ الْأَوْلِيَاءِ مِثْلُ أَرْحِيَةِ الرِّيحِ ، جَاءَتِ الرِّيحُ فَتَحْمَلُ ذَلِكَ

(١) الرحا : الطاحونة .

(٢) القطب : قطب الرحا : ما تدور عليه .

(٣) الطحن : المطحون .

(٤) يبتغون : يطلبون .

الرَّحَا ، فهو في رَأْيِ الْعَيْنِ يَدُورُ كَالطَّائِرِ يَطِيرُ ، وَسَبَبُ دَوْرَانِهِ مُنْكَمِنٌ ، فَهَؤُلَاءِ الْمُسْتَعْمِلُونَ فِي الْقَبْضَةِ ، أَسْبَابُ أُمُورِهِمْ قَدْ انْقَطَعَتْ عَنْ أَسْبَابِ أَهْلِ الدُّنْيَا ، وَخَفِيَتْ لِأَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى .

مثل المؤمن والكافر والمنافق

مثل المؤمن والكافر والمنافق مثل ثلاثة نفرٍ أتوا نهراً عظيماً في مَفَاذَةَ^(١) ، فوقع واحدٌ منهم في النَّهْرِ فَسَبَّحَ سَبْحًا ، وَخَرَجَ ؛ وَوَقَعَ الثَّانِي ؛ فَكَلَّمَا كَادَ أَنْ يَصِلَ إِلَى شَطِّ النَّهْرِ نَادَاهُ الثَّلَاثُ الَّذِي لَمْ يَدْخُلْ بَعْدُ فِي النَّهْرِ : أَنْ يَا فُلَانُ ، هَلُمَّ إِلَىَّ ، فَإِنَّ الطَّرِيقَ مَخُوفٌ فَتَهْلِكُ . ارْجِعْ إِلَىَّ ، فَإِنِّي أَعْلَمُ بِطَرِيقٍ آخِرٍ يُعْبَرُ بِالسَّلَامَةِ عَلَى الْقَنْطَرَةِ ؛ وَالَّذِي خَرَجَ يُنَادِيهِ : أَنْ إِلَىَّ إِلَىَّ ؛ فَإِنَّ الطَّرِيقَ آمِنٌ ، وَعِنْدِي مِنَ النِّعَمِ مَا لَا يُوصَفُ ، فَمَا زَالَ يَذْهَبُ إِلَى هَذَا وَإِلَى ذَلِكَ حَتَّى يَغْرُقَ فِي الْمَاءِ وَيَهْلِكُ .

قال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ : فَالْأَوَّلُ الَّذِي عَبَرَ مُؤْمِنٌ مُخْلِصٌ . وَالَّذِي لَمْ يَعْبرَ بَعْدُ كَافِرٌ . وَالَّذِي دَخَلَ مُنَافِقٌ يَدْعُوهُ الْمُسْلِمُ مِنْ وِرَائِهِ ، وَالكَافِرُ يَدْعُوهُ مِنْ خَلْفِهِ ، وَهُوَ مُتَرَدِّدٌ مُتَذَبِذِبٌ^(٢) حَتَّى يَأْتِيَهُ الْمَوْتُ ، فَيَمُوتُ مُنَافِقًا ، فَيَبْقَى فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ فِي أَسْفَلِ السَّافِلِينَ .

ومصداقُ هَذَا قَوْلُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى^(٣) : (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ

(١) المفاذة : أرض لا ماء فيها .

(٢) تذبذب : تحير وتردد .

(٣) سورة النساء ، آية ١٤٥

فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ^(١) .

ومثلهم أيضا مثل أهل بلدة بقوا في جدوبة وقحط ، وشدة
ويبوسة ، وعسر وضيق وفقر ، فجاء رجل بهي سخى ، كريم
جواد ، رءوف رحيم ، وقال لهم : أنا لكم ناصح أمين ، وإنكم بقيتم
في هذه البقعة في هذه الشدة والمحنة ^(٢) ، فإني أدلكم على أرض
فيها خصب وسعة ، وخضرة وماء ، ونعيم ؛ فارتحلوا إليها تنجوا
من هذه المحنة ؛ فقوم قبلوا نصيحته وارتحلوا إلى تلك البقعة ؛
فوجدوا ما أخبروا وزيادة . وقوم لم يصدقوه ولم يلتفتوا إلى كلامه ،
وبقوا في أرضهم في القحط ^(٣) والشدة وجازوا ذلك ، فنزلوا فيها
واطمأنوا بها فرحين بها ، معجبين بها ، وأرسلوا إلى هؤلاء القوم
الذين بقوا في ديارهم وأخبروهم بذلك : إنا وجدنا ما وعدنا الرجل
وزيادة ، تعالوا معنا تنجون من هذه الشدة ، فلم يقبلوا ، ولم يخرجوا ؛
فلما لبثت تلك الطائفة في تلك الأرض زماناً وشهوراً وسنيناً
متنعمين جاء الرجل ثانياً ، وقال : إن في موضع آخر أرضاً أحسن
من هذه ، ونعيمها ومياها وأشجارها وثمارها أضعاف من هذا ،
فارتحلوا إلى هنالك .

(١) الدرك ؛ قعر الشيء ذى العمق ، فدرك البئر - مثلاً : أسفله (معجم ألفاظ

القرآن) .

(٢) المحنة : الاختبار . (٣) القحط : احتباس المطر ، وعام قحط : شديد .

فَصَدَّقَ بَعْضُ مِنْهُمْ وَارْتَحَلُوا ، فَوَجَدُوا هُنَاكَ أَكْثَرَ وَأَطْيَبَ
مِمَّا وَعَدَّهُمُ الرَّجُلُ ، فَمَكَّثُوا ثَمَّةً ^(١) ، وَأَخَذُوا فِي التَّنَعُّمِ ، وَبَقُوا
فِي الرَّفَاهِيَةِ ، وَبَعَثُوا إِلَى أَوْلِيَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُمْ فِي الْأَرْضِ
الْأُولَى فِي النِّعَمِ : أَنْ وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَا الرَّجُلَ الْأَوَّلَ وَزِيَادَةً ، هَلُمَّوا ^(٢)
إِلَيْنَا نَعِيشْ وَنَتَنَعَّمْ ، فَأَبَوْا ، وَقَالُوا : لَا نُعْطِي الْمَوْجُودَ بِالْمَفْقُودِ ،
وَلَا نَبَدِّلُ ، فَإِذَا سَحَابَةٌ جَاءَتْ مِنَ السَّمَاءِ فَضْرَبَتْ الْأَشْجَارَ ، فَيَبِسَتْ
بَسَاتِينُهُمْ وَمِيَاهُهُمْ وَمَا عِنْدَهُمْ حَتَّى هَلَكُوا جَمِيعًا .

فَالنَّاسُ كُلُّهُمْ فِي ظُلْمَةٍ الْكُفْرِ وَشِدَّةِ الشُّرْكِ وَالْقَحْطِ وَالضُّيْقِ
فِي مَفَاوِزِ ^(٣) الْكُفْرِ حَيَارَى فِي عُسْرٍ وَضَيْقٍ ، فَجَاءَهُمُ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَى ، وَنَصَحَهُمْ ، وَبَيَّنَّ لَهُمْ طَرِيقَ
الْحَقِّ وَالصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ، فَأَمَّنَ بِهِ بَعْضُهُمْ وَنَجَّوْا مِنْ ظُلْمَةِ الْكُفْرِ
وَالْبُؤْسِ وَالْفَاقَةِ ^(٤) ، وَأَخْرَجُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْ ظُلْمَةِ الْكُفْرِ ، وَتَبَيَّنَّ
لَهُمْ طَرِيقُ الرَّشْدِ مِنَ الْغَى .

وَقَوْمٌ لَمْ يَقْبَلُوا نَصِيحَةً ، وَهُمْ الْكُفَّارُ فَبَقُوا فِي مَفَازَةِ الْكُفْرِ ،
فِي أَرْضِ الْقَحْطِ وَالْجُدُوبَةِ ، وَالضُّيْقِ وَالضَّنْكِ ^(٥) .

(١) ثَمَّة : هناك .

(٢) هَلُمَّوا إِلَيْنَا : تعالوا .

(٣) جمع مفازة : الأرض لأماء فيها : الصحراء .

(٤) الفاقة : الفقر .

(٥) الضنك : الضيق في كل شيء .

ثم إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ^(١) ،
وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ -
بَدَلُوا مَا عِنْدَهُمْ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ وَنَعِيمِ الْآخِرَةِ بِمَا عِنْدَهُمْ مِنْ نَعِيمِ الدُّنْيَا ،
وَارْتَحَلُوا إِلَى دَارِ الْآخِرَةِ .

وَالْمُنَافِقُونَ قَالُوا : لَا نُعْطَى الْمَوْجُودَ بِالْمَفْقُودِ ، فَخَابُوا وَخَسِرُوا ؛
ذَهَبَ الْمَوْجُودُ مِنْ أَيْدِيهِمْ ، وَلَمْ يَصِلُوا إِلَى الْآخِرَةِ ، فَبَقُوا فِي نِفَاقِهِمْ
وَشَكَّاهُمْ .

وَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَمُخْرَجُوا إِلَى الْأَرْضِ الثَّلَاثَةِ وَهُمْ الصَّادِقُونَ ، كَمَا
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي وَصْفِهِمْ ^(٢) : (أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) بِقَبُولِهِمْ دَارَ
الْآخِرَةِ خَالِصًا ، لِأَنَّ إِيمَانَهُمْ كَانَ خَالِصًا مَخْلُصًا ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٣) :
(وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ
الصَّالِحُونَ . إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ . وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا
رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ^(٤)) .

(١) يرتابوا : يشكوا .

(٢) سورة الحشر ، آية ٨

(٣) سورة الأنبياء ، آية ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧

(٤) الزبور : قيل : الزبور : كتاب داود . والذكر : توراة موسى .

عباد الصالحون : أكثر المفسرين على أن المراد بالعباد الصالحين أمة محمد صلى الله

عليه وسلم . لقوم عابدين : هم أهل الصلوات الخمس ، وقال ابن عباس : عابدين :

مطيعين . قال القشيري : ولا يبعد أن يدخل فيه كل عاقل ؛ لأنه من حيث الفطرة =

وقد جاء في آخر النسخة (ب) ما يأتي :

تم بحمد الله ومنه وحسن عونه ، وصلى الله على محمد
نبيه وأزواجه وذريته وأصحابه وكافة أمته
وجعلنا منهم بمنه وطوله

وفي نهاية نسخة (ا) ما يأتي :

تم بحمد الله ومنه وحسن عونه ، وصلى الله على محمد نبيه ،
وأزواجه ، وذريته وأصحابه ، وكافة أمته ، وجعلنا منهم بفضله
وطوله .

واتفق تمامه على يدى الفقير إلى رحمة الله على بن سليمان بن
أحمد بن سليمان المرادى الأندلسى ، نفعه الله به ، وعلمه ما فيه ،
وجعله من المؤتمين بنبيه ، بفضله ورحمته ، وغفر له ولوالديه ،
ولكافة أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

=متدلل للخالق ، وهو بحيث لو تأمل القرآن واستعمله لأوصله ذلك إلى الجنة. وقال
ابن عباس : هم أمة محمد الذين يصلون الصلوات الخمس ، ويصومون شهر رمضان.
وما أرسلناك : الخطاب للنبي محمد . قال سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس : كان
محمد صلى الله عليه وسلم رحمة لجميع الناس ، فمن آمن به وصدق به سعد ؛ ومن لم
يومن به سلم مما لحق الأمم من الخسف والفرق .

فهارس الكتاب

- ١ - فهارس الموضوعات
- ٢ - « الآيات القرآنية
- ٣ - « الأحاديث والأخبار
- ٤ - « الأعلام .
- ٥ - « مراجع التحقيق والشرح .

١ - فهرس الموضوعات

٢٧	مثل بيت العنكبوت	١	مقدمة في ضرب الأمثال
٢٨	مثل الشرك	٢	الأمثال مرآة النفس
٢٩	مثل المشرك	٤	العلم بالله يورث الحياء
٢٩	مثل المنافقين	٤	الأمثال من القرآن :
٣٠	مثل الذين حملوا التوراة	٥	مثل المنافقين
٣٠	الأمثال من الأخبار والسنة :	٦	مثل اليهود مع النبي
٣١	مثل العالم	٧	مثل المنافقين بتكذيب القرآن
٣١	مثل الرسول في الدعوة	٩	مثل الذين كفروا
٣٢	مثل الآدمي ومثل الموت		مثل محمد صلى الله عليه وسلم مع
٣٢	مثل القرآن	٩	الكافرين
٣٣	مثل من لعب الميسر	١١	مثل المنفق ماله في طاعة الله
٣٣	مثل قارئ القرآن	١٣	مثل المرأى والمشرك
	مثل المنافق القارئ للقرآن وغير القارئ	١٤	مثل ما ينفقون في هذه الدنيا
٣٣	له	١٥	مثل الذي آتينا آياتنا فانسلخ منها
٣٣	مثل الكافر	١٧	مثل الحياة الدنيا
٣٤	مثل كلمة الشهادة	١٩	مثل الماء الذي جرى في الأودية
	مثل من يقرأ القرآن وهو يعلم تفسيره	٢٠	مثل الكافر إذا دعا
٣٤	و لا يعلم	٢١	مثل كلمة طيبة
٣٥	مثل من أعطى القرآن ولم يعط الإيمان	٢١	مثل أعمال الكفار
٣٥	مثل الرسول والأنبياء	٢٢	مثل الوثن الذي يعبدونه من دون الله
٣٥	مثل المنفق ومثل البخيل	٢٣	مثل ناقض العهد
٣٦	مثل الصلوات الخمس	٢٤	مثل لأصنام أهل مكة
٣٧	مثل لموت المرأة المعجب بها زوجها		مثل قلب المؤمن وأعماله وقلب
٣٨	مثل من جاء مسجده	٢٥	الكافر وأعماله
٣٨	مثل الرؤيا حين تعبر	٢٦	مثل أعمال الكفرة

- | | | | |
|----|---|----|------------------------------------|
| ٥١ | مثل من يشئ ويعقل معنى الثناء تعريفا | ٣٨ | مثلكم ومثل اليهود والنصارى |
| ٥٢ | مثل من يشئ ويعقل عقل مشاهدة | ٣٩ | الناس كإبل مائة |
| ٥٣ | مثل التالى كتاب الله فى غفلة | ٤٠ | مثل المؤمن مثل النحلة |
| ٥٧ | مثل الناظر إلى حروف القرآن | ٤٠ | مثل الصحابة |
| ٥٨ | مثل التالى كتاب الله من غير فهم | ٤٠ | مثل الرسول صلى الله عليه وسلم |
| ٥٨ | مثل من يربى القرآن | ٤١ | مثل المؤمنين |
| ٦١ | مثل التالى لكتاب الله | ٤١ | مثل التاجر |
| ٦٢ | التمثيل والتشبيه | ٤٢ | مثل المنافق |
| ٦٤ | المرأة التى فى لسانها بداء | ٤٢ | مثل النبي ومثل الساعة |
| ٦٦ | مثل التالى ولا يعلم التفسير | ٤٣ | خمس كلمات وأمثالها |
| ٦٨ | مثل من يقرأ القرآن بألحان | ٤٤ | مثل المصلى الذى لا يتم كوعه وسجوده |
| ٧١ | فى التوراة | ٤٥ | الحكماء يضربون الأمثال : |
| ٧٣ | مثل صاحب الأخلاق | ٤٥ | مثل العلماء |
| ٧٦ | الأخلاق أصولها فى الطبع | ٤٥ | مثل الإمام |
| ٧٩ | الأغنياء والأجواد | ٤٥ | مثل الناس والإمام |
| ٨١ | الفضاظة ضد الكرم | ٤٥ | مثل الجليس الصالح |
| ٨٢ | مثل من يسبح بتسبيح غيره | ٤٦ | مثل القلب |
| ٨٤ | مثل النفس مثل الكرش | ٤٦ | مثل العالم |
| ٨٤ | مثل التسبيح والثناء والقرآن مع التقوى | ٤٦ | مثل المؤمن المنتبه |
| ٨٦ | مثل قلب يتردد فيه الذكر | ٤٧ | مثل المؤمن الخاطئ الغافل |
| ٨٧ | الكنوز | ٤٨ | مثل العاقل المحق |
| ٨٩ | حب الله تعالى | ٤٨ | مثل المؤمن الخلط |
| ٩١ | تغطية الشهوات | ٤٩ | مثل المصلى الساهى |
| ٩٢ | أصحاب هذه الصفة صنفان | ٥٠ | مثل الدعوات دون حضور القلب |
| ٩٦ | مثل المعرفة مثل قطب الرجا | ٥٠ | مثل من يشئ على ربه عن غفلة |
| ٩٨ | مثل من استعمل عقله وذهنه فى أمور الدنيا | ٥١ | مثل من يشئ ولا يعلم معنى ما نطق به |

- ١٤١ إيمانك بالله يصلب قلبك ٩٩ مثل الذى يختاف إلى مجالس العلم
- ١٤٢ مثل انقياد النفس ١٠٠ مثل الذى يغوص فى البحر والأنهار
- ١٤٥ حال المشفق ١٠١ مثل المتعرف إليك باختلافه إليك
- المحب لربه لا يرضى أن يعمل له على ١٠٢ مثل الحب بين الأشياء
- ١٤٦ حيث النفس ... ١٠٣ الحب سر الله فى العباد
- ١٤٧ ابن عباس قدوة فى هذا ١٤٥، ١٠٤ فرح الله بتوبة العبد
- ١٤٨ وعلى والزبير رضى الله عنهم أسوة ١٠٦ المفردون
- ٢٣١ ، ١٤٩ مثل عمال الله ١٠٩ مثل رجل له عبد رباه بين يديه
- ١٥١ بساط الربوبية وبساط العبودية ١١٢ مثل الهوى فى الآدمي
- ١٥١ الأنبياء أعظم أجرا ١١٧ الآخرون مثل العنكبوت
- ١٥١ تفضيل الموحدين ١١٧ ما فى خطبة له عليه السلام
- القلب يدعو إلى الله والنفس تدعو ١٢٠ السلام للأمة من إبراهيم
- ١٥٢ إلى الشهوات ١٢٠ مثل رجل غرس غرسا
- ١٥٦ مثل المؤمنين ومثل اليهود والنصارى ٣٢٧، ١٦٩ ، ١٢٢ مثل القلب والنفس
- ١٥٧ مثل الحمد للموحدين مثل من سار إلى الله حتى وصل إلى
- ١٦١ مثل عبد دعاه مولاه فوكله بعمل له ١٢٦ محل القرية
- مثل قوة العقل فى الأعمال والأقوال ١٢٧ مثل الذى يترك مجاهدة النفس
- ١٦٢ وملكها ١٢٨ مثل من يقصر فى الفرائض
- ١٦٤ مثل الهوى إذا مزج العقل فى أمر واحد ١٢٩ مثل من يضيع حقوق الله
- ١٦٦ شأن الآدميين مع الله ١٣٠ مثل من قرأ القرآن بغير فهم
- ١٦٦ من سار سيرة هواه ١٣٠ مثل الواعظ الناصح
- ١٦٧ العاقل والأحمق ١٣١ مثل من أعطى نور الهداية
- ١٦٨ مثل إثبات الرزق فى اللوح ١٣٤ أهل اليمن ألين قلوبا وأرق أفئدة
- ١٦٩ مثل الراغب فى الدنيا ١٣٩ ما رزق عبد شيئا أفضل من إيمان صلب ١٤٠
- ١٧١ مثل الدنيا وانخداع الأحمق بها

٢٣٣	مثل من يعمل على الغفلة	١٧٢	مثل من يخلط أعمال السوء بأعمال البر
٢٣٥	مثل الواعظ		مثل من يقوم بأمر الله مخلصاً أو غير
٢٤٠	مثل المدعو إلى دار السلام	١٧٣	مخلص
	مثل الذى ينطق بأسماء الله ويدعوه بها		مثل موسرين ينفق أحدهما فيما يهوى ،
٢٤٢	وليس له نور تلك الأشياء	١٧٤	وينفق الآخر فى وجوه الخير
٢٤٥	آدم لما أهبط إلى الأرض	١٧٦	مثل من يعظ القلوب الحزينة
٢٤٥	دواوين ثلاثة	١٧٩	مثل الدنيا مثل بحر عميق
٢٤٨	كلمات أعطاها الله العبد	١٨١	مثل الشهوات وتردها فى الصدور
٢٤٩	مثل ذلك مثل الخواتيم	١٨٤	اجتناب أبواب الكلام
٢٥٠	مثل الغافل عن الله تعالى	١٨٧	مثل رياضة النفس
٢٥٥	المرارات	١٩٠	مثل طيب الإيمان على القلب
٢٥٦	اعمال العقل	١٩٠	مثل الإيمان فى القلب
٢٥٨	مثل معرفة العامة	١٩٨ : ١٩٢	مثل الإيمان مثل الضيف الكريم
٢٥٩	قلوب العامة فى معرفة ربهم	١٩٦	مثل الإيمان وصحته وسقمه
٢٥٩	معروفات الله جل جلاله	٢٠٠	ما أنزل الله فى شأن قوم يعم الخلق
٢٦٠	مثل موت واحد من المؤمنين	٢٠٢	إكرام الله تعالى
٢٦٢	أولياء الله تعالى	٢٠٣	وجه تشبيه القلب بالكعبة
٢٦٢	طائفة أخرى	٢٠٣	قلب المؤمن
٢٦٣	وطائفة نافرة	٢٠٨	تدبير الله تعالى فى إبراز أسمائه
٢٦٣	الثابت على التوحيد	٢١٣	أعظم التقوى
٢٦٣	المدبر الذى ركب بعض شهواته	٢١٤	علم المعرفة
٢٦٤	فى بيان الهباء	٢١٧	العلم علمان
٢٦٥	من أراد الله به خيراً	٢١٩	من يغلب شهوات الدنيا
٢٦٧	للأسبق والمقتصد والظالم	٢٢١	مثل التقوى
٢٦٩	مثل المتكل على ماله	٢٢٥	التقوى على سبع جوارح
٢٧٤	مثل حركات المؤمن	٢٢٧	لا عمل لمن لا نية له

٣١٦	مثل الاتّهار بأمر الله	٢٧٦	مثل العمال بطاعة الله
٣٢٠	الأجساد قوالب	٢٧٩	مثل الثناء والتسبيح
٣٢١	الدعاء لم يكن لسائر الأمم	٢٨٠	مثل المجتمعين على ذكر الله بكرة وعشيا
٣٢٤	في قلب المؤمن حياتان	٢٨١	مثل أسماء الله الحسنى
٣٢٤	الرشد سر الله في قلب المؤمن	٢٨٤	مثل من يريد ذكر الله في قلبه
٣٢٦	مثل أعمال البر في الجسد	٢٨٥	مثل من يعبد الله بلا علم
٣٢٨	النية الصادقة		مثل من يتعلم العلم ولا يعمل به ولا
٣٢٩	مثل الحق والمبطل	٢٨٦	يعلمه الناس
٣٣١	مثل العارف المنتبه		مثل من يتعلم العلم ويعمل به ولا يعلمه
٣٣٢	مثل العلم مثل الماء	٢٨٦	غيره
٣٣٤	مثل التائب	٢٨٦	مثل من يتعلم العلم ويعمل به
٣٣٦	مثل الخاشي		مثل من يتعلم العلم ولا يعمل به ويعلمه
٣٣٧	مثل الخائف	٢٨٧	الناس
٣٣٧	مثل أهل الإرادة	٢٨٨	مثل من يتغنى بزول الرحمة قبل التوبة
٣٣٩	أعمال هذه الأمة على ثلاث مراتب	٢٩١	تطهير الصدور
٣٤٠	مثل العمال في إخلاصهم في العمل	٢٩٥	العار والخزى بين يدي الله
٣٤١	مثل الأعمال في زينتها	٢٩٦	المعذب من الموحدين
٣٤٢	مثل العمل الذي لا لبق له	٢٩٧	حياة أهل النار
٣٤٥	مثل من يحارب الذاكرين	٢٩٧	مثل من يحشر في الموقف
٣٤٦	مثل من يستمع قلبه إلى حديث نفسه		يحشر الناس ركباناً ورجالة وعلى
	مثل عمال الله تعالى على طريق الرجاء	٢٩٩	وجوههم
٣٤٧	والثواب	٣٠٢	صفة فارس من السابقين
٣٤٧	مثل الصديقين العارفين في الأعمال	٣٠٣	مثل العامل يعمل أعمال البر
٣٤٧	مثل خاص الأولياء	٣٠٦	مثل من وثق بالله في ضمان رزقه
٣٤٨	مثل المؤمن والكافر والمنافق	٣٠٧	مثل أهل الثبات في الأعمال
		٣٠٩	عمال الله تعالى على ثلاثة أصناف
		٣١٠	مثل الطاعة في الزينة
		٣١٤	مثل المعرفة التي لم تضيء

٢ - فهرس الآيات القرآنية *

السورة	رقم الآية	الصفحة
سورة البقرة	١٤ -	٥
»	١٩	٨٠٧
»	٥٤	١٥٥
»	٧٤	٩

(*) مرتبة على حسب ترتيب السور ، والآيات فى السور .

المسورة	رقم الآية	الصفحة
سورة البقرة		
		وإنَّ منها لما يهبطُ من خشيةِ الله وما اللهُ بغافل عما يعملون .
»	١١٦	٧٠ وقالوا اتَّخَذَ اللهُ ولدا سبحانه بل له ما في السمواتِ والأرضِ كلُّ له قانتون .
»	١٢٥	٢٠٨ وإذ جعلنا البيتَ مثابةً للناسِ وأمناً واتخذوا من مقامِ إبراهيمَ مُصلًى وعهدنا إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ أنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ للطائفينَ والعاكفينَ والركَّعِ السُّجُودِ .
»	١٧٠	١٠ وإذا قيلَ لهم اتَّبِعُوا ما أَنزَلَ اللهُ قالوا بلى ننتبِعُ ما أَلْفِينا عليه آباءنا أَوْ لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون .
»	١٧١	١٠٠٩ ومثلُ الذين كفروا كمثلُ الذي يَنعِقُ بما لا يسمعُ إلا دعاءً ونداءً صُمُّ بِكُمْ عُمى فهم لا يعقلون .
»	١٩٤	٢٠٠ الشهرُ الحرامُ بالشهرِ الحرامِ والحرماتِ قِصاصٌ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثلِ ما اعتدى عليكم واتقوا اللهَ واعلموا أنَّ اللهَ مع المتقين . وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَ
	١٩٥	

السورة	رقم الآية	الصفحة
سورة البقرة		
»	٢١٩	٧٨
»	٢٤٥	٣٤٠
»	٢٥١	٢٦٨
»	٢٥٦	٣٢٤
»	٢٥٩	١٠

تَلَقُّوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ .

وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ .

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ .

وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ .

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ : لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ : بَلْ

المسورة	رقم الآية	الصفحة
سورة البقرة		
		لبثت مائة عام ... فلما تبين له قال :
		أعلم أن الله على كل شيء قدير .
	٢٦٠	١١
		وإذ قال إبراهيمُ ربِّ أرني كيف تُحيي الموتى ، قال : أو لم تؤمن ؟ قال : بلى ، ولكن ليطمئنَّ قلبي ، قال : فخذ أربعةً من الطير فصرهنَّ إليك ثم اجعل على كلِّ جبلٍ منهنَّ جزءاً ثم ادعهنَّ ياتينك سعيًا ...
	٢٦١	١١
		مثل الذين يُنفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم .
	٢٦٢	١٢
		الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منّا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون .
	٢٦٤	١٢
		يأبى الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثلُه كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون على شيء مما كسبوا ...

السورة	رقم الآية	الصفحة
سورة البقرة	٢٦٥	١٣
»		
»	٢٦٨	٣٢٣
»	٢٨١	٦٨
سورة آل عمران	٨	٢٠٤
»	١٤	١٨٢
»	٣١	١٠٨
»	٧٣	١٥٤

... ومثل الذين يُنْفِقُونَ أموالهم ابتغاءَ مرضاةِ
اللهِ وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنةٍ بربوةٍ
أصابها وابلٌ فآتتْ أكلها ضعفينِ فإن لم
يُصبِها وابلٌ فطلَّ ...

الشیطانُ يعدُّكم الفقرَ ويأمرُكم بالفحشاءِ
واللهُ يعدُّكم مغفرةً منه وفضلاً واللهُ واسعٌ عليمٌ.
واتَّقوا يوماً تُرجعون فيه إلى الله ثم توفِّي كلُّ
نفسٍ ما كسبتْ وهم لا يُظلمون .

ربِّنا لا تُزِغْ قلوبنا بعد إذ هدیتنا وهبْ لنا
من لدنك رحمةً إنك أنتَ الوهابُ .

زین للناس حبُّ الشهواتِ من النساءِ والبنینِ
والقناطیرِ المَقنطرةِ من الذهبِ والفضةِ
والخیلِ المسومةِ والأنعامِ والحَرثِ ذلك متاعُ
الحیاةِ الدنیا واللهُ عنده حُسْنُ المآبِ .

قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
اللهُ ويغفر لكم ذنوبكم واللهُ غفورٌ رحيمٌ .

ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى
هدى الله أن يؤتى أحدٌ مثلاً ما أوتيتم

السورة	رقم الآية	الصفحة
سورة آل عمران		
»	١٠٢	٢٢٤
»		٢٢٥
»	١١٧	١٤
سورة النساء		
»	١٣٠	٢٠٠
»	١٢٣	٢٥٨
»	١٤٥	٣٤٨
سورة المائدة		
	١٥	٥٩
	٢٧	٨٥

أَوْ يَحَاجُّوْكُمْ ...

يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ
وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ .

مثل ماينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل
ريح فيها صرٌّ أصابت حَرثَ قوم ظلموا
أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن
أنفسهم يظلمون .

يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا
مُضَاعَفَةً . . .

لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ
يَعْمَلْ سَوْئًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يُجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ
وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا .

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ
تَجِدَهُمْ نَصِيرًا .

يَأَيُّهَا الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ
كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو
عَنْ كَثِيرٍ . قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ .

وَآتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا

السورة	رقم الآية	الصفحة
		قُرْبَانًا فَتُقْبَلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يَتَقَبَّلْ مِنْ الْآخَرِ قَالَ : لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ .
سورة المائدة	٤٨	٦٢
		وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ...
»	٦٨	٢١٧
		قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ..
»	٧٤	١٥٥
		أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ .
»	٩٠	٢٠٠
		إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ .
»	٩٥	٢٠٦
		يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ، وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتقام .
سورة الأنعام	١١٠	١٣٨
		وَنَقَلْبٌ أَفْئِدَتُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ .
»	١٢٢	١١٦ ٢٨١
		أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا

السورة	رقم الآية	الصفحة
		يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ...
»	١٦٠	٣٣٩
		من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزي إلا مثلها وهم لا يظلمون .
سورة الاعراف	٢٦	٢٦١
		يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا ...
»	٣١	٣١٨
		يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين .
»	١٤٦	٦٩
		سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية يؤمنوا بها ...
»	١٧٥	١٧٤
		واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ، ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلمهم يتفكرون .
	١٧٦	

السورة	رقم الآية	الصفحة
سورة الأنفال	٢٤	٢١٩
		٣٢٧
»	٢٩	٢٢٧
»	٣٨	١٥٥
سورة التوبة	١١١	٤٩
	١١٢	
سورة يونس	٢٤	١٧

يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ.

يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ.

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقًّا... فَاستَبشروا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ... التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ... وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ.

إِنَّمَا مِثْلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا إِذْ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ

السورة	رقم الآية	الصفحة
سورة يونس	٢٥	٢٤٠
»	٣١	١١٤
»	٣٢	
»	٥٧	٦٥
»	٦١	٢٣٠
»	٦٢	٢٢٩
»	٦٣	٢٣٠
سورة هود	١١٨ ١١٩	١٥٨

تغن بالأمس .

والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله . فقل أفلاتتقون . فذلکم الله ربکم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال ...

يأياها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين

وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عملٍ إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه ...

ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

الذين آمنوا وكانوا يتقون .

ولا يزالون مختلفين . إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم .

السورة	رقم الآية	الصفحة
سورة هود	١٢٠	١٨
		به فؤادك ...
سورة يوسف	٥٣	٢٦٦
		إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي
سورة الرعد	١٤	٢٠
		له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيءٍ إِلَّا كِبَاسُطٍ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دَعَاُ الْكَاْفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ .
»	١٧	١٩
		أنزل من السماء ماءً فسالت أوديةً بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال ...
سورة ابراهيم	١٨	١٥
		مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرון مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد.
»	٢٤	٢١
		ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفروعها في السماء.
	٢٥	٣٤

السورة	رقم الآية	الصفحة
		تَوْتَىٰ أَكْلَهَا كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ.
سورة ابراهيم	٢٦	٢١
		ومثلُ كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثتُ من فوق الأرض ما لها من قرار.
»	٣٤	٢٤٩
		وإِنَّ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوها ...
»	٤٥	١
		وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ
سورة الحجر	٢٦	٢٦١
		ولقد خلقنا الإنسانَ من صَلْصَالٍ من حَمَآءٍ مسنون.
		فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهْمَ أَجْمَعِينَ.
سورة النحل	١٨	١٥٨
		وإِنَّ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوها إِنْ اللَّهُ لَعَفُورٌ رحيم.
»	٥٧	٢٢
		ويجعلون لله البناتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمَّ مَا يَشْتَهُونَ.
»	٦٩	٦٥
		يَخْرُجُ من بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شفاءٌ للناسِ ...
»	٧٤	٢
		فَلَا تَضْرِبُوا اللَّهَ الْأَمْثَالَ ...
»	٧٥	٢٢
		ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ . الحمد لله ، بل

السورة	رقم الآية	الصفحة
سورة النحل	٧٦	٢٣
»	٩٢	٢٣
»	٩٤	٢٤
سورة الاسراء	٢٣	٢٠٣
»	٨١	٣٣١
سورة الكهف	٥٧	١١٥

أكثرهم لا يعلمون.

وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ وهو كَلٌّ على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم.

ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة ، إنما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون.

ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم فتزلل قدم بعد ثبوتها وتدوقوا السوء بما صدقتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم .

إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .
وبالوالدين إحسانا .

وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا .

إننا جعلنا على قلوبهم أكنةً أن يفقهوه وفي

السورة	رقم الآية	الصفحة
		آذانهم وقرا .
سورة الكهف	٩٩	٢٩٩
سورة مريم	٨١	١١٤
»	٨٥	٣٠٠
سورة طه	٧٤	٢٩٦
		فيها ولا يحيا .
سورة الأنبياء	٢٢	٢٥
»	١٠١	١٠٣
»	١٠٢	
		أنفسهم خالدون .
	١٠٥	٣٥١
	١٠٦	
	١٠٧	
		للعالمين .
سورة الحج	٣١	٢٢
»	٧٣	٢٤

السورة	رقم الآية	الصفحة
سورة الحج	٧٨	٢٩١ ٣٢٢
سورة المؤمن	٧-٥	٢٥٣
»	٩١	٢٥
سورة النور	٢	١٤٠
»	٣٥	١
»	٤٠٤ ٣٩	٢٧٤ ٢٦ ١١٦٤

تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو
اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا
لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب .

وجاهدوا في الله حق جهاده ...

والذين هم لفروجهم حافظون . إلا على
أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير
ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم
العادون .

إذا ذهب كل إله بما خلق ولعل بعضهم على
بعض .

ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم
تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما
طائفة من المؤمنين .

الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة
فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاج كأنها
كوكب دري ويضرب الله الأمثال
للناس والله بكل شيء عليم .

والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة

السورة	رقم الآية	الصفحة
سورة النور	٤٠	٢٧
		١١٦
سورة الفرقان	٦٠	٧٠
سورة النمل	٦٢	٢٦٦
سورة القصص	٧٦	١٨٣
»	٧٧	٢٠٣
»	٨٣	٧٦
سورة العنكبوت	٤١	٢٧

يَحْسِبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ
شَيْئًا . . . أَوْ كظلمات في بحر لجي يغشاه
موجٌ من فوقه موجٌ من فوقه سحابٌ ظلماتٌ
بعضُها فوق بعضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا: وَمَا الرَّحْمَنُ
أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا.

أَمَّنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ
وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ . . .

إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مَوْسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ
وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ
بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ .

وَأَحْسَنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ
الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ . . .

تلك الدارُ الآخرةُ نجعلُها للذين لا يريدون
عُدُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فسادًا والعاقبةُ للمتقين .

مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياءَ كمثل
العنكبوت اتخذت بيتًا وإن أوهن البيوت

السورة	رقم الآية	الصفحة
سورة العنكبوت	٤٣	٢
لَبِيتُ الْعَنْكَبُوتَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ . وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ .		
سورة الروم	٢٨	٢٨٠ ١
ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ .		
سورة لقمان	٢٢	١٣٨
وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى .		
سورة الأحزاب	٢١	٢٧٣
لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن لَّمْ يَكُنِ يَرْتَوْ اللَّهِ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ .		
»	٤١ - ٤٣	٢٢٧
يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا . وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا . هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا .		
»	٤٤	١٦٦
تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا .		

السورة	رقم الآية الصفحة	
سورة الأحزاب	٤٧ ٦٩	وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا .
سورة يس	٥١ ٢٩٩	وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ
سورة ص	٢٣ ١٨	إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعِجَةً وَلِيَ نَعِجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ : أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ .
سورة الزمر	٣ ١١٤	مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى .
»	٢٢ ١١٦	أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ .
»	٢٩ ٢٩	ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ، الْحَمْدُ لِلَّهِ ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ .
»	٤٣ ١١٤	أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ شَفَعَاءَ .
سورة غافر	١٩ ، ٢٣٤	يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ، وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ .
»	٦٠ ٣٢٢	ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ...
»	٧١ ٦٨	إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ
	٧٢	فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ .

السورة	رقم الآية	الصفحة
سورة غافر	٧٥	٦٨
		ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون .
سورة فصلت	٤١	٦٢
		وإنه لكتاب عزيز .
سورة الشورى	٢٣	١٢١
		ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا إن الله غفور شكور .
سورة الزخرف	٩	١١٣
		ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم .
		إلا من شهد بالحق وهم يعلمون .
سورة الناثية	٢٣	٩٦
		أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون .
سورة محمد	١٧	١١٩
		والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم .
سورة الفتح	١٨	١٢٩
		لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة .
		ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل

السورة	رقم الآية	الصفحة
		كزرع أخرج شطأه فآزره فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات مغفرة وأجرا عظيما .
سورة الحجرات	٧	١٠٤
		واغلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون .
سورة النجم	١١	٧٤
		ما كذب الفؤاد ما رأى .
		١٣٧
سورة الرحمن	٦٠	٦٩
سورة الواقعة	٧٧	٦٢
سورة الحديد	١٢	٦٩
		يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم .
سورة المجادلة	٢٢	٨٩
		أولئك كتب في قلوبهم الإيمان ...

السورة	رقم الآية	الصفحة
سورة الحشر	٨	٣٥١
»	١٦	٢٩
سورة الصف	٢	١٠٨
»	٤	١٠٨
سورة الجمعة	٥	٣٠
سورة التغابن	١٦	٢٢٦
»	١٧	٢١٩
سورة الحاقة	١٨	٦٩
»	٤٨	٢٣٣
»	٤٨	٦٠

أولئك هم الصادقون .

كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين .

يأياها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون . إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص .

مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بنس مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا والله لا يهدي القوم الظالمين

فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لأنفسكم .

إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حلیم .

يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية .

وإنه لتذكرة للمتقين .

السورة	رقم الآية	الصفحة
سورة الحاقة	٥٠	٦٠
»	٥١	٦١
سورة المطففين	١٤	١٧٧
سورة البروج	٢١	٦٢
سورة الشمس	٩	١١٦
سورة التكاثر	٥	٢١٥

٣ - فهرس الأحاديث والأخبار

الصفحة	
٣١	أرأيت لو كان لك عبدان أحدهما يكذبك ويخونك ولا يصدقك ، والآخر لا يكذبك ولا يخونك ويصدقك أيهما أحب إليك
٣١	قيدوا العلم . قلنا : وما تقييده ؟ قال : تعلموه وعلموه واستنسخوه ، فإنه يوشك أن يذهب العلماء ويبقى القراء لا يجاوز قراءة أحدهم تراقيه .
٣١	إنما مثل العالم كمثل ينبوع من ماء يسقى بلده ومن مر به ، كذا العالم ينتفع به أهل بلده ومن مر به .
٣١	مثلي في الدعوة كمثل سيد بنى دارا واتخذ مأدبة ، وبعث داعيا يدعو إلى مأدبته ، فالسيد هو الله ، والمأدبة الجنة ، والداعي أنا .
٣٢	مثل الآدى ومثل الموت كمثل رجل له ثلاثة من الخلان ، فقال أحدهم له : هذا مالى فخذ منه ماشئت ، وأعط ماشئت ، ودع ماشئت
٣٢	مثل القرآن مثل الإبل المعقلة إن عقلها صاحبها أمسكها عليه ، وإن أرسلها من عقلها ذهبت .
٣٣	مثل من لعب الميسر ثم عاد يصلى كمثل الذى يتوضأ بالقيح ودم الخنزير ، ثم قام فصلى ، فيقول : قد يقبل الله صلواته .
٣٣	مثل قارئ القرآن مثل جراب فيه مسك قد ربط فيه ، فإن فتحه فاح ريح المسك .
٣٣	مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الأترجة ، طعمها طيب وريحها طيب . ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل الثمرة طعمها طيب ولا ريح لها .
٣٥	أخبركم بمن أعطى القرآن ولم يعط الإيمان ومن أعطى الإيمان ولم يعط القرآن .
٣٦	مثلى ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى بنيانيا ، فعجب له الناس ، فقالوا : والله مارأينا مثل هذا البنيان لولا موضع اللبنة . فكنت أنا موضع تلك اللبنة .

- ٣٦ مثل المنفق ومثل البخيل كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد
- ٣٦ أ رأيت لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات ، ماتقولون ؟ هل يبقى من درنه شيء ؟ ...
- ٣٨ الصيام جنة كجنة أحدكم من القتال .
- ٣٨ حسن الحفاظ صيام ثلاثة أيام من الشهر .
- ٣٨ من جاء مسجدي هذا لم يأت إلا لخير يتعلمه أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله
- ٣٨ مثل الرويا حين تعبر كمثل رجل أمر أن يرفع إحدى رجليه ويضع الأخرى ، فهو ينتظر متى يؤمر بوضعها ...
- ١٥٦ : ٣٨ مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عما لا فقال : من يعمل عملا من صلاة الصبح إلى نصف النهار على قيراط قيراط
- ٣٩ إنما الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة .
- ٤٠ مثل المؤمن مثل النخلة إن جالسته نفعك . وإن شاركته نفعك ، وإن شاورته نفعك . . .
- ٤٠ مثل أصحابي في الناس كمثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام إلا بالملح .
- ٤٠ إنما مثل ومثلكم مثل رجل أوقد نارا فهو يذب عنها أن يقع فيها الجراد والفراش ، وإني آخذ بحجزكم أن تقعوا في النار .
- ٤١ مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى شيء منه تداعى سائرُه بالحمى والسهر .
- ٤١ مثل الذي استرد ما وهب مثل الكلب يتيء فيأكل قيئه .
- ٤١ إنما مثل أحدكم مثل التاجر يحسب الريح ولا يوفى رأس المال ، يوفى أحدكم التطوع ولا يوفى الفريضة .
- ٤١ مثل المؤمن ومثل الإيمان كمثل فرس في آخيته : يجول ثم يرجع إلى آخيته ، وإن المؤمن يسهو ثم يرجع إلى الإيمان ...
- ٤٢ مثل المنافق مثل الشاة العائرة بين الغنمين تتردد بينهما مرة إلى هذه ومرة إلى هذه .

- ٤٢ مثل المنافق مثل رجل في نهر يسبح فيه ، فلما بلغ أن يقطعه نودى من الجانب الآخر : فرجع إلى ذلك الصوت ، ثم نودى
- ٤٢ مثل ومثل الساعة كفرسى رهان سبق أحدهما الآخر بأذنه .
- ٤٢ مثل كمثل قوم بعثوا طليعة ، فرأى العدو فجاء ليخبرهم أن العدو قد هجم ، فلاح بثوبه مخافة أن يسبقه العدو .
- ٤٣ إن يحيى بن زكريا أمره الله أن يأمر قومه بخمس كلمات وأن يضرب لهم مثلا فقال وأمرني أن آمركم بالصلاة ...
- ٤٤ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا ينقر في صلاته ، لا يتم الركوع والسجود ، فقال : لو مات هذا مات على غير ملة محمد
- ٦٣ لما كلم الله تعالى موسى عليه السلام يوم الطور ، ورجع إلى بني إسرائيل رأوا على وجهه من النور والبهاء ما لم يروه قبل ذلك ...
- ٧٢ ما أنزل الله تعالى كتابا إلا أحب أن يعلم تفسيره : فن قرأ القرآن ولم يعلم تفسيره فهو أعمى .
- ٧٣ مثل من قرأ القرآن ولم يعلم تفسيره كمثل رجل جاءه كتاب من أعز الناس إليه ، يفرح به ويطلب من يقرؤه ...
- ٧٨ ابدأ بمن تعول ، وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى .
- ٨١ لا تقولوا للعنب كرما إنما الكرم قلب المؤمن
- ١٠٥ ، ١٤٥ لله أفرح بتوبة العبد من فرح رجل أضل راحلته في مفازة مهلكة ...
- ١٠٦ سيروا ، سبق المفردون . قالوا : يا رسول الله : ما المفردون ؟ قال ...
- ١١١ أن ليس أحد منكم ينجيه عمله . قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمته .
- ١١٢ أفضل الشهداء عند الله تعالى الذين يلقون في الصف فلا يلتفتون بوجوههم حتى يقتلوا أولئك الذين يتلبطون في الغرف الأعلى من الجنة
- ١١٧ إن الله يقول : جعلت عبادي كلهم حنفاء ، فأمرتهم ألا يشرکوا بي شيئا ، فأنتهم الشياطين فأحالتهم عند دينهم

- ١٣٣ ماتقرب إلى عبدى بمثل أداء فرائضى ، وإنه ليتقرب إلى بعد ذلك بالنوافل حتى أحبه وما يتقرب إلى عبد بمثل النصح
- ١٣٣ أحب ماتعبد لى به عبدى النصح لى .
- ١٣٣ إن لله ملائكة موكلين بأرزاق بنى آدم . قال : أيما عبد وجدتموه طلب ، فإن تحرى العدل فطيبوا ويسروا ، وإن تعدى إلى غير ذلك
- ١٣٨ قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن ، وإذا أراد الله أن يهديه بسطه فاستقام . وإذا أراد الله أن يضله نكسه .
- ١٣٩ أتاكم أهل اليمن ألين قلبا وأرق أفئدة .
- ١٤٠ مارزق عبد شيئا أفضل من إيمان صلب .
- ١٤٢ : ٢٢١ إن لله تعالى أواني فى الأرض . ألا وهى القلوب ، وأحبها إلى الله تعالى أرقها وأصفاها
- ١٥٤ ما أعطيت أمة من الأمم من اليقين ما أعطيت أمتى .
- ١٥٦ أخلص يكفك القليل من العمل .
- ١٥٧ وفيتم سبعين أمة . أنتم خيرها وأكرمها على الله تعالى .
- ١٦٠ إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده فقولوا : اللهم ربنا لك الحمد
- ١٧١ : ٣٣١ حبك الشئ يعمى ويصم .
- ١٧٢ ما ذئبان جائعان أرسلا فى زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء فى المال والشرف لدينه .
- ١٧٧ إذا أذنب العبد ذنبا نكتت فى قلبه نكتة سوداء
- ١٨٠ لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا بتغى إليه ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب .
- ١٩٤ جاء رجل إلى رسول الله فقال له : يا رسول الله ، علمنى غرائب العلم . قال : ما صنعت فى رأس العلم ؟
- ٢٠٣ الإيمان حلونزه فنزهه
- ٢٠٧ ماصيد من مصيد ولا قطعت شجرة إلا لغفلة عن التسبيح

- ٢١٢ إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم
ونياتكم
- ٢١٧ العلم علمان : علم في القلب ، فذلك العلم النافع ، وعلم في اللسان ، فذلك
حجة الله تعالى على ابن آدم .
- ٢٢٦ الأعمال بالنيات
- ٢٢٧ لا عمل لمن لا نية له ، ولا أجر لمن لا حسبة له
- ٢٢٢ الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك
- ٢٤٥ إن آدم لما أهبط إلى الأرض شغل بالحرث والنسج فقال : يارب ، شغلتني
هنا
- ٢٦١ أخذ رسول الله كسرة خبز بيمينه وتمرا بشماله فأكلهما وقال : هذه إدام
هذه .
- ٢٧٣ إنكم سترون من بعدى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء من بعدى
عضوا عليها بالنواجذ
- ٢٩٩ يحشر الناس أثلاثا : ثلث ركبان ، وثلث رجالة ، وثلث على وجوههم
- ٣٠٢ طوبى للسابقين إلى ظل الله تعالى . قيل : من هم يا رسول الله ؟ قال : الذين إذا
أعطوا الحق قبلوه ، وإذا سئلوا بذلوه ، والذين يحكمون للناس بحكمهم لأنفسهم .

٤ - فهرس الأعلام

٤١	علي بن الحسن	٢٦١ ، ٢٤٥ ، ١٦	آدم
١٤٨ ، ٨٠ ، ٣٥	علي بن أبي طالب	١٢٠ ، ١٥ ، ١١	إبراهيم الخليل
٢٦٧ ، ٢٢٩	عمر بن الخطاب	٧٠	إبراهيم النخعي
١٥٥	عيسى عليه السلام	٣٤	إياس بن معاوية
٣٧	القاسم بن محمد	١٧	يلعم
٣٤٨ ، ٦	قتادة	٢٩٥	جابر بن عبد الله
١٤	كعب بن الأشرف	٢٣٢	جبرئيل
٢٣٢ ، ٢١٩ ، ٧١	مالك بن دينار	٧٩	حنيد بن هلال
٤٠ ، ٦	مجاهد	١٨	داود
٢٩١ ، ١	محمد بن علي الترمذي	١٤٨	الزبير بن العوام
٣٧	محمد بن كعب القرظي	٣١٦	زيد بن أسلم
١٥٧	معاذ بن جبل	٧٣	سعيد بن جبير
٦	مقاتل بن سليمان	٤٤	شرحبيل بن حسنة
٢٦٨ ، ٦٤ ، ٦٣	موسى عليه السلام	١٤٠	ضريب بن نقيير
٤٣	يحيى بن زكريا	٣٠٣	عائشة رضي الله عنها
٤٤	يزيد بن أبي سفيان	١٣٨	عبادة بن الصامت
		١٤٨٠ ، ١٤٧ ، ١٦	عبد الله بن عباس

٥ - فهرس مراجع التحقيق والشرح

- الإصابة لابن حجر
تاج العروس
تفسير القرطبي
تفسير ابن كثير
التقريب لابن حجر
تهذيب التهذيب
سنن الترمذى
سنن ابن ماجه
سنن النسائى
صحيح مسلم
الفائق للزمخشرى
القاموس المحيط
القرآن الكرم
الكشاف للزمخشرى
اللباب لابن الأثير
لسان العرب لابن منظور
مختار الأغانى
مختار الصحاح
المصباح المنير
معجم ألفاظ القرآن السكريم
المغازى لواءقدى
النهاية لابن الأثير
- تحقيق على البجاوى نهضة مصر بالفضالة
طبعة دار الكتب
طبعة عيسى الحلبي ، ودار الشعب
المكتبة العلمية بالمدينة المنورة
حيدر آباد
مصطفى الحلبي
عيسى الحلبي
مصطفى الحلبي
طبعة عيسى الحلبي
»
المطبعة الهيئة المصرية
القدسى
الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر
مجمع اللغة العربية
مطبعة جامعة اكسفورد

صواب الأخطاء المطبعية

الصفحة	السطر	الصواب
٣٣	١	وضرب
٦٤	٢٢	البذاء
٨٨	١٥	الحرز
١٠١	١٢	فيرأى
١١٠	٢١	جمع
١٢٤	١١	ووخزة
١٦١	٩	يعمل له
١٦٢	١٩	لريها
١٨٣	١٥	آية ٧٦
٢٨٥	١٣	وإن اقتضى اقتضى
٢٩٣	٥	الدنية
٣٠٢	١١	وأمنيتها
٣١٤	٦	وتغير

رقم الايداع بدار الكتب ٣٠٥٥

مطبعة نهضة مصر

UNIV. ARABIA

٢٤٤٤١٥٧٧

UPPSALA

1977/155

مطبعة نهضة مصر
النجاة - القاهرة